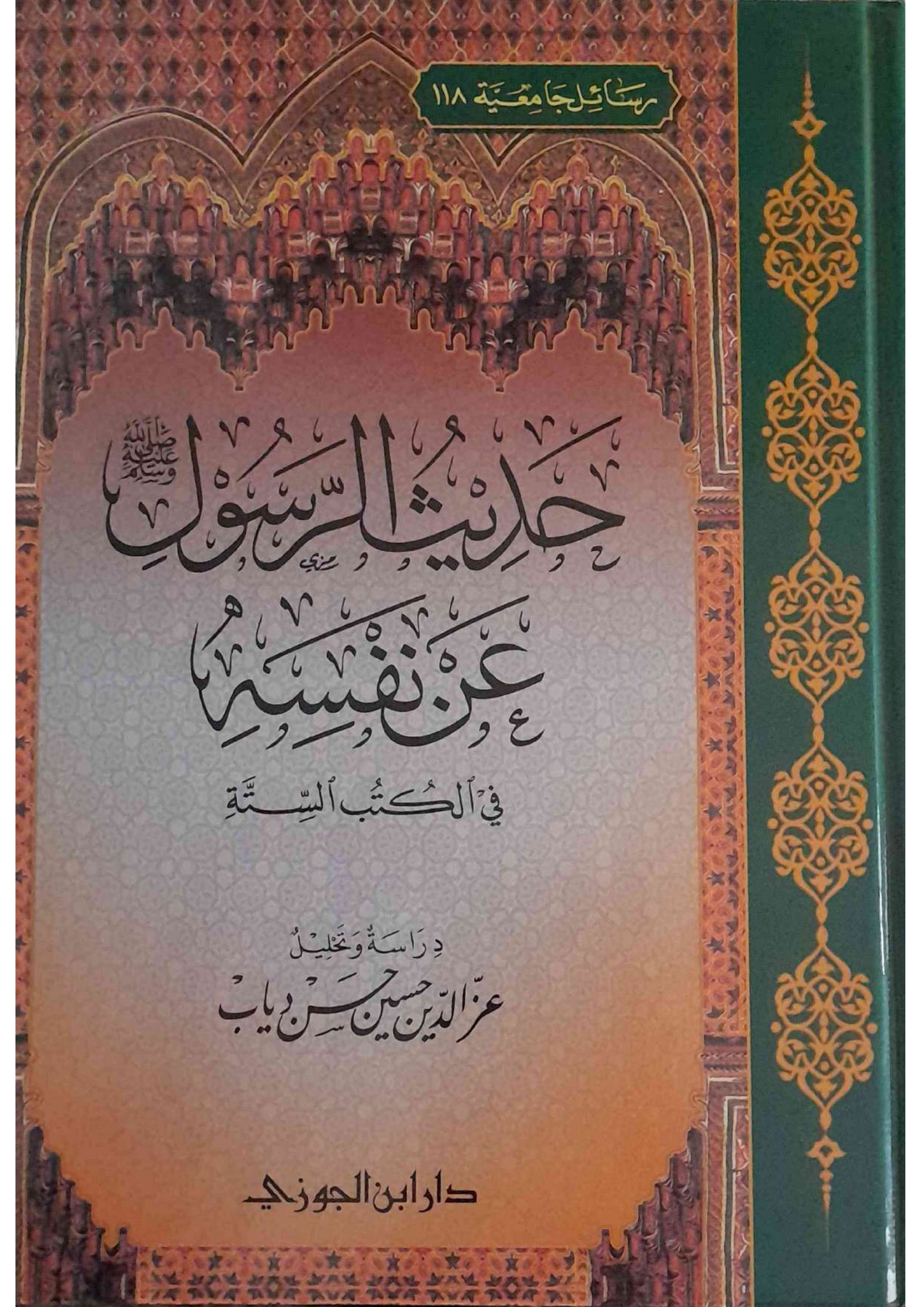

رسائل جامعية ١١٨
حديث الرسول ﷺ عن نفسه
في الكتب الستة
دراسة وتحليل
عز الدين حسين حسن دياب
دار ابن الجوزي

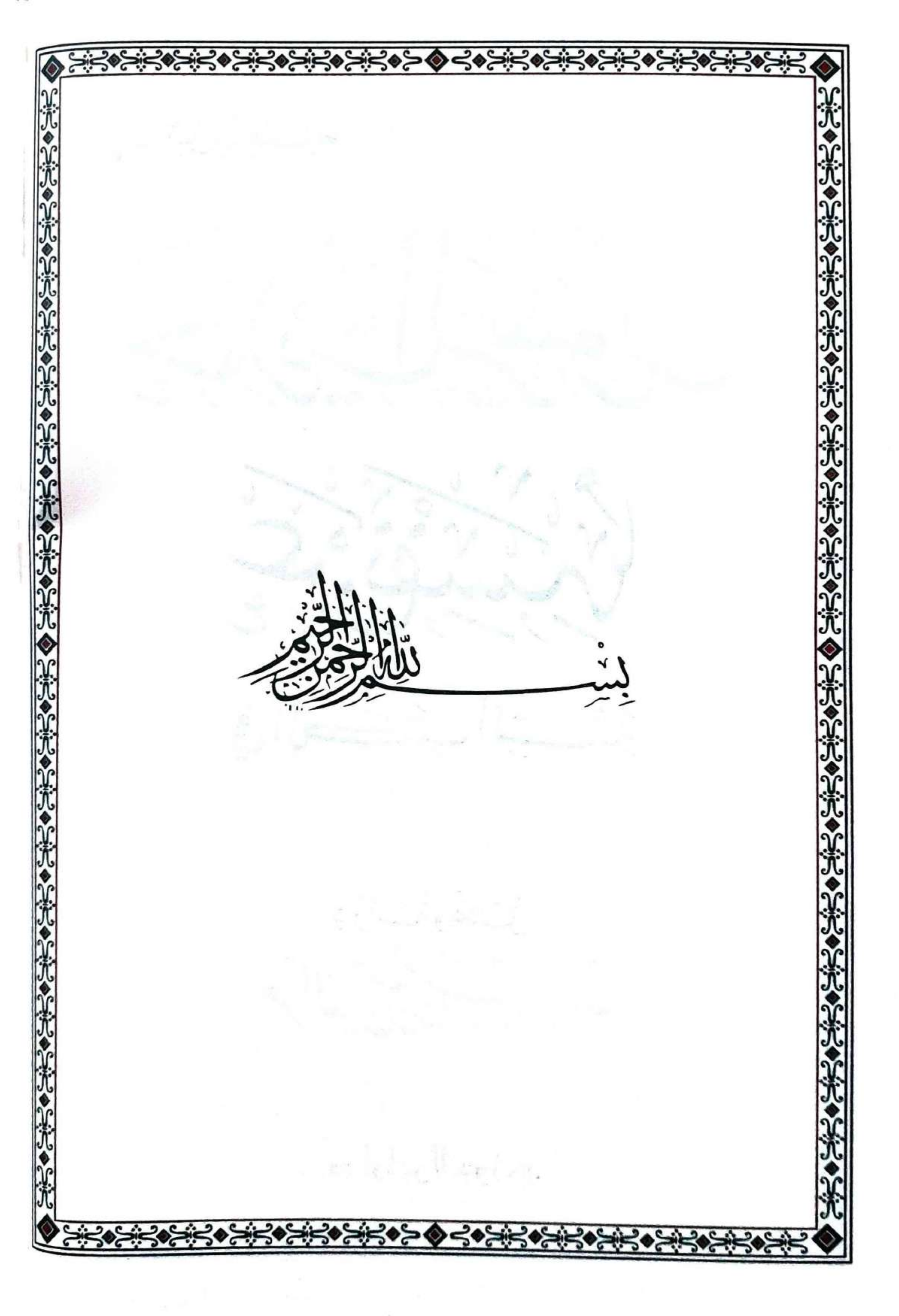
رسائل جامعية (١١٨)

حديث الرسول ﷺ عن نفسه في الكتب الستة

دراسة وتحليل

عز الدين حسين حسن دياب

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير من المعهد العالي للدراسات الاسلامية بالقاهرة بتقدير ممتاز





الإهداء

إلى سيِّدِي رسولِ الله ﷺ، فما دامت صلاتُنا عليكَ تبلغُكَ، فسوف يَبلغُكَ هذا العملُ إن شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمما لا شك فيه أن حديث الرسول ﷺ كان وما يزال، وسيظل مهوىٰ أفئدة المسلمين، ولا سيَّما العلماء، والأدباء، وطلَّاب العلم الراغبين في الاستزادة من العلوم الشرعية، يغترفون جميعًا من معينه الصافي، ويرتوون من نبعه المتدفق عبر العصور.

ولقد حاولت الدراسات الأدبية والبلاغية للحديث النبوي ـ علىٰ قلَّتها[1] ـ أن تحيط بما في كلام النبيِّ من أسرار البلاغة وفنون البيان، ورغم توفيق كثير من الدارسين في كشف بعض ملامح الإعجاز فيه ـ إلا أن إعجازه ظل دائمًا ثرًّا بالعطاء، تتقطع دونه أعناق البلغاء، وتعجز أمامه أقلام الفصحاء.

وعبَّر الأستاذ الكبير مصطفىٰ صادق الرافعي في كتابه «**إعجاز القرآن**

---

(١) لا تمثل الدراسات الأدبية للحديث النبوي أكثر من (١٪) من مجموع الرسائل العلمية المجازة في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتىٰ نهاية القرن العشرين. انظر بيليوجرافيا الرسائل العلمية في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتىٰ نهاية القرن العشرين في الأدب العربي والبلاغة والنقد الأدبي. للدكتور محمد أبو المجد علي البسيوني.

والبلاغة النبوية» عن هذا المعنىٰ فقال:

(هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلَّف لها وهي علىٰ السهولة بعيدة ممنوعة)[(١)].

ومن خلال تتبع الدراسات الأدبية حول الحديث الشريف نجد أنها سارت في اتجاهين:

الأول - يتناول أسرار البلاغة النبوية في بيان الرسول ﷺ بصورة مجملة، ومن ثم يحدد السمات الكلية والخصائص التي تميزه. ومن أمثلة هذا النوع: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للأستاذ/ مصطفىٰ صادق الرافعي، والبيان المحمدي، للأستاذ الدكتور/ مصطفىٰ الشكعة، والبيان النبوي، للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي.

والثاني - يتناول جانبًا بلاغيًّا أو موضوعيًّا في الحديث النبوي، ثم يخضعه للدراسة الفنية، ومن أمثلة هذا النوع: المجازات النبوية للشريف الرضي، والصور البيانية في الأحاديث النبوية، للدكتور/ محمد علي فرغلي الشافعي، ومن بلاغة النبي ﷺ في بيانه عن المرأة، دراسة في الصحيحين، للدكتور/ سعيد أحمد السيد جمعة، وبلاغة الدعاء في الحديث النبوي، للدكتور/ سلامة جمعة علي داود، وغيرها.

وعلىٰ النمط الأخير جاء هذا الكتاب الذي اتخذ من حديث الرسول الأعظم ﷺ عن نفسه بضمير المتكلم مادة للدرس والتحليل الأدبي.

وكنت قد شُغفت من زمن بحديث النبيِّ ﷺ عن نفسه، ولطالما تأملت قوله ﷺ:

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للأستاذ/ مصطفىٰ صادق الرافعي (١/ ١٩٣).

«إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ»، قَالَ: **«فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»**(١).

وقوله ﷺ: **«إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الناس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فلما أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ التي تَقَعُ في النَّارِ يَقَعْنَ فيها، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ، وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عن النَّارِ، وأنتم تقحمون فيها»**(٢).

وتمنيت أن لو جُمعتْ مثل هذه الأحاديث، وجُعلتْ محلًا للدرس، لبيان ما فيها من جليل المعنىٰ، وبديع التصوير، وجميل الصياغة.

وشاء الله أن يتأخر تحقيق هذه الأمنية نحوًا من ثلاثين عامًا، حتىٰ قدر لهذه الدراسة أن ترىٰ النور.

لقد طوَّفتُ ـ بفضل هذا الكتاب ـ سنوات في رحاب حديث رسول اللَّه ﷺ في الكتب الستة، وكانت الرحلة شائقةً ممتعة، عشت مع كلمات الرسول ﷺ في بيته، ومع صحابته، في مكة والمدينة، في حربه وسلمه، في حله وترحاله، ثم وهو يتلفظ بآخر كلماته، وينتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، وتمثلت لي هذه الحياة ـ وأنا أتأملُ أحاديثه ﷺ ـ كأني أراها رأي العين، فازددت حبًّا له ﷺ، وتقديرًا لجهاده، وإيمانًا برسالته، وتمنيت أن لو كنت من أهل زمانه، أتمتع بالنظر إلىٰ وجهه الحبيب، وأتشرف بحضور مجالسه الكريمة، وأُشنِّف أذني بالإصغاء لحديثه النديِّ.

كانت كلمات النبي ﷺ ـ كما وصفها أصحابه ـ معدودةً محسوبةً مقدَّرة، ينطقها بأناة وتؤدة؛ لتأتي كل كلمة في موضعها لا يصلح أن يحل غيرها محلها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦)، والترمذي (٢٨٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، والترمذي (٢٨٧٤).

تقول السيدة عائشة: إن كان رسول الله ﷺ ليحدِّث الحديث لو شاء العادُّ أن يحصيه أحصاه[١].

ومع ذلك كان كلامه ﷺ ينساب طبيعيًا عفويًا لا أثر فيه لصنعة ولا لتكلف، وتلك هي البلاغة النبوية التي عاينتها في أسمىٰ صورها.

۞ ۞ ۞

انتظم هذا الكتاب بعد المقدمة في ثلاثة أبواب يحتوي كل باب منها علىٰ ثلاثة فصول، جَمعتُ فيها الأحاديث الشريفة التي وردت في الكتب الستة علىٰ لسان النبي ﷺ بضمير المتكلم المنفصل أو المتصل، وقمتُ بتبويبها تبويبًا موضوعيًّا، وعلَّقت علىٰ كل حديث أو مجموعة من الأحاديث التي يضمُّها عنوان واحد موضحًا سياقها العام، ومفصلًا الكلام حول التراكيب والجمل والمفردات، ومركزًا علىٰ أساليب الصياغة وطرائق التصوير وإيحاء الكلمات.

وجاء **الباب الأول** بعنوان: **مع الرسول ﷺ من المبعث إلى اللحاق بالرفيق الأعلى.**

واحتوىٰ علىٰ الفصول التالية:

الفصل الأول: الرسول ﷺ في مكة:

وتركزت أحاديث النبي ﷺ فيه حول القضايا الغيبية كالوحي وطبيعته، والنبوة وماهيتها، والدعوة إلىٰ توحيد الله، ونبذ الأوثان، والتحذير من عذاب الآخرة. كما تناولت ما تعرض له النبي من أذىٰ وعنت، وتضييق وإخراج.

الفصل الثاني: في رحاب طيبة:

ودارت أحاديثه حول المسجد النبوي، والمنبر والبيت، وحب المدينة

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٤)، والحميدي في مسنده (٢٤٩).

وأهلها، والغزوات التي دارت رحاها في تخومها، والعلاقات بين المسلمين ويهود المدينة ومنافقيها.

الفصل الثالث: إلىٰ الرفيق الأعلىٰ:

وتناولت الأحاديث فيه المؤشرات الأولىٰ التي أنذرت برحيل النبي ﷺ، وبدايات المرض، ثم اشتداد وطأته، ثم اللحظات الأخيرة في حياة النبي ﷺ.

أما الباب الثاني فحمل عنوان: الرسول ﷺ مع المؤمنين.

وتضمَّن ما يلي:

الفصل الأول: الرسول ﷺ مع الرسل والأنبياء:

وعرضتُ فيه للأحاديث التي تناولت علاقة الرسول بإخوانه من الأنبياء والرسل، وبدأت بروح القدس جبريل الذي كان همزة الوصل بين الأرض والسماء، والذي تعددت صور اتصاله بالنبي ﷺ، ثم بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي كان نبينا ﷺ أشبه الناس به، ثم يوسف الصديق عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم، فموسىٰ كليم الله، فعيسىٰ الذي عدَّ النبي ﷺ نفسه أَوْلَىٰ الناس به، إلىٰ سليمان صاحب النبوة والملك الفريد، ثم الأحاديث التي تضمنت وصف النبي ﷺ لجبريل، ولموسىٰ وعيسىٰ وإبراهيم ويونس.

الفصل الثاني: الرسول ﷺ مع آل بيته:

وتناولت الأحاديث فيه حياة الرسول ﷺ مع آل بيته، وبدأت بأولاده إبراهيم وفاطمة وزينب ثم حفيديه الحسن والحسين، فابن عمه وصهره علي ابن أبي طالب، وعمه العباس رضي الله عنهما.

ثم الأحاديث التي وصفت علاقته بزوجاته رضي الله عنهن، وكانت أولاهن خديجة ثم عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش وجويرية وأم حبيبة وصفية بنت حيي، وكان اللقاء الأخير مع أم هانئ ابنة عم النبي ﷺ. ثم خُتم الفصل بوقفة

حزينة باكية أمام قبر أم النبي ﷺ.

الفصل الثالث: الرسول ﷺ مع أصحابه:

وصوَّرت الأحاديث فيه علاقة النبي ﷺ مع بعض أصحابه بدءًا بالصديق أبي بكر وعمر وعثمان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، ثم بجمع من الصحابة والصحابيات يزيد عن ثلاثين كانت لهم مع النبي ﷺ مواقف خلدتها الأحاديث.

وفي **الباب الثالث** وعنوانه: **من شمائل النبوة،** جاءت الفصول علىٰ النحو التالي:

الفصل الأول: من أخلاق الرسول ﷺ:

عرضَتْ الأحاديث فيه لأخلاق النبي ﷺ فوصفَتْ الرجل المثال الذي جُعل أسوةً للناس بمكارم أخلاقه، ورفيع صفاته، فهو الرحيم الشفيق بأمته، الطائع المخبت لربه، العف اللسان والجنان، النبيل المترفع عن الدنايا، العادل في حُكمه وقَسْمه، الحكيم في قوله وعمله، الشديد في الحق، الحريص علىٰ العلم، العاشق للذكر، الشجاع المقدام، المتواضع الزاهد، الكريم السخي، الغيور علىٰ محارم اللَّه، المؤلف لقلوب الناس.

الفصل الثاني: من خصوصيات الرسول ﷺ:

وتعرضت الأحاديث فيه لبعض خصوصيات الرسول التي انفرد بها دون الناس، وكان أبرزها، وجوب محبته ﷺ، ورؤيته نور ربه، وكونه لا يورث، وأنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وأنه لا يقبل هدايا المشركين.

ومن بينها اختصاص ربه له بخمس لم يعطهن نبي قبله، وهي أنه نُصر بالرعب مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت له الغنائم، وأعطي الشفاعة، وبعث للناس كافة.

وكذلك أنه أُعطِي مفاتيح الأرض، وأن عينيه تنامان ولا ينام قلبه، وأنه

يرىٰ من لا نرىٰ، وأن له خمسة أسماء مشهورة، وأنه يجوز التسمي باسمه، ولا يجوز التكني بكنيته، وأن الشيطان لا يتمثل به، وأنه سيد ولد آدم، وأن اللَّه اصطفاه من بني هاشم، وأنه لا نبي بعده.

و أن له نَهرًا في الجنة هو الكوثر، وأن جسده بعد موته لا يبلىٰ، وأن صلاتنا عليه تبلغه في قبره، وأن الصلاة عليه لها فضل وأجر عظيم، وأن صلاته في حياته علىٰ الميِّتين من أصحابه رحمة لهم.

ومن بين خصائصه أيضًا أنه ليست له خائنة الأعين، وأنه لا ينطق إلا صدقًا وحقًّا، وأنه أوتي الكتاب ومثله معه، وأن بعثته وموته من علامات الساعة.

الفصل الثالث: من نبوءات الرسول ﷺ:

وعَرَض لنبوءات الرسول ﷺ التي وردت في أحاديثه عن نفسه، وقد تحقق قسم منها في حياته، وتحقق قسم آخر في زمن الصحابة والتابعين، وتحقق ثالث بعد قرون الخيرية، ورابع سوف يتحقق بين يدي الساعة بإذن اللَّه جَلَّ وَعَلَا.

ثم جاءت **الخاتمة** في النهاية لتلخص أبرز ما خلصت إليه الدراسة من نتائج.

❁ ❁ ❁

والتزمت في اختيار الأحاديث التي تتصل بموضوع الكتاب بما يلي:

١ ـ لم أثبت من الأحاديث سوىٰ الصحيح المقطوع بصحته في كتب التخريج القديمة والحديثة، ولا سيما كتب الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ ـ إذا كان الحديث موجودًا في أكثر من كتاب من الكتب الستة، فإني أذكرها في التخريج مرتبة بحسب درجة الصحة التي ارتضاها جمهور علماء

الحديث، حيث يأتي صحيح الإمام البخاري في المقدمة، كأصحِّ كتاب بعد كتاب اللَّه ﷻ، يتلوه صحيح مسلم، فسنن أبي داود، ثم سنن الترمذي، فسنن النسائي الصغرىٰ، فسنن ابن ماجة، رحمهم اللَّه جميعًا، وجزاهم عن سنة رسول اللَّه ﷺ خيرًا.

٣ ـ لم أثبت المكرر منها، واكتفيت بتسجيل الحديث الواحد في أحد فصول الكتاب، وإن كان مضمونه يحتمل أن يُسجل في أكثر من فصل.

٤ ـ لم أستثنِ مما ورد متصلًا بضمير المتكلم سوىٰ:

[أ] ما كان من باب الدعاء، وهو كثير، ويصلح أن يكون كتابًا مستقلًا، وقد تناولته بالفعل دراسة سابقة[(١)]، ومن أمثلته ما رواه أبو هريرة قال: كان رسول اللَّه ﷺ يَسْكُتُ بين التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً ـ قال: أَحْسِبُهُ قال: هُنَيَّةً ـ، فقلت: بِأَبِي وَأُمِّي يا رَسُولَ اللَّه، إِسْكَاتُكَ بين التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ ما تَقُولُ؟ قال: «**أَقُولُ اللَّهم بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كما بَاعَدْتَ بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهم نَقِّنِي من الْخَطَايَا كما يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ من الدَّنَسِ، اللَّهم اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**»[(٢)].

[ب] ما اتصل بأمور الآخرة، كالبعث والنشور، والقبور، والجنة والنار، وهذا أيضًا باب واسع لو ضممته للكتاب، لتضخم أكثر مما ينبغي.

٥ ـ دلَّ منطوق بعض الأحاديث علىٰ أن المراد به شخص النبي ﷺ، وإن لم يَرِدْ به ضمير المتكلم، كقوله ﷺ: «**إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**» فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَىٰ هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ:

---

(١) بلاغة الدعاء في الحديث النبوي، للدكتور/ سلامة جمعة.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨)، وغيرهما.

فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ المُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ»[(١)].

وقد أثبتُ مثلَ هذه الأحاديث لأنها تتسق مع موضوع الكتاب.

٦ ـ إذا كان الحديث مختصرًا، وغيره أكثر تفصيلًا منه وأعمَّ، فإنني أكتفي بالأخير، ولا أثبت المختصر، ومثال ذلك قول الرسول ﷺ عند الترمذي: **«جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»**[(٢)].

فأعمُّ منه ما رواه جابر عن النبي ﷺ: أنه قال: **«أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً»**[(٣)].

٧ ـ اكتفيت في السند باسم الراوي الناقل عن رسول اللَّه ﷺ صحابيًّا كان أم تابعيًّا، وفي التخريج بذكر رقم الحديث، واسم الكتاب والباب، واعتمدت في ترقيم أحاديث البخاري علىٰ ترقيم عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

اعتمد هذا الكتاب في المقام الأول علىٰ كتب الحديث الستة كمصادر أساسية، وهي:

*** صحيح البخاريِّ** *** صحيح مسلم**

*** سنن أبي داود** *** سنن الترمذي**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، والترمذي (٣٦٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، والنسائي في الصغرىٰ (٤٣٢).

* سنن النَّسائيِّ * سنن ابن ماجة

وهي الكتب التي تعارف العلماء علىٰ اعتبارها أصح كتب الحديث قاطبة، وفيما يلي تعريف موجز بهذه الكتب، وبمؤلفيها:

١ - «صحيح البخاريِّ»: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللَّه ﷺ وسننه وأيامه.

لأبي عبداللَّه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفيِّ[1] البخاري.

ونسبه (الجعفيُّ) سببه أن الجد الثاني له (إبراهيم) أسلم علىٰ يد اليمان الجعفيِّ والي بخارىٰ، فنسب إليه نسبة ولاء، و(البخاري) نسبة إلىٰ بلده التي ولد فيها: بخارىٰ.

كان مولده في الجمعة الثالثة من شوال سنة ١٩٤هـ، وكان أبوه محدثًا سمع من مالك بن أنس غير أنه لم يكن مكثرًا من الرواية.

مات أبوه، وخلَّف له مالًا كثيرًا استعان به البخاري علىٰ طلب العلم.

وكان البخاري قوي الذاكرة، شديد الحفظ، متقنًا ذكيًّا فطنًا، يقول عن نفسه: (أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح)[2].

وجمع إلىٰ ذلك ورعًا وتقوىٰ وخشوعًا، إذ كان كثير الصلاة مقيمًا لليل، ويروىٰ أنه كان في رمضان يختم القرآن في السحر في ثلاث ليالٍ، ويختمه بالنهار في كل يوم ختمة.

اعترف له بالفضل والتفرد شيوخُه وتلاميذُه.

فعن قتيبة بن سعيد أنه قال: (لقد رحل إليَّ من شرق الأرض ومن غربها،

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٧٧).

(٢) شرح البخاري للسفيري (١/ ٤٧).

فما رحل إليَّ مثل محمد بن إسماعيل)[١].

وقال أحمد بن حنبل: (ما أخرجتْ خراسان مثل محمد بن إسماعيل)[٢].

وكشف البخاري لتلميذه مسلم عن علَّة حديث لم يكن يعلمها، فقال له مسلم: (دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذِين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله)[٣].

من أبرز شيوخه الذين تلقىٰ عنهم العلم: أبو عاصم النبيل، ومكِّي بن إبراهيم، ومحمد بن عيسىٰ بن الطباع، وعبد الله بن موسىٰ، وقتيبة بن سعيد، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وآخرون.

أما تلاميذه فعلىٰ رأسهم: مسلم بن الحجاج، والترمذي، وابن خزيمة، ومحمد بن يوسف وهو أحد رواة الصحيح، وعنه انتشر بين الناس.

وصحيح البخاري هو أصح كتاب في حديث رسول الله ﷺ كما أجمع أهل العلم، يقول البخاري: (لم أخرِّج في هذا الكتاب إلا صحيحًا، وما تركت من الصحيح أكثر)[٤].

ويتميز بالدقة في الأسانيد، واشتراط ثبوت اللقاء بين الراوِييْن، والسماع ولو مرة، لذا سمىٰ كتابه: الجامع المسند الصحيح.

افتتحه بحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، ثم: بدء الوحي، ثم: الإيمان فالعلم ثم العبادات، جاريًا علىٰ سَنَن أبواب الفقه.

وأطلق علىٰ الأبواب العامة اسم كتاب، ثم ترجم لكل كتاب بالأبواب المفصلة له.

وكان ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ يذكر الحديث في كتابه في مواضع عدة، ويستدل به في

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٨٢).
(٢) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (١/ ١٥).
(٣) حاشية ابن القيم علىٰ سنن أبي داود (١٣/ ١٤٠).
(٤) مرقاة المفاتيح (١/ ٥٨).

كل باب بإسناد آخر، ويستخرج منه بحسن استنباطه وفقهه معنىً يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه.

وقد بلغ عدد أحاديث البخاري سبعة آلاف وخمسمائة وثلاثة وستين بالأحاديث المكررة، وبإسقاط المكرر تبلغ حوالي ثلاثة آلاف حديث.

خرج البخاري من بخارىٰ بعد خلاف مع واليها إلىٰ قرية (خرتنك) وهي إحدىٰ قرىٰ سمرقند، وكان بها أقرباء له فنزل عندهم، فسُمع ذات ليلة، وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه: (اللهم قد ضاقت علىٰ الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك)[1]، فما تمَّ الشهر حتىٰ قبضه الله إليه، وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ، وعمره اثنان وستون عامًا.

❁ ❁ ❁

٢ ـ «صحيح مسلم»: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ.

وصاحبه أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيريّ النيسابوريّ.

ولد سنة ٢٠٤ هـ وفي رواية ٢٠٦ هـ ، ونسبه القشيريّ نسبة إلىٰ القبيلة التي ينتمي إليها، قيل: هو عربي الأصل، وقيل: بل نسبته إلىٰ قشير نسبة ولاء، والنيسابوريُّ نسبة إلىٰ بلد إقامته.

سمع الحديث من شيخه يحيىٰ بن يحيىٰ التميمي، وهو ابن اثنتىٰ عشرة أو أربع عشرة سنة، ثم خرج فطاف البلاد لسماع العلم، فنزل خراسان والري والعراق ومكة والمدينة والشام ومصر.

تتلمذ علىٰ يد القعنبي وابن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحيىٰ بن معين

---

(١) المتواري علىٰ أبواب البخاري (١/ ٤٥).

وابن المديني وغيرهم، ثم تفرغ للجلوس إلىٰ أستاذه الأكبر البخاري فلازمه طيلة حياته، وتشرب منهجه، وأحبه ودافع عنه في محنته، وكان أوفىٰ الناس له.

أما تلاميذه فأشهرهم: محمد بن عبد الوهاب الفراء، وأبو حاتم محمد ابن إدريس الرازيّ، وأبو عيسىٰ الترمذيُّ، وأبو بكر بن خزيمة، وأبو عوانة الإسفراييني، وإبراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيحه.

انتخب صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، ومكث يصنفه خمسة عشر عامًا متحريًا الدقة والصحة، يقول عن كتابه: (ما وضعت في هذا المسند شيئًا إلا بحجة، ولا أسقطت شيئًا منه إلا بحجة)[1].

كان يشترط أن يخرِّج الحديث الذي اتصل سنده برواية الثقة عن مثله إلىٰ منتهاه، ولا يكون شاذًا ولا معللًا، وخالف أستاذه البخاري في سماع الثقة ممن فوقه، فلم يشترط سوىٰ المعاصرة وإمكان اللقاء، وإن لم يأت خبرٌ أنهما اجتمعا.

جمع كل ما يتعلق بالباب في موضع واحد بأسانيده، ولم يشتمل كتابه إلا علىٰ الصحيح المسند إلىٰ النبي ﷺ علىٰ أبواب مفصلة الطرق والأسانيد، ولا يكاد يوجد فيه غير المرفوع.

لذلك عد العلماء كتابه في المرتبة الثانية بعد صحيح البخاري، وهما معًا يمثلان مع القرآن أصول الإسلام.

توفي مسلم في رجب سنة ٢٦١ هـ بنيسابور عن بضع وخمسين سنة.

* * *

٣ ـ «سنن أبي داود»:

لأبي داود سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر الأزديّ

---

(١) صيانة صحيح مسلم (١/ ٦٨).

السجستاني، محدث البصرة توفي بها سنة ٢٧٥ هـ.

انصرف منذ صباه للعلم، وسمع في سجستان، ثم طاف العراق والكوفة والبصرة والشام والجزيرة والحجاز ومصر وخراسان والريّ.

سمع من القعنبي وسليمان بن حرب ومسلم بن إبراهيم وعبد اللّه بن رجاء وأبي الوليد الطيالسي والحسن بن الربيع وأحمد بن يونس، وتتلمذ علىٰ يد أحمد بن حنبل وكان من أنبل تلاميذه.

وحدث عنه أبو عيسىٰ في جامعه، والنسائي وإبراهيم بن حمدان وأبو الطيب أحمد بن إبراهيم البغدادي راوي السنن عنه.

كان رجلًا ورعًا ومقدَّمًا حافظًا، قال بعضهم: (أُلِين الحديثُ لأبي داود، كما أُلِين الحديد لداود)[1].

قال أبو داود عن كتابه:

(كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة، ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه)[2].

كان يخرِّج أصح ما ثبت عنده في الباب، وكان يشترط في الرجال ألا يكونوا متروكي الحديث، لذلك لم يخرِّج لغير الثقات، وكان يشترط الاتصال في الإسناد.

تضمن كتابه تفصيل الأحكام، وبيان حجج الحلال والحرام، واستقر عند بعض المتأخرين أن سنن أبي داود ثالث الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

---

(١) مرقاة المفاتيح (١/ ٧٢).

(٢) طرح التثريب (١/ ٥٠).

٤ ـ «سنن الترمذيِّ»:

لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ السلميِّ الترمذيِّ، ولد سنة ٢٠٩ هـ، وتوفي سنة ٢٧٩ هـ، والسلميّ نسبة إلىٰ القبيلة التي ينتمي إليها وهي نسبة عربية، والترمذي نسبة إلىٰ بلده (ترمذ) وهي مدينة تقع في جهة الشمال من نهر جيحون شمال إيران.

خرج إلىٰ طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، فطاف بخراسان والعراق والحرمين ونيسابور وبخارىٰ، وفي بخارىٰ لازم الأستاذ الأول البخاري فتلقىٰ منه، كما حدَّث عن قتيبة ابن سعيد وإسحاق بن راهويه ومحمد بن عمرو وأبي مصعب الزهري وغيرهم.

وحدَّث عنه أبو بكر أحمد بن إسماعيل السمرقنديّ، وأبو حامد أحمد بن عبد الله بن داود المروزيّ، وأحمد بن يوسف النسفيّ، وأبو العباس محمد ابن أحمد بن محبوب راوي سننه.

كان الترمذيُّ عالمًا حافظًا قوي الذاكرة، مذكورًا بالصلاح والاستقامة والزهد والورع.

صنَّف كتابه ابتداءً حديثًا مجردًا، ثم أتبعه بالفوائد في ذكر مذاهب الفقهاء، وعِلل الحديث، ونحو ذلك، واشترط ذكر الأحاديث التي عليها مدار الأحكام، والتي عمل بها الفقهاء، ولم يشترط فيها الصحة، فعنده الصحيح والحسن والضعيف والغريب والمرسل والمنقطع والمضطرب والمعلل والشاذ، غير أنه التزم ببيان ذلك وشرحه، ومع ذلك غلب علىٰ كتابه الصحيح.

قال أبو عيسىٰ: (صنفت هذا الكتاب فعرضته علىٰ علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضُوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب ـ يعني الجامع ـ فكأنما

في بيته نبيٌّ يتكلم)[1].

وقد رتب جامعه علىٰ أبواب تتفرع عنها أبواب أخرىٰ، ولم يقتصر علىٰ الأحكام، بل تعداها للفضائل والزهد وغيرهما.

ويُعدُّ كتابه أصلًا في معرفة الأحكام، وتمييز مسائل الحلال والحرام، والترغيب والترهيب، والفضائل والمناقب، والسير والتاريخ، والجرح والتعديل.

عدَّه البعض ثالث الكتب الستة، وعدَّه الأكثرون رابعها بعد سنن أبي داود.

❁ ❁ ❁

٥ ـ «سنن النَّسائيِّ»: المجتبَىٰ من السنن:

لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عليٍّ بن سنان بحر، ينتسب إلىٰ مدينة نَسا بفتح النون من مدن خراسان، ولد سنة ٢١٥هـ، وتوفي سنة ٣٠٢ هـ وفي رواية ٣٠٣هـ.

كان جميلًا مشرق الوجه، كأن وجهه قنديل مع الهيبة والوقار، وكان مهتمًا بملبسه وهيئته وأكله، وكان حافظًا فاهمًا، قال الدارقطني: (أبو عبد الرحمن مقدَّم علىٰ كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره)[2].

رحل في الخامسة عشرة إلىٰ قتيبة بن سعيد، فأقام عنده سنة وشهرين، ثم رحل إلىٰ خراسان والعراق والجزيرة والشام والثغور والحجاز ومصر التي استوطنها، وسكن فيها بزقاق القناديل.

سمع من إسحاق بن راهويه وهشام بن عمار وسويد بن نصر وعيسىٰ بن

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٤).

(٢) طبقات الشافعية (١/ ٨٨).

حماد والحسن بن الصباح البزار، وغيرهم.

وأبرز تلاميذه: أبو بشر الدولابيّ، وأبو جعفر الطحاويّ، وأبو علي النيسابوريّ، وآخرون كثر.

إذا أطلق اسم سنن النَّسائي أريد به السنن الصغرىٰ (المجتبىٰ)، وهو الذي اعتمد عليه الكتاب، فللمصنف كتاب آخر يسمىٰ السنن الكبرىٰ لم يصل أكثره إلينا، واشتمل السنن الصغرىٰ علىٰ الأحاديث المرفوعة المسندة إلىٰ النبيِّ ﷺ في أبواب الأحكام غير ممزوجة بشيء من الرأي، وليس فيها موقوف ولا مقطوع إلا ما ندر، وقد راعىٰ الفقه في ترتيب الأبواب، وكأنه اقتفىٰ أثر البخاري، وإذا كان في الباب آية صدَّره بها، ثم ساق ما يبينها ويشرحها من السنة.

❁ ❁ ❁

٦ ـ «سنن ابن ماجة»:

هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعيّ القزوينيّ، وماجة هو لقب والده يزيد، ولد سنة ٢٠٩ هـ، وتوفي سنة ٢٧٣ هـ.

نشأ بقزوين، ولزم بها شيخه علي بن محمد الطنافسيّ، فأكثر السماع منه، ثم رحل بعد ذلك إلىٰ خراسان والري والحجاز والشام ومصر والعراق.

وكان صاحب علم واستقامة متبحرًا في علومه، وواسع الاطلاع، محاربًا البدع.

سمع من علي بن محمد الطنافسيّ وجبارة بن المغلس ومصعب بن عبد الله الزبيريّ وسويد بن سعيد وأبي بكر بن أبي شيبة، وخلق كثير.

وتتلمذ علىٰ يديه محمد بن عيسىٰ الأبهريُّ وأبو الطيب أحمد بن روح البغداديّ وأحمد بن محمد بن حكيم المدينيّ وسليمان بن يزيد، وأخوه

الحسين بن يزيد بن ماجة القزوينيّ الذي روىٰ عنه كتابه.

قال عنه الحافظ الخليليُّ: (ثقة كبير، متفق عليه محتج به، له معرفة بالحديث وحفظه)[١].

يتكون كتابه من اثنين وثلاثين كتابًا، وفيه ألف وخمسمائة باب، فيها ما يزيد علىٰ أربعة آلاف حديث، ابتدأه ببيان السنة والأمر باتباعها، وذم الابتداع في الدين والاحتياط في الحديث عن النبي وتغليظ الكذب عليه، ثم ذكر أمور الإيمان والتوحيد، ثم فضل العلم، ثم العبادات، فالأحوال الشخصية، فالمعاملات... إلخ.

امتاز بعلو الأسانيد لعلو طبقته، وحسن الترتيب، وغزارة الأبواب، وترك التكرار.

قال الإمام الذهبي: (مسند أبي عبد الله (ابن ماجة) كتاب حسن، لولا ما كدَّره من أحاديث واهية ليست بالكثيرة)[٢].

كان ذلك عرضًا سريعًا ومختصرًا للمصادر الأساسية التي اعتمد عليها الكتاب.

❁ ❁ ❁

وبعد:

فلقد حظي هذا الكتاب وصاحبه سنوات بصحبة العلامة الراحل الأستاذ الدكتور/ مصطفىٰ الشكعة الذي كان مشرفًا عليه، وكان لهذه السنوات أثرُها العلميُّ الإيجابيُّ علىٰ الكتاب، وأعظمُ الآثار العلمية والإنسانية علىٰ الكاتب.

أمَّا الأثر العلمي، فمما لا شك فيه أن خبرتي العلمية كانت في حاجة إلىٰ

---

(١) طرح التثريب (١/ ٦٤).

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٦).

دعم وصقل لم تعدمه عند العلامة الراحل، فلم يبخل ـ رغم ظروفه الصحية ـ بعلمه ووقته وتوجيهاته، وكان ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ مهتمًّا بهذا البحث، لا لشيء إلا لأنه في حديث رسول الله ﷺ.

وكنت قد اقترحت عليه بعد أن فوجئت بعدد الأحاديث الهائل أن يقتصر البحث علىٰ الصحيحين: البخاريِّ ومسلم، غير أنه ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ أصرَّ علىٰ أن يشمل الكتب الستة، وقال لي: يكفيك شرفًا أنك ستقرأ الكتب الستة.

وأمّا الجانب الإنساني، فلا أجد ما يمكن أن أقوله عن هذا الرجل ـ وهو الآن بين يدي ربه ـ سوىٰ أنني لم أفقد بغيابه أستاذًا عظيمًا فحسب، وإنما فقدت أبًا رحيمًا، وصديقًا كريمًا، ومستشارًا مؤتمنًا.

استمتعت سنوات بجلسات هذا الرجل الشهية، علىٰ مائدة دسمة من الأدب والسياسة والعلم والرحلات تأتي علىٰ خلفية عدد كبير من المصنفات الموسوعيَّة التي كتبها في الأدب والإسلاميات، وخبرة سنين طويلة من عمره المبارك طوَّف خلالها: في اليمن إبان ثورتها الأولىٰ، وفي أمريكا مستشارًا ثقافيًّا في السفارة المصرية، وفي لبنان أستاذًا بجامعتها العربية، وفي السودان أستاذًا بجامعة أم درمان، وفي الإمارات أستاذًا بجامعتها. ثم استقرَّ أخيرًا بمصر أستاذًا وعميدًا لكلية الآداب بجامعة عين شمس، وعضوًا فاعلًا بمجمع البحوث الإسلامية.

لم أكد أشعر مرة وأنا أزوره في بيته أنني ضيف ثقيل، كان يستقبلني كما يستقبل بعض أهله، ويفسح لي صدره وعقله، ويمنحني أقصىٰ ما تسمح به صحته العليلة وصوته الواهن من علمه ووقته، وكنت إذا اعتذرت منه عن الإطالة عليه يبتسم ويقول في أريحية ونُبل: لا، هذه الليلة لك.

وإذا عاتبته الفاضلة ابنته علىٰ استقبالي في غرفة المعيشة، ودعتنا إلىٰ دخول غرفة استقبال الضيوف تجاهل نظرتها المعاتبة، وأشار إليَّ في أدب

جمٍّ، قائلًا في نبرة لم أخطئ صدقها يومًا: الشيخ ليس غريبًا.

غمرني بعطفه وعنايته، وأسرني ببساطته وتواضعه، وأي تواضع أعظم من أن يصر هذا الرجل الكبير مقامًا وسنًّا على أن يودعك دائمًا حتى باب بيته، ويظل واقفًا حتى يغيب أثرك عن ناظريه.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته، وأن يسقي قبره بشآبيب الرحمة، وأن يجمعني به في الفردوس الأعلى من الجنة، مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا.

وشاءت إرادة الله، وسنته في خلقه، أن يرحل الرجل، قبل أن يكتمل العمل، فتلقفني أخوه ورفيق دربه الأستاذ الدكتور/ محمد يونس عبد العال، فلم يدخر جهدًا في المتابعة، وإبداء النصح، وبذل المعونة، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وثقَّل بجهدهما هذا موازينهما يوم الجزاء.

على أنني أدين بالفضل في اكتمال هذا العمل أيضًا لعائلتي: الزوجة والأبناء والأحفاد، لقد حمل الأبناء كثيرًا من الأعباء عني، وتحملوا انشغالي عنهم بصبر جميل، وواكبت معي الزوجة الكريمة العثرات والكبوات والنجاحات، وكانت دائمًا نعم الدافع والمعين حين تتعسر الأمور، ويخبو الأمل، لقد بذلت راضية صحتها ووقتها وجهدها من أجل أسرتنا الصغيرة، ولم نقدم لها نحن إلا اليسير، وحان الوقت الآن ـ إن قُدِّرَ نجاح وتوفيق ـ أن يُهدَى إليها، وأن يُطوَّق به عنقُها.

ولأخي ورفيق عمري الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد عبد الراضي، أستاذ النحو بكلية دار العلوم ـ الفيوم، الذي استفدت كثيرًا من علمه، وتوجيهاته، وتصويباته النحوية السديدة.

ولأخويَّ الكريمين: الأستاذ/ مصطفى وهيدي، والأستاذ/ محمد

الجوهري، والابن العزيز/ ناصر خلف، فلهم جميعًا في عنقي أيادٍ لا يكافئهم عليها إلا الله.

وأخيرًا، فإن هذا هو جهد المُقِلِّ، أقدمه لحديث رسول الله ﷺ على استحياء، وما أظنُّ أنني وفيته حقه، أو بعض حقه، فما كان فيه من توفيق وسداد فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن تقصيري وعجزي، وأصلي وأسلم وأبارك على صاحب هذه الأحاديث، وأسأل الله أن يجعل عملي هذا سبيلًا إلى نيل شفاعته، والشرب من حوضه.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل،،،

عز الدين حسين حسن دياب

القاهرة في

الأربعاء ٢٨ من شوال ١٤٣٤ هـ

الموافق ٤ من سبتمبر ٢٠١٣ م



الباب الأول

مع الرَّسول ﷺ

من الْمَبعث إلى اللحاق بالرفيق الأعلى

الفصل الأول

الرسول ﷺ في مكة

قصَّةُ الوحي وماهيته

١ ـ «ما أنا بقارئ»:

عن عروة بن الزبير أن عَائِشَةَ زَوْجَ النبي ﷺ قالت: كان أَوَّلَ ما بُدِئَ بِهِ رسول اللهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إليه الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه ـ قالَ: وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قبل أَنْ يَرْجِعَ إِلىٰ أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا، حتىٰ فَجِئَهُ الْحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فقال: اقْرَأْ، فقال رسول اللهِ ﷺ: **ما أنا بِقَارِئٍ**، قال: **فَأَخَذني فَغَطَّني**[1] **حتىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فقال: أقرأ، قلت: ما أنا بِقَارِئٍ، فَأَخَذني فَغَطَّني الثَّانِيَةَ حتىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال: اقْرَأْ، قلت ما أنا بِقَارِئٍ، فَأَخَذني فَغَطَّني الثَّالِثَةَ حتىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقال:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ **الآيَاتِ إلىٰ قَوْلِهِ:** ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

فَرَجَعَ بها رسول اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ[2]، حتىٰ دخل علىٰ خَدِيجَةَ فقال: **زَمِّلُوني زَمِّلُوني**[3]، فَزَمَّلُوهُ حتىٰ ذَهَبَ عنه الرَّوْعُ، قال لِخَدِيجَةَ: **أَيْ خَدِيجَةُ ما لي لقد خَشِيتُ علىٰ نَفْسِي**، فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قالت خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحديث، وَتَحْمِلُ

---

(١) غطني: الغط حبس النفس، ومنه الغط في الماء: أي: ضمني وعصرني.

(٢) البوادر: جمع بادرة، وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان. فتح الباري ١/ ٢٨.

(٣) التزميل: التلفيف، وجرت العادة بسكون الرعدة بالتلفيف. فتح الباري ٨/ ٧١٩.

الْكَلَّ[(١)]، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ علىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حتىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بن نَوْفَلٍ، وهو ابن عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وكان امْرَأً تَنَصَّرَ في الْجَاهِلِيَّةِ وكان يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ من الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ ما شَاءَ الله أَنْ يَكْتُبَ، وكان شَيْخًا كَبِيرًا قد عَمِيَ، فقالت خَدِيجَةُ: يا ابن عَمِّ اسْمَعْ من ابن أَخِيكَ، قال وَرَقَةُ: يا ابن أَخِي، مَاذَا تَرىٰ؟ فَأَخْبَرَهُ النبي ﷺ خَبَرَ ما رَأىٰ، فقال وَرَقَة: هذا النَّامُوسُ[(٢)] الذي أُنْزِلَ علىٰ مُوسَىٰ، لَيْتَنِي فيها جَذَعًا[(٣)]، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا ـ ذَكَرَ حَرْفًا ـ قال رسول اللهِ ﷺ: أو مخرجيَّ هُمْ؟ قال وَرَقَة: نعم لم يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إلا أُوذِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لم يَنْشَبْ[(٤)] وَرَقَةُ أَنْ تُوفي، وَفتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حتىٰ حَزِنَ رسول اللهِ ﷺ»[(٥)].

❁ ❁ ❁

يرصد هذا الحديث حدثًا عظيمًا، ولحظة من أخطر اللحظات في حياة النبي ﷺ، بل من أخطر اللحظات في تاريخ البشر، إنها لحظة اتصال الأرض بالسماء عن طريق الوحي الملائكي لأول مرة بعد انقطاع دام عدة قرون، لحظة ما كان أصعبها علىٰ النبي ﷺ إذ يتأهل جسده البشري للقاء سيد الملائكة وأمين الوحي جبريل، ولولا اللطف الإلهي والإعداد النفسي الذي

---

(١) الكل بفتح اللام: أصله الثقل، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل: ٧٦]، ويدخل في حمل الكل الإنفاق علىٰ الضعيف واليتيم والعيال، وغير ذلك. شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ٢/ ٢٠١.

(٢) المراد بالناموس: جبريل عليه السلام.

(٣) الجذع: الصغير من البهائم، والمراد: شابًّا.

(٤) لم يلبث.

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٩٥٣) كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة اقرأ، ومسلم رقم (٢٥٢) كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي.

سبق هذا اللقاء، والذي يشير إليه كلام السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن الرؤية الصادقة، وحب الخلاء والتحنث ـ لولا ذلك لما تحمل الرسول ﷺ هذه المفاجأة التي تذهل عقل اللبيب.

ومع ذلك رأينا النبي ﷺ يؤخذ بالحدث والمَلَك يأمره: اقرأ، فلا يملك إلا أن يجيب: ما أنا بقارئ.

ويضمه المَلك إلىٰ صدره فيهصره هصرًا، ثم يرسله ويقول له: اقرأ، فيقول: ما أنا بقارئ، فيضمه الثانية والثالثة فيقول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ ـ ٥]، ثم يتركه وينصرف.

إن المشاعر التي اجتاحت قلب النبي ﷺ في تلك اللحظات الخالدة ما كان ليتحملها إلا قلب نبي يرىٰ نفسه وجهًا لوجه في لقاء مع خلق آخر تفوق قدراته الوصف، ثم لا يقتصر لقاؤهما علىٰ الكلام، بل يتماس الجسدان البشري والملائكي ـ وإن كان في صورة بشر ـ بل يلتحم الجسدان، وينضغط جسد النبي والمَلَك يعتصره كأنه يهبه قوة من قوته، ونفحة من ملائكيته، في صورة نادرة من صور امتزاج السمائي بالأرضي.

لقد تفاعلت في قلب النبي المصطفىٰ مشاعر الخوف والقلق والاضطراب والحيرة وهو يواجه هذا الموقف الفريد، ولكنه كان قلقًا ممتزجًا بسعادة، وخوفًا مختلطًا بأمن، واضطرابًا تشوبه السكينة، وحيرةً لا تخلو من أمل.

رجع النبي ﷺ بهاته الكلمات التي وعاها عن المَلَك ـ كما يقول الحديث ـ ترجف بوادره، عاد يرتعد ويطلب الدفء: **«زملوني زملوني»**، لقد غشيته الظنون والهواجس، وخشي أن يكون ما أصابه مسٌّ من الشيطان فقال لخديجة بعد أن سكنت نفسه: **«أي خديجة، مالي؟ لقد خشيت علىٰ نفسي»**.

وهنا تدفقت صاحبة القلب الكبير بكلماتها الحانية التي صورت حبها

العظيم لشخص محمد ﷺ وتقديرها لشمائله، فقالت مقسمة جازمة: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق.

استطاعت السيدة العظيمة أن تخفي جزعها وقلقها لما أصاب زوجها الحبيب، ونَفَتْ بكلماتها القاطعة كل احتمال سيئ، وانطلقت به إلىٰ ابن عمها ورقة بن نوفل العالم النصراني الذي بلغ علمه بالإنجيل أنه كان يترجم من أسفاره إلىٰ العربية.

ما الذي جعل خديجة تتوجه إلىٰ ورقة دون غيره؟ لماذا لم تتوجه إلىٰ الكهنة والعرافين كما كان سائدًا في البيئة الجاهلية؟ تُراها كانت تطمع أن يكون محمد هو النبي المنتظر الذي تتناقل أخباره أحبارُ يهود؟

لقد قطع ورقة الشك باليقين، وقال للنبي بعد أن أخبره بما رأىٰ: «هذا الناموس الذي أنزل علىٰ موسىٰ».

ويبدو أن ورقة كان ينتظر هذا اليوم طيلة حياته لكنه لم يأت إلا بعد أن كبر وعَمِيَ، فأبدىٰ تحسره «ليتني فيها جذعًا»، وأخبر النبي ﷺ أن قومه سيخرجونه، فانزعج النبي ﷺ انزعاجًا شديدًا وتساءل: «**أوَ مخرجيَّ هم**» فأخبره ورقة أن هذا دأب أقوام الأنبياء «لم يأت رجل بما جئت به إلا أوذي».

❁ ❁ ❁

إنها صورة واقعية معبرة عامرة بالحركة والصوت، والفعل ورد الفعل، المَلك يأمر النبي ﷺ فيقول له اقرأ، فيقول النبي ﷺ: ما أنا بقارئ، فيضمه الملك إليه ضمة هائلة «**فغطني**» ثم يرسله، ويتوالىٰ السؤال والإجابة، والضم والإرسال حتىٰ يبلغ من النبي الجهد، وهو لا يدري ما يقرأ، فيقول المَلك: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

وينتهي المشهد فجأة كما بدأ فجأة، لكنه يضع بهاته الكلمات القليلة اللبنة الأولىٰ في صرح الرسالة العظمىٰ.

تأمل قول النبي ﷺ مجيبًا جبريل عندما أمره بالقراءة «**ما أنا بقارئ**»، والجملة الاسمية المصدرة بالنفي وما تحمله من دلالات تأكيدية بأسلوب القصر المعتمد علىٰ «ما» النافية[(١)] و«الباء»، ثم استخدام ضمير الفصل «أنا»، واستخدام اسم الفاعل الدال علىٰ لزوم الصفة؛ ليشعرنا كل ذلك بأن هول المفاجأة لم يذهل النبي عن النفي القاطع لكل شك.

فلما كرر النبي ﷺ قوله: «**ما أنا بقارئ**» ثلاث مرات، (قيل له: «**اقرأ باسم ربك**» لا تقرأه بقوتك، ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانته، فهو يعلمك... فإن قيل: لم كرر ذلك ثلاثًا؟ أجاب أبو شامة بأن يحمل قوله أولًا «**ما أنا بقارئ**» علىٰ الامتناع، وثانيًا علىٰ الإخبار، وثالثًا علىٰ الاستفهام)[(٢)].

وما إن قال: «**ما أنا بقارئ**» حتىٰ أخذه المَلك: «**فأخذني فغطني**»: فعلان متتابعان سريعان قويان مثيران، بل مرعبان، أخذه أخذًا سريعًا بدلالة الفاء، وأخذه بقوة المَلك التي لا يملك البشر لها دفعًا ولا مقاومة.

«**فغطني**» وكلمة غطني بغائها العميقة المخرج، وطائها الشديدة القرع توحي بشدة الموقف، وقوة الضمة التي حُبس معها نفس الرسول ﷺ حتىٰ بلغ منه الجهد.

ولم يكن الإرسال بسرعة الأخذ والغط، ولذلك استعمل النبي ﷺ «**ثم**» وكانت الثانية والثالثة بقوة الأولىٰ، والسؤال يتكرر، والنبي لا يجد جوابًا غير تلك الكلمات: «**ما أنا بقارئ**».

---

(١) وقيل: إن ما استفهامية وهو بعيد، ورُدَّ بدخول الباء في الخبر، انظر فتح الباري (١/ ٢٤)، والديباج علىٰ مسلم (١/ ١٨٨).

(٢) فتح الباري (١/ ٢٤).

لقد اقتصر حوار الملك مع النبي علىٰ استخدام فعل الأمر «**اقرأ**» إنك تشعر بالسلطة النافذة القاهرة المحققة لمشيئة الله ﷻ في تلك الأوامر المتتالية «**اقرأ**» وفي تلك الضمات المتتابعة، التي تراعي في نفس الوقت ألا تؤذي النبي ﷺ الذي أعده المولىٰ ﷻ لتحمل عبء الرسالة ومسؤولياتها الباهظة.

عاد النبي بعد أن سمع القرآن لأول مرة يحفظ الكلمات التي استقرت في أعماق نفسه، فلما دخل علىٰ خديجة قال: «**زملوني، زملوني**»: فعلان متتاليان بصيغة الأمر الدالة علىٰ الرجاء والتلهف، لم يضف إليهما النبي ﷺ شيئًا، فقد كان حاله ينبئ عن معاناته، فلم يسأله أحد، وإنما زمَّلوه حتىٰ سكن، فقال: «**أي خديجة**» نداء التودد والتحبب إلىٰ أقرب امرأة إلىٰ قلب النبي، «**ما لي؟**»، استفهام ملؤه الدهشة والحيرة، «**لقد خشيت علىٰ نفسي**» جملة فعلية مؤكدة باللام وقد، والفعل الماضي المثبت المتصل بتاء الفاعل، والجملة تعبر عن القلق الشديد والاضطراب الذي اعترَىٰ النبي ﷺ عقب نزول الوحي.

سأل النبي مندهشًا وورقة بن نوفل يخبره أن قومه سوف يخرجونه: «**أوَ مخرجيَّ هم؟!**» و«**مخرجيَّ**» خبر مقدم و«**هم**» مبتدأ مؤخر، والتقديم يفيد التخصيص، والاستفهام تعجبي إنكاري إذ لم يستسغ النبي أن يكون جزاء من يدعو قومه للهدىٰ أن يخرجوه، ولكن هذا ما حدث بعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة والمعاناة، ليكون هذا الخروج أول خطوة علىٰ طريق النصر والتمكين كما اقتضت سنة الله في أنبيائه.



٢ ـ «كان الذي أوتيته وحيًا»:

عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال النبي ﷺ: «ما من الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كان الذي أوتيته وَحْيًا أَوْحَاهُ الله إلي فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يوم الْقِيَامَةِ»[1].

❁ ❁ ❁

يتحدث النبي ﷺ هنا عن المعجزة الفريدة التي أكرمه الله بها وهي القرآن، ذلك الوحي المنزل من عند المولىٰ ﷻ.

إن كل نبي أرسله الله إلىٰ الناس مؤيدًا بمعجزة خارقة للعادة لا يستطيع بشر أن يبطلها، أو أن يأتي بمثلها.

وشاءت سنة الله في المعجزات أن تكون من جنس ما يبرع فيه قوم النبي المرسل، حتىٰ يكون الإعجاز أبلغ والتحدي أعظم.

فكانت معجزة موسىٰ في العصا؛ لأن قومه بلغوا في السحر شأوًا بعيدًا، وكانت معجزة عيسىٰ في إحياء الموتىٰ، وإبراء المرضىٰ؛ لأن قومه بلغوا الغاية في الطب.

وكانت تلك المعجزات المادية الحسية تنتهي وتزول بموت النبي الذي بعث بها.

أما معجزة محمد ﷺ فكانت وحيًا قرآنيًّا محفوظًا يُتلىٰ منذ أن نزل، وإلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هنا جاء تفرد هذه المعجزة وبقاؤها وخلودها شاهدًا واضحًا علىٰ صدق رسالة محمد ﷺ، وعلىٰ أنها الرسالة الخاتمة الباقية التي جاءت للناس كافة؛ ولذلك قال الرسول ﷺ **«فأرجو أن**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١) كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، ومسلم (١٥٢) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.

أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة».

وهنا يظهر حرص النبي ﷺ علىٰ أن يؤمن به أكبر عدد من البشر؛ ليكون قائدهم إلىٰ الجنة، وليجنبهم عذاب النار. إن القلب النبوي الكبير كان يمتلئ غبطةً وسرورًا حين تنكشف العماية عن عين كافر، وينشرح صدره للإسلام.

زار النبي غلامًا يهوديًا مريضًا، فدعاه إلىٰ الإسلام فأسلم، فقام النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**»(١).

❁ ❁ ❁

يبدأ الحديث بأسلوب قصر استخدمت فيه (ما) و(إلا) والمراد منه توكيد وقوع المعجزات لكل نبي أرسله الله، وهو الثابت في القرآن والسنة، وأكد النبي القصر بالتقديم: «**من الأنبياء**»، واستخدام الفعل المبني للمجهول: «**أُعطي**» للدلالة علىٰ أن المعجزة مدد رباني صرف.

ويستخدم النبي ﷺ أسلوب القصر مرة أخرىٰ بـ: «**إنما**»، «**وإنما كان الذي أوتيته وحيًا**» ليوحي لنا بتفرد تلك المعجزة وتميزها.

ولم يصرح النبي بما أوتيه وإنما أشار إليه بـ «**الذي**» وبني الفعل للمجهول (أوتيته) ليدلك علىٰ عظمة تلك المعجزة ومكانتها في النفوس.

ثم يقول النبي: «**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا**» وهو رجاء يميل الكلام فيه إلىٰ تحقق الوقوع لا مجرد الإخبار، ويؤكد ذلك ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا**

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٩٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٥٨٨)، وأحمد (٣/ ٢٧٧)، وغيرهم.

هُنَا وَهَا هُنَا في آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ...»[1].

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

٣ - «يأتيني مثل صلصلة الجرس»:

عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بن هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فقال: **«يا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ**[(١)] **وهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي**[(٢)] **وقد وَعَيْتُ**[(٣)] **عنه ما قال، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي ما يقول**[(٤)]**، قالت عَائِشَةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عليه الْوَحْيُ في الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عنه وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»**[(٥)].

❁ ❁ ❁

نحن أمام سر من أعظم أسرار الغيب، ألا وهو الوحي، ذلك القبس الواصل بين السماء والأرض، يتنزل بالمدد القرآني.

ذلك الوحي، ما كنهه؟ ما كيفيته؟ ما أثره علىٰ النبي الكريم؟

أسئلة كثيرة يثيرها هذا الحدث الكوني الرائع في أنفسنا، كما أثار أفئدة الصحابة الكرام فيما مضىٰ، فراحوا يسألون الرسول عن كيفية إتيان الوحي إليه، وهذا أحدهم الحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأل النبي ﷺ: **«يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟»**.

فيجيب النبي ﷺ ـ معددًا أشكال الوحي ـ : **«أحيانًا يأتيني مثل صلصلة**

---

(١) الصلصلة: الطنين.

(٢) بفصم: يقلع.

(٣) عند مسلم: وقد وعيته..

(٤) عند مسلم: وأحيانًا ملك في مثل صورة الرجل.

(٥) أخرجه البخاري (٢) كتاب بدء الوحي، و(٣٢١٥) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة. ومسلم (٢٣٣٣) كتاب الفضائل، باب عرق النبي في البرد وحين يأتيه الوحي، والترمذي (٣٦٣٤) كتاب المناسك، باب ما جاء كيف كان ينزل الوحي علىٰ النبي ﷺ.

الجرس». (وهذا بيان لصفة الوحي لا صفة حامله)[(١)]، وقد أخبر النبي أن هذه الصفة هي أشدها عليه ومع شدتها وعناء النبي منها إلا أنه ما إن تنجلي عنه وتنقشع حتىٰ يكون قد فهم ما قال الملك ووعاه، وذلك بفضل عناية الله به، ووعده له بتمام التبليغ والبيان: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩].

ومن صور الوحي أيضًا أنه يأتي علىٰ صورة رجل فيكلم النبي فيعي ما يقول، وفي الحديث ما يشير إلىٰ أن جبريل كان يأتي النبي في صورة رجل غريب، فيسأله بمشهد من أصحابه فيجيبه النبي ليعلم الناس أمور دينهم[(٢)]، وكان يأتي أحيانًا في صورة صحابي جليل جميل الصورة هو دحية الكلبي[(٣)]؛ ليبلغ النبي أوامر ربه العاجلة مثلما حدث عقيب الانصراف من الخندق، وقبيل غزوة بني قريظة.

وتصور السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا شدة ما كان يلاقيه النبي ﷺ حين نزول الوحي بأنه كان يتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد.

إنها منحة سماوية لم توهب إلا للأنبياء، وعلىٰ قدر ما كان هؤلاء يعانون وهم يلتحمون بأجسادهم البشرية بالأنوار الملائكية - علىٰ قدر ما كان ذلك يحمل لهم من صنوف السعادة وحلاوة اللقيا ما تعجز عن وصفه الأقلام.

كان النبي ﷺ يجد السعادة كلها والاطمئنان كله في لقاء رسول ربه جبريل، وعندما فتر الوحي عنه بعد اللقاء الأول كاد الحزن يفتك به، لولا أن جبريل كان يظهر له فيقول: «**يا محمد، إنك رسول الله حقًّا**»[(٤)] فتعود إليه سكينة نفسه.

---

(١) فتح الباري (١/ ١٩).
(٢) انظر صحيح البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، وغيرهما.
(٣) انظر النسائي في المجتبىٰ (٤٩٩١)، وابن حبان (٧٠٢٨).
(٤) فتح الباري (١٢/ ٣٦٠).

وقد تمثل هذا التعلق الشديد بالوحي، والرغبة الملحة في تواصله وعدم انقطاعه في تلك العبارة الحميمة التي قالها النبي ﷺ لجبريل: «**ألا تزورنا أكثر مما تزورونا؟**»[1].

❁ ❁ ❁

يبدأ الحديث بتقديم الظرف «**أحيانًا**» ليؤكد علىٰ تعدد أشكال الوحي بتعدد أوقات مجيئه، ثم يشبه دوي صوت الوحي الذي يخترق سمع النبي بصلصلة الجرس؛ ليصور مدىٰ معاناة النبي ﷺ في تلقي كلام ربه وهي معاناة الطبيعة البشرية في اتصالها بالطبيعة الملائكية، (فإن قيل: المحمود لا يشبه بالمذموم، إذ حقيقة التشبيه إلحاق ناقص بكامل، والمشبه الوحي وهو محمود، والمشبه به صوت الجرس وهو مذموم، لصحة النهي عنه والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه، والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة، كما أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما[2]، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة؟ والجواب أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها، بل ولا في أخص وصف وُصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالمقصود هنا بيان الجنس، فذكر ما ألف السامعون سماعه تقريبًا لأفهامهم)[3].

وقد ذكر الرسول ﷺ أن هذه الصورة من الوحي هي أشده عليه، واستخدم جملة اسمية مبدوءة بضمير الفصل «**هو**» ثم اسم التفضيل مضافًا إلىٰ الضمير «**أشده**»، وفيه حصر وقصر وتوكيد.

ثم يصور الرسول ﷺ انقضاء الوحي وانفصاله عنه بقوله: «**فيفصم عني**»،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٨٢).
(٢) مسلم (٢١١٣)، وأبو داود (٤٢٣١)، وغيرهما.
(٣) فتح الباري (١/ ٢٠).

والفصم أقوىٰ من الفصل، إذ الفصل يعني: إبعاد الشيء عن غيره دون زيادة، بينما يزيد الفصم معنىٰ آخر وهو: (الكسر من غير بينونة)[١]، و(فصم الشيء: صدعه دون بينونة)[٢]؛ ولذلك كان استخدام «**يفصم**» مع بنائه للمجهول متناسبًا مع قوىٰ الملك الخفية.

وما إن ينصرف الملك حتىٰ يكون الرسول قد وعىٰ ما قاله «**وقد وعيت عنه ما قال**» والجملة مؤكدة بقد، وهي جملة حالية تدل علىٰ ارتباط الحدثين: الانفصام والوعي وتلازمهما.



(١) لسان العرب (١٢/ ٤٥٣).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٧١٨).

٤ - «فَرَاجَعْتُهُ فلم أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي»:

عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**أَقْرَأني جِبْرِيلُ علىٰ حَرْفٍ، فلم أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حتىٰ انْتَهَىٰ إلىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**»[(١)].

زاد البخاري في رواية أخرىٰ: «**فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي**»[(٢)].

وفي رواية مسلم: «**فَرَاجَعْتُهُ فلم أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي**»[(٣)].

❁ ❁ ❁

يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، ومصداقًا لذلك البيان الإلهي، فإن الرسول ﷺ الرحيم بأمته لم يودَّ يومًا أن تكلف أمته بما لا تطيق، وكان دائمًا حريصًا علىٰ أن يخفف عنها.

وهو هنا يخبرنا أن جبريل عندما أقرأه القرآن بداية الأمر أقرأه علىٰ حرف واحد، أي علىٰ لغة واحدة، والنبي ﷺ يعلم ثقل ذلك علىٰ أمته التي تتعدد لهجاتها وتشيع فيها الأمية، كما ورد في رواية الترمذي وأحمد: «**يا جبريل، إني بعثت إلىٰ أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابًا قط**»[(٤)].

ولذلك ألحَّ الرسول ﷺ في الاستزادة: «**فلم أزل أستزيده**» فكانت الإجابة الربانية، والمنحة الإلهية: «**حتىٰ انتهىٰ إلىٰ سبعة أحرف**».

يقول ابن حجر: (وهذه الأحاديث تقوي أن المراد بالأحرف اللغات أو

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٩) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

(٢) صحيح البخاري (٤٩٩١) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف.

(٣) صحيح مسلم (٨١٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن علىٰ سبعة أحرف.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٤٤)، وأحمد (٥/ ١٣٢).

القراءات، أي أنزل القرآن علىٰ سبع لغات أو قراءات)[١].

والحرف في اللغة قد يأتي لمعان: (للهجاء وللكلمة وللمعنىٰ والجهة)[٢].

وفي لسان العرب: (وكل كلمة تقرأ علىٰ الوجوه من القرآن تسمىٰ حرفًا، تقول: هذا في حرف ابن مسعود، أي: في قراءة ابن مسعود)[٣].

إن استزادة الرسول لجبريل تكشف عن قلب مفعمٍ بالحب والرفق والرغبة في التيسيير، والشفقة من أن يؤدي التعسير إلىٰ نفور الناس وإعراضهم؛ ولذلك: «**ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا**»[٤].

وقد بدا ذلك جليًّا حين تلقىٰ الأمر بالصلاة في رحلة المعراج، فلم يذهله لقاء ربه، ولا فيوض الحضرة الإلهية التي كانت تغشاه ـ عن أن يطلب التخفيف لأمته والرفق بها في التكاليف، فظل يراجع ربه حتىٰ خُففت الصلوات من خمسين إلىٰ خمس[٥].

هذا هو القلب الذي اصطفاه ربه ليكون للعالمين نذيرًا.

❁ ❁ ❁

«**أقرأني جبريل علىٰ حرف**» لا يستحيي النبي العظيم من أن يقف موقف التلميذ من الأستاذ بين يدي روح القدس جبريل يتلقىٰ منه وحي السماء علىٰ النحو الذي أراده ربه، وكلمة (حرف) نكرة تفيد التقليل.

«**فلم أزل أستزيده**» استخدام المضارع في الفعلين يفيد الاستمرار في الإلحاح وطلب الزيادة، «**أستزيده ويزيدني**» فعل ورد فعل مطاوع ملبٍ.

---

(١) فتح الباري (٩/ ٢٤).
(٢) شرح الزرقاني (٢/ ١٦).
(٣) لسان العرب (٩/ ٤١).
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧)، وغيرهما.
(٥) انظر صحيح البخاري (٣٩٠)، ومسلم (١٦٣)، وغيرهما.

وفي رواية مسلم: «**فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني**»، والفرق بين الروايتين هو استخدام الفاء التي تدل علىٰ سرعة التلبية في رواية مسلم، وهي الأقرب للتعبير عن إرادة المولىٰ ﷻ في التخفيف عن عباده، والمسارعة في هوىٰ نبيه ﷺ.



٥ - «ألا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»:

عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «**ألا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا**» قال: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الْآيَةَ [مريم: ٦٤][1].

❁ ❁ ❁

أي حب شديد ذلك الذي ربط قلب النبي ﷺ بالوحي، حتىٰ إنه صار يتُوق إليه ويتمنىٰ عودته سريعًا، بل ويتمنىٰ علىٰ جبريل الإكثار من الزيارة فيجيب بأنه لا يتنزل من تلقاء نفسه، وإنما بأمر من المولىٰ ﷻ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤].

إنها حظوة السماء استأثرت بقلب النبي ﷺ فصار يجد السعادة الكبرى حين يتنزل علىٰ قلبه رسول المولىٰ بأقدس كلام. تلك أحاسيس لا يشعر بها إلا نبي ذاق حلاوة اللقاء بالسماء وارتبطت نفسه بالروح الأمين، وأفعم قلبه بحب القرآن.

إن المؤمن الحقيقي يشعر بالسعادة حين تتصل روحة اتصالًا غير مباشر بربه في لحظات الصلاة، أو حين يستمع أو يقرأ كلام الله في كتابه، فما ظنك بسعادة قلب يتنزل عليه كلام الله غضًّا طريًّا، حديث عهد بربه؟! وما ظنك بسعادة عينين تكتحلان برؤية روح القُدُس رأي العين؟! وما ظنك بسعادة أذنين تصافحان كلمات الله لحظة نزولها من السماء قبل أن تصافحها أذنُ أحد من البشر؟!

ذلك هو الذي كان يدفع النبي ﷺ إلىٰ التشوق للوحي برغم ما قاله عن صعوبته وشدته عليه؟ وهل يشتاق المرء إلىٰ ما يعنِّيه ويؤلمه إلا إذا كان فيه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨١) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

من اللذة ما يطغىٰ علىٰ كل ألم فيبدده، وعلىٰ كل عناء فيزيله.

❁ ❁ ❁

استهل النبي كلامه بـ «ألا» التي تحمل معاني التحضيض والحث لتعبر عن رغبة النبي في مزيد من التواصل مع رسول ربه، ثم الفعل المضارع «**تزور**» للدلالة علىٰ الاستمرار، و«نا» المتكلمين؛ لأن الزيارة للمؤمنين جميعًا ممثلين في شخص رسولهم.

ولم يستخدم رسول الله ﷺ فعل الأمر: زرنا، تقديرًا لمكانة الملك رسول رب العالمين ﷺ.

«**أكثر مما تزورنا**» عبارة تشعر بالرضا والامتنان لزيارة الملك، والحرص علىٰ دوام هذه الزيارة، ثم الطلب الرفيق الحيي بأن تزداد مرات هذه الزيارة الميمونة، والجملة الطلبية غرضها الحث.

وهنا يأتي كلام الله ليحسم الأمر ويقرر في غير ما لبس أن التنزل ليس بأمر جبريل أو غيره من رسل ربه وإنما التنزل بأمر الله الذي يملك مقادير الملائكة والناس وسائر المخلوقات.

والتعبير بصيغة ﴿نَتَنَزَّلُ﴾: نتفعل، لا بصيغة ننزل: نفعل؛ للدلالة علىٰ أن النزول متكلف نادر، (وأصل التنزل: تكلف النزول، فأطلق ذلك علىٰ نزول الملائكة من السماء إلىٰ الأرض؛ لأنه نزول نادر وخروج من عالمهم، فكأنه متكلف)[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) التحرير والتنوير (١٦/ ١٤٠).

٦ ـ «زَمِّلوني زَمِّلوني»:

عن أبي سلمة عن جَابِرِ بن عبد اللهِ رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فَتْرَةِ الْوَحْيِ، فقال في حَدِيثِهِ: «**فَبَيْنَا أنا أَمْشِي إِذْ سمعت صَوْتًا من السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي**(١)، **فإذا الْمَلَكُ الذي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ**(٢) **علىٰ كُرْسِيٍّ بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجَئِثْتُ**(٣) **منه رُعْبًا**(٤)، **فَرَجَعْتُ**(٥) **فقلت: زَمِّلُوني زَمِّلُوني، فَدَثَّرُوني، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَىٰ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ إلىٰ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ ـ ٥](٦) **قبل أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ**» وَهِيَ الْأَوْثَانُ(٧).

زاد في رواية أخرىٰ: «**فحمي الوحي وتتابع**»(٨). وعند مسلم: قال: «**ثم تتابع الوحي**»(٩).

❁ ❁ ❁

هذا حديث عن المدة التي فتر فيها الوحي عن رسول الله ﷺ بعد اللقاء الأول في حراء، وقد توزعت نفس الرسول عقب اللقاء الأول بين الشكوك والهواجس والآمال ـ كما أسلفتُ ـ حتىٰ استقر اليقين في نفسه بعد حديثه مع ورقة علىٰ أنه نبي مرسل، وبدأ يستشعر حلاوة اللقاء بالملك، ثم ما لبث الوحي أن فتر، فأصابت الرسولَ حالةٌ من الحزن والكآبة، وعادت إليه

---

(١) في رواية أخرىٰ للبخاري (٣٢٣٨) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: «بصري».
(٢) في رواية البخاري الأخرىٰ: «قاعد»، وعند مسلم: «جالسًا».
(٣) جئثت: ذعرت.
(٤) عند مسلم: «فرقًا»، وفي الرواية الأخرىٰ للبخاري: «حتىٰ هويت إلىٰ الأرض».
(٥) في رواية البخاري الأخرىٰ: «فجئت أهلي».
(٦) زاد البخاري في الرواية الأخرىٰ: «قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان».
(٧) أخرجه البخاري (٤٩٢٥) كتاب التفسير، باب وثيابك فطهر.
(٨) البخاري (٤) باب: كيف كان بدء الوحي.
(٩) أخرجه مسلم (٢٥٥) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي.

الشكوك والهواجس، وظن بنفسه الظنون.

وتباين إحصاء المدة التي فتر فيها الوحي في كتب السيرة ما بين ثلاثة أيام إلىٰ ثلاث سنين، وأيًا كان الزمن الذي استغرقه ذلك الأمر فقد كان خطبًا جللًا وابتلاءً عظيمًا للرسول ﷺ إذ لم يكد يستشعر لذة الوصل حتىٰ حرم منها، ولم يكد يحس باليقين حتىٰ سُلِبَهُ.

روىٰ جُندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: احتبس جبريل عليه السلام علىٰ النبي ﷺ فقالت امرأة من قريش: أبطأ عليه شيطانه، فنزلت ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحىٰ: ١ ـ ٣][1]، ولذلك كان يحدث أصحابه عن هذه الفترة حديث المبتلىٰ، ويصف لهم عناءه فيقول: «**قد خشيت أن يكون صاحبي قد قلاني**»[2].

ولم يكن لأحد من البشر طاقة بدفع هذا القلق والحيرة والاضطراب عن رسول الله ﷺ وهو يسير في الفيافي، وفي أعالي الجبال وسفوحها يبحث عن اليقين، حتىٰ زوجه خديجة التي بعثت الثقة في نفسه بعد لقاء الوحي الأول، والتي آمنت به وصدقته، وآزرته وثبتته ـ لم تستطع أن تذهب عنه عناء هذه الفترة القاسية.

ورغم هذا الشوق الذي كابده الرسول وهو يتطلع إلىٰ عودة الوحي، فإن ذعرًا هائلًا أصابه وهو يرىٰ المَلَك علىٰ صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، فرجع إلىٰ أهله يرتعد كأنه أصيب بالحمىٰ، ويطلب منهم أن يدثروه، فلم يمهله جبريل وهو علىٰ تلك الحالة، ونزل إليه بقول الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر: ١ ـ ٢].

وبدا أن زمن الراحة والعيش الرغيد قد ولَّىٰ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٥).

(٢) سيرة ابن إسحاق (٢/ ١١٥).

قال جابر: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «**فبينا...**» وقوله: (سمعت النبي ﷺ وهو يحدث) باستخدام الجملة الحالية الاسمية، وخبرها فعل مضارع ـ يدل علىٰ أن النبي ﷺ تحدث عن هذه الفترة أكثر من مرة، ووصف لأصحابه ما اعتراه من قلق، وما أمضَّه من ألم، تؤكد ذلك ألفاظ الحديث بعد ذلك: «**فبينا أنا أمشي...**» (فبينا): هي (بين) الظرفية، وقد أشبعت فتحتها فتولدت عنها ألف وهو أمر جرت عليه العربية، يقول ابن جني في سر صناعة الإعراب: (يؤكد ذلك عندك أيضًا أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلىٰ حرف مجتلب ليس من لفظ الحرف، فتشبع الفتحة فيتولد بعدها ألف، وتشبع الكسرة فتتولد بعدها ياء، وتشبع الضمة فيتولد بعدها واو، وأنشد سيبويه:

فبينَا نحن نرقبُهُ أتانَا ... معلَّقَ وَفْضَة وزنادَ راعي)[1]

وبين: (إذا لحقتها الألف، أو ما، لزمت إضافتها إلىٰ الجمل)[2].

وهي تضاف إلىٰ الجمل الاسمية أو الفعلية، وتدل علىٰ المفاجأة.

«**بينا أنا أمشي**» تصوير لحال الرسول ﷺ وهو يسير بين الفيافي بغير هدف محدد، وكأنه يبحث عن سكينة نفسه، ويكفكف من ثورانها «**إذ سمعت صوتًا من السماء**» هنا حدثت المفاجأة، وسمع النبي ﷺ صوتًا، واستخدام النكرة للدلالة علىٰ الجهالة بالصوت.

«**فرفعت رأسي**» استجاب النبي لوقع المفاجأة، فرفع رأسه سريعًا بدلالة استعمال الفاء.

«**فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس**»، وصلت المفاجأة إلىٰ ذروتها برؤية الملك، وهو ذات الملك الذي رآه النبي في حراء، ولكنه الآن في صورته

---

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ٢٣).

(٢) همع الهوامع (٢/ ٤٠٢).

الحقيقية مهيبًا ضخمًا جالسًا علىٰ كرسي بين السماء والأرض.

في هذه الرواية جاءت كلمة (جالس) مرفوعة (علىٰ تقدير حذف المبتدأ، أي: فإذا صاحب الصوت هو الملك الذي جاءني بحراء وهو جالس)[١].

وفي الرواية الأخرىٰ عند مسلم وقعت (جالسًا) بالنصب علىٰ الحالية، ورواية الرفع التي حذف فيها المبتدأ أدل علىٰ الفزع من حيث ميل المذعور إلىٰ اختصار الكلام.

«**فجئثت منه رعبًا**»: أي ذعرت وفزعت، وفي رواية أخرىٰ: فرعبت، ورواية «**فجئثت**» أدل علىٰ الرعب الشديد، لشدة وقع حروف الكلمة ولتأكيدها بنائب المفعول المطلق.

«**فرجعت فقلت زملوني زملوني**»، تأمل معي توالي الفاءات في الأفعال، فجئثت، فرجعت، فقلت؛ للدلالة علىٰ سرعة تتابع الحدث العظيم.

«**زملوني زملوني**» والتزميل: التلفيف، وكرر الأمر للتعبير عن شدة ما وقع له، والأمر فيه معنىٰ الرجاء الملح.

«**فدثروني**» أي: غطوني بما أتدفأ به، (والدثار الثوب الذي يكون فوق الشعار)[٢].

«**فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ قبل أن تفرض الصلاة**» والمراد من عبارة «**قبل أن تفرض الصلاة**» أن (تطهير الثياب كان مأمورًا به قبل أن تفرض الصلاة)[٣].

«**وهي الأوثان**» أي الرجز هو الأوثان، (وفسر المفرد بالجمع لأنه اسم جنس، وبيَّن ما في سياق رواية الباب أن تفسيرها بالأوثان من قول أبي سلمة

---

(١) فتح الباري (٨/ ٧٣١).
(٢) لسان العرب (٤/ ٢٧٦).
(٣) تحفة الأحوذي (٩/ ١٧٢).

وليس من قول النبي ﷺ)[١].

«**فحمي الوحي وتتابع**»، وعند مسلم «**ثم تتابع الوحي**» إشارةإلىٰ انكشاف هذه الغمة، واسترسال الوحي علىٰ رسول الله ﷺ كما شاء الله له، و(حمي الوحي) استعارة مكنية شبه فيها الوحي بتنور يحمىٰ، وتوحي بتدفق الوحي علىٰ رسول الله ﷺ وعدم انقطاعه.



(١) فتح الباري (٨/ ٦٧٩).

٧ ـ «أنا نبيٌّ»:

عن أبي أُمَامَةَ قال: قال عَمْرُو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: «كنت وأنا في الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ الناس علىٰ ضَلَالَةٍ، وَأنهم لَيْسُوا علىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ علىٰ رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عليه، فإذا رسول اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عليه قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حتىٰ دَخَلْتُ عليه بِمَكَّةَ، فقلت له: ما أنت؟ قال: أنا نَبِيٌّ، فقلت: وما نَبِيٌّ؟ قال: أَرْسَلَنِي الله، فقلت: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قال: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَام، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ الله لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ، قلت: له فَمَنْ مَعَكَ علىٰ هذا؟ قال: حُرٌّ وَعَبْدٌ، قال: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أبو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فقلت: إني مُتَّبِعُكَ، قال: إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذلك يَوْمَكَ هذا، ألا تَرَىٰ حَالِي وَحَالَ الناس، وَلَكِنْ ارْجِعْ إلىٰ أَهْلِكَ، فإذا سَمِعْتَ بِي قد ظَهَرْتُ فَأْتِنِي، قال: فَذَهَبْتُ إلىٰ أَهْلِي، وَقَدِمَ رسول اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ في أَهْلِي، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ الناس حين قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حتىٰ قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ من أَهْلِ يَثْرِبَ من أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فقلت: ما فَعَلَ هذا الرَّجُلُ الذي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: الناس إليه سِرَاعٌ، وقد أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فلم يَسْتَطِيعُوا ذلك، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عليه، فقلت: يا رَسُولَ اللهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قال: نعم أنت الذي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ، قال: فقلت: بَلَىٰ، فقلت: يا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرنِي عَمَّا عَلَّمَكَ الله وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرني عن الصَّلَاةِ، قال: صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عن الصَّلَاةِ حتىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ حتىٰ تَرْتَفِعَ، فَإِنها تَطْلُعُ حين تَطْلُعُ بين قَرني شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لها الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فإن الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حتىٰ يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عن الصَّلَاةِ فإن حِينَئِذٍ تُسْجَرُ[1] جَهَنَّمُ، فإذا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فإن الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حتىٰ تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عن الصَّلَاةِ حتىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنها تَغْرُبُ بين قَرني شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لها الْكُفَّارُ، قال: فقلت يا

(١) توقد.

نَبِيَّ اللهِ فَالْوُضُوءَ، حَدِّثْنِي عنه، قال: ما مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إلا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إذا غَسَلَ وَجْهَهُ كما أَمَرَهُ اللهُ إلا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ من أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مع الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إلىٰ الْمِرْفَقَيْنِ إلا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ من أَنَامِلِهِ مع الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إلا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ من أَطْرَافِ شَعْرِهِ مع الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إلىٰ الْكَعْبَيْنِ إلا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ من أَنَامِلِهِ مع الْمَاءِ، فَإِنْ هو قام فَصَلَّىٰ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عليه وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هو له أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إلا انْصَرَفَ من خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. فَحَدَّثَ عَمْرُو بن عَبَسَةَ بهذا الحديث أَبَا أُمَامَةَ صَاحِبَ رسول اللهِ ﷺ، فقال له أبو أُمَامَةَ: يا عَمْرَو بن عَبَسَةَ انْظُرْ ما تَقُولُ في مَقَامٍ وَاحِدٍ يعطىٰ هذا الرَّجُلُ؟ فقال عَمْرٌو: يا أَبَا أُمَامَةَ لقد كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وما بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ علىٰ اللهِ ولا علىٰ رسول اللهِ، لو لم أَسْمَعْهُ من رسول اللهِ ﷺ إلا مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثًا حتىٰ عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ ما حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ من ذلك[١].

❁ ❁ ❁

يروي هذا الحديث أبو أمامة الباهلي (صَدِيُّ بن عجلان)، الصحابي المعروف، عن عمرو بن عبسة السلمي، وهو من أوائل من أسلموا كما يؤكد لنا هذا الحديث، (وقد ذكره أبو سعيد الأعرابي في أهل الصُّفَّة)[٢].

وكان عمرو بن عبسة فيما يبدو أحد الأحناف الذين أنكروا علىٰ قومهم في الجاهلية ما هم فيه من ضلالة، وما يعبدونه من أوثان، وتاقت نفوسهم إلىٰ الهدىٰ والنور، فلما سمع بظهور النبي في مكة، سعىٰ إليه ليعرف حقيقة أمره، وكُنه دعوته.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة.
(٢) حلية الأولياء (٢/ ١٥).

ورغم أن الوصول إلىٰ النبي ﷺ في مكة في هذا الوقت كان أمرًا عسيرًا محفوفًا بالمخاطر إلا أن هذا الرجل كان متوقد العزم عالي الهمة، فلم يلبث أن نال بغيته، وحقق ما كان يطمح إليه.

حوار قصير دار بين النبي والرجل تَهتكت علىٰ إثره آثار الظلمة من حول عمرو بن عبسة، وانشرح صدره لنور الإسلام، كانت نفسه مهيأة لقبول الحق، وكان قلبه متوفزًا للهدىٰ، فسرعان ما صار مسلمًا.

سأل عمرو النبي ﷺ: «**ما أنت؟**» قال ﷺ: «**أنا نبيٌّ**»، وقرعت هذه الكلمة أذني عمرو فسأل: «**وما نبي؟**» فشرح له النبي قوام رسالته، فآمن عمرو، وعرض علىٰ النبي ﷺ النصرة والمؤازرة، فأشفق عليه النبي أن يؤذىٰ ويضطهد، وليست له عشيرة في مكة تحميه، ولم يكن من خلق النبي العظيم، الرحمة المهداة، أن يُسلم أصحابه للأذىٰ، أو يعرضهم للفتنة، فما تزال الدعوة في مهدها، وما يزال المسلمون قليلين. فطلب منه أن يعود إلىٰ قومه حتىٰ إذا سمع بانتصار النبي وظهوره أتاه.

عاد عمرو بن عبسة إلىٰ قومه مسلمًا، وظلت شعلة الإيمان متوقدة في نفسه، وكان يتتبع أخبار النبي ويتشوف للقائه، ويتحين ظهوره، حتىٰ علم بقدومه مهاجرًا إلىٰ المدنية ظاهرًا علىٰ قومه، فأتاه فدخل عليه، وتحقق اللقاء الثاني في ديار الإسلام الأولىٰ، فهل كان عمرو بن عبسة يظن أنَّ النبي ما زال يذكره وهو يسأله «**أتعرفني؟**».

لا شك أن إجابة النبي ﷺ: «**نعم، أنت الذي لقيتني بمكة**» ملأت جوانح عمرو بن عبسة سعادة ويقينًا، فالنبي لا يغفل عن أحد من أصحابه، ولا ينسىٰ واحدًا من محبيه، أيًا كان شأنه، وأيًا كانت مكانته.

سأله عمرو عن الصلاة، فأخبره النبيُّ ﷺ عنها وعن أوقاتها، ثم سأله عن الوضوء فحدثه عنه وعن فضله.

وبرغبة جارفة في التزود من العلم راح عمرو يسأل، وراح النبي يجيب، حتىٰ اندهش أبو أمامة راوي الحديث مما سمع، واستكثر أن يحتوي مجلس واحد كل هذا العلم، فقال: «**يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول، في مقام واحد يعطىٰ هذا الرجل؟**».

وقد أكد عمرو لأبي أمامة أنه سمع هذا الحديث من رسول الله ﷺ أكثر من سبع مرات، وأنه ليس في حاجة ـ وقد كبرت سنه، ورق عظمه، واقترب أجله ـ أن يكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله.

وفي الحديث ما يدل علىٰ أن العرب قد تسامعت بالنبي ﷺ وهو في مكة، وأن بعضهم قدم إلىٰ مكة وأسلم علىٰ يد النبي، وعاد يبشر في قومه متربصًا لظهور النبي.

فلما استتب الأمر للنبي في المدينة وفد إليه هؤلاء، وانضموا إلىٰ إخوانهم المسلمين واستمتعوا بصحبة النبي ﷺ، وتلقَّوْا عنه العلم، ونشروه بين الناس.

❁ ❁ ❁

سأل عمرو بن عبسة في أول لقاء جمعهما: «**ما أنت؟**» ولم يقل: من أنت؟؛ لأنه أراد الاستفهام عن الكنه والهوية لا عن الشخص.

وأجاب النبي ﷺ ببساطة فقال: «**أنا نبيٌّ؟**»، وفي الإجابة إيجاز جامع وتحديد جازم لهوية النبي ﷺ.

واستخدام ضمير الفصل «**أنا**» يفيد الحصر والتوكيد.

لكن هذه الإجابة لم تشف كل ما بنفس عمرو بن عبسة من تطلع للمعرفة، فسأل مرة أخرىٰ: «**وما نبي؟**» سؤال ملؤه التعجب والانبهار، فقال النبي ﷺ: «**أرسلني الله**»، وفي الإجابة ما يؤكد أن عرب الجاهلية كانوا يعرفون الله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

قال عمرو: «**وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**» عبارات قصيرة موجزة لخص فيها النبي ﷺ مهمات الأمور، وقدم فيها صلة الأرحام علىٰ كسر الأوثان وتوحيد الله، للدلالة علىٰ فضلها، ولاستثارة نخوة العربي الجاهلي الشريف الذي تملك لبَّه مكارم الأخلاق.

قال عمرو: «**فمن معك علىٰ هذا؟ قال ﷺ: حر وعبد، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به**».

ويحتمل هنا أن الرسول ﷺ أراد بقوله: «**حر وعبد**» أبا بكر وبلالًا بالتعيين، ويؤيد هذا رواية أخرىٰ يقول فيها عمرو بن عبسة: «**أتيت النبي بما يقال له عكاظ، فقلت لرسول الله ﷺ: من بايعك علىٰ هذا الأمر؟ قال: من بين حر وعبد، فأقيمت الصلاة، فصففنا خلفه أنا وأبو بكر وبلال، وأنا يومئذ رابع الإسلام**»[1].

وما جاء عند أحمد: «**وكان عمرو بن عبسة يقول: لقد رأيتني وإني لربع الإسلام**»[2].

ويحتمل أن الرسول ﷺ أراد أن من بين متبعيه من هو حر ومن هو عبد، وهذا يعني أن الإسلام لا يفرق بين حر وعبد إذ الكل سواسية أمام الله ﷻ.

يقول عمرو: «**فقلت إني متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترىٰ حالي وحال الناس**».

والمراد بيومك هذا ليس اليوم المعروف، بل تلك الفترة التي كان النبي فيها محاصرًا مضطهدًا من قومه، وهذا متاح في اللغة إذ (قد يراد باليوم الوقت مطلقًا، ومنه الحديث: «**تلك أيام الهرج**»)[3].

---

(١) أخبار المكيين (١/ ١٦٤).

(٢) مسند أحمد (٤/ ١١٤).

(٣) لسان العرب (١٢/ ٦٥٠).

يسأل عمرو النبيّ: «**أتعرفني؟**» فيجيب النبي ﷺ علىٰ الفور: «**نعم، أنت الذي لقيتني بمكة**» فكأن النبي استعاض عن ذكر الاسم والنسب بأشهر حادثة جمعته بصاحبه، «**نعم، أنت الذي لقيتني بمكة**» أي: أنت الذي تركت أهلك ودارك ومالك، وجئتني في مكة تبحث عن الحق.

ثم راح عمرو يسأل، والنبي يجيب.



إعلانُ الدعوةِ وإنذارُ العشيرة

٨ - «أَكُنْتُمْ مصدِّقِيَّ؟»:

عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِدَ النبي ﷺ علىٰ الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يا بَنِي فِهْرٍ، يا بَنِي عَدِيٍّ، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حتىٰ اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إذا لم يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ ما هو، فَجَاء أبو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فقال: أَرَأَيْتَكُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعم ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلا صِدْقًا، قال: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بين يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فقال أبو لَهَبٍ: تَبًّا لك سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ [المَسَد: ١ - ٢]»[1].

٩ - «يا صَبَاحَاهُ»:

عن ابن عَبَّاسٍ قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] وَرَهْطَكَ منهم الْمُخْلَصِينَ - خَرَجَ رسول اللهِ ﷺ حتىٰ صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يا صَبَاحَاهْ، فَقَالُوا، من هذا الذي يَهْتِفُ؟ قالوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إليه، فقال: يا بَنِي فُلَانٍ يا بَنِي فُلَانٍ يا بَنِي فُلَانٍ، يا بَنِي عبد مَنَافٍ، يا بَنِي عبد الْمُطَّلِبِ، فَاجْتَمَعُوا إليه، فقال: أَرَأَيْتَكُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هذا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قال: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بين يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، قال: فقال أبو لَهَبٍ: تَبًّا لك، أَمَا جَمَعْتَنَا إلا لِهَذَا؟ ثُمَّ قام فَنَزَلَتْ هذه السُّورَةُ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المَسَد:١]» (وَقَدْ تَبَّ)، كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠) كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

إلىٰ آخِرِ السُّورَةِ»[١].

١٠ ـ «إنِّي نَذِيرٌ»:

عن قَبِيصَةَ بن الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرِ بن عَمْرٍو قالا: «**لَمَّا نَزَلَتْ** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] **قالا: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إلىٰ رَضْمَةٍ**[٢] **من جَبَلٍ فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجَرًا، ثُمَّ نَادَىٰ: يا بَنِي عبد مَنَاة، إني نَذِيرٌ إنما مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَىٰ الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ**[٣] **فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ فَجَعَلَ يَهْتِفُ يا صَبَاحَاهْ**»[٤].

١١ ـ «لا أغني عنكم من الله شيئًا»:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: «**قام رسول اللهِ ﷺ حين أَنْزَلَ الله** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] **قال: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ أو كَلِمَةً نَحْوَهَا ـ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللهِ شيئًا، يا بَنِي عبد مَنَافٍ**[٥] **لا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللهِ شيئًا، يا عَبَّاسُ بن عبد الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ من اللهِ شيئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رسول اللهِ لا أُغْنِي عَنْكِ من اللهِ شيئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَلِينِي ما شِئْتِ من مَالِي**[٦]**، لا أُغْنِي عَنْكِ من اللهِ شيئًا**»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥٥) كتاب الإيمان، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.

(٢) الرضمة: الحجر الكبير، جمعه: رضم، بسكون الضاد في المفرد والجمع. فتح الباري (١/ ٥٧٠).

(٣) يربأ: أي يحفظ أهله ويتطلع إليهم. الديباج علىٰ مسلم(١/ ٢٧١).

(٤) أخرجه مسلم (٣٥٣) كتاب الإيمان، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.

(٥) عند مسلم: يا بني عبد المطلب.

(٦) عند مسلم: سليني بما شئت.

(٧) أخرجه البخاري (٤٧٧٠) كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ومسلم (٢٠٦) كتاب الإيمان، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾، والترمذي مختصرًا (٢٣١٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في إنذار النبي ﷺ قومه.

في لحظة من اللحظات الحاسمة في تاريخ دعوة النبي ﷺ، وبعد ثلاث سنين من الدعوة السرية أذن الله لرسوله أن يعلن دعوته، وأن ينذر عشيرته فنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فلم يكن لرسول الله ﷺ من بدٍّ سوىٰ أن يصدع بما أمره الله به، فصعد إلىٰ الصفا ونادىٰ قومه بأسماء بطونهم جميعًا حتىٰ اجتمعوا، ثم بدأهم بانتزاع الاعتراف بصدقه من أفواههم قبل أن يعلن فيهم كلمة التوحيد.

وليس أجدر بالصدق عند العرب من النذير الذي يحذر قومه الغزو، فإنه إن يكن كاذبًا يورط قومه ويثقل كاهلهم، وإن يكن خائنًا يضيعهم ويخرب ديارهم.

وقد كانت سيرة النبي ﷺ في قومه قبل هذا اليوم تشهد له بالصدق والأمانة لا يماري في ذلك اثنان، ولذلك قالوا جميعًا بلا تردد: «**نعم، ما جربنا عليك كذبًا**».

فقال «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**».

ففجأه عمه أبو لهب بقوله: تبًا لك، أما جمعتنا إلا لهذا. فنزل قول المولىٰ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المَسَد: ١].

والأحاديث الأربعة السابقة تتناول هذه الواقعة من زوايا مختلفة:

ففي الحديث الأول الذي رواه ابن عباس يخبرنا أن النبي ﷺ نادىٰ فقال: «**يا بني فهر، يا بني عديّ**»، وأن الناس تدافعوا إلىٰ الصفا، فمن لم يستطع أن يخرج منهم أرسل رسولًا، حتىٰ اجتمعوا جميعًا، فأعلن النبي فيهم دعوته، وجبهه عمه أبو لهب بما جبهه به.

وفي الحديث الثاني الذي رواه ابن عباس أيضًا يضيف أن النبي حين صعد الصفا هتف فقال: «**يا صباحاه**» وهو نداء من يحذر قومه من غزو أو أمر جلل.

وفي الحديث الثالث الذي رواه قبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو يخبران أن النبي ﷺ صعد إلىٰ أعلىٰ الجبل، ثم اختار أعلىٰ صخرة فيه ثم اعتلاها، ونادىٰ: «**يا بني عبد منافاه، إني نذير**» ثم ضرب مثلًا لنفسه وقومه بمن رأىٰ العدو فراح يهتف بقومه: يا صباحاه.

وفي الحديث الرابع الذي رواه أبو هريرة يضيف أن النبي ﷺ دعا قومه إلىٰ الإيمان قبل أن يفوت الأوان، فقال لهم: «**اشتروا أنفسكم**» ثم خص عشيرته بني عبد مناف، وعمه العباس، وعمته صفيه، وابنته فاطمة ـ بقوله: «**لا أغني عنكم من الله شيئًا**».

(وكانت هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ، فقد أوضح النبي ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات بينه وبينهم، وأن عصبة القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة الإنذار الآتي من عند الله)[(١)].

لقد تخوَّف النبي ﷺ من إعلان الدعوة علىٰ نفسه، وعلىٰ القلة التي آمنت به حتىٰ إنه تردد قائلًا: «**فضقت بذلك ذرعًا، وعرفت أني متىٰ أناديهم بهذا الأمر أرىٰ منهم ما أكره، فصمَتُّ عليها**»[(٢)].

إن النبي ﷺ قد أدرك منذ الوهلة الأولىٰ أنه قد كتب عليه النَّصَبُ والأذىٰ في سبيل هذه الدعوه، وقد كان مستعدًّا ومؤهلًا للصبر علىٰ هذه المحنة حتىٰ يظهر الله دينه.

أية مشاعر يمكن أن تعتمل في صدر نبي يوقن بصدق رسالته، ويوقن أن قومه سيعادونه، بل وسيخرجونه كما أخبره ورقة حين يفشو فيهم أمره.

---

(١) الرحيق المختوم ١/ ٥٨.

(٢) كنز العمال ١٣/ ٨٥، وتاريخ مدينة دمشق ٤٢/ ٧٩. وأخرجه ابن إسحاق ٢/ ١٢٦ وابن جرير ١٩/ ١٢١.

إنها مشاعر الأسىٰ والشفقة علىٰ هذه العشيرة التي أظهر العداوة له منها أقرب الناس إليه: عمه أبو لهب.

لكنَّ ذلك لم يفتَّ في عضد النبي ﷺ ولم يوهن عزيمته، بل أعلنها لهم صريحة قاطعة: «**اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا**».

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ وهو يواجه قومه الذين اجتمعوا علىٰ ندائه: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيَّ**».

وقوله «**أرأيتكم**»: (أراد بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب)[1]، فهو استفهام الغرض منه التقرير، و«**أرأيتكم**» تعني أخبروني، (والعرب تقول: أرأيتكما، أرأيتكم، عند الاستخبار بمعنىٰ أخبرني وأخبراني وأخبروني، وتاؤه مفتوحة أبدًا)[2].

وقوله ﷺ: «**خيلًا**» مجاز مرسل علاقته الجزئية، واختار الخيل لأنها جماع عدة الجيش وأصل قوته.

«**أكنتم مصدقيَّ؟**» استفهام المراد منه أيضًا التقرير، فالنبي ﷺ يريد أن يضعهم موضع المُقِرِّ بصدقه، حتىٰ إذا أخبرهم بخبر الغيب فكذبوه كانوا كمن يكذبون أنفسهم، ويتناقضون في مواقفهم، فلما قالوا: «**نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا**» بادرهم بقوله: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**».

«**فإني**»: الفاء للدلالة علىٰ السرعة، «**نذير**»: صيغة مبالغة بمعنىٰ اسم الفاعل، أي منذر.

وكما توقع النبي ﷺ جاء التكذيب فجًّا صارخًا من عمه أبي لهب: «**تبًّا**

---

(١) فتح الباري ٨/ ٥٠٣.

(٢) عمدة القاري ١٩/ ١٠٢.

لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا».

و تبًّا: نصب على المصدر بإضمار فعل، والمراد منه التوكيد، والاستفهام في «**ألهذا جمعتنا؟**» الغرض منه الإنكار.

وفي الحديث الثاني قال النبي ﷺ: «**يا صباحاه**» وهو أسلوب استغاثة يراد منه الإنذار، واختير الصباح لأن الغارة عادة ما تكون في الصباح، (وكانوا يسمون الغارة يوم الصباح، فكأن القائل «يا صباحاه» يقول: «قد غشينا العدو»)(١).

فلما اجتمع إليه الناس ناداهم: «**يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب**» وقد كنّى الراوي في الثلاثة الأولى، وصرَّح في الرابعة والخامسة، والترتيب الذي أورده في المصرح به يدل على أنه انتقل من العام إلى الخاص، وناداهم طبقة طبقة إلى أن وصل إلى أخص الناس لديه، وأقربهم منه، وهم بنو عبد المطلب، ويدل على ذلك ما سيأتي بعد من خطابه لعمه وعمته ثم ابنته.

وفي الحديث الثالث أنه نادى: «**يا بني عبد منافاه**» فصاغ منها أسلوب استغاثة يستنهض به هممهم، ويستدعي به نخوتهم.

ثم صور النبي ﷺ حاله وحالهم بحال رجل رأى العدو وحده، وقومه غافلون مطمئنون، فأحس بثقل المسؤولية على عاتقه، الدار والديار، الأهل والأعراض، المال والبنون، كل ذلك هو مسؤول منه إن لم ينتبه قومه ويستعدوا للغارة؛ لذلك راح يعدو إلى قومه ليحذرهم فلما خشي أن يسبق العدو إليهم راح يهتف في عجلة: يا صباحاه، لعل صوته يصلهم فينتبهوا قبل فوات الأوان.

وفي الحديث الرابع يقول ﷺ لقومه: «**اشتروا أنفسكم**»، إنها صفقة

---

(١) النهاية في غريب الأثر ٣/ ٦.

العمر، فإما فلاح أبدًا، وإما خسران لا طاقة للإنسان به، وكثيرًا ما صَوَّر ﷺ الإيمان بالله صفقة تجارية جريًا علىٰ سَنَن القرآن في مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ...﴾ [الصف: ١٠]. لأنه يخاطب العرب أهل التجارة والصفقات.

روىٰ الترمذي في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»(١).

ويتدرج رسول الله ﷺ في خطابه لقومه ـ كما أسلفت ـ من العام إلىٰ الخاص، فيبدأ بقريش، ثم بني عبد مناف، ثم العباس عمه، ثم فاطمة ابنته، يقول لهم جميعًا: «**لا أغني عنكم من الله شيئا**» يكررها تكرير توكيد وجزم كلما تغير الخطاب، يعني: أنه لا قرابة مهما كانت درجتها من رسول الله ﷺ سوف تغني عن صاحبها شيئًا إذا لم يؤمن بالله العظيم، وتكرار النفي مع استخدام المضارع يؤكد الفكرة ويلح في إثباتها.

ويخص النبي ﷺ ابنته فاطمة بقوله: «**سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا**» إن مقام الأبوة يقتضي أن يكشف الأب لابنته زيف متاع الدنيا وحقارته، وهو لا يمنعها منه، فما سألته من مال فهو لها، لكنه لن يغني عنها من الله شيئًا.

هكذا يتمخض الموقف في مجمله عن إنذار صارم للعشيرة، وإعلان واضح لحقيقة الدعوة، ومعايير الربح والخسارة.

١٢ ـ «لقد لقيتُ من قومك ما لقيت»:

عن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النبي ﷺ حَدَّثَتْهُ أنها قالت لِلنَّبِيِّ ﷺ: «**هل أتىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كان أَشَدَّ من يَوْمِ أُحُدٍ، قال: لقد لَقِيتُ من قَوْمِكِ ما لَقِيتُ وكان**

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠)، والحاكم في المستدرك (٧٨٥١) (٤/ ٣٤٣) وغيرهما.

أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهم يوم الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علىٰ ابن عبد يا ليل بن عبد كُلَالٍ فلم يُجِبْنِي إلىٰ ما أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ علىٰ وَجْهِي فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[1]، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فإذا أنا بِسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فقال: إِنَّ اللهَ قد سمع قَوْلَ قَوْمِكَ لك وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقد بَعَثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قال: يا محمد، ذلك فِيمَا شِئْتَ إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ، فقال النبي ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ من أَصْلَابِهِم من يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شيئا»[2].

❁ ❁ ❁

هذه تجربة قاسية في حياة النبي ﷺ يصفها بأنها أقسىٰ ما لقي من قومه، فهي أشد عليه من يوم أحد، (قال العلماء: جعل النبي ﷺ ما ناله من الاستهزاء وشماتة الأعداء أشد مما لاقاه يوم أحد من قتل حمزة في سبعين من أصحابه، مع ما ناله في نفسه من الجراحة، وما ذاك إلا أن نفس الكريم تتأذىٰ بالقول وبالسب أشد مما تتأذىٰ من الطعن والضرب، ولذلك عفا عن كل من تعرض لقتله، وأهدر دم كل من تعرض لشتمه)[3].

لقد اكتنف الهمُّ قلب النبي العظيم، وأحس بالوحدة وصار هدفًا لِعَنَتِ قريش، فلم يعد يصدهم عنه صادٌّ، ولا يمنعهم عنه مجير، بعد وفاة عمه وزوجه. وأمعن الكافرون في إيذائه وإيذاء أصحابه، فخرج يلتمس من يحميه، ويقبل أن يرفع راية هذا الدين ويدافع عن المؤمنين.

خرج إلىٰ الطائف يعرض نفسه علىٰ سيدها ابن عبد يا ليل بن عبد كلال،

---

(١) اسم مكان، وهو ميقات أهل نجد وما حاذاها، ويسمىٰ أيضًا: قرن المنازل.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذىٰ المشركين والمنافقين.

(٣) السابق (١/ ١٩٨).

فلم يجد منه ولا من قومه إلا الصد والأذىٰ، فانطلق مهمومًا علىٰ وجهه، فجاءه جبريل ومعه ملك الجبال، وعرض عليه أن يطبق علىٰ قومه الأخشبين: أبي قبيس وقعيقعان، وهما جبلان من أعظم جبال مكة، فلم يقبل النبي ذلك، وإنما قال: «**بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**». ثم عاد إلىٰ مكة محملًا بالأسىٰ، فمكث خارجها لا يستطيع أن يدخل وطنه ووطن آبائه وأجداده.

ويرسل النبي ﷺ إلىٰ سادة مكة وكبرائها يلتمس منهم الجوار، والأسىٰ يعتصر قلبه، فيعتذر هذا، ويتعلل ذاك، حتىٰ يَقْبَل مطعم بن عدي فيدخل النبي إلىٰ مكة في جواره.

وقد حفظ النبي ﷺ للمطعم هذا الموقف، (فلما كان يوم بدر قال النبي ﷺ: «**لو كان المطعم بن عدي حيًّا، وكلمني في هؤلاء النتنىٰ - يعني الأسرىٰ - لتركتهم له، وكانوا سبعين أسيرًا**»)[١].

❁ ❁ ❁

تسأل السيدة عائشة رسول الله ﷺ وقد أصابه ما أصابه يوم أحد: «**هل أتىٰ عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فيقول** ﷺ: **لقد لقيت من قومك ما لقيت**»، وما لقيه في هذا الموقف ليس من قومها، وإنما هو من ثقيف بالطائف، فلماذا قال النبي ﷺ: «**من قومك**»؟

قيل: (المراد بقوم عائشة في قوله: لقد لقيت من قومك: قريش، لا أهل الطائف الذين هم ثقيف؛ لأنهم كانوا هم السبب الحامل علىٰ ذهابه لثقيف)[٢].

---

(١) سيرة النبي المختار (١/ ٢٠٠).
(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٥٧).

ونسبة القوم إلىٰ عائشة لا إلي نفسه الشريفة **يوحي بأسىٰ النبي وتأثره حين يذكر ما لقيه من قومه، حتىٰ إنه ليُعرض عن نسبتهم إلىٰ نفسه.**

وفي تكرار الفعل في قوله ﷺ (لقيت)، (ما لقيت) إيحاء بشدة ما لقيه ﷺ في هذا الموقف، وفي غيره من المواقف من أذىٰ قومه.

وقوله: «**ما لقيت**» (حذف المفعول المبهم ليذهب الوهم كل المذهب في الفهم)[1]. فالحذف هنا أبلغ من الذكر؛ لأنه يشعر السامع بهول الأمر حتىٰ إنه ليستعصي علىٰ الإحصاء.

و«أشد» خبر «كان» مقدم، والتقديم للحصر والتوكيد، و«ما» هي الاسم المؤخر في محل رفع.

«**إذ عرضت نفسي**»: في العبارة ما يوحي بتواضع النبي، وتضحيته في سبيل الدعوة، إذ كان علىٰ عظيم مكانته ورفعة منزلته يعرض نفسه علىٰ من هم أقل منه شأنًا، لعل الله يجعل منهم سببًا لنصرة الدعوة، وإقامة الدين، وذلك ديدن الأنبياء والصالحين.

«**فلم يجبني إلىٰ ما أردت**» حذف المفعول للتعبير عن عموم المراد، وهو النصرة والعهد والإيمان، وعدم إجابة النبي ﷺ في ذلك التوقيت كان يعني أنه سيعود إلىٰ مكة بلا ناصر ولا مجير، وأن كل السبل قد أوصدت، فإلىٰ من المشتكىٰ؟

«**فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي**»: تصوير لحال النبي المحزون الذي لا يدري إلىٰ أين المتجه، و«**أنا مهموم**» جملة حالية.

«**فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب**»: زيادة توكيد لما أصاب النبي من شرود بسبب ما لقيه من إعراض وصد جعله ينطلق دون غاية حتىٰ لا يفيق إلا

---

(١) مرقاة المفاتيح (١٠/ ٥٢٣).

بقرن الثعالب.

«**فرفعت رأسي**»، إلىٰ السماء، حيث رب السماء؛ فإليه وحده الملتجأ والدعاء.

«**فإذا أنا بسحابة قد أظلتني**»: هذه رحمة الله تكتنف النبي الذي أصابه الهم والحزن.

«**فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني**»: سرعة إجابة تواكبها الفاءات المتعاقبة في الأفعال المتوالية.

«**فإذا فيها جبريل**» إيحاء بضخامة الملك فهو يملأ السحابة كلها.

ويقدم جبريل للنبي ﷺ ملك الجبال؛ ليأمره بما يشاء في قومه، قال ملك الجبال: «**إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**» وعلىٰ رغم ما عاناه النبي من قومه، وعلىٰ شدة ما أصابه من أذاهم إلا أنه يقول: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**».

وهي عبارة توحي بشدة حلمه، وعظيم عفوه، ورغبته الملحة في أن ينتشر هذا الدين، ويعمَّ التوحيد ربوع الأرض.

١٣ ـ «وأنا محمد»:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ الله عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وأنا مُحَمَّدٌ**»[1].

❁ ❁ ❁

كان كفار قريش من شدة كراهتهم للنبي ﷺ يعدلون عن اسمه الدالِّ علىٰ المدح (محمد) إلىٰ ضده، فيقولون (مذمم)، لأنهم لا يريدون من كراهتهم

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٣) كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء الرسول ﷺ، والنسائي في المجتبىٰ (٣٤٣٨) كتاب الطلاق، باب الإبانة والإفصاح.

له أن ينطقوا اسمه ولو بالسوء.فإذا أرادوا ذكره بسوء (قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه، ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفًا إلىٰ غيره)[1].

فإذا قيل: كيف يستقيم ذلك، وهم ـ أي كفار قريش ـ ما كانوا يشتمون الاسم بل المسمىٰ، والمسمىٰ واحد؟ (فالجواب: أن المراد: كفىٰ اسمي الذي هو محمد أن يشتم بالسب)[2].

وكانت أم جميل امرأة أبي لهب تنشد:

مــــذممًا أبيـــنا

وديـــنه قَلَيْـــنَا

وأمـــره عـــصينا

فصرفهم الله ﷻ عن أن يذكروه باسمه بسوء مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥].

❁ ❁ ❁

قوله ﷺ: «**ألا تعجبون**» مفتتح بـ«ألا» الاستفتاحية التي تفيد التنبيه، والرسول يخاطب صحابته؛ ليدخل السكينة إلىٰ قلوبهم، وليبين لهم أن كيد الكفار مردود إلىٰ نحورهم.

«**شتم قريش ولعنهم**» قال ابن الأعرابي: (الشتم في اللغة قبيح الكلام، وليس فيه قذف)[3]، والشتم السب، أمَّا اللعن فهو أشد من الشتم إذ هو:

---

(١) فتح الباري (٦/ ٥٥٨)، وعمدة القاري (١٦/ ٩٧).

(٢) شرح السيوطي لسنن النسائي (٦/ ١٥٩).

(٣) تهذيب اللغة (١١/ ٢٢٥).

(الإبعاد والطرد من الخير، وقيل الطرد والإبعاد من الله، ومن الخُلُق: السب والدعاء)[١].

فجمع رسول الله ﷺ بين الشتم واللعن ليستقصي كل صنوف الأذىٰ القولي الذي ناله من قريش.

«**يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا**» إشارة إلىٰ تنكب أعدائه لاسمه الشريف، ونيلهم من اسم آخر وهو مذمم.

«**وأنا محمد**» أسلوب قصر للحصر والتوكيد، استخدم فيه ضمير الفصل «أنا»، وفيه نبرة اعتزاز بهذا الاسم العظيم (**قيل لعبد المطلب: بم أسميت ابنك؟ فقال: بمحمد، فقالوا له: ما هذا من أسماء آبائك، فقال: أردت أن يُحمد في السماء والأرض**)[٢].



(١) لسان العرب (١٣/ ٣٨٧).
(٢) الوافي بالوفيات (١/ ٦٧).

الهجرةُ إلى يثرب

١٤ ـ «قد أُذِنَ لي في الخُرُوج»:

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «لَقَلَّ يَوْمٌ كان يَأتي علىٰ النبي ﷺ إلا يَأتي فيه بَيْتَ أبي بَكْرٍ أَحَدَ طَرفي النَّهَارِ، فلما أُذِنَ له في الْخُرُوجِ إلىٰ الْمَدِينَةِ لم يَرُعْنَا إلا وقد أَتَانَا ظُهْرًا، فَخُبِّرَ بِهِ أبو بَكْرٍ، فقال: ما جَاءَنَا النبي ﷺ في هذه السَّاعَةِ إلا لِأَمْرٍ حَدَثَ، فلما دخل عليه قال لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ من عِنْدَكَ قال: يا رَسُولَ اللهِ إنما هُمَا ابْنَتَايَ، يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قال: أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قد أُذِنَ لي في الْخُرُوجِ، قال: الصُّحْبَةَ يا رَسُولَ اللهِ، قال: الصُّحْبَةَ، قال: يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قال: قد أَخَذتها بِالثَّمَنِ»[1].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «اسْتَأْذَنَ النبي ﷺ أبو بَكْرٍ في الْخُرُوجِ حين اشْتَدَّ عليه الْأَذَىٰ، فقال له: أَقِمْ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، أَتَطْمَعُ أَنْ يُؤْذَنَ لك؟ فَكَانَ رسول اللهِ ﷺ يقول: إني لأرجو ذلك، قالت: فَانْتَظَرَهُ أبو بَكْرٍ، فَأَتَاهُ رسول اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ظُهْرًا، فَنَادَاهُ فقال: أَخْرِجْ من عِنْدَكَ، فقال أبو بَكْرٍ: إنما هُمَا ابْنَتَايَ، فقال: أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قد أُذِنَ لي في الْخُرُوجِ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، الصُّحْبَةَ، فقال النبي ﷺ: الصُّحْبَةَ، قال: يا رَسُولَ اللهِ، عِنْدِي نَاقَتَانِ قد كنت أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَأَعْطَىٰ النبي ﷺ إِحْدَاهُمَا وَهِيَ الْجَدْعَاءُ، فَرَكِبَا فَانْطَلَقَا، حتىٰ أَتَيَا الْغَارَ وهو بِثَوْرٍ، فَتَوَارَيَا فيه، فَكَانَ عَامِرُ بن فُهَيْرَةَ غُلَامًا لِعَبْدِ اللهِ بن الطُّفَيْلِ بن سَخْبَرَةَ أخي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا، وَكَانَتْ لِأَبِي بَكْرٍ مِنْحَةٌ[2]، فَكَانَ يَرُوحُ بها وَيَغْدُو عليهم، وَيُصْبِحُ

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٣٨) كتاب البيوع، باب بيع الطعام قبل أن يقبض.

(٢) تطلق علىٰ كل شاة.

فَيَدَّلِجُ إِلَيْهِمَا[١]**، ثُمَّ يَسْرَحُ فلا يَفْطُنُ بِهِ أَحَدٌ من الرِّعَاءِ، فلما خَرَجَ خَرَجَ مَعَهُمَا يُعْقِبَانِهِ حتىٰ قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَقُتِلَ عَامِرُ بن فُهَيْرَةَ يوم بِئْرِ مَعُونَةَ»**[٢].

❁ ❁ ❁

لا أعلم حبًّا كبيرًا ربط بين قلبين كذلك الحب الذي ربط بين قلب النبي ﷺ وقلب صاحبه الأثير أبي بكر.

تقول السيدة عائشة بنت الصديق: «**لَقَلَّ يوم كان يأتي علىٰ النبي ﷺ إلا يأتي فيه بيت أبي بكر أحد طرفي النهار**» أي: ما كان يمضي يوم دون أن يزور النبي ﷺ صاحبه، وقد اختاره دون سائر أصحابه ليرافقه في رحلته إلىٰ المدينة، تقول الرواية: «**استأذن النبي ﷺ أبو بكر في الخروج حين اشتد عليه الأذىٰ، فقال: له أقم، فقال: يا رسول الله، أتطمع أن يؤذن لك؟ فكان رسول الله ﷺ يقول: إني لأرجو ذلك**».

وحين علم أبو بكر أن الله قد أذن للرسول في الهجرة صاح بكل توسل وحب: «**الصحبة**»، فأجابه صاحبه بكل تواضع وامتنان: «**الصحبة**».

ذلك هو الحدث الفيصل في تاريخ الدعوة، هجرة النبي ﷺ إلىٰ المدينة، وقد سبقت تلك الرحلة إرهاصات وحوادث مهيِّئة، إذ هاجر أصحاب النبي ﷺ هجرتين إلىٰ الحبشة فارين بدينهم من العنت والأذىٰ الذي لاقوه علىٰ أيدي أساطين الكفر.

وكان النبي ﷺ يعرض نفسه علىٰ وفود العرب إلىٰ الحج، لعله يجد من ينصر دعوة الله، ويحمي رسوله، وحين فتح الله صدور الأنصار للإسلام بدأ المسلمون يهاجرون إلىٰ المدينة فرادىٰ، وتأخر أبو بكر رجاءً في صحبة

---

(١) يسير إليهما ليلًا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٩٣) كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع.

النبي ﷺ.

وكان أبو بكر قد أعد راحلتين لهذا الغرض، فعرض إحداهما علىٰ النبي ﷺ، ورغم الصلة الوطيدة التي كانت تربط الصاحبين إلا أن الرسول ﷺ رفض أن يأخذ الناقة من صاحبه بلا ثمن، بل قال بحسم: «**قد أخذتها بالثمن**».

وعندما أذن الله لرسوله في الهجرة انطلق خفية وصاحبه إلىٰ غار ثور فتواريا فيه، والكافرون في أثرهما، وعامر بن فهيرة يروح ويغدو عليهما، ويعمِّي علىٰ آثارهما حتىٰ انقطع الطلب، فواصلا سعيهما نحو المدينة.

❁ ❁ ❁

«**أخرج من عندك**» رغم أنَّ النبي ﷺ في بيت صاحبه، وبين أهله الأدنين، إلا أنه يعمل لكل شيء حسابًا، ويضع خطة الخروج في تكتم شديد، وحرص بالغ؛ ليعلمنا كيف نأخذ بالأسباب.

«**أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج**» جاء في عمدة القاري: (أشعرت: معناه اعلم، لأن الهمزة هنا خرجت عن الاستفهام الحقيقي، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشَّرح: ١])[١].

وربما يصحُّ أن يقال: إنه استفهام، الغرض منه التقرير.

قال أبو بكر: «**الصحبةَ، قال رسول الله ﷺ: الصحبةَ**» وكلاهما مفعول به لفعل محذوف مقدر، لعله في الأولىٰ (أريد)، وفي الثانية (ألزم)، (ويجوز الرفع علىٰ تقدير مرادي الصحبة، أو مطلوبي)[٢].

وفي بقية الحديث متابعة لتلك الملحمة العظيمة التي خاضها الصاحبان، وتصوير للمطاردة التي ألجأت الصاحبين إلىٰ غار ثور، يختفيان به، وعامر

---

(١) عمدة القاري (١٧/ ٢٧٣).

(٢) المرجع السابق (١١/ ٢٥٧).

ابن فهيرة يخرج بشاة لأبي بكر، يروح ويغدو عليهما، فيشربان من لبنها، ثم يسرح بها، فيغطي علىٰ آثارهما حتىٰ سكن الطلب، فخرجا يجدّان إلىٰ المدينة، وهما يعقبانه علىٰ ناقتيهما.

❁ ❁ ❁

١٥ - «لَا حَاجَةَ لِي فِي إِبِلِكَ»:

عن الْبَرَاءِ قال: اشْتَرَىٰ أبو بَكْرٍ من أبي رَحْلًا بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَسَاقَ الحديث بِمَعْنَىٰ حديث زُهَيْرٍ عن أبي إسحاق، وقال في حَدِيثِهِ من رِوَايَةِ عُثْمَانَ بن عُمَرَ: فلما دَنَا دَعَا عليه رسول اللهِ ﷺ فَسَاخَ فَرَسُهُ[1] في الأرض إلىٰ بَطْنِهِ وَوَثَبَ عنه، وقال: يا مُحَمَّدُ، قد عَلِمْتُ أَنَّ هذا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِمَّا أنا فيه، وَلَكَ علىٰ لَأُعَمِّيَنَّ علىٰ من وَرَائِي، وَهَذِهِ كِنَانَتِي فَخُذْ سَهْمًا منها، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ علىٰ إِبِلِي وَغِلْمَانِي بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ منها حَاجَتَكَ، قال: **لا حَاجَةَ لي في إِبِلِكَ**، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا، فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عليه رسول اللهِ ﷺ، فقال: **أَنْزِلُ علىٰ بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عبد الْمُطَّلِبِ أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ**، فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ في الطُّرُقِ يُنَادُونَ: يا محمد يا رَسُولَ اللهِ، يا محمد يا رَسُولَ اللهِ»[2].

❁ ❁ ❁

لما علمت قريش أن رسول الله ﷺ خرج من مكة قاصدًا المدينة رصدت له الطلب، فجعلت مائة ناقة لمن يرده إليهم، فخرج سراقة بن مالك بن جعشم يرجو أن يلحق بالرسول، فيرده، فيأخذ المائة.

ترىٰ كيف يكون إحساس المطارد في صحراء واسعة مكشوفة ليس معه

---

(١) غاصت قوائمه في الأرض، والضمير يعود علىٰ سراقة بن مالك.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٩) كتاب الزهد، باب في حديث الهجرة.

إلا رفيق واحد ـ حين ينجلي الغبار عن فارس مدرَّع يتبعهما؟ تلك كانت مشاعر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقول أبو بكر: «**فلما دنا ـ يعني سراقة ـ فكان بيننا وبينه قدر رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب يا رسول الله قد بلغنا، وبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: أما والله ما علىٰ نفسي أبكي، ولكني أبكي عليك**»(١).

لكن الرفيق المصاحب ليس بشرًا عاديًا، وإنما هو نبي معصوم، محوط بعناية الله ورعايته، ولذلك قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة ٤٠].

يقول سراقة: «**فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم عثر بي فرسي، وذهبت يداه في الأرض وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعها دخان كالإعصار، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني، وأنه ظاهر، فناديت القوم: أنا سراقة بن جعشم، أنظروني أكلمكم، فوالله لا أريبكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه**»(٢).

وفي رواية أنه قال: «**قد أعلم أن قد دعوتما عليَّ فادعوا لي، ولكما عليَّ أن أرد الناس عنكما، ولا أضركما، قال: فدعا له فرجع ووفَّىٰ، وجعل يرد الناس**»(٣).

وفي رواية مسلم التي بين أيدينا يقول سراقة: «**يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه، ولك علي لأعمينَّ علىٰ من ورائي، وهذه كنانتي فخذ سهمًا منها، فإنك ستمر علىٰ إبلي وغلماني بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، قال ﷺ: لا حاجة لي في إبلك**».

وصل النبي ﷺ وصاحبه إلىٰ المدينة، واستقبله النساء والرجال فوق أسطح البيوت، والغلمان والخدم في الطرقات ينادون: «**يا محمد يا رسول**

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي (١/ ٣٤٤).
(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول (١/ ٣٤٤).
(٣) خلاصة سير سيد البشر (١/ ٤٧).

الله، يا محمد يا رسول الله»، وتنازع الناس أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ، فتذكر صاحب القلب الكبير أخوال عبد المطلب الذين توفي عندهم أبوه، في طريق عودته من الشام، والرسول ما زال جنينًا في بطن أمه، فأراد أن يخصهم بكرامة فقال: «**أنزل علىٰ بني النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك**».

❁ ❁ ❁

يعرض الحديث لمشهدين مثيرين، وهما صورتان واقعيتان؛ إحداهما تلك المطاردة التي كان فرسانها الرفيقين المهاجرين وسراقة، إذ أدرك سراقة ـ منذ اللحظة الأولىٰ ـ أن الأمر خارج عن طاقة البشر، فاستسلم، بل وعرض علىٰ الرسول ﷺ ما شاء من إبله، وهو الذي كان خارجًا طامعًا في مائة من الإبل إن ردَّ رسول الله ﷺ إلىٰ مكة.

وقول الرسول ﷺ: «**لا حاجة لي في إبلك**» جواب قاطع صريح يوحي بالثقة والطمأنينة.

أما المشهد الثاني، فهو مشهد وصول الرسول ﷺ إلىٰ المدينة، واستقبال الناس الحافل له: الرجال والنساء فوق البيوت، والغلمان والخدم في الطرقات، ورسول الله ﷺ مع صاحبه يمشيان بكل تواضع ووقار، حتىٰ إن الناس لا تعلم من رسول الله منهما إلا حينما ترىٰ خدمة أبي بكر للنبي، وتظليله إياه بردائه.



الفصل الثاني

في رِحابِ طَيبة



مسجد الرسول ﷺ

١ ـ «ثامِنُوني بحائِطِكم»:

عن أَنَسٍ قال: قَدِمَ النبي ﷺ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ أَعْلَىٰ الْمَدِينَةِ في حَيٍّ يُقَالُ لهم بَنُو عَمْرِو بن عَوْفٍ، فَأَقَامَ النبي ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلىٰ بَنِي النَّجَّارِ فجاؤوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأني أَنْظُرُ إِلىٰ النبي ﷺ علىٰ رَاحِلَتِهِ وأبو بَكْرٍ رِدْفُهُ وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حتىٰ أَلْقَىٰ بِفِنَاءِ أبي أَيُّوبَ، وكان يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّي في مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلىٰ ملأ من بَنِي النَّجَّارِ، فقال: «**يا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ**[1] **هذا**» قالوا: لَا والله لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إلا إِلىٰ اللهِ، فقال أَنَسٌ: فَكَانَ فيه ما أَقُولُ لَكُمْ، قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ، وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النبي ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالْخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ[2] الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُون، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وهو يقول:

اللهمَّ لا خيرَ إلَّا خيرَ الآخِرَةْ فاغفِرْ للأنصارِ والمُهاجِرةْ»[3].

---

(١) الحائط: البستان.

(٢) عِضَادَتَيْهِ: عضادتا الباب ما كان عليهما يطبق الباب إذا أصفق.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٨) كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور المشركين، ومسلم (٥٢٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ابتناء مسجد النبي، وأبو داود (٤٥٣) كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، والنسائي في المجتبىٰ (٧٠٢) كتاب المساجد، باب نبش القبور واتخاذ أرضها مسجدًا.

❁ ❁ ❁

هذه صورة للمجتمع المدني عقب وصول النبي ﷺ إلىٰ طيْبة، وشروعه في تأسيس المسجد الذي صار فيما بعد مركز الدعوة والقيادة، ومصنع الرجال الأفذاذ، (بل كان جامعة يتلقىٰ فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتدىٰ تلتقي وتتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون وبيت الانطلاقات، وبرلمانًا لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية، وكان مع هذا كله دارًا يسكن فيها عدد كبير من فقراء المهاجرين اللاجئين الذين لم يكن لهم هناك دار ولا مال ولا أهل ولا بنون)[١].

إذ حطت ـ أخيرًا ـ رحال النبي ﷺ في طيبة، وانتهت مرحلة، وبدأت مرحلة، انتهت مرحلة كان النبي ﷺ فيها مضطهدًا مطاردًا مكذَّبًا، وبدأت مرحلة صار النبي ﷺ فيها آمنًا آمرًا مطاعًا.

ومنذ اللحظة الأولىٰ تشكلت ملامح دولة قائدها محمد ﷺ، وشعبها هم المهاجرون والأنصار واليهود، ومركز قيادتها الأول هو المسجد.

يحدثنا الحديث عن اختيار الرسول ﷺ مكان المسجد، وكان فيه نخل وقبور للمشركين وخرب يضمها حائط لبني النجار أخوال النبي ﷺ، وما كان للنبي ﷺ ـ وقد جاء بالعدل والإحسان ـ أن يأخذ أرضًا بغير رضا أصحابها، ولذلك أرسل إلىٰ بني النجار، فجاؤوه متقلدي السيوف، كأنهم يعلنون ـ بصورة عملية ـ استعدادهم للقتال لنصرة نبيهم.

قال لهم: **«يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا»**.

يطلب منهم أن يبيعوه هذا الحائط بالثمن، وهو القائد القادر علىٰ أن يأمر

---

(١) الرحيق المختوم (١/ ١٧٤).

فيطاع، ويطلب فيُستجاب له، فيقولون له: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلىٰ الله.

تلك قلوب الأنصار، قلوب ملئت إيمانًا وعزمًا، وفاضت إخلاصًا ونبلًا، منذ اللحظة الأولىٰ التي بركت فيها ناقة النبيِّ في أحد مرابد بني النجار أعلنوا استعدادهم لبذل الغالي والنفيس في سبيل الله، أرواحهم وأموالهم وأهليهم، أبوْا أن يبيعوا الدنيا بالآخرة، ووهبوا الأرض وما عليها لله ولرسوله وللمؤمنين.

كان بناء المسجد ملحمة شارك فيها المهاجرون والأنصار، وهم يتدفقون همة وحماسة، فيخلون الأرض من القبور، ويسوّون الخرب، ويقطعون النخل، وينقلون الصخور للبناء وهم ينشدون، والنبي معهم يشَدُّ علىٰ سواعدهم، ويقول:

اللهـمَّ لا خيـرَ إلَّا خَيـرَ الآخِـرَةْ فاغفِـرْ للأنـصارِ والمُهاجِـرةْ

❁ ❁ ❁

يخاطب النبيُّ ﷺ أخواله بنداء تحببيّ أثير «**يا بني النجار**»، ناداهم بنسبهم الأقرب إلىٰ نفسه، كأنه يستدعي صلة القربىٰ ووشائج النسب، وكأنه يستحضر ذكرىٰ أبيه الذي لم يره، والذي قضىٰ بين ظهرانيهم في طريق عودته من الشام، والرسول ما يزال جنينًا في بطن أمه.

«**ثامنوني بحائطكم هذا**» ثامنوني، اختيار صيغة فَاعِل يؤكد نية النبيّ في الشراء، إذ يُنَحّي مقام النبوة وصلة القرابة، ويدع الأمر صفقة تجارية محضة بين بائع ومشترٍ يتفاوضان في الثمن حتىٰ يحصل إيجاب وقبول.

ويستوقفنا في الحديث الرجز الذي كان النبي ﷺ ينشده وهو يشارك أصحابه في بناء المسجد:

اللهـمَّ لا خيـرَ إلَّا خَيـرَ الآخِـرَةْ فاغفِـرْ للأنـصارِ والمُهاجِـرةْ

إذ يثير هذا البيت مع نظائر له قليلة وردت علىٰ لسان النبي ﷺ قضية النبوة والشعر وما دار حولها من نقاش عند القدماء والمحدثين.

فمن المعروف أن من بين التهم التي حاول كفار قريش إلصاقها بالنبي ﷺ أنه شاعر.

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ [الأنبياء: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور: ٣٠].

وقال: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٦].

وقد نفىٰ المولىٰ ﷻ عن نبيه أن يكون شاعرًا، أو أن يكون ما يقوله شعرًا فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ [يس: ٦٩].

وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة: ٤١].

أما ما ورد علىٰ لسان النبي ﷺ من بعض أبيات أو أنصاف أبيات من كلام موزون من غير قصد لنظمه فإنه لا يعني أنه قال شعرًا، أو أن لديه ملكة الشعر.

ولم يكن نفي الشعر عن رسول الله ﷺ تهوينًا من شأن الشعر أو ازدراء له، ولكنه كان صيانة لمقام كتاب الله، وحفظًا لمكانة النبوة، وقد كان النبي ﷺ يسمع الشعر، ويثني علىٰ الجيد منه، ويقول: «**إن من الشعر حكمة**»[(١)]، وكان يستعين بالشعراء المسلمين للرد علىٰ هجاء المشركين، والذود عن الدعوة، ويقول لحسان بن ثابت: «**إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله**»[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٣٧٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٠).

ولما نزل قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ...﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلىٰ رسول الله ﷺ وهم يبكون، قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنَّا شعراء، فتلا النبي ﷺ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، قال: «أنتم»، ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾، قال: «أنتم»، ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، قال: «أنتم»[١].

هذا هو موقف الإسلام الحقيقي من الشعر، فهو يستجيد منه ما كان جيدًا، ويستقبح منه ما كان قبيحًا، ويفصل بحزم بين صفة النبي وصفة الشاعر، وبين القرآن والشعر.

❁ ❁ ❁

٢ - «مُرِي غُلامَكِ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لي أَعْوادًا»:

عن أبي حَازِمِ بن دينار أَنَّ رِجَالًا أَتَوْا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَقَدْ امْتَرَوْا في الْمِنْبَرِ: مِمَّ عُودُهُ؟ فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللهِ إني لَأَعْرِفُ مِمَّا هُوَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَوَّلَ يَوْمِ وُضِعَ، وَأَوَّلَ يَوْمِ جَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ فُلَانَةَ - امْرَأَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ -: «**مُرِي غُلَامَكِ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ**» فَأَمَرَتْهُ فَعَمِلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ[٢]، ثُمَّ جَاءَ بها، فَأَرْسَلَتْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَرَ بها، فَوُضِعَتْ هَا هُنَا، ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّىٰ عَلَيْهَا، وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَىٰ فَسَجَدَ في أَصْلِ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَىٰ

---

(١) ابن كثير (٣/ ٣٥٤).

(٢) طرفاء الغابة: نوع من الشجر.

النَّاسِ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي**»(١).

❁ ❁ ❁

ذلك منبر النبي ﷺ الذي كان أنجع وسيلة تعليمية في تاريخ الدعوة الإسلامية، إذ علّم أصحابه من فوقه أصول دينهم، وبث فيهم الحميّة والغيرة علىٰ معتقدهم، وبكىٰ ﷺ وأبكاهم وهو يصف لهم الحشر والحساب، ونعيم الجنة، وعذاب النار، ومن فوق هذا المنبر ـ ذاته ـ نعىٰ إليهم نفسه وودعهم، واستودعهم الله.

ويورد الحديث قصة صنع المنبر، إذ «**كان النبي يخطب يوم الجمعة إلىٰ جذع قائمًا، فشق عليه أن يستمر علىٰ القيام في خطبته دائمًا**»(٢)، فأرسل لامرأة من الأنصار كان لها غلام نجار، فقال لها: «**انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادًا أكلم الناس عليها**»، فصنع الغلام للنبي منبرًا من درجات ثلاث، فوُضع في موضعه، فأتىٰ النبيّ فوقف عليه وكبّر حتىٰ يراه الناس جميعًا، ويقتدوا به، فلمّا أراد أن يسجد تراجع إلىٰ الخلف فسجد في أصل المنبر، ثم قام فصعد المنبر حتىٰ فرغ من صلاته، ثم قال للناس: «**يا أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي**».

وقد ورد في ذلك السياق من معجزات النبيّ عند البخاري عن جابر أنه قال: «**كان المسجد مسقوفًا علىٰ جذوع من نخل، فكان النبيّ ﷺ إذا خطب يقوم إلىٰ جذع منها، فلما صُنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا**

---

(١) أخرجه البخاري (٩١٧) كتاب الجمعة، باب الخطبة علىٰ المنبر، ومسلم (٥٤٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، ولفظ مسلم: «انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادًا»، وأبو داود (١٠٨٠) كتاب الصلاة، باب في اتخاذ المنبر.

(٢) المقتفىٰ من سيرة المصطفىٰ (١/ ٩٢).

كصوت العشار[١]**، حتىٰ جاء النبيّ ﷺ فوضع يده عليها فسكنت**»[٢].

۞ ۞ ۞

يقول النبي ﷺ للأنصارية: «**مري غلامك النَّجار أن يعمل لي أعوادًا أجلس عليهن إذا كلمت الناس**».

وفي رواية مسلم: «**انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادًا أكلم الناس عليها**».

ويبدو استعمال فعل الأمر «مري» في الرواية الأولىٰ أشد حزمًا من الفعل «**انظري**» في الرواية الثانية، في التعبير عن رغبة النبي ﷺ في صنع هذا المنبر.

كما يجري قول النبي ﷺ: غلامك النجار، لا عبدك النجار؛ علىٰ سَنَن النبي ﷺ في الرفق بالعبيد، والإحسان إليهم، ومراعاة آدميتهم إذ نَهَىٰ ﷺ أن يقول المرء: عبدي، أمتي، وأمر أن يقول: فتاي، فتاتي، وغلامي «... **ولا يقل أحدكم عبدي أمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**»[٣].

يقول النبي ﷺ: «**يعمل لي أعوادًا**» والتعبير عن المنبر بالأعواد يشير إلىٰ تواضع النبي ﷺ، وعدم ميله إلىٰ اتخاذ الأثاث الثمين والرياش الفاخرة، وقد كان هذا دأبه في بيته وملبسه ونعله ومركوبه ﷺ.

«**أجلس عليهن**» المأثور عن النبي ﷺ أنه كان يخطب قائمًا، وأجاب ابن حجر عن هذه الشبهة (باحتمال أن تكون الإشارة إلىٰ الجلوس أول ما

---

(١) العشار: جمع عشراء، وهي الناقة التي انتهت في حملها إلىٰ عشرة أشهر.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٨٥) كتاب المناقب، باب علامات النبوة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٥٢) كتاب العتق، باب كراهية التطاول علىٰ الرقيق، ومسلم (٢٢٤٩) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري (٢/ ٤٠١).

يصعد، وبين الخطبتين)[٢].

والعبارة كلها أمر وجوابه، وجواب الأمر في الرواية الأولىٰ «**أن يعمل**»، وهو مصدر مؤول في محل جزم، وفي الرواية الثانية «**يعمل**»، وهو فعل مضارع مجزوم.

ثم يقول النبيُّ ﷺ في خاتمة الحديث: «**أيها الناس، إنما صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتي**».

وفي رواية مسلم: «**يا أيها الناس، إني صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلَّموا صلاتي**».

خلت الرواية الأولىٰ من أداة النداء بما يعزز قرب المنادِي وهو رسول الله ﷺ من المنادَىٰ وهم أصحابه.

واستبدلت «**إنما**» في الرواية الأولىٰ بـ «**إني**» في الرواية الثانية، والأولىٰ تفيد القصر والحصر مع التوكيد بينما تفيد الثانية التوكيد فحسب، وفي الرواية الأولىٰ قال: «**لتأتموا**»، بينما زيد في الرواية الثانية «**لتأتموا بي**»، والتعبير الأول أبلغ لأنه يفيد العموم.

❁ ❁ ❁

٣ ـ «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ»:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**»[١].

٤ ـ «إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة»:

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٥) باب فضل ما بين القبر والمنبر، ومسلم (١٣٩٠) كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، والنسائي في المجتبى (٦٩٥) كِتَابُ (الْمَسَاجِدِ) باب (فَضْلُ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّلَاةِ فِيه).

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ قَوَائِمَ مِنبَرِي هَذَا رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ**»[1].

٥ ـ «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا»:

عَنِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: تَمَارَىٰ رَجُلَانِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُوَ مَسْجِدِي هَذَا**»[2].

٦ ـ «مَسْجِدِي هذا»:

عن أبي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النبي ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ، مَسْجِدِي هذا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ**»[3].

٧ ـ «رأيت هذَيْنِ فلم أصبرْ»:

حدثني عبدُاللهِ بن بُرَيْدَةَ عن أبيه، قال خَطَبَنَا رسول اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رضي الله عنهما عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا، فَصَعِدَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ، ثُمَّ قال: «**صَدَقَ الله** ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (٦٩٦) كِتَابُ (الْمَسَاجِدِ) باب (فَضْلُ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّلَاةِ فِيه).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (٦٩٧) كِتَابُ (الْمَسَاجِدِ) باب (ذِكْرُ الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ)، والترمذي في سننه (٣٠٩٩) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٩٧) كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد، وأبو داود (٢٠٢٣) كتاب المناسك، بَاب فِي إِتْيَانِ الْمَدِينَةِ، والترمذي (٣٢٦) كتاب أبواب الصلاة، باب ماجاء في المشي إلىٰ المساجد، وابن ماجة (١٤٠٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها.

رأيت هَذَيْنِ فلم أَصْبِرْ»، ثُمَّ أَخَذَ في الْخُطْبَةِ(١).

❁ ❁ ❁

هذه هي الروضة التي تَهفو إليها نفوس كل المسلمين، فمَنْ مِن المسلمين لا يتوق إلىٰ المكوث لحظات في بقعة من الجنة، لقد جعل الحديث الثالث تلك البقعة مهوىٰ أفئدة الزائرين لمسجد الرسول ﷺ حتىٰ اليوم، يتزاحمون علىٰ الصلاة فيها، وتَهب عليهم نسائم الجنة من رحابها، إذ ذكر النبيُّ ﷺ أنها روضة من رياض الجنة، (أي أنها كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة، لما يحصل من ملازمة حلق الذكر، لا سيما في عهده ﷺ)(٢).

وقد يكون المراد بذلك أن الصلاة فيها تؤدي إلىٰ الجنة، لعظم منزلتها، وشريف مكانتها؛ لأنها ضمت منبره ﷺ وبيته الذي صار بعد ذلك قبره الشريف.

(وحمل كثير من العلماء الحديث علىٰ ظاهره، فقالوا: ينقل ذلك الموضع بعينه إلىٰ الجنة كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤] ذكر أن الجنة تكون في الأرض يوم القيامة)(٣).

وفي الحديث الرابع يشير النبي ﷺ إلىٰ فضل منبره، فيقول: (إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة).

ومعناه: (أن قَصْدَ منبره، والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٠٩) كتاب الصلاة، بَاب الْإِمَامِ يَقْطَعُ الْخُطْبَةَ، وابن ماجة(٣٦٠٠) كتاب اللباس، باب لبس الأحمر للرجال.

(٢) فتح الباري (٤/ ١٠٠).

(٣) عمدة القاري (٧/ ٢٦١).

صاحبه إلىٰ الحوض، ويقتضي شربه منه)[١]، ورواتب: (جمع راتبة من رتب إذا انتصب قائمًا، أي أن الأرض التي هو فيها من الجنة، فصارت القوائم مقرها الجنة، أو أنه سينقل إلىٰ الجنة)[٢].

وفي الحديث الخامس بيان لفضل مسجد الرسول ﷺ، فقد اختلف رجلان في المراد من المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم في قوله تعالىٰ: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]، فقال رجل: هو مسجد قباء؛ لأنه أسس قبل مسجد الرسول ﷺ، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ.

فقطع الرسول ﷺ هذا الخلاف بقوله: «**هو مسجدي هذا**».

قال السندي في حاشيته علىٰ «سنن النسائي»: (هذا نص في أن المراد بالمسجد المذكور في القرآن مسجده صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم لا مسجد قباء كما زعمه أصحاب التفسير؛ لكونه أوفق للقصة)[٣].

أما الحديث السادس فيحدد المساجد التي لا يجوز شدُّ الرحال إلا إليها، وهي مسجد النبي ﷺ، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصىٰ.

وبعضها يفوق بعضًا في الفضل، فيتقدمها بيت الله الحرام، ثم يليه مسجد الرسول ﷺ، ثم المسجد الأقصىٰ.

وقد أُخذ ترتيب الأفضلية هذا من كتاب الله الذي يقول: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ...﴾ [آل عمران: ٩٦]، ومن حديث رسول الله ﷺ الذي ورد عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي**

---

(١) فتح الباري (٤/ ١٠٠).

(٢) حاشية السندي علىٰ سنن النسائي (٢/ ٣٦).

(٣) السابق، الموضع نفسه.

هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[(١)].

ويعرض الحديث السابع لمشهد طريف ومؤثر للحسن والحسين وهما ما يزالان طفلين صغيرين في أول عهدهما بالمشي يَدْرُجان نحو جدهما في المسجد يعثران ويقومان، فتأخذه الشفقة بهما، فيقطع خطبته، وينزل فيحملهما، ويصعد بهما المنبر ويقول: «**صدق الله** ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، **رأيت هذين فلم أصبر**»، ثم يعود إلىٰ خطبته.

تلك أخلاق النبي الرحيم ﷺ الذي وصف ربه ﷻ إرساله للناس بأنه رحمة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

روىٰ الحاكم في المستدرك عن عروة بن الزبير عن أبيه أن رسول الله ﷺ قبَّل حسنًا، وضمه إليه، وجعل يشمه، وعنده رجل من الأنصار، فقال الأنصاري إن لي ابنًا قد بلغ ما قبَّلته قط، فقال رسول الله ﷺ: «**أرأيت إن كان الله نزع الرحمة من قلبك، فما ذنبي؟**»[(٢)].

❁ ❁ ❁

قال ﷺ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»، واستخدام «ما» والتنكير في «**روضة**» يفيدان العموم، وتفيد «**من**» التبعيض، وقد عدل عن جمع روضة علىٰ روضات، واستخدم «**رياض**» (فِعال) لإفادة التكثير.

وقد ورد عن بعض الشراح احتمال إرادة المجاز، وعلىٰ هذا يكون (قوله: «**روضة من رياض الجنة**»، أي: كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من ملازمة حلق الذكر، لا سيما في عهده ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠) أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم (١٣٩٤) كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٨٦) برقم (٤٧٩٣).

فيكون تشبيهًا بغير أداة، أو المعنىٰ أن العبادة فيها تؤدي إلىٰ الجنة)[1].

وقال ﷺ في الحديث الرابع: «**إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة**» وهذا تأكيد لفضل المنبر، إذ تنتصب قوائمه في الجنة، وقد عدَّ البعضُ ذلك حقيقة لا مجازًا، وجعله من خصائص النبي ﷺ[2]. وعلىٰ إرادة المجاز يكون المراد أيضًا أن التعبد عند المنبر يؤدي بصاحبه إلىٰ الجنة، وقد أكد الرسول ﷺ حديثه باستخدام اسم الإشارة «**هذا**».

ويؤكد الحديث الخامس أن مسجد الرسول ﷺ هو المراد بالمسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ، فيستخدم النبي أسلوب القصر بضمير الفصل «**هو**» فيقول: «**هو مسجدي**»، ويزيد العبارة تأكيدًا باسم الإشارة «**هذا**».

وفي الحديث السادس يرد النهي الحقيقي عن شد الرحال إلىٰ المساجد «**لا تشد الرحال**»، وهو كناية عن التجهز للسفر والرحلة، ثم يعدد النبي ﷺ المساجد التي تجوز الرحلة إليها فيقول: «**مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصىٰ**».

وقوله: «**مسجد الحرام، ومسجد الأقصىٰ**»، من باب (إضافة الموصوف إلىٰ الصفة، وقد جوزه الكوفيون، واستشهدوا له بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ [القصص: ٤٤]، والبصريون يؤولونه بإضمار المكان أي الذي بجانب المكان الغربي، ومسجد المكان الأقصىٰ ونحو ذلك)[3].

وفي الحديث السابع يعلل النبيُّ ﷺ لقطعه الخطبة ونزوله لحمل الحسن والحسين ـ بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] ويقول:

---

(١) فتح الباري (٤/ ١٠٠).

(٢) انظر: فيض القدير (٤/ ٥٢٨).

(٣) فتح الباري (٣/ ٦٤).

«**رأيت هذين فلم أصبر**» واستخدام اسم الإشارة «**هذين**» لتعيين الحسن والحسين فيه إيحاء بذلك الحب الكبير الذي يمتلئ به قلب النبي لهما، واستخدام الفاء في «**فلم أصبر**» للدلالة علىٰ سرعة رد الفعل من قبل النبي ﷺ، والمضارع «**أصبر**» دال علىٰ الاستمرار والتجدد.



في حُبِّ الْمَدينة

٨ـ «اللهم حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أو أَشَدَّ»:

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: لَمَّا قَدِمَ رسول اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وُعِكَ[١] أبو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، قالت: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فقلت: يا أَبَتِ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟

قالت: فَكَانَ أبو بَكْرٍ إذا أَخَذَتْهُ الْحُمَّىٰ يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ[٢] في أهلِهِ ... والمَوتُ أَدْنَىٰ من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بِلَالٌ إذا أَقْلَعَ عنه، يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هل أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ[٣]

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[٤]

قالت عَائِشَةُ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فقال: **«اللهم حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أو أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لنا في صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا، فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ»**[٥].

٩ـ «فَتَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ»:

عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في رُؤْيَا النبي ﷺ في الْمَدِينَةِ: **«رأيت امْرَأَةً**

---

(١) أصابه الوعك، أي الحمىٰ.

(٢) معرض للإصابة بالموت صباحًا.

(٣) نباتان يكثران بمكة.

(٤) مجنة: موضع علىٰ أميال من مكة، وشامة وطفيل: جبلان، أو عينا ماء يقرب مكة.

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٢٦) كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي وأصحابه المدينة.

سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ من الْمَدِينَةِ حتىٰ نَزَلَتْ بِمَهْيَعَةَ، فَتَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلىٰ مَهْيَعَةَ، وَهِيَ الْجُحْفَةُ»[١].

١٠ - «حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة»:

عن عبد اللهِ بن زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «أَنَّ إبراهيم حَرَّمَ مَكَّةَ، وَدَعَا لها، وَحَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كما حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَدَعَوْتُ لها في مُدِّهَا وَصَاعِهَا[٢]، مِثْلَ ما دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَكَّةَ»[٣].

١١ - «هذا جبل يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»:

«عن عَمْرِو بن أبي عَمْرٍو مولىٰ الْمُطَّلِبِ بن عبد اللهِ بن حَنْطَبٍ، أَنَّهُ سمع أَنَسَ ابن مَالِكٍ يقول: قال رسول اللهِ ﷺ لِأَبِي طَلْحَةَ: «الْتَمِسْ لنا غُلَامًا من غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي» فَخَرَجَ بِي أبو طَلْحَةَ يُرْدِفُنِي وَرَاءَهُ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُلَّمَا نَزَلَ[٤]، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» فلم أَزَلْ أَخْدُمُهُ، حتىٰ أَقْبَلْنَا من خَيْبَرَ، وَأَقْبَلَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قد حَازَهَا، فَكُنْتُ أَرَاهُ يُحَوِّي وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ أو كِسَاءٍ، ثُمَّ يُرْدِفُهَا وَرَاءَهُ، حتىٰ إذا كنا بِالصَّهْبَاءِ صَنَعَ حَيْسًا في نِطَعٍ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَدَعَوْتُ رِجَالًا فَأَكَلُوا، وكان ذلك بِنَاءَهُ بها، ثُمَّ أَقْبَلَ حتىٰ بَدَا له أُحُدٌ، قال: «هذا جبل يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»، فلما أَشْرَفَ علىٰ الْمَدِينَةِ

---

(١) أخرجه البخاري(٧٠٣٩) كتاب التعبير، باب المرأة السوداء، والترمذي (٢٢٩٠) كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ، وابن ماجة (٣٩٢٤) كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا.

(٢) المد من المكاييل لأنه يمد المكيل بالمكيل مثله. معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٦٩)، والصاع مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد يذكر ويؤنث. لسان العرب (٨/ ٢١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٩) كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ومده، ومسلم (١٣٦٠) كتاب الحج، باب فضل المدينة.

(٤) من هذا الموضع حتىٰ قوله: «وكان ذلك بناءه بها» ليس في رواية مسلم.

قال: **اللهم إني أُحَرِّمُ ما بين جَبَلَيْهَا، مِثْلَ ما حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللهم بَارِكْ لهم في مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ**»[١].

١٢ ـ «وَإني أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ»:

عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قال: كان الناس إذا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جاؤوا بِهِ إِلىٰ النبي ﷺ، فإذا أَخَذَهُ رسول اللهِ ﷺ قال: «**اللهم بَارِكْ لنا في ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لنا في مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لنا في صَاعِنَا، وَبَارِكْ لنا في مُدِّنَا، اللهم ان إبراهيم عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإني عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإني أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ ما دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ معه**»، قال: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ له فَيُعْطِيهِ ذلك الثَّمَرَ[٢].

١٣ ـ «لآمُرَنَّ بِنَاقَتِي تُرْحَلُ»:

عن يحيىٰ بن أبي إسحاق أَنَّهُ حَدَّثَ عن أبي سَعِيدٍ مولىٰ الْمَهْرِيِّ، أنه أَصَابهم بِالْمَدِينَةِ جَهْدٌ وَشِدَّةٌ، وأنه أتىٰ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فقال له: إني كَثِيرُ الْعِيَالِ، وقد أَصَابَتْنَا شِدَّةٌ، فَأَرَدْتُ أن أَنْقُلَ عِيَالِي إلىٰ بَعْضِ الرِّيفِ، فقال أبو سَعِيدٍ: لَا تَفْعَلْ، الْزَمْ الْمَدِينَةَ، فَإِنَّا خَرَجْنَا مع نَبِيِّ اللهِ ﷺ ـ أَظُنُّ أَنَّهُ قال: حتىٰ قَدِمْنَا عُسْفَانَ ـ فَأَقَامَ بها لَيَالِيَ، فقال الناس: والله ما نَحْنُ هَا هُنَا في شَيْءٍ، وَإِنَّ عِيَالَنَا لَخُلُوفٌ، ما نَأْمَنُ عليهم، فَبَلَغَ ذلك النبي ﷺ، فقال: «**ما هذا الذي بَلَغَنِي من حَدِيثِكُمْ ـ ما أَدْرِي كَيْفَ قال ـ وَالَّذِي أَحْلِفُ بِهِ، أو وَالَّذِي نَفْسِي بيده لقد هَمَمْتُ أو إن شِئْتُمْ ـ لا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قال ـ لآمُرَنَّ بِنَاقَتِي تُرْحَلُ، ثُمَّ لا أَحُلُّ لها عُقْدَةً حتىٰ أَقْدَمَ الْمَدِينَةَ**»، وقال: «**اللهم إن إبراهيم حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا،**

---

(١) أخرجه البخاري(٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، ومسلم (١٣٦٥) كتاب الحج، باب فضل المدينة.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧٣) كتاب الحج، باب فضل المدينة، والترمذي (٣٤٥٤) كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا رأىٰ الباكورة من الثمر، وقال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن صحيح.

وَإني حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا ما بين مَأْزِمَيْهَا[١]، أن لا يُهْرَاقَ فيها دَمٌ، ولا يُحْمَلَ فيها سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، ولا تُخْبَطَ فيها شَجَرَةٌ إلا لِعَلْفٍ، اللهم بَارِكْ لنا في مَدِينَتِنَا، اللهم بَارِكْ لنا في صَاعِنَا، اللهم بَارِكْ لنا في مُدِّنَا، اللهم بَارِكْ لنا في صَاعِنَا، اللهم بَارِكْ لنا في مُدِّنَا، اللهم بَارِكْ لنا في مَدِينَتِنَا، اللهم اجْعَلْ مع الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بيده ما من الْمَدِينَةِ شِعْبٌ ولا نَقْبٌ إلا عليه مَلَكَانِ يَحْرُسَانها، حتىٰ تَقْدَمُوا إِلَيْهَا» ثُمَّ قال لِلنَّاسِ: «ارْتَحِلُوا» فَارْتَحَلْنَا، فَأَقْبَلْنَا إلىٰ الْمَدِينَةِ، فَوَالَّذِي نَحْلِفُ بِهِ أو يُحْلَفُ بِهِ ـ الشَّكُّ من حَمَّادٍ ـ ما وَضَعْنَا رِحَالَنَا حين دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ حتىٰ أَغَارَ عَلَيْنَا بَنُو عبد اللهِ بن غَطَفَانَ، وما يَهِيجُهُمْ قبل ذلك شَيْءٌ[٢].

❁ ❁ ❁

١٤ ـ «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى»:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَىٰ، يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي الناس، كما يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»[٣].

١٥ ـ «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ من رَبِّي»:

عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ بِوَادِي الْعَقِيقِ[٤] يقول: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ من رَبِّي، فقال: صَلِّ في هذا الْوَادِي الْمُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةً في حَجَّةٍ**»[٥].

---

(١) المأزِم بهمزة بعد الميم، وبكسر الزاي، وهو الجبل، وقيل المضيق بين الجبلين ونحوه، والأول هو الصواب هنا، ومعناه: ما بين جبليها. شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (٩/ ١٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧٤) كتاب الحج، باب الترغيب في سكنىٰ المدينة.

(٣) أخرجه البخاري(١٨٧١) كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، ومسلم(١٣٨٢) كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها.

(٤) وادٍ علىٰ بعد أربعة أميال من المدينة بعد البقيع.

(٥) أخرجه البخاري (١٥٣٤) كتاب الحج، باب: قول النبي ﷺ: العقيق واد مبارك، =

كشعور أي غريب يفارق وطنه وأهله فراق المضطر كان شعور النبي وأصحابه أول قدومهم المدينة، آلَمهم فراق مكة، وتفجرت مشاعر الغربة في نفوسهم.

يستوحش الصِّدِّيق الرقيق ورفيقه بلال المدينة، وتؤرقهما ذكريات الوطن الحبيب في مكة، وتلح عليهما مراتع الصبا والشباب في بطحائها.

لقد فارقا الأهل، وأُرغما علىٰ ترك الديار، إنهما الآن في قرية أخرىٰ لم يعتادا بيئتها، ولم يألفا أرضها ولم يستمرئا حُمَّاها.

هاجتهما حمىٰ المدينة، فانطلقت ألسنتهما تلهج بذكريات وديان مكة وإذخرها ومياهها وجبالها، يتساءلان هل يدركهما الموت قبل أن يعودا لتلك الربوع، أو يمتع الله أعينهما برؤيتها مرة أخرىٰ؟

كان أبو بكر إذا أخذته الحمىٰ يقول:

كُلُّ امرِئٍ مُصَبَّحٌ في أهلِهِ ... والمَوتُ أَدْنَىٰ من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال ينشد إذا أفاق من الحمىٰ:

ألا لَيْتَ شِعْرِي هل أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

ويشفق النبي ﷺ علىٰ أصحابه؛ فيرفع كفيه إلىٰ السماء ويدعو ربه أن يرزقهم حب المدينة، وأن ينقل حماها إلىٰ الجحفة.

قال ﷺ: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصحِّحها، وبارك لنا في صاعها ومُدها، وانقل حماها، فاجعلها بالجحفة**».

وقد استجاب الله دعاء نبيه، فصارت المدينة أحب إلىٰ قلوب النبي

= وأبو داود (١٨٠٠) كتاب المناسك، باب في الإقران، وابن ماجة (٢٩٧٦) كتاب المناسك، باب التمتع بالعمرة إلىٰ الحج.

وأصحابه من أي مكان آخر، وصحح الله جوَّها بعد أن كانت بلد وباء، ونقلت حماها إلىٰ الجحفة وهي موضع بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل مصر الآن وكان أهلها ـ كما جاء في عمدة القاري: (يهودًا شديدي الإيذاء والعداوة للمؤمنين، فلذلك دعا عليهم، وأراد الخير لأهل الإسلام)[١].

وفي الحديث التاسع يرىٰ النبي في الرؤيا امرأة ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتىٰ نزلت بالجحفة، ففسرها بأن وباء الحمىٰ نقل من المدينة إلىٰ الجحفة، وهو ما تحقق بعد دعاء النبي ﷺ.

وكما حرَّم إبراهيم مكة ودعا لها ـ حرم النبي ﷺ كما جاء في الأحاديث العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر المدينة، ودعا لها بالبركة.

وجزم ـ كما جاء في الحديث الحادي عشر ـ بأن جبل أحد يحب المسلمين كما يحبونه، وتلك هي أسمىٰ صور الحب، تلك التي يصير الجماد فيها كائنا حيًّا تتحرك المشاعر في ذراته، ويبادل محبيه الحب، ويهفو لرؤيتهم كما يتشوفون لرؤيته، ويتحدث إليه النبي ﷺ فيفهم عنه ويعي.

لقد بلغ حب الرسول وأصحابه للمدينة أن عشقوا أرضها وعشقتهم، فكان الرسول ﷺ يقول عن جبل أحد: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**».

وصعد النبي ﷺ جبل أحد ـ كما يروي البخاري وغيره ـ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان: «**فرجف بهم، فقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[٢].

ووصف الرسول ﷺ المدينة في الحديث الرابع عشر بأنها قرية تأكل القرىٰ، أي تفتحها وتغلبها، وقد كره النبي تسميتها يثرب، قيل لأن التثريب

---

(١) عمدة القاري (٢١/ ٢١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) كتاب فضائل الصحابة، باب لو كنت متخذًا خليلًا.

هو (التوبيخ والملامة، أو من الثرب وهو الفساد، وكلاهما مستقبح)[١].

كما ذكر ﷺ أنها تنفي وتبعد شرار الخلق عنها، كما تنفي النار خبث الحديد فيصير نقيًّا خالصًا.

إنها طيْبة الطَّيِّبَةُ التي لا تقبل إلا الطيبين، ولا يتنفس هواءها خبيث، إنها تنفي عنها كل خبث، وتطهر نفسها من كل دنس.

ورد في موطأ مالك أن عمر بن عبد العزيز حين خرج من المدينة التفت إليها فبكىٰ ثم قال: (يا مزاحم، أتخشىٰ أن نكون ممن نفت المدينة)[٢].

وقد شملت البركة أرض المدينة وما حولها من وديان وجبال كما ذُكر في الحديث الخامس عشر إذ أُمر النبيّ ﷺ أن يصلِّي في وادي العقيق، وقيل له: «**صلِّ في هذا الوادي المبارك**».

۞ ۞ ۞

يقول النبي ﷺ: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد**»، والأوامر «**حبب ـ صحح ـ بارك ـ انقل ـ اجمع**»، غرضها الدعاء، وقُدِّم شبه الجملة الجار والمجرور «**إلينا ـ لنا**» للتخصيص، واسم التفضيل «**أشد**» ورد بلا مفضل عليه لإفادة العموم.

و«**صاعها ومدها**» مجاز مرسل علاقته المحلِّيّة.

«**وانقل حمَّاها**» نسبة الحمىٰ إلىٰ المدينة توحي بمدىٰ ثقل الوباء وتغلغله بها.

ويشير الحديث التاسع إلىٰ شدة الحمىٰ وانتشار أذاها في رؤيا النبي ﷺ

(١) فتح الباري (٤/ ٨٧).

(٢) أخرجه مالك (١٥٧٥) (٢/ ٨٨٩)، كتاب الجامع، باب ما جاء في سكنىٰ المدينة والخروج منها.

للحمىٰ في منامه كأنها امرأة سوداء ثائرة الرأس؛ كما يشير إلىٰ انتقال الحمىٰ إلىٰ الجحفة في قوله: «**خرجت من المدينة حتىٰ نزلت بمهيعة**».

وقول النبي ﷺ: «**فتأولتها أن وباء المدينة نقل**» هو تأكيد علىٰ صدق رؤىٰ الأنبياء وحتمية تحققها.

وفي الحديث العاشر يقارن النبي ﷺ بين تحريم إبراهيم عليه السلام لمكة ودعائه لها، وتحريمه هو للمدينة ودعائه لها؛ ليؤكد علىٰ حرمة المدينة وقدسيتها، ومنزلتها العالية بين حواضر الإسلام باعتبارها المدينة الثانية الحرام بعد مكة.

وفي قول النبي ﷺ عن أُحُد: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**» يأتي استخدام الجملة الاسمية مقصودًا لتوكيد الخبر، كما أن المضارع «**يحبنا ونحبه**» يفيد الاستمرار والتجدد، والراجح أن النبي لم يرد المجاز في حديثه عن حب الجبل للمسلمين، وإنما أراد الحقيقة، ويؤكد ذلك حديث أُحد مع النبي وصحابته الثلاثة الذي سقته آنفًا، وحديث الجذع.

وكما استخدم النبيُّ في حديثه عن المدينة ضمير الغائب: «**في مدها وصاعها**» «**في مدهم وصاعهم**» استخدم أيضًا ضمير المتكلم الجمعي: «**في ثمرنا، في مدينتنا، في صاعنا، في مُدِّنا**» ليؤكد أنه ﷺ والمسلمين صاروا من أهل المدينة، وصارت المدينة وطنهم الأول.

وقوله ﷺ: «**ما هذا الذي بلغني من حديثكم؟**» استفهام انكاري.

والقسم في قوله ﷺ: «**والذي أحلف به**»، وقوله: «**والذي نفسي بيده**» كنايتان عن موصوف هو الله سبحانه وتعالى.

والأول تأكيد علىٰ عدم جواز الحلف بغير الله، والثاني ترسيخ لحقيقة إيمانية هي أن الله وحده هو الذي يملك أزمَّة النفوس. والقسم الثاني كان أحب الأقسام إلىٰ النبي ﷺ، وقد تكرر في أحاديثه أكثر بكثير مما تكرر غيره

من الأقسام.

قال ابن حجر: (والذي نفسي بيده: فيه تأكيد القول باليمين، فيكون أدعىٰ إلىٰ القبول وقد حُفظ عن النبي ﷺ الحلف به في أكثر من ثمانين موضعًا، قاله ابن القيم في الهدي)[(١)].

«**لقد هممت أو إن شئتم**» كلا التعبيرين يدل علىٰ أن النبي كان علىٰ وشك أن يعزم علىٰ الفعل لكنه لم يفعل. لكنَّ عزم النبي علىٰ الفعل ليس كعزم غيره، فهو أصدق البشر عزمًا. والعبارتان فيهما إشعار بغضب النبي مما قاله بعض الصحابة.

«**لآمرن بناقتي فترحل**» الفعل المضارع مصدر بلام القسم ومختوم بنون التوكيد، والفاء في «**فترحل**» للدلالة علىٰ السرعة، وهو تأكيد علىٰ صدق العزم.

«**ثم لا أحل لها عقدة حتىٰ أقدم المدينة**» كناية عن الرحيل الدائم بلا توقف، وفي التعبير إيحاء بشوق النبي ﷺ الشديد للمدينة الذي يفوق شوق أصحابه لها.

ويواصل رسول الله الدعاء للمدينة ـ كما فعل فيما سبق من أحاديث ـ فيدعو لها مرتين: «**اللهم اجعل مع البركة بركتين**»، ثم يقسم أنه «**ما من المدينة شعب ولا نقب إلا عليه ملكان يحرسانها حتىٰ تقدموا إليها**».

والشِّعب بكسر الشين هو الفرجة النافذة بين الجبلين، والنقب بفتح النون علىٰ المشهور الثقب في أي شيء، والمراد به هنا الطريق أو الموضع. وأراد الرسول ﷺ أن يستقصي كل موضع حول المدينة، وكل منفذ إليها.

والأسلوب أسلوب قصر أداتاه (ما) و(إلا): النفي والاستثناء، والغرض

---

(١) فتح الباري (٥/ ٣٣٦)، وانظر زاد المعاد (١/ ١٥٤)، (٣/ ٢٦٥).

منه الحصر والتوكيد.

وفي الحديث الرابع عشر يقول النبي ﷺ: «**أمرت بقرية تأكل القرىٰ، يقولون يثرب، وهي المدينة**». وفي قول الرسول ﷺ: «**أُمرت**» ببناء الفعل للمجهول ما يدل علىٰ أن مُهاجَرَه حدد له من قِبَل ربه، ولم يختره هو، وورد عند البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسىٰ عن النبي ﷺ: «**ورأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلىٰ أرض بها نخل، فذهب وهلي إلىٰ أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب...**»[(١)].

«**بقرية تأكل القرىٰ**» استعارة مكنية جعل النبي ﷺ فيها ظهور المدينة وسيطرتها علىٰ ما سواها من البلدان أكلًا لغيرها. نقل ابن حجر عن ابن بطال قوله: (هذا من فصيح كلام العرب، تقول العرب: أكلنا بلد كذا، إذا ظهروا عليها)[(٢)].

«**يقولون يثرب**»: في التعبير السابق ما ينم عن عدم رضا النبي عن هذا القول ويؤيده قوله ﷺ بعده: «**وهي المدينة**» وهو أسلوب قصر طريقه استخدام ضمير الفصل، وغرضه التوكيد والحصر.

«**تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد**»: تشبيه تمثيل شبه النبي ﷺ فيه نفي المدينة لشرار الخلق بنفي زق الحدَّاد لخبث الحديد، (والمراد أنها لا ينزل فيها من في قلبه دَغَل، بل يميزه عن القلوب الصادقة ويخرجه، كما يميّز الحداد رديء الحديد من جيده، ونسب التمييز للكير لكونه السبب الأكبر في إشعال النار التي يقع بها التمييز)[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٢) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٢٢٧٢) كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، وغيرهما.

(٢) فتح الباري (٤/ ٨٧).

(٣) عمدة القاري (١٠/ ٢٣٥).

قال رسول الله ﷺ: «**أتاني الليلة آتٍ من ربِّي**».

الآتي هو جبريل أمين الوحي، وشبه الجملة «**من ربي**» صفة للآتي في محل رفع، وهي صفة تخلع علىٰ الآتي مزيدًا من القدسية والجلال.

«**فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك**»: الأمر بالصلاة في مكان محدد بيان لقدسيته، وعظيم بركته، والإشارة إلىٰ الوادي للتعيين والتوكيد، ووصفه بالمبارك دليل علىٰ أن دعاء النبي للمدينة بالبركة قد استجيب.

«**وقل عمرة في حجة**»: يعني أن العمرة داخلة في الحج، وهو ما يسمىٰ بالقران، وجاء في رواية أخرىٰ للبخاري: «**وقل عمرة وحجة**» وأنشأ الاختلاف في الروايتين خلافًا بين الفقهاء في حقيقة حجة النبي ﷺ هل كانت تمتعًا أو قِرانًا.

قال ابن الجوزي في كشف المشكل: (وهذا الحديث يحتج به الحنفيون؛ لأن القِران عندهم أفضل، وقد أجيبوا أن في بعض ألفاظه الصحيحة عمرة وحجة، علىٰ أن لفظة «**في**» قد تكون بمعنىٰ مع، ثم هو محمول علىٰ معنىٰ تحصيلهما جميعًا؛ لأن عمرة المتمتع واقعة في أشهر الحج)[1].



(١) كشف المشكل (١/ ١١٢).

غزوتا «بدرٍ» و«أُحُد»

١٦ - «لَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»:

عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ، عن عَائِشَةَ زَوْج النبي ﷺ أنها قالت: خَرَجَ رسول اللهِ ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ، فلما كان بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ[١]، أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قد كان يُذْكَرُ منه جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رسول اللهِ ﷺ حين رَأَوْهُ، فلما أَدْرَكَهُ قال لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ، وَأُصِيبَ مَعَكَ، قال له رسول اللهِ ﷺ: «**تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟**» قال: لَا، قال: «**فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**»، قالت: ثُمَّ مَضَىٰ، حتىٰ إذا كنا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فقال له كما قال أَوَّلَ مَرَّةٍ، فقال له النبي ﷺ كما قال أَوَّلَ مَرَّةٍ، قال: «**فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**»،[٢] قال: ثُمَّ رَجَعَ، فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فقال له كما قال أَوَّلَ مَرَّةٍ: «**تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟**» قال: نعم، فقال له رسول اللهِ ﷺ: «**فَانْطَلِقْ**»[٣].

❁ ❁ ❁

خرج المسلمون إلىٰ بدر، قلة يربط بين قلوبها الإيمان، تهددها بالمحق كثرة من جحافل الكفر أتت مغرورة مستعلية تظن أنها قادرة علىٰ النصر لا محالة، وأنه آن الأوان لوأد هذه الفتنة، وإسكات هذا الصوت المزعج الذي هدد سطوتهم ومكانتهم بين العرب.

---

(١) حرة الوبرة: موضع علىٰ نحو أربعة أميال من المدينة.

(٢) هنا انتهت رواية الترمذي.

(٣) أخرجه مسلم (١٨١٧) كتاب الجهاد والسير، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، والترمذي (١٥٥٨) كتاب السير، باب ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين، هل يسهم لهم؟

وكره بعض المؤمنين الخروج، وودوا لو أنهم سطوْا علىٰ عير قريش، ولم ينتدبوا للنفير، ولم يضطروا للقتال، لكن الركب مضىٰ في طريقه إلىٰ بدر بقيادة محمد ﷺ.

وفي ظل تلك الأحوال، وبينما المسلمون يجتاحهم الأمل والرجاء في النصر، وشيء من الخوف أن تَهلك هذه العصابة المؤمنة ـ مضىٰ النبي ﷺ رابط الجأش، واثقًا من عون الله وتأييده، بعزيمة صلبة لا تلين، ومبدأ لا تزعزعه الأنواء، وعقيدة لا تؤثر فيها الحوادث.

ويضع الرسول ﷺ في الحديث السابق قاعدة في فقه الجهاد في الإسلام وهي أنه لا يجوز الاستعانة بالمشركين في الجهاد، فقد لحقه بحرة الوبرة وهو في طريقه إلىٰ بدر ـ رجل من مشركي المدينة اشتهر بالشجاعة والجرأة حتىٰ إن أصحاب الرسول ﷺ لما رأوه فرحوا بمقدمه، غير أن الرسول ﷺ سأله: «**أتؤمن بالله ورسوله؟**» قال: لا، قال: «**فارجع؛ فلن أستعين بمشرك**»، ثم لحقه بالشجرة فسأله ذات السؤال فأجاب بالنفي، فأمره بالرجوع، ثم لحقه بالبيداء فسأله كما سأله أول مرة: «**تؤمن بالله ورسوله**»، قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «**فانطلق**».

وهكذا نرىٰ أن الرسول ﷺ رغم قلة عدد المسلمين وعدتهم رفض أن يستعين بمشرك علىٰ الجهاد في أول غزوة غزاها وهي غزوة بدر.

لكن من الثابت أيضًا أن رسول الله ﷺ استعان بصفوان بن أمية وهو ما يزال علىٰ الشرك في غزوة حنين، فكيف يُفسَّر هذا الأمر؟

قال الإمام النووي: (فأخذ طائفة من أهل العلم بالحديث الأول علىٰ إطلاقه، وقال الشافعي وآخرون: إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين، ودعت الحاجة إلىٰ الاستعانة به استعين به، وإلا فيكره، وحمل الحديثين

علىٰ هذين الحالين)[١].

۞ ۞ ۞

قول الرسول ﷺ: «**تؤمن بالله ورسوله**» استفهام بدون أداة يوحي بتركيز الرسول علىٰ قضية الإيمان بالله والرسول باعتبارها أول ما يطلب ممن يريد أن ينخرط في الجماعة المسلمة، ويشارك في سرائها وضرائها.

وقوله: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**» فيه قطع لأمر الاستعانة بالمشركين لا يحتمل التردد، بدءًا من الأمر المبدوء بالفاء، ثم لن الدالة علىٰ النفي القاطع، إلىٰ المضارع «**أستعين**» الدال علىٰ الاستمرار.

ومع تكرار عبارة «**تؤمن بالله ورسوله**» ثلاث مرات بدا أن الرجل مصمم علىٰ المشاركة في القتال، وبدا أن نفسه المتأرجحة بين الكفر والإيمان قد وصلت إلىٰ لحظة الحسم باختيار الإيمان بالله ورسوله، ومن ثم كان أمر الرسول ﷺ المفتتح بالفاء «**فانطلق**».

۞ ۞ ۞

١٧ - «إِنَّ هذا السَّيْفَ ليس لي ولا لك»:

عن مُصْعَبِ بن سَعْدٍ عن أبيه قال: جِئْتُ إلىٰ النبي ﷺ يوم بَدْرٍ بِسَيْفٍ، فقلت: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ قد شَفَىٰ صَدْرِي الْيَوْمَ من الْعَدُوِّ، فَهَبْ لي هذا السَّيْفَ، قال: «**إِنَّ هذا السَّيْفَ ليس لي ولا لك**»، فَذَهَبْتُ وأنا أَقُولُ: يُعْطَاهُ الْيَوْمَ من لم يُبْلِ بَلَائِي، فَبَيْنَمَا أنا إِذْ جَاءَنِي الرَّسُولُ فقال: أَجِبْ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ نَزَلَ في شَيْءٌ بِكَلَامِي، فَجِئْتُ، فقال لي النبي ﷺ: «**إِنَّكَ سَأَلْتَنِي هذا السَّيْفَ، وَلَيْسَ هو لي ولا لك، وَإِنَّ اللهَ قد جَعَلَهُ لي فَهُوَ لك**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

---

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٢/ ١٩٨).

﴿ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ إِلىٰ آخِرِ الْآيَةِ [الأنفال: ١][(١)].

❁ ❁ ❁

كانت الفرحة تملأ صدر سعد بن أبي وقاص بهذا النصر المؤزر علىٰ أعداء الله في بدر فهو يشعر أن الله شفىٰ صدره من هؤلاء المجرمين الذين لم يرعوا في مسلم إلًّا ولا ذمة.

وكان سعد قد غنم يوم بدر سيفًا، فأتىٰ به رسول الله ﷺ طالبًا منه أن يهبه إياه، ولكن الرسول ﷺ لم يمنحه له؛ بل قال: «**إن هذا السيف ليس لي ولا لك**».

وأصيب سعد بشيء من الإحباط، وانصرف من عند الرسول وهو يشعر أنه قد غبن، وأن غيره ممن لم يُبْلِ بلاءه في الحرب قد يُعطَىٰ هذا السيف، ولم تكن آيات الأنفال قد نزلت بعد، لتحسم الأمر في مسألة الغنائم،، فلما نزل قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، استدعىٰ رسول الله ﷺ سعدًا، فأسرع مشفقًا أن يكون نزل في شأنه قرآن يتلىٰ، فإذا الرسول ﷺ ينفله السيف قائلًا: «**إنك سألتني هذا السيف، وليس هو لي ولا لك، وإن الله قد جعله لي فهو لك**».

❁ ❁ ❁

يبدأ الكلام بجملة اسمية مثبتة مؤكدة بـ(إن)، «**إن هذا السيف ليس لي ولا لك**». ثم ينفي الرسول ملكية السيف عن نفسه أولًا ليقطع طريق الهبة، ثم ينفي ملكيته عن سعد.

وتكرار النفي يؤكد أنه لا مجاملة في الحق، ولا تفريط في حقوق الله،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٤٠) كتاب الجهاد، بَاب في النَّفَلِ، والترمذي (٣٠٧٩) كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنفال.

فالنبي القائد لا يملك أن يهب سيفًا لخاله إلا أن يأذن الله.

فلما أُذن للنبي استدعىٰ سعدًا وقال له: «**إنك سألتني هذا السيف، وليس هو لي ولا لك، وإن الله قد جعله لي فهو لك**».

الجملة الأولىٰ اسمية أيضًا مثبتة مؤكدة بـ(إن)، وجملة «**وليس هو لي ولا لك**» جملة حالية.

«**فهو لك**»: أسلوب قصر باستخدام الضمير المنفصل؛ بغرض الحصر والتوكيد.

وليس بخافٍ ذلك الإيقاع الجميل الهادئ بين الجملتين: «**ولا لك**»، «**فهو لك**»، وما أنشأه تكرار شبه الجملة «**لك**» من إيحاء بتلك العلاقة الحميميّة بين الرسول ﷺ وسعد.

❁ ❁ ❁

١٨ - «ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ منهم»:

عن أبي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَمَرَ يوم بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا من صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا في طَوِيٍّ[1] من أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وكان إذا ظَهَرَ علىٰ قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فلما كان بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ، فَشُدَّ عليها رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَىٰ وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: ما نَرَىٰ يَنْطَلِقُ إلا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حتىٰ قام علىٰ شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «**يا فُلَانُ بن فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بن فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فإنا قد وَجَدْنَا ما وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ قال: فقال عُمَرُ: يا رَسُولَ اللهِ، ما تُكَلِّمُ من أَجْسَادٍ لا أَرْوَاحَ لها، فقال رسول اللهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده، ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ منهم**» قال قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمْ الله حتىٰ

---

(١) الطَوِيُّ: البئر المطوية.

أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا ونقمة وَحَسْرَةً وَنَدَمًا[١].

❀ ❀ ❀

يعرض الحديث لمشهد الانتصار العظيم في بدر، حين وضعت الحرب أوزارها، وأمر النبي ﷺ بإلقاء جثث أربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش في بئر خبيث من آبار بدر ليكون مثواهم إلىٰ يوم البعث، ويصور نشوة المنتصرين وهم يحملون جثث صناديد قريش الذين طالما آذوهم وعذبوهم، ليلقوها في تلك البئر كما أمر الرسول ﷺ.

وقد ورد في أحاديث أخرىٰ أن قتلىٰ بدر من المشركين كانوا سبعين، فالراجح أن من أُلقوا في القليب كانوا الرؤساء منهم، بدليل قوله: من صناديد قريش.

فلما أتم الرسول ﷺ ببدر اليوم الثالث ـ قيل لأنه كان إذا ظهر علىٰ قوم أقام في ساحتهم ثلاثة أيام من باب تتبع الفلول ومنع الأمداد وبث الرعب ـ أمر براحلته فجهزت، ثم مشىٰ ومعه أصحابه إلىٰ شفير البئر، ووقف وقوف الشاكر لنعمة ربه، الممتن لوعده الذي تحقق فكلمهم وسائلهم، كما يكلم الأحياء، ونادىٰ الجثث التي جيفت بأسمائهم: «**يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان؛ أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟**»، فاندهش عمر رضي الله تعالىٰ عنه قائلًا للرسول ﷺ: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**».

ويثير هذا الحديث قضية صارت محلَّ خلاف بين العلماء فيما بعد، وهي مسألة إحساس الميت بمن يزوره، وسماعه لما يوجه إليه من حديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل.

وفي المسألة ثلاثة آراء:

رأي يقطع بعدم سماع الميت لما حوله اعتمادًا علىٰ قول الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وحمل هؤلاء ما جاء في الحديث علىٰ أنه خاص بأولئك، ويؤكده ما جاء في ختام الحديث من قول قتادة: أحياهم الله حتىٰ أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا.

ورأي يقرر أن الميت يسمع ما شاء الله له أن يسمع في أحوال مخصوصة بأن يحييه الله أو يحيي جزءًا منه ليعقل ويسمع في الوقت الذي يريده الله.

قال الإمام النووي: (قال المازري: قال بعض الناس: الميت يسمع، عملًا بظاهر هذا الحديث، ثم أنكره المازري، وادعىٰ أن هذا خاص في هؤلاء، وردّ عليه القاضي عياض وقال: يحمل سماعهم علىٰ ما يحمل عليه سماع الموتىٰ في أحاديث عذاب القبر وفتنته التي لا مدفع لها، وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون في الوقت الذي يريد الله هذا. وهو الظاهر المختار الذي يقتضيه أحاديث السلام علىٰ القبور، والله أعلم)[1].

ورأي ثالث يؤكد أن الميت يشعر بما حوله، ويسمع في الجملة ما لم يعرض له عارض كما يعرض للأحياء، لكنه لا يملك الرد، ولا القبول أو الامتثال.

❁ ❁ ❁

يخاطب النبي قتلىٰ بدر فيقول: **«يا فلان بن فلان»**، ورغم أن روايات أخرىٰ قد صرحت بالأسماء[2] إلا أن إهمال الراوي للأسماء والتكنية بفلان

---

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٧/ ٢٠٧).

(٢) مسلم في صحيحه (٢٨٧٤) وغيره.

ابن فلان تحمل ما تحمله من معاني التحقير والإهانة.

«**أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟**» استفهام إنكاري توبيخي فيه تقريع ولوم وتصغير، يعرِّج بعده علىٰ إثبات وعد الله بالجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بـ(إن)، والخبر المؤكد بـ (قد).

«**فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟**» استفهام تقريري، وفيه أيضًا لوم وإهانة وبيان لسوء المصير.

«**والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**» القسم الذي يحبه النبي، ويكرره كثيرًا، وفيه مطلق التسليم لأمر الله الذي يملك النفوس.

«**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**» أسلوب قصر بضمير الفصل، والباء. وفيه توكيد قاطع للنفي.

«**لما أقول**» تقديم شبه الجملة (لما) للتخصيص، وشبه الجملة الجار والمجرور (منهم) متعلق بأسمع.

❁ ❁ ❁

١٩ - «لو كان الْمُطْعِمُ بن عَدِيٍّ حَيًّا»

عن مُحَمَّدِ بن جُبَيْرٍ عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي ﷺ قال في أُسَارَىٰ بَدْرٍ: «**لو كان الْمُطْعِمُ بن عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي في هَؤُلَاءِ النَّتْنَىٰ، لَتَرَكْتُهُمْ له، وفي رواية لأبي داود: لأطلقتهم له**»[(١)].

❁ ❁ ❁

يضرب النبي ﷺ أعظم المثل في الوفاء لأصحاب الفضل، إذ لا ينسىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٩) كتاب الجهاد والسير، باب ما منَّ النبي علىٰ الأسارىٰ، وأبو داود (٢٦٨٩) كتاب الجهاد، بَاب في الْمَنِّ علىٰ الْأَسِيرِ بِغَيْرِ فِدَاءٍ.

من قدَّم له معروفًا في أيام حالكة حين حوصر هو وأصحابه وأهله في شعب أبي طالب ثلاث سنين فلم يفرِّجِ عنهم كربة هذا الحصار إلا شهامة المطعم ابن عدي وآخرين.

كان المطعم بن عدي قد (مات كافرًا في صفر قبل بدر بنحو سبعة أشهر، وكان قد أحسن السعي في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش في ألا يبايعوا الهاشمية والمطلبية، ولا يناكحوهم، وحصروهم في الشعب ثلاث سنين، فأراد النبي أن يكافئه، وقيل لما مات أبو طالب وخديجة خرج رسول الله ﷺ إلىٰ الطائف، فلم يلق عندهم خيرًا، ورجع إلىٰ مكة في جوار المطعم)[1].

صِنْف من الرجال الأفذاذ يستحق أن يكافأ بما صنع، يتذكر الرسول ﷺ صنيعه، وهو يعاين أسرىٰ بدر من المشركين، فيتمنىٰ لو أن المطعم بن عدي كان حيًّا فكلمه في هؤلاء الأسرىٰ فأطلقهم إكرامًا له.

وفيه ما يدل علىٰ أن للإمام أن يمنَّ علىٰ الأسارىٰ بغير فداء، وفيه أن علىٰ المسلم أن يرد ما أُسدِيَ إليه من أيادٍ عند الاستطاعة، وإن كانت من غير المسلم.

❁ ❁ ❁

يقول النبي: «**لو كان المطعم بن عدي حيًّا، ثم كلمني في هؤلاء النتنىٰ لتركتهم له**».

استخدام (لو) يفيد استحالة التحقق، فهو من قبيل التمني، واختيار المطعم ابن عدي دون غيره من عظماء قريش في الجاهلية فيه تكريم لشخصه ووفاء ليده.

ووصف النبي ﷺ لأسرىٰ قريش بالنتنىٰ فيه غاية التحقير لهم والإقلال

---

(١) عمدة القاري (١٥/ ٦٢).

من شأنهم لا لأشخاصهم، ولكن لشركهم، ومحاربتهم لله ورسوله.

«**لتركتهم له**» وفي رواية أبي داود: «**لأطلقتهم له**».

والفرق بين الترك والإطلاق أن الترك يكون لشيء لا تجتهد غالبًا في المحافظة عليه وحبسه، ولا يكون في تركه جهد ولا كبير معروف.

بينما الإطلاق لا يكون إلا لمحبوس أو مأسور، ويكون تسريحه معروفًا يُسدىٰ، ومنة تُؤدىٰ؛ ولذلك تبدو الرواية الثانية أقرب للمعنىٰ المراد.

❁ ❁ ❁

٢٠ ـ «فلا تَبْرَحُوا حتى أُرسِلَ إِلَيْكُمْ»:

عن أبي إسحاق، سمعت الْبَرَاءَ بن عَازِبٍ رضي الله عنهما يحدث، قال: جَعَلَ النبي ﷺ علىٰ الرَّجَّالَةِ يوم أُحُدٍ ـ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا ـ عَبْدَ اللهِ بن جُبَيْرٍ، فقال: «**إن رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هذا حتىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فلا تَبْرَحُوا حتىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»، فَهَزَمُوهُمْ، قال: فَأَنَا والله رأيت النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قد بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فقال أَصْحَابُ عبد اللهِ بن جُبَيْرٍ: الْغَنِيمَةَ، أَيْ قَوْمِ الْغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ، فما تَنْتَظِرُونَ؟ فقال عبد اللهِ بن جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ ما قال لَكُمْ رسول اللهِ ﷺ؟ قالوا: والله لَنَأْتِيَنَّ الناس، فَلَنُصِيبَنَّ من الْغَنِيمَةِ، فلما أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ[1] ... الحديث.

❁ ❁ ❁

يُبتلىٰ المسلمون في غزوة أحد بأعظم محنة، حين عصىٰ بعضهم رسول الله ﷺ، وخالفوا أوامره، وحرصوا علىٰ متاع الدنيا، فغادروا مواقعهم دون

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وأبو داود (٢٦٦٢) كتاب الجهاد، باب في الْكُمَنَاءِ.

إذنه ﷺ.

والحديث يصور فرح المسلمين بالنصر بادئ الأمر، والمشركون ينهزمون، ونساء المشركين يمعنَّ في الهرب خشية الوقوع في الأسر، فلا يفطنَّ لثيابهن المتكشفات من شدة الذعر، قد بدت خلاخلهن وسوقهن، وهن رافعات ثيابهن.

ويفصِّل موقف الرَّجالة حين ظنَّوا أن مصير المعركة قد حُسم لصالح المسلمين، وأنه لا بأس عليهم إن غادروا مواقعهم ليصيبوا من الغنيمة مع رفاقهم، ولم يسمعوا لتحذير أميرهم عبد الله بن جبير، وتذكيره لهم بما أمر به رسول الله ﷺ، فتركوا مواقعهم، فأتتهم الهزيمة من حيث لا يحتسبون، وأمعن الكفار فيهم قتلًا وجرحًا.

وفي الحديث ما لا يخفىٰ من الدروس والعبر أبرزها أنه لا مناص من طاعة القائد في المعركة، وتنفيذ أوامره بكل دقة، وأن المقاتلين في المعركة يمثلون منظومة واحدة متعددة الأركان إذا اختل منها ركن واحد عاد ذلك بالوبال علىٰ الجيش كله.

وفيه حنكة رسول الله ﷺ العسكرية، وبصره بمواقع القتال، وإدارة المعركة، وفنون الكر والفر.

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ موجهًا حديثه للرماة الرَّجالة: «**إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتىٰ أرسل إليكم**».

«**تخطفنا الطير**» كناية عن الهزيمة الماحقة، قال الداودي: (معناه إن قتلنا وأكلت الطير لحومنا فلا تبرحوا مكانكم)[1]، والإشارة إلىٰ المكان في قوله

(١) عمدة القاري (١٤/ ٢٨١).

«**مكانكم هذا**» للتأكيد علىٰ أهمية المكان، وخطورة مغادرته.

«**وإن رأيتمونا هَزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتىٰ أرسل إليكم**».

«**وأوطأناهم**» قال ابن التين: يريد مشينا عليهم وهم قتلىٰ علىٰ الأرض، وقال الكرماني: (الهمزة في أوطأناهم للتعريض أي جعلناهم في معرض الدوس بالقدم)[1]، فهي كناية عن الهزيمة الموجعة.

ولا يخفىٰ ما في تكرار جملة «**فلا تبرحوا حتىٰ أرسل إليكم**» في الحالين من نصر أو هزيمة ـ من تشديد في النهي عن مغادرة المكان الذي حدده الرسول ﷺ.

❁ ❁ ❁

٢١ ـ «لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ فِي نَفْسِهَا»:

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ ـ الْمَعْنَىٰ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ علىٰ حَمْزَةَ، وقد مُثِّلَ بِهِ، فقال: «**لَوْلا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ في نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حتىٰ تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ، حتىٰ يُحْشَرَ من بُطُونها**»، وَقَلَّتْ الثِّيَابُ، وَكَثُرَتْ الْقَتْلَىٰ، فَكَانَ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ يُكَفَّنُونَ في الثَّوْبِ الْوَاحِدِ.

زَادَ قُتَيْبَةُ: ثُمَّ يُدْفَنُونَ في قَبْرٍ وَاحِدٍ: فَكَانَ رسول اللهِ ﷺ يَسْأَلُ: أَيُّهُمْ أكثرهم قُرْآنًا؟ فَيُقَدِّمُهُ إلىٰ الْقِبْلَةِ[2].

❁ ❁ ❁

يمرُّ رسول الله ﷺ علىٰ عمه وأخيه في الرضاع حمزة بعد أن وضعت الحرب أوزارها، ويرىٰ عمه صريعًا قد مُثِّل به، فيقف علىٰ جثمانه وقد شفَّهُ

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٣٦) كتاب الجنائز، بَاب في الشَّهِيدِ يُغَسَّل، والترمذي (١٠١٦) كتاب الجنائز، باب ما جاء في قتلىٰ أحد وذكر حمزة.

الحزن والألم، كاظمًا غيظه، مشفقًا علىٰ عمته أخت حمزة، إنه يحب حمزة كما تحبه، لذلك كان يرجو أن يتركه لتأكله السباع، فيبعث يوم القيامة من بطونها، ليكون ذلك أبلغ له في الأجر، وأرفع في المنزلة، لكنه لم يفعل إكرامًا لها، ومراعاة لحزنها.

ويؤكد الحديث علىٰ شدة مصاب المسلمين في أحد، إذ بلغ عدد شهدائهم السبعين، ولم يكن عندهم ما يكفي من الثياب لتكفين هؤلاء جميعًا، فكان الرجل والرجلان والثلاثة يكفنون في الثوب الواحد.

روىٰ البخاري وغيره عن خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا علىٰ الله، فمنا من مضىٰ أو ذهب لم يأكل من أجره شيئًا، كان منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد فلم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غُطِّي بها رجلاه خرج رأسه، فقال النبي ﷺ: «**غطوا بها رأسه، واجعلوا علىٰ رجليه الإذخر**»، ومنا من أينعت ثمرته فهو يهدبها[(١)].

❁ ❁ ❁

قال ﷺ: «**لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتىٰ تأكله العافية، حتىٰ يحشر من بطونها**».

«**لولا أن تجد**» الفعل وجد له عدة معان منها: وجد الشيء يجده أي حصَّله، ويقال: وجدت في المال أي صرت ذا مالٍ، ووجد عليه أي غضب، ووجد به وجدًا في الحب، يقال: إنه ليجد بفلانة وجدًا إذا كان يهواها، ووجد الرجل في الحزن وجدًا أي حزن[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٢) كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، ومسلم (٩٤٠) كتاب الجنائز، باب في كفن الميت.

(٢) انظر: لسان العرب (٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦).

والمعنىٰ الأخير هو المراد في الحديث.

«**لتركته حتىٰ تأكله العافية**» والعافية من الدواب والطير طلاب الرزق تقع علىٰ الجيف فتأكلها، وتجمع علىٰ العوافي، (وقد تقع العافية علىٰ الجماعة)[1].

والجملة كناية عن الرغبة في عدم الدفن، حبًّا في حمزة، ورجاءً له في تمام الأجر عند الله.

❁ ❁ ❁

٢٢ ـ «أَنا شَهيدٌ عَلَى هَؤُلاء»:

عن جَابِرِ بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ يَجْمَعُ بين الرَّجُلَيْنِ من قَتْلَىٰ أُحُدٍ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يقول: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟**» فإذا أُشِيرَ له إلىٰ أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ في اللَّحْدِ، وقال: «**أنا شَهِيدٌ علىٰ هَؤُلَاءِ يوم الْقِيَامَةِ**»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ في دِمَائِهِمْ، ولم يُغَسَّلُوا، ولم يُصَلِّ عليهم[2].

❁ ❁ ❁

يقف رسول الله ﷺ علىٰ جثامين شهداء أحد، ويقدم أكثرهم أخذًا للقرآن في اللحد، ويأمر بدفنهم في دمائهم بلا غسل ولا صلاة.

ويخيم الحزن النبيل علىٰ معسكر المسلمين وهم يدفنون قتلاهم، وقد عزَّت الأكفان حتىٰ صار الثوب الواحد يجمع الرجلين والثلاثة.

أي أسىٰ عظيم كان يعصف بقلب النبي وهو يشرف علىٰ تكفينهم، ويقول: «**أنا شهيد علىٰ هؤلاء يوم القيامة**».

---

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر (٣/ ٢٦٦).

(٢) أخرجه البخاري(١٣٤٣) كتاب الجنائز، باب الصلاة علىٰ الشهيد، وأبوداود (٣١٣٨) كتاب الجنائز، بَاب في الشَّهِيدِ يُغَسَّلُ، والنسائي في المجتبىٰ (١٩٥٥) كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة عليهم.

كلمات لا ترد من قضىٰ نحبه، لكنها تُعظِم فيه العزاء.

❁ ❁ ❁

سأل النبي ﷺ وهو يدفن القتلىٰ: «**أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟**» وعبارة: «**أكثر أخذًا للقرآن**» كناية عن كثرة الحفظ وقيل: إن معنىٰ ثوب واحد: قبر واحد إذ لا يجوز تجريدهما بحيث تتلاقىٰ بشرتاهما[1]، ويدفع هذا ما جاء في الحديث السابق من النص علىٰ التكفين في الثوب الواحد، وهو قول الراوي: «**وقلَّت الثياب، وكثرت القتلىٰ، فكان الرجل والرجلان والثلاثة يكفنون في الثوب الواحد**»[2].

ورأىٰ ابن تيمية أنَّ المراد بذلك أنْ (يقسم الثوب الواحد بين الجماعة، فيكفن كل واحد ببعضه للضرورة، وإن لم يستر إلا بعض بدنه)[3].

وكان الرسول ﷺ يقول وهو يدفنهم: «**أنا شهيد علىٰ هؤلاء يوم القيامة**».

«**أنا شهيد**» قصر باستخدام الضمير المنفصل، و«**شهيد**» صيغة مبالغة، أراد أنه ضامن وشفيع لهم عند ربهم يوم القيامة جزاء ما قدموا من تضحية بدمائهم في سبيل دينهم، ولذلك أمر بدفنهم في دمائهم ليكون ذلك أبلغ في الشهادة.



---

(١) عمدة القاري (٨/ ١٥٣).
(٢) أخرجه أبو داود (٣١٣٦)، والترمذي (١٠١٦).
(٣) عمدة القاري (٨/ ١٥٤)، وعون المعبود (٨/ ٢٨٥).

مواقفُ في الْمَدينة

٢٣ ـ «اعلمُوا أن الأرض لله ورسوله»:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ في الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رسول اللهِ ﷺ فقال: «**انْطَلِقُوا إلىٰ يَهُودَ**»، فَخَرَجْنَا معه حتىٰ جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ، فَقَامَ النبي ﷺ فَنَادَاهُمْ: «**يا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**»، فَقَالُوا: قد بَلَّغْتَ يا أَبَا الْقَاسِمِ، فقال: «**ذلك أُرِيدُ**»، ثُمَّ قَالَهَا الثَّانِيَةَ، فَقَالُوا: قد بَلَّغْتَ يا أَبَا الْقَاسِمِ، ثُمَّ قال الثَّالِثَةَ، فقال: «**اعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإني أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شيئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أن الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ**»[1].

❁ ❁ ❁

أعلن اليهود أهل النفاق والشقاق ـ منذ دخول النبي ﷺ المدينة ـ الحرب علىٰ الله ورسوله، ونقضوا عهودهم مع المسلمين، ووصل بهم الغدر إلىٰ محاولة اغتيال الرسول ﷺ.

فلما استقر عزمه ﷺ علىٰ إخراجهم، لم يعاملهم كما عاملوه، وإنما أبىٰ نبل خلقه وكريم سجاياه أن يباغتهم، فذهب إليهم ينذرهم بالخروج، ويمهلهم حتىٰ يتصرفوا في أموالهم.

ولم يكن النبي ﷺ حين دخل المدينة ينوي إخراج اليهود منها، بل جاء في وثيقة المدينة التي وضعها ما ينص علىٰ أنهم من مواطنيها، لهم ما لأهلها،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٤٤) كتاب الإكراه، باب في بيع المكره، ومسلم (١٧٦٥) كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود، وأبو داود (٣٠٠٣) كتاب الخراج والأمارة والفيء، باب كَيْفَ كان إِخْرَاجُ الْيَهُودِ من الْمَدِينَةِ.

وعليهم ما علىٰ أهلها، غير أنه بعدما لقي منهم من عداء سافر ومكر وغدر ونفاق اضطر إلىٰ قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، وعزم علىٰ إخراج اليهود جميعًا من المدينة، ومن جزيرة العرب قاطبة حتىٰ لا يبقىٰ فيها إلا دين واحد.

فخرج يومًا مع أصحابه إلىٰ بيت المدراس، وهو البيت الذي يدرس اليهود فيه التوراة، وهناك ناداهم قائلًا: «**يا معشر يهود: أسلموا تسلموا**»، وكررها ثلاثًا وهم في كل مرة يقولون: قد بلغت أبا القاسم، وهو يقول: «**ذلك أريد**».

ثم أخبرهم أن الأرض لله ولرسوله، وأنه يريد أن يجليهم، فمن استطاع منهم أن ينجو بماله فليفعل.

۞ ۞ ۞

ويتضح جليًّا في هذا الحديث أن النبي ﷺ كان متعجلًا، وكان حازمًا غاية الحزم وهو يأمر أصحابه: «**انطلقوا إلىٰ يهود**»، فلم يعد ثمة مجال للصبر علىٰ كيدهم وخيانتهم، ويؤيد ذلك هذا الإنذار شديد اللهجة: «**يا معشر يهود، أسلموا تسلموا**».

السلامة في الإسلام، وفي الكبر والعناد والكفر الهلكة والندامة.

واستخدم النبي ﷺ كلمة: «**يهود**» بدون (أل) ليفيد العموم، وهو اسم للقبيلة، ولذلك جاء غير منصرف للعلمية والتأنيث، قال الشاعر:

أولـئكَ أولَـىٰ مـن يهـودَ بمدحـةٍ ... إذا أنـتَ قلـتَها يـومًا لـم تُـؤَنَّبِ[1]

قال سيبويه في كتابه: (هذا باب ما لم يقع إلا اسمًا لقبيلة، كما أن عمان لم يقع إلا اسمًا لمؤنث، وكان التأنيث هو الغالب عليها، وذلك مجوس

(١) لسان العرب (٣/ ٤٣٩).

ويهود)[١].

و«**أسلموا تسلموا**» فيه جرس موسيقي لطيف ناشئ عن الجناس الناقص، والأمر وجوابه المجزوم تعبير في غاية الإيجاز والشمول يقطع كل مجال للجدال والتحايل الذي هو من شأن اليهود، ويلخص الفعل والنتيجة اللذين لا بديل لهما، ولذلك يكرره الرسول ثلاثًا لتصل الرسالة واضحة.

ثم يختم الرسول بعد ذلك بقراره الذي أراد أن يبلغه يهود، وهو أنه سوف يجليهم فيقدِّم لذلك بقوله: «**اعلموا أن الأرض لله ورسوله**» بيان قاطع يخلع قلب العدو المتوجس، ويوحي بما سيترتب عليه.

«**وإني أريد أن أجليكم**» استخدم الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بـ(إن)، وأتبعها بالمصدر المؤول دون الصريح: «**أن أجليكم**» لمزيد من التوكيد والجزم.

«**فمن وجد منكم بماله شيئًا فليبعه**» قال ابن حجر:

(«**فمن وجد**» كذا هنا بلفظ الفعل الماضي، «**بماله شيئًا**» الباء متعلقة بشيء محذوف، أو ضَمَّن وَجَدَ معنىٰ: نَحَل، فعدَّاه بالباء، أو وجد من الوجدان، والباء سببية أي: فمن وجد بماله شيئًا من المحبة، وقال الكرماني: الباء هنا للمقابلة، فجعل وجد من الوجدان)[٢].

والمعنىٰ الأخير أقرب إلىٰ المعنىٰ المراد، وأوفق للسياق.

«**وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله**» تكرار للبيان القاطع الذي بدأ به ﷺ عبارته الأخيرة علىٰ سبيل التوكيد، ولا يخفىٰ ما في (إلا) من معاني التهديد

---

(١) كتاب سيبويه (٣/ ٢٥٤)، ونسب سيبويه البيت إلىٰ امرئ القيس، بينما نسبه المعافىٰ بن زكريا إلىٰ كعب بن مالك يؤنب العباس بن مرداس السلمي في مدحه قريظة، ويشير إلىٰ أن مدحه للأنصار أولىٰ. الجليس الصالح الكافي والأنيس الصالح الشافي (١/ ٤٦٨).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٣١٨).

والوعيد.

❁ ❁ ❁

٢٤ ـ «إني أَوَّلُ من أَحْيَا ما أَمَاتُوا من كِتَابِكَ»:

عن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ قال: مَرُّوا علىٰ رسول اللهِ ﷺ بِيَهُودِيٍّ قد حُمِّمَ وَجْهُهُ، وهو يُطَافُ بِهِ، فَنَاشَدَهُمْ: «ما حَدُّ الزَّاني في كِتَابهم؟» قال: فَأَحَالُوهُ علىٰ رَجُلٍ منهم، فَنَشَدَهُ النبي ﷺ: «ما حَدُّ الزَّاني في كِتَابِكُمْ؟» فقال: الرَّجْمُ، وَلَكِنْ ظَهَرَ الزنىٰ في أَشْرَافِنَا، فَكَرِهْنَا أَنْ يُتْرَكَ الشَّرِيفُ، وَيُقَامُ علىٰ من دُونَهُ، فَوَضَعْنَا هذا عَنَّا، فَأَمَرَ بِهِ رسول اللهِ، ﷺ فَرُجِمَ، ثُمَّ قال: «اللهم إني أَوَّلُ من أَحْيَا ما أَمَاتُوا من كِتَابِكَ»(١).

❁ ❁ ❁

مر اليهود علىٰ رسول الله ﷺ بيهودي زانٍ قد سوِّد وجهه ولطخ، فسألهم: ما حد الزاني في كتابهم؟ فأحالوه علىٰ أحد أحبارهم فسأله فقال: الرجم.

وبرر الرجل الإعراض عن الرجم والاكتفاء بالتحميم بظهور الزنىٰ في أشرافهم، فكرهوا ـ كما يدَّعون ـ أن يقام الحد علىٰ الضعفاء ويترك الشرفاء، فوضعوه عنهم.

اعتراف واضح من أحبار اليهود بتحريف التوراة والخروج علىٰ أحكامها، بالإعراض عن حد الرجم، والاكتفاء بالتحميم.

فما يزال اليهود يؤكدون ما وصفهم به الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٠) كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنىٰ، وأبو داود (٤٤٤٧) كتاب الحدود، بَاب في رَجْمِ الْيَهُودِيَّيْنِ، واللفظ له، وابن ماجة (٢٥٥٨) كتاب الحدود باب رجم اليهودي واليهودية.

مُسْمَعٍ ...﴾ [النساء: ٤٦].

والرسول ﷺ يغضب لانتهاك حدود الله ويأبىٰ إلا أن تقام بغير تغيير ولا تحريف؛ ولذلك لم يقبل من اليهود أن يغيروا ويحرفوا في حدود الله، وأمر بأن يقام الحد علىٰ ذلك اليهودي قائلًا في عزة: «**اللهم إني أول من أحيا ما أماتوا من كتابك**».

❁ ❁ ❁

ورد سؤال النبي ﷺ لليهود عن حد الزاني في الحديث بصيغتين: الأولىٰ: «**ما حد الزاني في كتابهم؟**»، والثانية: «**ما حد الزاني في كتابكم؟**».

ويبدو في الصياغة الأولىٰ أن الراوي (وهو البراء بن عازب) كان يحكي سؤال رسول الله ﷺ بداية، كأنه أراد: فناشدهم عن ماهية حد الزاني في كتابهم. ثم نقل نص سؤال النبي ﷺ في الثانية لليهودي: «**فنشده النبي: ما حد الزاني في كتابكم؟**» والسؤال ليس للمعرفة والاستفهام، وإنما هو لتقرير الحقيقة، أو كما قال النووي: (لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم)[1]، فلا شك أن النبي ﷺ كان يعلم حكم الله في الزاني في التوراة، لكنه أراد أن يقروا به ليكون حجةً عليهم، وبيانًا لما أحدثوه في حدود الله من تحريف.

ولذلك أشهد النبي ربه علىٰ ذلك قائلًا: «**اللهم إني أول من أحيا ما أماتوا من كتابك**»، وفي تعبير النبي ﷺ تشبيه للشرائع والحدود بالكائنات الحية التي أميتت ثم أعادها الرسول ﷺ إلىٰ الحياة تارةً أخرىٰ.

وفي ذلك التصوير إيحاء بشدة الجرم الذي ارتكبه اليهود في حق أحكام الله، وعظيم فضل النبيّ ﷺ بإحياء ما أماتوا.

ولم يرد النبيُّ ﷺ بقوله: «**اللهم إني أول من أحيا**» الافتخار أو المن،

---

(١) شرح النووي (١١/ ٢٠٨).

فليس هذا بخلقه، وإنما أراد التقرب إلىٰ الله بذلك الفعل، وضرب المثل والقُدوَة لأمته من بعده.

❁ ❁ ❁

٢٥ ـ «قد كنتَ أنهاكَ عن حُبِّ يَهُودَ»:

عن أُسَامَةَ بن زَيْدٍ قال: خَرَجَ رسول اللهِ ﷺ يَعُودُ عَبْدَ اللهِ بن أُبَيٍّ في مَرَضِهِ الذي مَاتَ فيه، فلما دخل عليه عَرَفَ فيه الْمَوْتَ، قال: «**قد كنت أنهاكَ عن حُبِّ يَهُودَ**»، قال: فَقَدْ أَبْغَضَهُمْ أسعد بن زُرَارَةَ فَمَهْ، فلما مَاتَ أَتَاهُ ابْنُهُ فقال: يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَبْدَ اللهِ بن أُبَيٍّ قد مَاتَ، فَأَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فيه، فَنَزَعَ رسول اللهِ ﷺ قَمِيصهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاه[١].

❁ ❁ ❁

ذهب الرسول ﷺ يعود عبد الله بن أُبي المنافق في مرض موته، فلما عرف فيه الموت قال له: «**قد كنت أنهاك عن حب يهود**»، وفي رواية أنه قال له: «**أهلكك حب يهود**»، فقال: يا رسول الله إنما أرسلت إليك لتستغفر لي، ولم أُرسل إليك لتوبخني[٢].

ثم قال عبد الله بن أُبي: قد أبغضهم أسعد بن زرارة فمهْ.

أي قد أبغضهم أسعد بن زرارة ـ وهو من سادة الأنصار ـ (فماذا حصل له ببغضهم، فالهاء منقلبة عن الألف، وأصله فما، أو هو اسم فعل بمعنىٰ اسكت، وكأنه يريد أنه لا يضر، ولا ينفع بغضهم، ولو نفع بغضهم لما مات أسعد بن زرارة)[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٩٤) كتاب الجنائز، بَاب في الْعِيَادَةِ.

(٢) فتح الباري (٨/ ٣٣٤).

(٣) عون المعبود (٨/ ٢٤٨).

وفي رواية لأحمد وغيره: «**فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فمات**»[(١)].

ظن عبد الله بن أُبي ـ لسوء رأيه وقلة فهمه ـ (أن الضرر والنفع هو الموت أو الخلاص عنه)[(٢)].

ومع ذلك فإن النبي ﷺ لمّا أتاه عبد الله بن عبد الله بن أُبي بعد موت والده يطلب قميصه ليكفن فيه أباه ـ نزع رسول الله ﷺ قميصه وأعطاه إياه.

وتلك هي أخلاق الرسل التي يزينها الحلم والتسامح والصفح، فالرجل الذي حارب رسول الله ﷺ علانية أحيانًا، وخفية في كثير من الأحيان، ووصل به الأمر إلىٰ أن طعن رسولَ الله ﷺ في عرضه ـ يحضره مرض الموت، فيذهب إليه سيد الرسل ليزوره، ويستغفر له.

بل إنه ﷺ في رواية للبخاري والترمذي صلّىٰ عليه، فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن عبد الله بن أبي لمَّا تُوفي جاء ابنه إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلِّ عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه، فقال: «**آذني أصلي عليه**»، فآذنه فلما أراد أن يصلي عليه، جذبه عمر رضي الله عنه فقال: أليس الله نهاك أن تصلي علىٰ المنافقين، فقال: «**أنا بين خيرتين**»، قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...﴾ [التوبة: ٨٠] فصلىٰ عليه، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤][(٣)].

وفي رواية أخرىٰ للبخاري عن جابر قال: (أتىٰ النبي ﷺ عبد الله بن أبي بعد ما دفن، فأخرجه، فنفث فيه من ريقه، وألبسه قميصه)[(٤)].

---

(١) مسند أحمد (٥/ ٢٠١).

(٢) عون المعبود (٨/ ٢٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٦٩) كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يُكَفُّ أو لا يكف، ومن كفن بغير قميص، والترمذي (٣٠٩٧) كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٧٠) كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يُكَفُّ أو لا =

فأي قلب كبير ذلك؟! وأي نفس سامية تلك؟!

❁ ❁ ❁

قول النبي ﷺ لعبد الله بن أُبيٍّ وهو علىٰ فراش الموت: «**قد كنت أنهاك عن حب يهود**» صُدِّر بحرف التحقيق (قد) للتوكيد، وأعقبه النبي ﷺ بالفعل الماضي الناسخ (كان) المسند إلىٰ تاء الفاعل؛ ليقرر أن النصيحة كانت مباشرة، ثم استخدم المضارع «**أنهاك**» ليدل علىٰ تكرارها واستمرارها.

والنهي عن مجرد الحب ـ وهو شعور قلبي ـ يدل علىٰ إثم ما يستتبعه من انحياز، أو تأييد، أو نصرة بالقول أو بالفعل.

وفي العبارة إيحاء باللوم والتأنيب، وإشارة إلىٰ سوء خاتمة ابن أُبيٍّ لفداحة صنيعه، ولعصيانه لرسول الله ﷺ، وموالاته لأعداء الله.

❁ ❁ ❁

٢٦ ـ «ألا أَدُلُّكَ على كَنْزٍ من كُنُوزِ الْجَنَّةِ»:

عن أبي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال: لَمَّا غَزَا رسول اللهِ ﷺ خَيْبَرَ ـ أو قال: لَمَّا تَوَجَّهَ رسول اللهِ ﷺ ـ أَشْرَفَ الناس علىٰ وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتهم بِالتَّكْبِيرِ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إلا الله، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**اربَعوا علىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وهو مَعَكُمْ**»، وأنا خَلْفَ دَابَّةِ رسول اللهِ ﷺ فَسَمِعَنِي وأنا أَقُولُ: لَا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللهِ، فقال لي: «**يا عَبْدَ اللهِ بن قَيْسٍ**»، قلت: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**ألا أَدُلُّكَ علىٰ كَلِمَةٍ من كَنْزٍ من كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟**» قلت: بَلَىٰ يا رَسُولَ اللهِ، فَدَاكَ أبي وَأُمِّي، قال: «**لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللهِ**»[1].

= يكف، ومن كفن بغير قميص.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٢) كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وأبو داود ـ مختصرًا ـ =

في الطريق إلىٰ غزو خيبر أشرف الناس ـ كما يعرض الحديث ـ علىٰ وادٍ فصاروا يرفعون أصواتهم بالتكبير والتهليل، فأراد الرسول ﷺ أن يعلمهم درسًا في الذكر، فقال لهم: «**اربَعوا علىٰ أنفسكم**» أي ارفقوا بأنفسكم ولا تبالغوا في رفع الصوت، «**إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم**».

وكان صحابة رسول الله ﷺ أسرع الناس إلىٰ طاعته والامتثال لأمره، والمبادرة إلىٰ تلبية ندائه، وفدائه بكل نفيس وغال.

كان عبد الله بن قيس ـ أبو موسىٰ الأشعري ـ خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعه النبي ﷺ وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فأراد أن يهبه شيئًا، فناداه، فقال عبد الله: لبيك يا رسول الله، قال: «**ألا أدلك علىٰ كنز من كنوز الجنة**»، قال عبد الله: بلىٰ يا رسول الله، فداك أبي وأمي. قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»؛ أي إنها (كالكنز في كونه أمرًا نفيسًا مدخرًا مكنونًا عن أعين الناس، وهي كلمة استسلام وتفويض إلىٰ الله تعالىٰ)[1]، تعبر عن التوحيد الخفي؛ ولذلك كانت لها هذه المنزلة العالية والدرجة المخصوصة عند الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

وجَّه النبي ﷺ أصحابه الذين كانوا يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير وهم مشرفون علىٰ خيبر قائلًا: «**ارْبَعُوا علىٰ أنفسكم**».

«**ارْبَعُوا**» الأصل في مادته: (ربع يربع: إذا وقف وتحبس، وفي حديث شريح: «**حدِّثْ امرأة حديثين فإن أبت فاربَع**»، قيل فيه: بمعنىٰ قف واقتصر، يقول: حدثها حديثين فإن أبت فأمسك ولا تتعب نفسك، ومن قطع الهمزة

= (١٥٢٦) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار.

(١) عمدة القاري (٢٣/ ١٢).

قال: فأربَع)[١].

وفي عمدة القاري ما يؤكد أنه بكسر الهمزة وفتح الباء قال: (قوله: «اربَعوا» بكسر الهمزة وفتح الباء الموحدة، أي ارفقوا بأنفسكم)[٢]، وفي موضع آخر نصَّ علىٰ أن في المسألة خلافًا فقال: (وحكىٰ ابن التين أنه وقع في رواية بكسر الباء، وأنه في كتب أهل اللغة وبعض كتب الحديث بفتحها، قلت: الفتح هو الصحيح؛ لأنه من الكلمة التي في لام فعلها حرف حلق، ولا يجيء مضارعه إلا بفتح عين الفعل)[٣].

والراجح الموافق للاستعمال أن همزته موصولة مكسورة، وأنه مفتوح الباء، إذ ما زالت هذه الكلمة تستعمل في لهجة بعض قرىٰ محافظة الشرقية، وفي قريتي «القُرين» علىٰ وجه التحديد، وما جاورها من قرىٰ مركز أبي حماد، يقولون لمن أوشك أن يخاطر بنفسه: اِربَع بفتح الباء، يعني تمهل وتوقف، ويقولون لمن هو علىٰ أُهبة السفر: أربَع علىٰ روحك. أي حافظ علىٰ نفسك وصنها.

«إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم»

نفىٰ رسول الله ﷺ عن الله ﷻ الصمم والغيبة ليثبت له السمع والقرب وفي التعبير مقابلة تؤكد المعنىٰ.

فإن قيل: لمَ لمْ يقل: أصم ولا أعمىٰ، وفي المقابل: سميعًا بصيرًا، وهو المراد من المعنىٰ ـ يجيبنا الكرماني كما جاء في عمدة القاري بكلام نفيس يقول فيه: (الأعمىٰ غائب عن الإحساس بالبصر، والغائب كالأعمىٰ في عدم رؤية المبصَر، فنفىٰ لازمه ليكون أبلغ وأعم، وزاد القريب، إذ رب سامع

---

(١) لسان العرب (٨/ ١١٠).

(٢) عمدة القاري (٢٣/ ١٢).

(٣) السابق (٢٥/ ٩٢).

وباصر لا يسمع ولا يبصر لبعده عن المحسوس، فأثبت القريب لتبيين وجود المقتضىٰ وعدم المانع)[١].

«**وهو معكم**» أسلوب قصر استخدم ضمير الفصل الغائب، وهو تأكيد للجملة السابقة.

ثم دعا النبي ﷺ أبا موسىٰ الأشعري فقال له: «**ألا أدلك علىٰ كلمة من كنز من كنوز الجنة؟**».

«**ألا أدلك؟**» الاستفهام للترغيب والتحضيض والتشويق. و«**كلمة**» مجاز مرسل علاقته الجزئية، و«مِنْ» الأولىٰ للبيان، والثانية للتبعيض.

وفي التعبير تشبيه للكلمة بالكنز في خفاء نفاستها، وعظيم قيمتها، كما أن إضافة الكنوز إلىٰ الجنة يزيد من الإحساس بتفردها، وجلال محتواها.

«**لا حول ولا قوة إلا بالله**»: الحول: الحيلة وهو أيضًا القوة، جاء في تاج العروس:

(والحول والحيلة والقوة واحد، وفي الحديث «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، كنز من كنوز الجنة**»، قال أبو الهيثم: الحول هنا الحركة، والمعنىٰ: لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله تعالىٰ)[٢].

فعلىٰ هذا يكون التعبير: «**لا حول ولا قوة**» استقصاءً في نفي كل معنىً من معاني القوة والحيلة عن غير المولىٰ ﷻ.

❁ ❁ ❁

٢٧ ـ «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا»:

عن أَنسٍ رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أَحْسَنَ الناس[٣]، وَأَشْجَعَ الناس، وَلَقَدْ

---

(١) عمدة القاري (٢٥/ ٩٢).

(٢) تاج العروس (٢٨/ ٣٨٢).

(٣) زاد مسلم: «وكان أجود الناس».

فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَخَرَجُوا نحو الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ النبي ﷺ[(١)]، وقد اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ[(٢)]، وهو علىٰ فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ[(٣)]، وفي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وهو يقول: «**لم تُرَاعُوا لم تُرَاعُوا**»[(٤)] ثُمَّ قال: «**وَجَدْنَاهُ بَحْرًا**» أو قال: «**إنه لَبَحْرٌ**»[(٥)].

❁ ❁ ❁

كان أهل المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ إليهم مهددين من أعداء كثر، وكانوا يتوقعون أن يفجأهم بعض هؤلاء الأعداء بِهجوم مباغت، فهم دائمًا علىٰ حذر، إذا سمعوا هيعة أو صيحة فزعوا يستطلعون الأمر، وأسرعوا يستبرئون الخبر.

ويستيقظ أهل المدينة ذات ليلة علىٰ صوت وجلبة، فيخرجون لاستطلاع الأمر فيجدون النبي ﷺ قد سبقهم، سمع ما سمعوا، وأهمّه ما أهمهم، فاستبرأ الخبر، وعلم أن لا خطر، فلقيهم عائدًا وهو علىٰ فرس لأبي طلحة بلا سرج ـ ولا يركب الفرس العُري إلا الفارس المعلَّم ـ والسيف في عنقه، وهو يقول لهم: «**لم تراعوا، لم تراعوا**».

وباستمتاع الفارس بفرسه، وتلذذه بركوبه، وإعجابه بخُلقه قال: «**وجدناه بحرًا**» أو «**إنه لبحر**» أي واسع الجري.

---

(١) في رواية مسلم: «فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ».

(٢) عند مسلم: «راجعًا وقد سبقهم إلىٰ الصوت».

(٣) زاد ابن ماجة: «ما عليه سرج».

(٤) في رواية ابن ماجة: «لن تراعوا»، يردهم.

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٠٨) كتاب الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف، ومسلم (٢٣٠٧) كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، وابن ماجة (٢٧٧٢) كتاب الجهاد، باب الخروج في النفير.
وزاد مسلم في روايته: «قال: وكان فرسًا يُبَطَّأُ»، وانفرد ابن ماجة بزيادة جاء فيها: «كان فَرَسًا لأبي طَلْحَةَ يُبطَأُ فما سُبِقَ بَعْدَ ذلك الْيَوْمِ».

ذلك تمكُّن الفارس، وإقدام الواثق، ونخوة الأبي، ونجدة المستغيث.

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ لأصحابه يهدئ من روعهم: «**لم تراعوا، لم تراعوا**».

والمعنىٰ: لا تراعوا أي لا تفزعوا، لكن النفي بلم أبلغ وأوكد، والتكرار للتوكيد، أو أن النبي كلَّم قومًا عن يمينه ثم كلَّم قومًا عن يساره.

قال المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي: (وأتىٰ بصيغة الجحد، وكأنه ما وقع الروع والفزع قط. «**لم تراعوا**»: كرره تأكيدًا، أو كُلٌّ لخطاب قوم عن يمينه ويساره)[1].

ثم وصف النبي الفرس الذي كان يركبه فقال: «**وجدناه بحرًا**» أو قال: «**إنه لبحر**»، وكلاهما استعارة تصريحية شبه فيها الفرس بالبحر في الجري المنساب المتدفق، والثانية أبلغ لاستخدام ثلاث مؤكدات هي الجملة الاسمية المثبتة، وإن، واللام.

وفي التعبير إشارة إلىٰ فروسية النبي، وخبرته في ركوب الخيل، ومعرفته بصفاتها وأخلاقها.

❁ ❁ ❁

٢٨ ـ «لنا غَنَمٌ مِائَةٌ لا نُرِيدُ أَنْ تَزِيدَ»:

عن عَاصِمِ بن لَقِيطِ بن صَبْرَةَ، عن أبيه لَقِيطِ بن صَبْرَةَ، قال: كنت وَافِدَ بَنِي الْمُنْتَفِقِ أو في وَفْدِ بَنِي الْمُنْتَفِقِ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ، قال: فلما قَدِمْنَا علىٰ رسول اللهِ ﷺ فلم نُصَادِفْهُ في مَنْزِلِهِ، وَصَادَفْنَا عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، قال: فَأَمَرَتْ لنا بِخَزِيرَةٍ، فَصُنِعَتْ لنا، قال: وَأُتِينَا بِقِنَاعٍ، ولم يَقُلْ قُتَيْبَةُ الْقِنَاعَ،

(١) تحفة الأحوذي (٥/ ٢٧٥).

وَالْقِنَاعُ: الطَّبَقُ فيه تَمْرٌ، ثُمَّ جاء رسول اللهِ ﷺ فقال: «**هل أَصَبْتُمْ شيئًا أو أُمِرَ لَكُمْ بِشَيْءٍ؟**» قال: قُلْنَا: نعم يا رَسُولَ اللهِ، قال: فَبَيْنَا نَحْنُ مع رسول اللهِ ﷺ جُلُوسٌ إِذْ دَفَعَ الرَّاعِي غَنَمَهُ إلىٰ الْمُرَاحِ، وَمَعَهُ سَخْلَةٌ تَيْعَرُ، فقال: «**ما وَلَّدْتَ يا فُلَانُ؟**» قال: بَهْمَةً، قال: «**فَاذْبَحْ لنا مَكَانها شَاةً**»، ثُمَّ قال: «**لا تَحْسِبَنَّ - ولم يَقُلْ لا تَحْسَبَنَّ - أَنَّا من أَجْلِكَ ذَبَحْنَاهَا، لنا غَنَمٌ مِائَةٌ لا نُرِيدُ أَنْ تَزِيدَ، فإذا وَلَّدَ الرَّاعِي بَهْمَةً، ذَبَحْنَا مَكَانها شَاةً**»، قال: قلت: يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لي امْرَأَةً، وَإِنَّ في لِسَانها شيئًا، يَعْنِي الْبَذَاءَ، قال: «**فَطَلِّقْهَا إِذًا**»، قال: قلت: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لها صُحْبَةً، وَلِي منها وَلَدٌ، قال: «**فَمُرْهَا - يقول: عِظْهَا - فَإِنْ يَكُ فيها خَيْرٌ فَسَتَفْعَلْ، ولا تَضْرِبْ ظَعِينَتَكَ كَضَرْبِكَ أُمَيَّتَكَ**»، فقلت: يا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي عن الْوُضُوءِ، قال: «**أَسْبِغْ الْوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بين الْأَصَابِعِ، وَبَالِغْ في الِاسْتِنْشَاقِ، إلا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**»[1].

❁ ❁ ❁

إن بيت رسول الله ﷺ هو بيت كل المسلمين، لا يقصده زائر إلا أُكرم بكل ما هو متاح، وقُدِّم له كل ما هو طيِّب، سواء أكان رسول الله موجودًا أم لا، فإن عاد رسول الله فوجد أضيافًا فإن أهم ما يشغله أن يتفقد أحوالهم، وأن يطمئن علىٰ أنهم نالوا نصيبهم من القِرىٰ، ثم هو بعد ذلك يهب بلا حدود، ويسخو بلا تردد، ويعطي عطاءَ من لا يخشىٰ الفقر.

يقدم وفد من بني المنتفق - وهم من أهل الطائف - علىٰ بيت رسول الله ﷺ فلا يجدون الرسول ﷺ، فتأمر لهم السيدة عائشة بخزيرة، وهي اللحم (يقطع قطعًا صغارًا، ثم يطبخ بماء كثير وملح، فإذا اكتمل نضجه ذر عليه الدقيق وعصد به ثم أدم بإدام ما)[2]، وجاءتهم بطبق من التمر. فلما عاد

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢) كتاب الصلاة، باب في الاستِنْثار.

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٢٣١)، وانظر: لسان العرب (٤/ ٢٣٧).

الرسول ﷺ سألهم: «**هل أصبتم شيئًا**»، أو: «**أُمر لكم بشيء**» قالوا: نعم.

فلم يكتف النبي ﷺ بما قدم لهم، وإنما أمر الراعي ـ وقد علم أن نعجة ولدت ـ بأن يذبح شاة مكان التي وُلدت، وأوضح لضيوفه أنه لم يتكلف لهم ذلك، وإنما لديه غنم مائة فإذا زادت وليدة، ذبح مكانها شاة، وعلل لذلك بقوله: «**لنا غنم مائة لا نريد أن تزيد**».

وحين يُسأل رسول الله ﷺ عن مسألة؛ فإنه لا يُعرض عن السائل، ولا يبخل بالنصيحة، بل يجيب عن كل سؤال، ويوضح كل مبهم، ويفصل كل مجمل.

أخبر لقيط (راوي الحديث) الرسول ﷺ أن له امرأة بذيئة اللسان فأمره الرسول بطلاقها، فاعتلَّ بأن لها صحبة، وله منها ولد، فأمره بوعظها، وعدم ضربها كما تُضرب الأمة.

ثم سأل لقيط رسول الله ﷺ عن الوضوء، فأمره النبي بإسباغه، والتخليل بين الأصابع، والمبالغة في الاستنشاق.

❁ ❁ ❁

يسأل النبي أضيافه: «**هل أصبتم شيئًا، أو أُمر لكم بشيء؟**» والاستفهام يشعر بلهفة المضيِّف الكريم الذي لا يضام مَنْ قَصَدَهُ.

وحين يأمر بالذبح للأضياف يقول: «**لا تحسِبن ـ ولم يقل: لا تحسَبن ـ أنَّا من أجلك ذبحناها**» وفي العبارة إيحاء بحياء النبيّ الفطري، وكرمه العفوي، وأدبه الرفيع مع أضيافه.

وقد أشار الراوي إلىٰ أن النبيّ ﷺ قال: لا تحسِبنَّ بالكسر، ولم يقل: لا تحسَبنَّ بالفتح وفي ذلك عدة دلالات منها:

١ ـ دقة الراوي في النقل عن النبي ﷺ، إذ يتحرىٰ ضبط الفعل بإتقان

شديد، وينبهنا إلىٰ ذلك.

٢ ـ إشارة الراوي تدل علىٰ أن النبي قصد إلىٰ نطق الفعل بالكسر لا بالفتح.

٣ ـ أهل اللغة لا يفرقون بين يحسِب، ويحسَب في المعنىٰ؛ فالفعل حسِب يأتي المضارع منه علىٰ يفعِل، ويفعَل، ورد في قراءة حفص عن عاصم مفتوح العين، وورد في غير قراءة حفص مكسورًا.

وكلاهما بمعنىٰ واحد، حسب الشيء كائنًا أي ظنّه.

٤ ـ يشير ابن منظور إلىٰ أن يحسِب بالكسر هي أجود اللغتين[(١)].

وينصح النبي محدثه بالرفق بزوجه، وينهاه عن ضربها: «**ولا تضرب ظعينتك كضربك أُميَّتك**».

سميت المرأة ظعينة (علىٰ حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه)[(٢)]، وإلا فإن الأصل أن الظعينة هي (الجمل يُظعن عليه، والظعينة الهودج تكون فيه المرأة، وقيل هو الهودج كانت فيه أو لم تكن)[(٣)].

وكأن في الكلام مجازًا لكنه لكثرة الاستعمال صار يجري مجرىٰ الحقيقة، كما أن الظعينة يراد بها الزوجة الكريمة المصونة.

والأُميَّة تصغير الأمة، وهي الجارية المملوكة، وفي النص إشعار بجواز الضرب غير المبرح للزوجة إذا لم يُجْدِ الوعظ.

ويسأل السائل عن الوضوء، فيأمره النبي ﷺ بإسباغ الوضوء، وتخليل الأصابع، والمبالغة في الاستنشاق، وليس هذا كل الوضوء، فما دلالة ذكر النبي لهذه الثلاثة دون غيرها من أعمال الوضوء؟

---

(١) لسان العرب (١/ ٣١٥).

(٢) السابق (١٣/ ٢٧١).

(٣) السابق، الموضع نفسه.

(قال الطيبي: وإنما أجاب النبي عن بعض سنن الوضوء لأن السائل كان عارفًا بأصل الوضوء، وقال في التوسط: اقتصر في الجواب علمًا منه أن السائل لم يسأله عن ظاهر الوضوء بل عما خفي من باطن الأنف والأصابع، فإن الخطاب بأَسْبِغْ إنما يتوجه نحو من علم بصفته)[(١)].

ولا شك أن الاقتصار علىٰ هذه الثلاثة يدل علىٰ أهميتها وعظيم ثواب فاعلها.

❁ ❁ ❁

٢٩ ـ «يَغْضَبُ عَلَيَّ أَنْ لا أَجِدَ ما أُعْطِيهِ»:

عن عَطَاءِ بن يَسَارٍ، عن رَجُلٍ من بَنِي أَسَدٍ أَنَّهُ قال: نَزَلْتُ أنا وَأَهْلِي بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فقال لي أَهْلِي: اذْهَبْ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ، فَسَلْهُ لنا شيئًا نَأْكُلُهُ، فَجَعَلُوا يَذْكُرُونَ من حَاجَتِهِمْ، ذَهَبْتُ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ، فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ رَجُلًا يَسْأَلُهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يقول: «**لا أَجِدُ ما أُعْطِيكَ**»، فَتَوَلَّىٰ الرَّجُلُ عنه وهو مُغْضَبٌ، وهو يقول: لَعَمْرِي إِنَّكَ لَتُعْطِي من شِئْتَ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**يَغْضَبُ عَلَيَّ أَنْ لا أَجِدَ ما أُعْطِيهِ، من سَأَلَ مِنْكُمْ وَلَهُ أُوقِيَّةٌ أو عِدْلُهَا فَقَدْ سَأَلَ إِلْحَافًا**»، قال الْأَسَدِيُّ: فقلت: لَلِقْحَةٌ لنا خَيْرٌ من أُوقِيَّةٍ، وَالْأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا، قال: فَرَجَعْتُ، ولم أَسْأَلْهُ، فَقَدِمَ علىٰ رسول الله ﷺ بَعْدَ ذلك شَعِيرٌ أو زبيب، فَقَسَمَ لنا منه ـ أو كما قال ـ حتىٰ أَغْنَانَا الله[(٢)].

❁ ❁ ❁

---

(١) عون المعبود (١/ ١٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٢٧) كتاب الزكاة، باب من يُعطىٰ من الصَّدَقَةِ وَحَدُّ الغني، والنسائي في المجتبىٰ (٢٥٩٦) كتاب الزكاة، باب مَنْ الملحف.

صورة من صور العوز الشديد الذي كان المسلمون يعانون منه في المدينة قبل أن يفتح الله عليهم البلاد، ينزل رجل من بني أسد مع أهله المدينة، فيقيمون بالبقيع، ويطلب منه أهله أن يذهب إلىٰ رسول الله ﷺ ليسأله شيئًا يأكلونه، فلما ذهب إلىٰ رسول الله ﷺ جَبَهَه مشهد لرجل يسأل الرسول عطاءً، والرسول لا يجد ما يعطيه، فيتولىٰ الرجل مغضبًا، ويقول للرسول ﷺ: لعمري إنك لتعطي من شئت.

فيعجب رسول الله ﷺ من نزق الرجل ويقول: «**يغضب عليَّ ألا أجد ما أعطيه، من سأل منكم ـ أي عطاء ـ وله أوقية أو عِدْلُها فقد سأل إلحافًا**».

وعلم الأسديُّ أن لا حق له في السؤال، فانصرف من عند رسول الله ﷺ وهو يقول: لَلَقحة ـ وهي الناقة قريبة العهد بالنتاج ـ لنا خير من أوقية، وما لبث أن جاء رسول الله ﷺ بعد ذلك شعير وزبيب فقسم لهم منه.

لقد غمر الحرج والحزن قلب الرسول ﷺ حين سأله السائل، وليس في بيته شيء؛ لأن تلك اليد الكريمة تعودت علىٰ العطاء، ولأن هذه النفس العظيمة جبلت علىٰ الكرم.

فإذا اتهم رسول الله ﷺ بأنه يعطي من شاء، ويمنع من شاء، فتلك لعمري أعظم فرية، وأكذب بُهتان.

إن رسول الله ﷺ يكرم النفس المؤمنة أن تذل بالسؤال، فالمسلم لا يسأل الناس إلحافًا، إلا أن يكون ذا فقر مدقع، ولا يتعرض لما يهين كرامته، ويقلل من شأنه، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

ويثير هذا الحديث قضية المسألة في الإسلام، ومن يحق له أن يسأل الناس، ومن لا يحق له، إذ حدد النبي الأوقية (وهي أربعون درهمًا) حدًّا لا يجوز لمن يملكه أن يسأل الناس.

وقد وقع نحوٌ من هذه القصة لأبي سعيد الخدري، (قال: أسرحتني أمي إلىٰ النبيّ - يعني لأسأله من حاجة شديدة، فأتيته وقعدت، فاستقبلني، فقال: «**من استغنىٰ أغناه الله، ومن استعفَّ عفَّه الله، ومن استكفىٰ كفاه الله، ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف**»، فقلت: ناقتي خير من أوقية، فرجعت ولم أسأله)(١).

وكلا الحديثين يوضح أن الإسلام يحد من المسألة، ويجعلها في أضيق نطاق، ويدعو إلىٰ التعفف والصبر كيلا يتواكل المسلم، ويترك السعي، ويركن إلىٰ الكسل.

❁ ❁ ❁

يقول الرسول ﷺ للرجل الذي جاء يسأله وليس عنده شيء: «**لا أجد ما أعطيك**»، وهو نفيٌ ملؤه الأسىٰ والألم.

يُتبعه النبي ﷺ بقوله: «**يغضب عليَّ أن لا أجد ما أعطيه، من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافًا**».

«**يغضب عليَّ**» استخدام المضارع يصوّر شعلة الغضب المتأججة المستمرة في نفس السائل.

«**أن لا أجد ما أعطيه**» بيان لعدم وجود موجبات الغضب أو مبرراته.

«**وله أوقية**» الواو للحال، والجملة الاسمية في محل نصب حال، وتقديم شبه الجملة يفيد التخصيص.

إلحافًا: اقتباس من القرآن الكريم من قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

و(ألحف) السائل: أَلَحَّ أو شمل بالمسألة وهو مستغن عنها، وعده بعض

---

(١) شرح الزرقاني (٤/ ٥٤٧).

اللغويين من المجاز، قال الزمخشري في أساس البلاغة: (ومن المجاز ألحف السائل: إذا شمل بسؤاله وهو مستغن عنه، ولاحفت فلانًا لازمته)[١].

(وألحف ظفره وأحفاه: استأصله بالمقص ويجوز أن يكون إلحاف السائل منه)[٢].

والمراد: التنفير من صورة من يلح في السؤال، ويلازم المسؤول حتىٰ يضجره، وهي صورة غير كريمة لا تليق بالمسلم.



(١) أساس البلاغة (١/ ٥٦٠).

(٢) السابق (١/ ٥٦١).

الفصل الثالث

إلى الرفيق الأعلى

حان الأجل

١ - «لَعَلِّى لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِى هَذِهِ»:

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَرْمِي عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**»(1).

❁ ❁ ❁

٢ - «إني بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ»:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَتْلَىٰ أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «**إني بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، وَإني لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإني لَسْتُ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**» قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرتها إِلَىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ(2).

❁ ❁ ❁

٣ - «إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ»:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «**إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا**

---

(1) أخرجه مسلم (١٢٩٧) كتاب الحج، باب اسْتِحْبَابِ رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يوم النَّحْرِ رَاكِبًا، وأبو داود (١٩٧٠) كتاب المناسك، باب في رمي الجمار.

(2) أخرجه البخاري (٤٠٤٢) كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ومسلم (٢٢٩٦) كتاب الفضائل، بَاب إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ.

عِنْدَهُ»، فبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَىٰ هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا خُلَّةَ الْإِسْلَامِ، لا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»**[1].

❁ ❁ ❁

٤ - «ولا أراه إلا قد حضر أجلي»:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَرْحَبًا بِابْنَتِي»** ثم أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلْتُهَا[2]، فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: **«إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي»** فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: **«أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟»** فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٤) كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبىٰ بكر، والترمذي (٣٦٥٩) كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر.

(٢) هنا يبدأ الحديث التالي عند البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، (٣٦٢٤) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة، وابن ماجة (١٦٢١) كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض النبي ﷺ، وعند الترمذي بلفظ آخر (٣٨٧٢) =

ليست هناك مصيبة كان يمكن أن يصاب بها المسلمون أعظم من وفاة رسول الله ﷺ، ولذلك شاء الله ﷻ أن يخفف المصاب عن أمة محمد فيه، فيمهد لهذا الأمر في السنة التي قبض فيها رسول الله ﷺ، فأشعره بأن أجله قد اقترب حين عارضه جبريل بالقرآن مرتين، ثم خيَّره بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله، وصرح رسول الله ﷺ لأصحابه بذلك، بل أخبرهم أنه سابقهم، وحذر أصحابه من التنافس علىٰ الدنيا والإغراق في ملذاتها، فإنه قد يؤدي بهم إلىٰ الهلكة وضياع الدنيا والآخرة.

فبينما النبي ﷺ يحج بأصحابه حجة الوداع، ويؤدي المناسك كما أمره ربه، ويأمر أصحابه أن يأخذوا عنه ويتعلموا منه؛ أخبرهم أنه قد لا يحج معهم ثانية، وفي ذلك (إشارة إلىٰ توديعهم، وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ، وحثهم علىٰ علىٰ الاعتناء بالأخذ عنه، وانتهاز الفرصة من ملازمته، وتعلم أمور الدين، وبهذا سميت حجة الوداع)[(١)].

وفي ذات السياق يخرج الرسول ﷺ إلىٰ أصحابه بعد ثماني سنين من أحد، (وكانت أحد في شوال سنة ثلاث، ومات ﷺ في ربيع الأول سنة إحدىٰ عشرة، فعلىٰ هذا ففي قوله: ثماني سنين تجوُّزٌ علىٰ طريق جبر الكسر، وإلا فهي سبع سنين ودون النصف)[(٢)]، يخرج ﷺ فيصلي علىٰ قتلىٰ أحد كالمودع للأحياء والأموات، وفيه جواز الصلاة علىٰ الشهداء، وهو أمر مختلف فيه، ولذلك حمل بعض العلماء الصلاة في هذا الحديث علىٰ الدعاء.

وأيًا كان الأمر فقد كانت كلمات الرسول لأصحابه بعد ذلك تعبيرًا عن هذا الوداع، إذ أكد لهم أنه سابقهم إلىٰ الآخرة، وأنه سوف يكون عليهم

= كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ.

(١) شرح النووي (٩/ ٤٥).

(٢) فتح الباري (٣/ ٢١٠).

شهيدًا، ووعدهم باللقاء عند الحوض، ثم أخبرهم أنه لا يخشىٰ عليهم من الشرك، والمراد: مجموعهم، إذ وقع فيه بعضهم، وإنما يخشىٰ عليهم من التنافس في الدنيا إذ هو سبيل إلىٰ الاقتتال والهلكة كما جاء في رواية مسلم.

وكانت هذه آخر نظرة نظرها راوي الحديث ـ عقبة بن عامر ـ إلىٰ النبي ﷺ إذ أعقب ذلك اشتداد المرض علىٰ النبي ﷺ ثم وفاته.

وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشدِّ الناس ابتلاء بوفاة النبيِّ، فلم يكن يتخيل الدنيا من غير رسول الله ﷺ، إذ كانت حياته كلها موقوفة علىٰ الدعوة وصاحبها.

فلما أخبر رسول الله ﷺ أصحابه في واقعة أخرىٰ، وهو علىٰ المنبر ـ وبطريق غير مباشرة ـ أن الأجل أصبح قاب قوسين أو أدنىٰ، وأنه خُيِّر فاختار، لم يدرك الناس أن الرسول ﷺ قصد نفسه بقوله: «**إن عبدًا خيره الله**»، فلم يعلق أحد علىٰ عبارة النبي ﷺ سوىٰ أبي بكر فإنه فهم ما يعنيه النبي، فأجهش بالبكاء وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان بحق أقرب الناس إليه وأعلمهم به. ولذلك ذكر النبي ﷺ أن أبا بكر من أكثر الناس فضلًا عليه في صحبته وماله، وأنه لو جاز لنبي أن يتخذ خليلًا من أمته لاتخذ أبا بكر خليلًا، وأمر بأن تغلق كل الأبواب المؤدية إلىٰ المسجد من دور الصحابة إلا باب أبي بكر اعترافًا بمكانته وفضله.

وتروي لنا السيدة عائشة واقعة حدثت في العام الأخير من حياة النبي ﷺ كانت هي شاهدة عيان لها إذ أقبلت السيدة فاطمة تزور أباها تمشي كمشية أبيها، فرحب بها النبي ﷺ وأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارَّها بحديث فبكت ثم سارَّها بحديث فضحكت، فعجبت السيدة عائشة لهذا، وسألت السيدة فاطمة عما قاله النبي ﷺ فأبكاها ثم أضحكها، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ.

فلما قُبض رسول الله ﷺ لم تنس السيدة عائشة أن تعيد سؤالها عن سر هذا البكاء والضحك، فأخبرتها السيدة فاطمة رضي الله عنها: أنه أسرَّ إليها أولًا بأن جبريل كان يعارضه القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضه إياه هذا العام مرتين، وفهم الرسول ﷺ من ذلك أن أجله قد حضر، وأنها ـ السيدة فاطمة ـ ستكون أول أهله لحاقًا به، فبكت، ثم أسرَّ إليها أنها ستكون سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين فضحكت.

وتحقق ما قاله النبي ﷺ فلحق بربه في هذا العام، ولحقت به السيدة فاطمة بعد ستة أشهر من وفاته، فكانت أول أهله لحاقًا به.

قال ابن حجر: (وأقوىٰ ما يُستدل به علىٰ تقديم فاطمة علىٰ غيرها من نساء عصرها ومَنْ بعدهن ما ذُكر من قوله ﷺ: «**إنها سيدة نساء العالمين إلا مريم**»[1]، وأنها رُزئت بالنبي دون غيرها من بناته، فإنهن مُتن في حياته، فكنَّ في صحيفته، ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها)[2].

❁ ❁ ❁

يقول النبي ﷺ: «**لتأخذوا عني مناسككم**» واستخدام المضارع المصدر بلام الأمر فيه إشعار بمباشرة الأمر في الحال، وعدم التواني في الأخذ، والاستمرار في التلقي.

ونسبة المناسك إلىٰ المسلمين «**مناسككم**» توثيق للرابطة التعبدية بين العبد وربه.

«**لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**»، كناية عن حلول أجل رسول الله ﷺ، وفيها حث علىٰ انتهاز فرصة وجوده بينهم في التعلم منه، والأخذ عنه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٧٣)، والنسائي في سننه الكبرى (٨٣٦٦)، وابن حبان (٦٩٥٢)، والحاكم في المستدرك (٦٨٣٧).

(٢) فتح الباري (٧/ ١٠٥).

«**بين أيديكم فرط**» تقديم شبة الجملة (بين أيديكم) للتخصيص، ويوحي بقرب الساعة بعد موت النبي ﷺ، ويتأكد ذلك بقوله ﷺ في حديث آخر «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» ويشير بإصبعيه فيمدُّ بهما[١].

وفرط: (بفتح الفاء والراء، وهو الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الرشاء والدلاء ويسقي لهم؛ وهو فَعَل بمعنىٰ فاعل كتبع بمعنىٰ تابع، يريد أنه شفيع لهم لأنه يتقدمهم)[٢].

«**وأنا عليكم شهيد**» أسلوب قصر باستخدام ضمير الفصل (أنا) وغرضه الحصر والتوكيد.

«**وإن موعدكم الحوض**» أخَّر الحوض لتشويق السامع.

«**وإني لأنظر إليه من مقامي هذا**» إشارة إلىٰ قرب وفاة الرسول ﷺ، وتأكيد لخصيصة من خصائص النبي ﷺ، وهي رؤية بعض الغيبيات التي لا يراها الناس.

«**وإني لست أخشىٰ عليكم أن تشركوا، ولكني أخشىٰ عليكم الدنيا أن تنافسوها**» جملتان اسميتان بينهما مقابلة تؤكد المعنىٰ، واستخدام المضارع (أخشىٰ) يفيد استمرار الخشية وثباتها، وتقديم شبه الجملة (عليكم) في الجملتين للتخصيص، ويوحي بحرص النبي ﷺ علىٰ نجاة أمته، والفعل (تنافسوها) أصله (تتنافسوها) وحذفت التاء للتخفيف.

قال ﷺ: «**إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء الله وبين ما عنده، فاختار ما عنده**».

«**إن عبدًا خيره الله**»: يشير رسول الله ﷺ إشارة لطيفة إلىٰ نفسه فيقول: «إن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥١)، وغيرهما.

(٢) مرقاة المفاتيح (١١/ ١٠٣).

عبدًا»، وفي التنكير واستخدام كلمة «**عبد**» ما يوحي بالتواضع الشديد، والخضوع الكامل لله.

«**خيره الله**»: هذه مكانة رسول الله ﷺ عند ربه إذ يترك له ربه الاختيار بين الحياة الدنيا وزينتها وبين ما عند الله.

«**فاختار ما عنده**» استخدام الفاء دلَّ علىٰ سرعة الجواب وعدم التردد في الاختيار، والعبارة كناية عن اختيار الرسول ﷺ للرفيق الأعلىٰ.

وقال ﷺ: «**إن من أَمَنِّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر**» جاء في رواية أخرىٰ للبخاري: «**إن أَمَنَّ**»[1]. والأولىٰ تعني أن لغير أبي بكر مشاركة في الأفضلية وإن تقدم الجميع، إذ تفيد (مِنْ) التبعيض، والثانية تعني أنه وحده صاحب الفضل والمن، وقد أشار ابن حجر إلىٰ ذلك فقال:

(وقوله: «**أمنَّ الناس**» في رواية الباب ما يوافق حديث ابن عباس بلفظ «**ليس أحد من الناس أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر**»، وأما الرواية التي فيها (مِنْ)، فإن قلنا زائدة فلا تخالف، وإلا فتحمل علىٰ أن المراد أن لغيره مشاركة ما في الأفضلية، إلا أنه مقدم في ذلك بدليل ما تقدم من السياق وما تأخر)[2].

وتقديم شبه الجملة (من أمنِّ) يفيد التخصيص، وهو دلالة علىٰ عظم منزلة أبي بكر.

«**ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خلة الإسلام**» إشارة إلىٰ مكانة أبي بكر في الإسلام، إذ لم يُقل هذا في حق أحد من الأصحاب سوىٰ أبي بكر.

و«**متخذًا**» مفتعلًا من اتخذ (الاتخاذ افتعال من الأخذ، واتخذ يتعدىٰ إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦) أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد.
(٢) فتح الباري (٧/ ١٢).

مفعول واحد، ويتعدىٰ إلىٰ مفعولين أحدهما بحرف الجر، فيكون بمعنىٰ: اختار واصطفىٰ، وهنا سكت عن أحد مفعوليه، وهو الذي دخل عليه حرف الجر، فكأنه قال: لو كنت متخذًا من الناس خليلًا لاتخذت منهم أبا بكر)[١].

والخليل (الصديق: فعيل بمعنىٰ مُفَاعِل، وقد يكون بمعنىٰ مفعول، قال: وإنما قال ذلك لأن خلته كانت مقصورة علىٰ حب الله تعالىٰ، فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة)[٢].

والخليل (المخالُ، وهو الذي يخالُك أي يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقتك من الخل، وهو الطريق في الرمل، أو يسد خللك كما تسد خلله، أو يداخلك خلال منازلك)[٣].

وفي معنىٰ الخليل والخُلة تأويلات أخرىٰ كثيرة ومحتملة، وما ذكر هو أشهرها وأقربها لموافقة السياق.

«**لا يبقين في المسجد خَوخة إلا خوخة أبي بكر**»: الخوخة (هي باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب)[٤].

وكانت معظم الدور التي تحيط بمسجد النبي ﷺ لها خوخات تنفذ إلىٰ المسجد، فأمر النبي ﷺ بسدها جميعًا إلا خوخة أبي بكر.

ولا شك أن في ذلك تعبيرًا واضحًا عن تقدير النبي ﷺ لأبي بكر، وحفظه لحسن صحبته، وقد حمل بعض المحدثين هذه الجملة علىٰ المجاز فادعىٰ (أن الباب كناية عن الخلافة، والأمر بالسد كناية عن طلبها، كأنه قال: لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر، فإنه لا حرج عليه في طلبها، وإلىٰ هذا مال

---

(١) عمدة القاري (٤/ ٢٤٤).

(٢) لسان العرب (١١/ ٢١٧).

(٣) عمدة القاري (٤/ ٢٤٤).

(٤) تاج العروس (٧/ ٢٤٧).

ابن حبان، فقال بعد أن أخرج هذا الحديث: وفيه دليل علىٰ أن الخلافة له بعد النبي ﷺ؛ لأنه حسم بقوله: «**سدوا عني كل خوخة في المسجد**» أطماع الناس كلهم عن أن يكونوا خلفاء بعده)[(١)].

ولا أظن أن النبي ﷺ كان مضطرًا إلىٰ المجاز في هذا الأمر، ولو كان ﷺ مأمورًا بأن يحسم هذا الأمر في حياته لفعل، لكن الظاهر ـ والله أعلم ـ أنه ﷺ اكتفىٰ بالإشارات القوية ـ وعلىٰ رأسها أَمْرُهُ أبا بكر أن يصلي بالناس ـ وترك الأمر لاختيار الناس ليتحقق معنىٰ الشورىٰ الذي قرره الإسلام.

وجملة «**لا يبقين...**» أسلوب قصر طريقه (النفي والاستثناء) وفيه توكيد وقطع بالأمر، فلا يطمعن طامع في غير ذلك.

يقول النبي ﷺ لابنته فاطمة: «**مرحبًا بابنتي**».

والملاحظ في هذا التعبير أن النبي ﷺ لم يوجه الخطاب مباشرة لفاطمة فيقول: مرحبًا يا ابنتي. وإنما قال مرحبًا بابنتي، وكأن النبي ﷺ يلفت نظر من حوله من نسائه إلىٰ قدوم ابنته الحبيبة، وفي ذلك نبرة اعتزاز واضحة، وحب كبير.

وحين جلست السيدة فاطمة أسرّ إليها فقال: «**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي**».

وإسرار النبي إلىٰ ابنته بهذا الحديث الذي لم يفشه لأحد غيرها حتىٰ قبض دليل علىٰ عظم مكانتها في نفسه، ورغبته في أن يميزها عن غيرها من النساء، فيخصها بهذا التكريم.

ومهد النبي لقوله: «**ولا أراه إلا قد حضر أجلي**» بجملتين لكيلا يفجأ السيدة

---

(١) عمدة القاري (١٦/ ١٧٦).

فاطمة بهذا الخبر المفجع، ثم أراد أن يخفف وقعه عليها بقوله: «**وإنك أول أهلي لحاقًا بي**».

وقوله: «**لحاقًا بي**» لحاقًا مصدر لحق، يقال: لحق لَحْقًا ولُحوقًا وَلحاقًا أي أدرك[١].

وورد المصدر «**لحاقًا**» في رواية البخاري، و«**لحوقًا**» في رواية مسلم وابن ماجة، وهما بمعنىً واحد.

يقول النبي ﷺ لابنته فاطمة: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟**» الاستفهام يحمل معاني التشويق والبشارة بعظيم المنزلة ورفعة الدرجة، والشك في قوله: «**أو نساء المؤمنين**» هو من الراوي علىٰ الراجح.



(١) انظر لسان العرب (١٠/ ٣٢٧).

النبي الشهيد

٥ - «اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ**» فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَبُوكُمْ؟**» قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ**» فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ، فَقَالَ: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟**» فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**»، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «**فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْه؟**» قالوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ؟**» فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ[1].

❁ ❁ ❁

٦ - «مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ»

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «**يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٧) كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ.

أَبْهَرِي[1] مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ»[2].

❁ ❁ ❁

٧ ـ «فَهَذَا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي»:

عن أبي هُرَيْرَةَ قال: كان رسول اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ ولا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وثنا وَهْبُ بن بَقِيَّةَ في مَوْضِعٍ آخَرَ عن خَالِدٍ عن مُحَمَّدِ بن عَمْرٍو عن أبي سَلَمَةَ، ولم يذكر أَبَا هُرَيْرَةَ، قال: كان رسول اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، ولا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، زَادَ: فَأَهْدَتْ له يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا، فَأَكَلَ رسول اللهِ ﷺ منها وَأَكَلَ الْقَوْمُ، فقال: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، فَإِنها أَخْبَرَتْنِي أنها مَسْمُومَةٌ» فَمَاتَ بِشْرُ بن الْبَرَاءِ بن مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَأَرْسَلَ إلىٰ الْيَهُودِيَّةِ: «ما حَمَلَكِ علىٰ الذي صَنَعْتِ؟» قالت: إن كُنْتَ نَبِيًّا لم يَضُرَّكَ الذي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ الناس مِنْكَ، فَأَمَرَ بها رسول اللهِ ﷺ فَقُتِلَتْ، ثُمَّ قال في وَجَعِهِ الذي مَاتَ فيه: «ما زلت أَجِدُ من الْأَكْلَةِ التي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي»[3].

❁ ❁ ❁

لم يبلغ قوم في خستهم ومكرهم ما بلغت يهود، ولذلك لم يكن مستغربًا أنهم حاولوا قتل النبي ﷺ بالسُّمِّ بعد فتح خيبر.

---

(١) (أبهري) بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء، وهو عرق مستبطن القلب، قيل: وهو النياط الذي علق به القلب، فإذا انقطع مات، وقيل هما أبهران يخرجان من القلب، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين، وقيل هو عرق في الصلب متصل بالقلب. عمدة القاري (١٨/ ٦١). وفي المعجم الوسيط: (الأبهران) الوريدان اللذان يحملان الدم من جميع أوردة الجسم إلىٰ الأذين الأيمن من القلب. المعجم الوسيط (١/ ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٨) كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥١٢) كتاب الديات، باب فِيمَنْ سَقَىٰ رَجُلًا سَمًّا أو أَطْعَمَهُ فَمَاتَ أَيُقَادُ منه.

وعندما واجههم النبي بذلك اعترفوا بجرمهم، ولم ينكروا لأنهم يعلمون أن النبي ﷺ سيكشف كذبهم بما يوحيه إليه ربه، لقد علم النبي لحظة نَهس نَهسة من ذراع الشاة أنها مسمومة، لكن هذه النهسة كانت كافية لتحمل السم إلىٰ جسد رسول الله ﷺ.

رُوي: «**أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها**»(١)، «**وأكل القوم فقال: ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة، فمات بشر بن البراء**»(٢)، «**فجيء بها إلىٰ رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليسلطك علىٰ ذاك، أو قال: علي، قالوا: ألا نقتلها، قال: لا...**»(٣).

وروي أنه لما مات بشر بن البراء بن معرور دفعها الرسول ﷺ إلىٰ أوليائه فقتلوها.

(قال القاضي: ووجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل أنه لم يقتلها أولًا حين اطلع علىٰ سمها، وقيل له اقتلها، فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصًا، فيصح قولهم: لم يقتلها، أي في الحال، ويصح قولهم: قتلها، أي بعد ذلك)(٤).

وأمر النبي عقب هذه الحادثة بجمع من كان في خيبر من اليهود، فسألهم: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، قال: كذبتم بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقت وبررت، فسألهم: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيرًا، ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم: اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا، ثم سألهم: هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟ فقالوا: نعم، فقال: ما حملكم علىٰ ذلك؟ قالوا: أردنا إن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥١٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٩٠)، وأبو داود (٤٥٠٨).

(٤) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٤/ ١٧٨).

كنت كذابًا نستريح منك، وإن كنت نبيًا لم يضرك.

وثار حول هذا الحديث خلاف حول من سَمَّ طعامًا أو شرابًا لأحد فمات منه، (فذكر ابن المنذر عن الكوفيين أنه لا قصاص عليه، وعلىٰ عاقلته الدية، وقال مالك إذا استكرهه فسقاه سمًّا فقتله فعليه القود، وعن الشافعي إذا سقاه سمًّا غير مُكرِهٍ له ففيه قولان؛ أحدهما أنه عليه القود، وهو أشبههما، وثانيها لا قود عليه، وهو آثم)[١].

ولقد ظل ألم هذا السم يعاود النبي ﷺ حتىٰ قال في مرض موته: «**ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم**».

والأحاديث الثلاثة تثبت بشكل قاطع أن اليهود هم الذين قتلوا النبي ﷺ.

قال المناوي في فيض القدير: (ليجمع ـ أي النبي ﷺ ـ إلىٰ منصب النبوة مقام الشهادة، ولا يفوته مكرمة، ولهذا كان ابن مسعود وغيره يقول: مات شهيدًا من ذلك السم، وكان في حال حياته يثور عليه أحيانًا، ويكمن أحيانًا)[٢].

❁ ❁ ❁

جمع النبي ﷺ اليهود وقال لهم: «**إني سائلكم عن شيء، فهل أنت صادقي عنه؟**».

«**إني سائلكم**» استخدام صيغة اسم الفاعل عوضًا عن الفعل في «**سائلكم، صادقي**» أدلُّ علىٰ الاستمرار واللزوم.

والاستفهام في قوله: «**فهل أنتم صادقيَّ عنه؟**» غرضه الحث والتحضيض، ويوحي بغلبة الشك، وغياب اليقين في صدقهم.

---

(١) عمدة القاري (٢١/ ٢٩٠).

(٢) فيض القدير (٥/ ٤٤٨).

وسألهم النبي ﷺ مختبرًا صدقهم: «من أبوكم؟» والمراد بالأب هنا الجد الذي ينتسبون إليه.

ثم سألهم يستدرجهم: «مَنْ أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم: اخسؤوا فيها. كلمة (زجر لهم بالطرد والإبعاد، أو دعاء عليهم بذلك، ويقال لطرد الكلب: اخسأ)[1]، فكأنه ﷺ أنزلهم منزلة الكلاب.

«والله لا نخلفكم فيها أبدًا» قسم جوابه مضارع منفي بلا، مؤكد بالظرف (أبدًا)، والخَلف بفتح الخاء يأتي بتحريك اللام وبسكونها، وهو بالتحريك فيمن كانوا خيِّرين، يقال: هؤلاء خَلَف صالح. قال كعب بن زهير:

بانَ الشبابُ وأَمسَىٰ الشَّيبُ قد أَزِفَا ... ولا أَرىٰ لشبابٍ ذاهبٍ خَلَفَا[2]

وبسكون اللام في أهل الشر، قال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

والاستفهام في قوله: «ما حملكم علىٰ ذلك؟»: استفهام فيه إنكار ولوم وتأنيب.

يقول ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر»: النداء للتحبب والتقرب، واستخدام المضارع الناقص الدال علىٰ الاستمرار (ما أزال) مع المضارع (أجد) يفيدان استمرار الألم منذ دخول السم إلىٰ جسد رسول الله ﷺ.

و«ألم الطعام» كلمة الطعام بها مجاز مرسل.

«فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري»: «أوان» يجوز فيها الضم علىٰ أنها خبر، والبناء علىٰ الفتح للظرفية.

---

(١) عمدة القاري (١٥/ ٩١).

(٢) ديوان كعب بن زهير (١/ ٢٣).

«**وجدت انقطاع أبهري**» كناية عن اقتراب وفاته ﷺ.

وفي الرواية الأخرىٰ يستخدم الرسول ﷺ الفعل الماضي بدلًا من المصدر فيقول: «**فهذا أوان قَطَعَتْ أبهري**» وهذه آكد في التعبير عن بلوغ السم مداه، وتحقق أثره.



المَرض يتسلل إلى جسد رسول اللَّه ﷺ

٨ـ «إني أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ»:

عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: «أَجَلْ إني أُوعَكُ[1] كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، قَالَ: «أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًىٰ شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بها سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»[2].

❁ ❁ ❁

٩ـ «ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ»:

عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَارَأْسَاه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَا ثُكْلِيَاه، وَاللهِ إني لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوتِي، وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلِلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَا رَأْسَاه، لَقَدْ هَمَمْتُ ـ أَوْ أَرَدْتُ ـ أَنْ أُرْسِلَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدَ، أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ، أَوْ يَتَمَنَّىٰ الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَىٰ اللهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ ـ أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَىٰ الْمُؤْمِنُونَ»[3].

---

(١) أوعك: أي يأخذني الوعْك بسكون العين، أي شدة الحمىٰ وسورتها، أو ألمها والرعدة فيها. فيض القدير (٢/ ١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٨) كتاب المرضىٰ، باب أشد الناس بلاء الأنبياء، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، وابن ماجة بلفظ آخر (٤٠٢٤) كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٦٦) كتاب المرضىٰ، باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع.

١٠ ـ «أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا»:

عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَىٰ لَهُ، أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ، فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[(١)].

❁ ❁ ❁

١١ ـ «أين أنا غدًا»:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ: «أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَدُفِنَ فِي بَيْتِي[(٢)].

❁ ❁ ❁

١٢ ـ «إني لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ»:

عن عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ بَعَثَ إِلَىٰ النِّسَاءِ ـ تَعْنِي فِي مَرَضِهِ ـ فَاجْتَمَعْنَ، فقال: «إِنِّي لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ، فَإِنْ رَأَيْتُنَّ أَنْ تَأْذَنَّ لِي فَأَكُونَ عِنْدَ عَائِشَةَ فَعَلْتُنَّ» فَأَذِنَّ له[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩) كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وأبو داود (٨٧٦) كتاب الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود، والنسائي في المجتبىٰ (١٠٤٥) كتاب التطبيق، باب تعظيم الرب في الركوع، وابن ماجة (٣٨٩٩) كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترىٰ له.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٩) كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، ومسلم (٢٤٤٣) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها. والجملة الأخيرة ليست عند مسلم.

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٣٧) كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء.

هذا مقام النبوة العالي، أراد الله له كمال الأجر، وتمام النعمة، فزاد في بلائه، (والسر فيه أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد، ومن ثم ضوعف حد الحر علىٰ العبد، قاله الكرماني)(١).

قال ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**»(٢).

بدأت معاناة النبي ﷺ في مرض موته، عركته الحمىٰ كما تعرك الرجلين من أمته، فراح ﷺ يتألم ألمًا شديدًا عجب له عبد الله بن مسعود، وهو يعود النبي، فقال له: إنك لتوعك وعكًا شديدًا. فأجابه النبي: «**أجل إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم**»، ففهم ابن مسعود أن مضاعفة الألم تستتبع مضاعفة الأجر، فقال: ذلك أن لك أجرين. فقال النبي ﷺ: «**أجل ذلك كذلك**».

ثم لم يُنْسِه ألمه المضاعف أن يبشر المؤمنين المبتلَيْن من أمته بأن البلاء نعمة تكفر بها السيئات، وتُحَطَّ بها الخطايا، كما تَحُطُّ الشجرة ورقها.

كان الرسول في بيته، في حجرة السيدة عائشة، في بدايات مرضه، وكان قد عاد من البقيع لتوه تنتاب رأسه الحمىٰ فتثقله، ومع ذلك لا يفتر عن مداعبة السيدة عائشة حين تشتكي وجعًا أصاب رأسها فتقول: وارأساه، فيقول ﷺ: «**ذلك لو كان وأنا حي**» أي لعلك تموتين وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك، يؤكد هذا ما جاء بعده، وما ذكر في رواية من أنه قال: «**وما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ثم دفنتك**»(٣).

فلا تملك السيدة عائشة حين تسمع ذلك إلا أن تتملك قلبها الغيرة ـ وكانت أشد نسائه ﷺ غيرةً عليه ـ فتقول: واثكلياه ـ تستغيث وتندب، والثكل: فقدان المرأة ولدها، ثم تقول: والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذاك

---

(١) عمدة القاري (٢١/ ٢١٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٧٤٨٢)، وابن ماجة (٤٠٢٣)، وأحمد (٦/ ٣٦٩) وغيرهم.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٧٠٧٩)، وابن ماجة (١٤٦٥)، وأحمد (٦/ ٢٢٨) وغيرهم.

ـ أي ولو حدث هذا الموت ـ لظللت آخر يومك معرِّسًا ببعض أزواجك، ومعرِّسًا بكسر الراء وتشديدها ـ وتُروىٰ بدون التشديد ـ مِن (أعرس بأهله إذا بنىٰ بها، وكذلك إذا غشيها)(١).

ثم يقول لها النبي ﷺ: «**بل أنا وارأساه**» كأنه يريد أن يُضرب عما سبق، ويدعوها لأن تنسىٰ وجع رأسها فإنه لن يضرها، وتَهتم بالنبي ووجعه الذي بدا يُنهك قواه، ويستنزف طاقته، ويكاد أن يفضي به إلىٰ الرفيق الأعلىٰ.

ثم يخبرها أنه أوشك أن يدعو أبا بكر وابنه، ليعهد إلىٰ أبي بكر بالأمر من بعده، درءًا للفتنة ودفعًا للقيل والقال، ولأماني الطامعين، ثم قال: «**يأبىٰ الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبىٰ المؤمنون**» والشك من الراوي يعني أن ذلك الأمر صائر لا محالة لأبي بكر لا إلىٰ غيره بإرادة الله أولًا، ثم بإجماع المؤمنين.

وفي الحديث جواز الشكوىٰ من المرض، (وما طبعت عليه المرأة من الغيرة، وفيه مداعبة الرجل أهله، والإفضاء إليهم بما يستره عن غيره)(٢)، وإعلام الله لنبيه بدنو أجله، وفيه تصريح بخلافة أبي بكر إن كان المراد بالعهد الخلافة كما هو ظاهر السياق.

وينهك المرض جسد رسول الله ﷺ فيأمر أبا بكر أن يصلي بالناس، لكنه يشعر يومًا بالشوق إلىٰ مسجده، وإلىٰ مكانه بين صحابته، فيكشف الستارة من بيت عائشة، كما يقول الحديث الذي بين أيدينا، وفي رواية أخرىٰ لمسلم والنسائي في المجتبىٰ: (كشف رسول الله ﷺ الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه)(٣)، فيفرح الناس لظهوره حتىٰ كادوا يفتنون في

(١) عمدة القاري (٢١/ ٢٢٣).

(٢) فتح الباري (١٠/ ١٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٩) كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، =

صلاتهم، ويوصي الرسول أصحابه، فيقول لهم وكأنه يودعهم: «**إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرىٰ له**»، ثم يعيد الستارة إلىٰ مكانها.

(قال ابن التين: معنىٰ الحديث أن الوحي ينقطع بموتي ولا يبقىٰ ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا الصالحة)[١].

وقد ورد عند البخاري وغيره قوله ﷺ: «**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»[٢]، وكان أول ما بدئ به الرسول ﷺ قبل نزول الوحي الرؤيا الصادقة.

ثم أخبرهم النبي ﷺ أن الله جَلَّ وَعَلَا نهاه عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وأخبرهم أن الركوع مقامٌ لتعظيم الرب جَلَّ وَعَلَا، وأن السجود مقامٌ للدعاء والتضرع.

(قال الخطابي: لما كان الركوع والسجود وهما غاية الذل والخضوع مخصوصَيْن بالذكر والتسبيح ـ نَهَىٰ ﷺ عن القراءة فيهما، كأنه كره أن يجمع بين كلام الله تعالىٰ، وكلام الخلق في موضع واحد، فيكونان سواءً)[٣].

ولم يعد النبي يستطيع ـ مع اشتداد وطأة المرض عليه ـ أن يدور بين نسائه، فيبيت عند كل واحدة ليلة كما كان يفعل وهو مُعَافًىٰ تحقيقًا للعدل الأسمىٰ الذي يتمثل في خلقه العظيم، فصار يتعلل ويطلب العذر (فيما يحاوله من الانتقال إلىٰ بيت عائشة رضي الله تعالىٰ عنها)[٤]، فيسأل: أين أنا

= والنسائي في المجتبىٰ (١١٢٠) باب الأمر بالاجتهاد في الدعاء والسجود.

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٩)، ومسلم (٢٢٦٣)، وغيرهما.

(٣) عون المعبود (٣/ ٩١).

(٤) عمدة القاري (٨/ ٢٢٣).

اليوم؟ أين أنا غدًا؟ لمن النوبة اليوم؟ لمن النوبة غدًا؟ كأنه يستطيل اليوم اشتياقًا إليها وإلىٰ نوبتها، ويعمل علىٰ توقِّي مشقة الانتقال من بيت إلىٰ بيت.

ثم جاء يوم لم يستطع فيه رسول الله ﷺ أن يتحمل المزيد من العناء فصرّح لأزواجه برغبته في الاستقرار ببيت عائشة، قال: «**إني لا أستطيع أن أدور بينكن، فإن رأيتن أن تأذنَّ لي فأكون عند عائشة فعلتن**».

يطلب النبي الكريم ﷺ الإذن من أزواجه ليمكث في بيت إحداهن، لا ليستمتع ويسترخي، وإنما ليُمرَّض ويعالج.

لقد كانت عائشة أحب نساء النبي إليه، وكانت نساؤه جميعًا يعلمن ذلك. وكن جميعًا ـ رغم حبهن لبقائه معهن، وعدم تفريطهن في حقهن فيه ـ حريصات علىٰ راحته، راغبات في تجنيبه كل عناء، فلما استأذن منهن أن يمرَّض في بيت عائشة أذنَّ له عن طيب خاطر.

وفي يوم عائشة شاء الله أن يَقْبِضَ نبيَّه ﷺ علىٰ صدرها، بين سحرها ونحرها كما تقول رضي الله عنها.

❁ ❁ ❁

يقول النبي ﷺ: «**إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» وهذه كناية عن شدة الألم وعظيم المعاناة.

«**أذىٰ شوكة**» ضرب للمثل بأقل الأذىٰ.

«**كما تحط الشجرة ورقها**» تشبيه تمثيلي شبه فيه النبي ﷺ المسلم وسيئاتُه تتحدر عن جسده فيغفر له بفضل المرض، بالشجرة تحط عنها أوراقها التي ذبلت؛ لتستعيد نضارتها من جديد.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: وارأساه، فيقول النبي ﷺ: «**ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك**».

«**ذاك**» بكسر الكاف (إشارة إلىٰ ما يستلزم المرض من الموت)(١).

«**لو كان**»: أسلوب شرط أداته «**لو**» غير الجازمة، وفي الجملة معنىٰ التمني؛ ولذلك نصب الفعل في الجواب بعد فاء السببية.

«**وأنا حي**» جملة اسمية حالية في محل نصب.

وفي العبارة حذف يفهم من السياق ومن الروايات الأخرىٰ وتقديره: ذلك لو كان وأنا حي ـ فأقوم علىٰ غسلك وتكفينك والصلاة عليك ودفنك ـ، والكلام كله من قبيل المداعبة والتلطف.

ثم قال النبي ﷺ: «**بل أنا وارأساه**»: (بل) حرف إضراب، يضرب عما سبق: (أي أُضربُ أنا عن حكاية وجع رأسك، وأشتغل بوجع رأسي، إذ لا بأس بك، وأنت تعيشين بعدي ـ عرفه بالوحي)(٢)، وهو أسلوب قصر باستخدام ضمير الفصل المتكلم.

«**لقد هممت ـ أو أردت ـ أن أرسل إلىٰ أبي بكر وابنه وأعهد**»: «**لقد هممت ـ أو أردت**»: الشك من الراوي.

ويوحي التعبير بأن النبي ﷺ همَّ بهذا الأمر ولم يعزم، «**أن أرسل إلىٰ أبي بكر وابنه وأعهد**».

وقد قيل: إذا كان العهد لأبي بكر، فلماذا يحضر الابن؟ (وأجيب بأن المقام مقام استمالة قلب عائشة، يعني كما أن الأمر مفوض إلىٰ والدك، كذلك الائتمار في ذلك بحضور أخيك، فأقاربك هم أهل أمري وأهل مشورتي، أو لما أراد تفويض الأمر إليه بحضورها أراد إحضار بعض محارمه حتىٰ لو احتاج إلىٰ رسالة إلىٰ أحد، أو قضاء حاجة لتصدي لذلك)(٣).

---

(١) فتح الباري (١٠/ ١٢٥).

(٢) عمدة القاري (٢٤/ ٢٧٩).

(٣) عمدة القاري (٢٤/ ٢٧٩).

وقال النووي: (وأما طلبه لأخيها مع أبي بكر؛ فالمراد منه أنه يكتب الكتاب)[١].

«**وأعهد**» أي أوصي، واختلف في المراد من الإيصاء، لكن الراجح من خلال قوله فيما بعد: «**يأبىٰ الله ويدفع المؤمنون**» أن المراد هو الخلافة.

«**أن يقول القائلون، أو يتمنىٰ المتمنون**» أي (لئلَّا يقول القائلون، أو مخافة أن يقول القائلون: لم يعهد رسول الله إلىٰ أبي بكر الخلافة الكبرى، وإنما اقتصر علىٰ الخلافة الصغرىٰ، وهي الإمامة، مع أن فيها الإشارة إلىٰ إقامة تلك الأمانة، «**أو يتمنىٰ المتمنون**» أي الخلافة لغيره من أنفسهم، أو لغيرهم، فأو للتفريع لا للشك)[٢].

وأيًّا كان التأويل لكلام رسول الله ﷺ، فإن ذلك كله ينتهي إلىٰ أن رسول الله لم يبعث إلىٰ أبي بكر وابنه، ولم يعهد بالخلافة إلىٰ أحد صراحة، وإنما ظلت أقواله وإيماءاته كلها توحي بأن أبا بكر هو الرجل الأول المرشح من بعده لذلك المنصب دون أن يبلغ ذلك حد التكليف المباشر، (ولو كان هناك نص عليه أو علىٰ غيره لم تقع المنازعة بين الأنصار وغيرهم)[٣].

«**يأبىٰ الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبىٰ المؤمنون**»

الشك من الراوي. والعبارتان متشابهتان في المعنىٰ، غير أن الأولىٰ أقوىٰ في التعبير عن الرفض القاطع لغير أبي بكر، فالإباء من الله يحسم المسألة، ولا يدع حجة لمحتج، فيجتمع المؤمنون بعد ذلك علىٰ دفع هذا الأمر والحيلولة دون تحققه.

قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا**

---

(١) شرح النووي (١٥/ ١٥٥).

(٢) مرقاة المفاتيح (١١/ ١٢١).

(٣) السابق (١١/ ١٦٨).

الصالحة يراها المسلم أو تُرىٰ له»: «**أيها الناس**» نداء يحمل صفة العموم، فهو موجه للناس جميعًا لا للمؤمنين فحسب.

«**إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة**» جملة مؤكدة بأسلوب القصر، وطريقه النفي والاستثناء.

«**يراها المسلم أو تُرىٰ له**» أو للتفريع لا للشك.

«**ألا وإني**» استهلال واستفتتاح وتنبيه يبدأ به الرسول ﷺ توصية المؤمنين بما يريد مؤكدًا حديثه بإن.

«**فأما الركوع فعظموا**» و«**وأما السجود فاجتهدوا**»: «**أمَّا**»: حرف شرط وتفصيل، وتقدر عند جمهور النحويين بـ(مهما يكن من شيء)، وتلزم الفاء جوابها وجوبًا.

وهي أيضًا مفيدة للتوكيد، قال ابن هشام: (وأما التوكيد فقلَّ من ذكره، ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري، فإنه قال: فائدة أمَّا في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول: زيد ذاهب، فإذا قصد توكيد ذلك، وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، وأنه منه عزيمة ـ قلت: أمَّا زيد فذاهب؛ ولذلك قال سيبويه في تفسيره: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب، فهذا التفسير مُدْلٍ بفائدتين: بيان كونه توكيدًا، وأنه في معنىٰ الشرط)[١].

والجملتان بينهما ازدواج يكسبهما إيقاعًا لطيفًا.

«**فقمن أن يستجاب لكم**» قَمَنٌ: أي جدير، وهي بفتح القاف والميم مصدر لا يثنىٰ ولا يجمع ولا يؤنث، وقد تكون مكسورة الميم فيراد بها الوصف، فهي عندئذ تثنىٰ وتجمع وتؤنث، (وفيه لغة ثالثة: قمين، بزيادة ياء، وفتح القاف وكسر الميم، ومعناه حقيق)[٢].

---

(١) مغني اللبيب (١/ ٨٢).

(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (٤/ ١٩٧)، وانظر لسان العرب (١٣/ ٣٤٧) مادة: قمن.

«**أين أنا اليوم؟ أين أنا غدًا؟**» هذان التعبيران كناية عن استطالة الوقت اشتياقًا إلىٰ عائشة، واستبطاءً لنوبتها، حيث لا يستريح ولا يسكن للتمريض إلا في بيتها، يؤكد ذلك ما جاء في الحديث التالي:

«**إني لا أستطيع أن أدور بينكن، فإن رأيتن أن تأذنَّ لي فأكون عند عائشة فعلتن**»: «**إني لا أستطيع أن أدور بينكن**» إشارة واضحة إلىٰ ما أصاب الرسول ﷺ من إعياء وتعب لا يمكنه من الانتقال بين بيوت نسائه، كما كان يفعل في صحته.

«**فإن رأيتن أن تأذنَّ لي فأكون عند عائشة فعلتن**» استخدام الشرط دون الأمر «**فإن رأيتن**» وقوله: «**تأذنَّ**»: يشف عن الأدب النبوي الرفيع، إذ يترك لنسائه الخيار في الأمر، دون قسر أو إجبار، والفاء في «**فأكون**» دلالة علىٰ الرغبة في سرعة الإذن، لاشتداد المرض علىٰ رسول الله ﷺ.



اشْتدادُ وطأةِ المَرض

١٣ ـ «لا تَلُدُّونِي»:

قَالَتْ عَائِشَةُ: لَدَدْنَاهُ[١] في مَرَضِهِ فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ لَا تَلُدُّوني، فَقُلْنَا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي»، قُلْنَا: كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «لا يَبْقَىٰ أَحَدٌ في الْبَيْتِ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ، إِلَّا الْعَبَّاسَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ»[٢].

❁ ❁ ❁

١٤ ـ «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ»:

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَني عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ في بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلَاهُ في الْأَرْضِ، بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي مَنْ الرَّجُلُ الْآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ تُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ قَالَ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ

---

(١) لددناه: أي جعلنا في جانب فمه دواء بغير اختياره، وهذا هو اللدود، فأما ما يصب في الحلق، فيقال له: الوجور، وقد وقع عند الطبراني من حديث العباس أنهم أذابوا قسطًا أي بزيت، فلدوه به. فتح الباري (٨/ ١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٥٨) كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

أَوْكِيَتُهُنَّ؛ **لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَىٰ النَّاسِ**»، فَأَجْلَسْنَاهُ في مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ: حَتَّىٰ طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ: أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ النَّاسِ، فَصَلَّىٰ بهم وَخَطَبَهُمْ[1].

❁ ❁ ❁

١٥ ـ «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ»:

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً في الْمِخْضَبِ**» قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ ﷺ: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً في الْمِخْضَبِ**» قَالَتْ: فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً في الْمِخْضَبِ**» فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**» فَقُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ في الْمَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ ﷺ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ـ وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا ـ يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّىٰ أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ، قَالَ: «**أَجْلِسَانِي إِلَىٰ جَنْبِهِ**» فَأَجْلَسَاهُ إِلَىٰ جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٢) كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته.

بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَدَخَلْتُ عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: هَاتِ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا، فَمَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: أَسَمَّتْ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هُوَ عَلِيٌّ[1].

❁ ❁ ❁

١٦ ـ «دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ»:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ! اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: «**ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا**» فَتَنَازَعُوا، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ؟ أَهَجَرَ؟ اسْتَفْهِمُوهُ، فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ**» وَأَوْصَاهُمْ بِثَلَاثٍ: قَالَ: «**أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ**» وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ، أَوْ قَالَ فَنَسِيتُهَا[2].

❁ ❁ ❁

أيُّ خوف وهلع أصاب نساء رسول الله ﷺ وهن يرين قوىٰ الزوج الحبيب تتداعىٰ أمام أعينهن، وهن لا يملكن أن يدفعن عنه، فيحاولن التماس الشفاء له بأي حيلة، ولو كان الدواء فيما يكرهه.

أشارت بعضهن باللُّدود، وهو الدواء يوضع في جانب فم المريض علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧) كتاب الجماعة والإمامة، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، ومسلم (٤١٨) كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام، والنسائي في المجتبىٰ، كتاب الإمامة، باب الائتمام بالإمام يصلي قاعدًا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣١) باب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، ومسلم (١٦٣٧) كتاب الوصية، باب ترك الوصية..

غير اختياره، قيل: إنهم أذابوا قسطًا هنديًا بزيت، ثم لدُّوا به رسول الله ﷺ، فأشار إليهم أن لا تفعلوا، فظنوا أن ذلك مرجعه كراهية الدواء وليس النهي. فلما أفاق ﷺ عاقبهم جميعًا لعدم امتثالهم لنهيه، فأمر أن يُلَدَّ كل من في البيت إلا العباس لأنه لم يشهدهم.

وقد كانت ميمونة أم المؤمنين معهم، وكانت صائمة، غير أنها لُدَّتْ أيضًا لعموم أمر النبي ﷺ.

جاء في شرح مشكل الآثار: (عن أسماء بنت عميس قالت: إن أوّل ما اشتكىٰ رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، اشتد مرضه حتىٰ أغمىٰ عليه. قالت: فتشاور نساؤه في لدِّه فلدُّوه، فلما أفاق قال: ما هذا؟ أَفِعْلُ نساء يجئن من هاهنا، وأشار إلىٰ أرض الحبشة، وكانت أسماء معهن، فقالوا: كنا نتهم بك ذات الجنب[1] يا رسول الله، قال: «**إن ذلك داء ما كان الله ﷻ ليعذبني به، لا يبقَيَنَّ في البيت أحد إلا لُدَّ إلا عم رسول الله ﷺ**»، يعني العباس. قال: فلقد التدت ميمونة يومئذ وإنها لصائمة؛ لعزيمة رسول الله ﷺ)[2].

وإنما كَرِهَ ﷺ اللَّدَّ مع أنه حَثَّ علىٰ التداوي، وكان يتداوىٰ؛ لأنه تحقق أن اللَّدَّ لا يناسب مرضه، ولا يفيده، كما ذهب إلىٰ ذلك ابن حجر[3].

واشتدت الحمىٰ برسول الله ﷺ حتىٰ ما عاد يستطيع المشي والحركة، فخرج من بيت ميمونة بعد أن أذن له أزواجه أن يمرض في بيت عائشة يستند إلىٰ العباس وعليّ، ورجلاه تخطان في الأرض، فلما استقر به الرقاد في بيت عائشة، وأوهنت الحمىٰ قواه، أراد أن يخرج إلىٰ الناس ليعهد إليهم، فأمر من

---

(١) ذات الجنب: قرحة تصيب الإنسان داخل جنبه، وهي علة صعبة تأخذ في الجنب، وقال ابن شميل: ذات الجنب هي الدُّبَيْلة، وهي قرحة تنقب البطن، وقيل هي التهاب في الغشاء المحيط بالرئة. تاج العروس (٢/ ١٩١، ١٩٢)، والمعجم الوسيط (١/ ٣٠٨).

(٢) شرح مشكل الآثار (٥/ ١٩٣).

(٣) فتح الباري (٨/ ١٤٧).

حوله من أهله أن يأتوه بسبع قرب لم تحلل أغطيتها بعد ملئها من آبار المدينة، فيصبوها عليه لعلها ترفع عنه الحمىٰ، فيخرج إلىٰ الناس فيعهد إليهم.

واشترط ﷺ ألا تكون أوكية هذه القرب قد حُلت من قبل، حتىٰ يضمن صفاء الماء (لأن الأيدي لم تخالطه، وأول الماء أطهره وأصفاه)(١).

وجيء للنبي بالقرب، ثم أُجلس في مخضب لحفصة، وصُبت عليه تلك القرب حتىٰ أشار إليهم أن كفُّوا، ثم خرج إلىٰ الناس فصلىٰ بهم وخطبهم.

ثم ثَقُلَ النبي ﷺ ذات ليلة، فقال: «**أصلىٰ الناس؟**» فأجابوه: لا، هم ينتظرونك، فأمرهم أن يضعوا له ماء في المخضب، فاغتسل ثم أراد أن ينهض ليخرج فأغمي عليه، ثم أفاق، واغتسل رسول الله ﷺ بعد ذلك مرتين، وهو يحاول في كل مرة أن ينهض فلا يستطيع، ثم يغمىٰ عليه ثم يفيق.

وبعد الثالثة أرسل الرسول ﷺ لأبي بكر يأمره أن يصلي بالناس الذين كانوا ما يزالون عكوفًا بالمسجد ينتظرون أن يصلي الرسول ﷺ بهم العشاء الآخرة.

ورغم هذا المرض الشديد الذي أنْهك قوىٰ النبي ﷺ إلا أن ارتباطه الوثيق بالمسجد الذي يملك فؤاده، وبأصحابه الذين أحبهم وأحبوه ـ يدفعه إلىٰ أن يتمالك نفسه، ويتناسىٰ آلامه، ويبذل ما وسعه من جهد ليخرج إلىٰ الناس فيصلي بهم.

شعر النبي ذات يوم بخفة، فخرج يستند إلىٰ رجلين هما العباس وعلي، وكان أبو بكر يصلي الظهر بالناس، فلما رآه أبو بكر أراد أن يتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر، وأُجلس النبي ﷺ إلىٰ جنب أبي بكر، فكان أبو بكر يأتم بصلاة النبي، والناس يأتمون بصلاة أبي بكر حتىٰ تمت الصلاة.

---

(١) عمدة القاري (٢١/ ٢٥٠).

وفي يوم الخميس اشتد بالرسول وجعه فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا**» فاختلف الناس من حوله وتنازعوا، فمنهم من دعا إلىٰ إجابة أمر النبي، ومنهم من امتنع، قال المازري: (إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك؛ لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت علىٰ أن الأمر ليس علىٰ التحتم بل علىٰ الاختيار، فاختلف اجتهادهم)(١).

فلما ألحوا علىٰ النبي ﷺ بالكلام. قال: «**دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه**» ثم أوصاهم بثلاث: إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بمثل ما كان يجيزه رسول الله ﷺ، ثم سكت عن الثالثة، أو قال الراوي: فنسيتها.

❁ ❁ ❁

قوله ﷺ: «**ألم أنهكم أن تلدُّوني؟**»: استفهام فيه إنكار شديد لما فعله المحيطون بالنبي من لدِّه علىٰ غير رغبته.

أما قوله: «**لا يبقىٰ أحد في البيت إلا لُدَّ**»: ففيه حصر وتوكيد واستقصاء للقصاص إلىٰ غايته.

«**وأنا أنظر**» جملة حاليَّة فيها تأكيد حتمية القصاص إذ اشترط رؤيته بنفسه ﷺ.

«**إلا العباس، فإنه لم يشهدكم**» استثناء العباس مقترن بعلَّته، وفي ذلك تحقيق للعدل النبوي.

قال رسول الله ﷺ وقد اشتد به وجعه: «**هريقوا عليَّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن؛ لعلي أعهد إلىٰ الناس**»: «هريقوا»، وردت في رواية «أهريقوا»،

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٣٣ - ١٣٤).

وفي بعض النسخ «**أريقوا**» ولكل ذلك وجه في اللغة، جاء في الصحاح: (وهَراق الماء يُهرقه بفتح الهاء هِرَاقةً، أي: صبَّه، وأصله: أَرَاقَ يريق إراقة... وفيه لغة أخرىٰ: أَهْرَقَ الماء يهرقه إهراقًا... وفيه لغة ثالثة: أَهْرَاقَ يُهريق إهراقًا فهو مُهريق)[(١)].

واللفظة توحي بشدة تدفق الماء عند سكبه.

«**من سبع قرب**» واختيار السبع (يشبه أن يكون تبركًا بهذا العدد؛ لأن له دخولًا في كثير من أمور الشريعة، وأصل الخلقة)[(٢)]، فالسماوات سبع والأرضون سبع وأيام الأسبوع سبع، كما يبدو أن له خاصية في دفع السم والسحر، وقد ورد في ذلك أحاديث منها: «**من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضرَّه في ذلك اليوم سمٌّ ولا سحر**»[(٣)]، وقوله ﷺ: «**من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرار: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، سبع مرات، إلا عافاه الله من ذلك المرض**»[(٤)].

«**لعلِّي أعهد إلىٰ الناس**» رجاء يوحي بشدة حرص النبي ﷺ علىٰ ألا يترك أمته دون أن يوصيها ويرشدها، فهو لم يطلب صبّ القرب رجاء الشفاء، بل لكي يتمكن من الخروج إلىٰ الناس ليصلي بهم ويخطبهم.

يقول ﷺ وقد ثقل: «**أصلَّىٰ الناس؟**» استفهام تكرر ثلاث مرات ليحمل معاني الشفقة والرحمة والحرص علىٰ إقامة فريضة الله، وفيه ما يوحي بغياب النبي عن الوعي بحيث لا يشعر بما يحدث إلىٰ جواره في المسجد.

«**ضعوا لي ماء في المخضب**» أمر تكرر ثلاث مرات؛ ليعبِّر عن المحاولات

---

(١) الصحاح في اللغة (٤/ ١٥٦٩ ـ ١٥٧٠).

(٢) فتح الباري (١/ ٣٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٤٥)، ومسلم (٢٠٤٧) وغيرهما.

(٤) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣) وغيرهما.

المضنية التي يبذلها رسول الله ﷺ، ويتحمل عناءها من أجل أصحابه وأمته.

«**أجلساني إلىٰ جنبه**» أمر يوحي بشدة وطأة المرض، إذ لا يستطيع النبي ﷺ أن يصلي واقفًا، بل لا يستطيع أن يجلس وحده، وفيه تواضع الأنبياء ودماثتهم، وفيه أيضا إشارة إلىٰ عظيم مكانة أبي بكر في الإسلام.

يقول ﷺ: «**ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا**»

«**ائتوني أكتب**» أمر وجوابه، والغرض من الأمر مختلف فيه بين الوجوب والندب، وهو إلىٰ الندب أقرب، إذ لو كان واجبًا لما وسعهم إلا أن يستجيبوا له.

«**لن تضلوا بعده أبدًا**» النفي بلن، وإتباعه بقوله: «**أبدًا**» يؤكد النفي، ويقطع بحتميته.

ثم قال ﷺ: «**دعوني؛ فالذي أنا فيه خير**»: وفعل الأمر «**دعوني**» يحمل معاني الضجر والضيق بما يقولونه، «**فالذي أنا فيه خير**» كناية عمَّا أعده الله ﷻ له من الكرامة.

ثم قال: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**» تبدو بين الجملتين ملامح مقابلة، فعلىٰ حين تدعو الجملة الأولىٰ إلىٰ الإخراج والطرد، تحض الثانية علىٰ الإكرام والإجازة، وحديث النبي ﷺ عن هذين الأمرين في مرضه الذي قبض فيه دليل علىٰ خطورتهما وعظيم أهميتهما.



الرَّحيل

١٧ ـ «لَيْسَ عَلَى أبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام: وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «**لَيْسَ عَلَىٰ أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْم**» فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاه، مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاه، يَا أَبَتَاه، إِلَىٰ جِبْرِيلَ نَنْعَاه، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ[1].

❁ ❁ ❁

١٨ ـ «اللهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى»:

عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَني عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ وَهُوَ صَحِيحٌ ـ يَقُولُ: «**إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَيَّا ـ أَوْ يُخَيَّرَ**» فَلَمَّا اشْتَكَىٰ وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ، وَرَأْسُهُ عَلَىٰ فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ**» فَقُلْتُ: إِذًا لَا يُجَاوِرُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، والنسائي في الصغرىٰ (١٨٤٤)، وابن ماجة في سننه (١٦٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٧) كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ومسلم (٢٤٤٤) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها.

١٩ ـ «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ»:

عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أنها أَخْبَرَتْهُ، أنها سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَىٰ صَدْرِهَا، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ**»[1].

عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**». فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَقُلَ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ لأَصْنَعَ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ**». قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَىٰ[2].

❁ ❁ ❁

تتقطع نفس السيدة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حسرة، وهي ترىٰ أباها يُحتضر فتصيح صيحة تخلع القلب، وتدمي النفس: واكرب أباه، إنه الرسول الكريم والأب الحنون يعاني سكرات الموت. فما أفدحها من مصيبة!، وما أشدها من محنة!.

فيجيبها النبي ﷺ بجلال النفس الراضية المطمئنة: «**ليس علىٰ أبيك كرب بعد اليوم**» أي: لا كرب عليه بعد انتقاله ﷺ إلىٰ جوار ربه.

وليس ذلك نواحًا من المنهي عنه، لأنها لم ترفع صوتها به، ولذلك لم ينهها ﷺ عنه، ويأتي في ذات السياق ما قالته السيدة المكلومة حين فجعت بأبيها: يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلىٰ جبريل ننعاه. فكلها حقائق لم تتجاوز بها السيدة الكريمة الواقع، ولم يخرجها الحزن النبيل عن الحق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٤٤) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٩١) كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض.

ثم إذا انتقل الرسول إلىٰ بارئه، ونعته السيدة الجليلة إلىٰ جبريل، ودفنه أصحابه، قالت لأنس في أسًىٰ: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا علىٰ رسول الله ﷺ التراب؟.

ولم يجب أنس تأدبًا ورعاية لحال السيدة المكلومة، لكن لسان حاله كان يقول: لا والله، ما طابت أنفسنا بذلك، وما كان لها أن تطيب، لكننا نحبه ونطيعه، وهو الذي أمرنا بذلك، ولو كنا نملك أن نضعه بين أعيننا وقلوبنا بدلًا من أن نضعه في التراب لفعلنا.

نقلت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قوله وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبي قط حتىٰ يَرىٰ مقعده من الجنة ثم يُحيَّا ـ شك الراوي فقال: أو يخيَّر**».

والمراد بقوله: «**يُحيَّا**» بتشديد الياء الأخيرة، (أي يسلَّم إليه الأمر أو يملَّك في أمره، أو يسلَّم عليه تسليم الوداع)[1].

وهذا الأمر من خصائص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، كما ينص الحديث.

جاء في مسند أحمد وغيره من حديث أبي مويهبة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إني أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة، فخيرت بين ذلك، وبين لقاء ربي والجنة، فاخترت لقاء ربي والجنة**»[2].

إن أحدًا غير السيدة عائشة لم يشهد اللحظات الأخيرة في حياة النبي ﷺ. لقد أتيح لها أن تراه وهو يخيَّر ـ قبل أن يُقبض ـ بين الحياة الدنيا وجوار ربه، وسمعته وهو يقول ـ شاخصًا ببصره نحو سقف البيت ـ : «**اللهم في الرفيق**

---

(١) عمدة القاري (١٨/ ٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٩)، والحاكم في المستدرك (٤٣٨٣) (٣/ ٥٧)، والطبراني في الكبير (٨٧١) (٢٢/ ٣٤٦).

الأعلىٰ».

أرادت كما جاء في الرواية الأخيرة ـ أن تمسح علىٰ النبي ﷺ بيمين نفسه كما كان يفعل إذا اشتكىٰ منهم إنسان، فنزع يده من يدها، وشخص ببصره نحو سقف البيت وقال:

«**اللهم الرفيق الأعلىٰ**» أو قال: «**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق**» أو قال: «**اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلىٰ**».

فأدركت السيدة عائشة أن الرسول ﷺ قد خُيِّر ـ كما كان يقول وهو صحيح ـ فاختار.

زهد النبي في المتاع الزائل، وقد عاش حياته كلها زاهدًا فيه، واختار ما هو خير وأبقىٰ، ولم ينس وهو يعالج السكرات أن يطلب من الله المغفرة: «**اللهم اغفر لي**».

وليس ثمة ذنب يتطلب المغفرة للنبي المعصوم، ولكنه التواضع والتذلل للخالق جَلَّ وَعَلَا ، في موقف تتنزل فيه الرحمات، وتقال فيه العثرات.

إنه الإقبال الكامل علىٰ الله، والانصراف عما سواه.

إنه الخضوع المطلق لمالك الكون، ومالك النفوس.

تقول السيدة عائشة بعد أن سمعت هذه الكلمات من فم رسول الله ﷺ: فذهبت أنظر فإذا هو قد قبض.

❁ ❁ ❁

قال النبي لابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين صاحت: واكرب أباه: «**ليس علىٰ أبيك كرب بعد اليوم**».

تقدم شبه الجملة الخبر علىٰ الاسم للدلالة علىٰ التخصيص، والاسم «**كرب**» نكرة لإفادة العموم، «**بعد اليوم**» أراد يوم الاحتضار.

والجملة كاملة كناية عن انتهاء النصب والعناء الذي لقيه النبي ﷺ في الدنيا، وديمومة النعيم الذي ينتظره عند ربه في الآخرة.

كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبي قط حتىٰ يرىٰ مقعده من الجنة ثم يُحيًا ـ أو يخيَّر**».

«**إنه لم يقبض نبي قط**» والفعل «**يقبض**» منفي بلم، وتأكد نفيه بالظرف المبني (قط)، «**حتىٰ يرىٰ مقعده من الجنة**» كناية عن تثبيت الله لأنبيائه بتحقيق وعده لهم، «**ثم يُحيًا أو يخير**».

«**ثم يُحيًا**» كناية عن التوديع والمفارقة.

«**أو يخيَّر**» أو للشك، ويخيَّر: كناية عن التفويض التام في أمر النفس.

قال ﷺ في النفس الأخير: «**اللَّهم في الرفيق الأعلىٰ**»[1]، وفي رواية: «**اللَّهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق**»[2]، وفي رواية أخرىٰ: «**اللَّهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلىٰ**»[3].

والجامع المشترك بين هذه الثلاثة هو قوله: «**في الرفيق**» وهو شبه جملة جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره: أدخلوني فيهم، والرفيق الأعلىٰ: (قال الجوهري: الرفيق الأعلىٰ: الجنة، وكذا رُوي عن ابن إسحاق، وقيل: الرفيق: اسم جنس يشمل الواحد وما فوقه، والمراد به الأنبياء عليهم السلام ومن ذكر في الآية[4]، وقال الخطابي: الرفيق الأعلىٰ هو الصاحب المرافق، وهو هاهنا بمعنىٰ الرفقاء يعني الملائكة، وقال الكرماني: الظاهر أنه معهود من قوله تعالىٰ: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، أي أدخلني في جملة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٧)، ومسلم (٢٤٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٩١).

(٤) المراد آية النساء ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم...﴾ [النساء: ٦٩].

أهل الجنة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والحديث المتقدم يشهد بذلك، وقيل: المراد بالرفيق الأعلىٰ الله ﷻ، لأنه رفيق بعباده)[١].

وكل أولئك يصلح أن يكون مرادًا لكلمة الرفيق، لأن المعنىٰ أن الرسول ﷺ في نهاية المطاف، وبعد حياة حافلة بالجهاد ـ زهد في الدنيا ومتاعها، واختار الله وما عنده.



(١) عمدة القاري (١٨/ ٦٤).

الباب الثاني

الرَّسولُ ﷺ مع الْمؤمِنين

الفصل الأول

الرسول ﷺ مع الرُّسل والأنبياء





مثلي ومثل الأنبياء

١ ـ «مثلي ومثل الأنبياء»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ»، قَالَ: «فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[١].

۞ ۞ ۞

يؤكد هذا الحديث أن رسالة محمد ﷺ لم تأت في سياق وحدها، وإنما جاءت ختامًا لسلسلة متصلة من الرسالات، واكتمل بها بناء الوحي السماوي، ولا يعني ذلك أن الرسالات التي سبقتها كانت ناقصة، (فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة، فالمراد ـ هنا ـ : النظر إلىٰ الأكمل بالنسبة إلىٰ الشريعة المحمدية مع ما مضىٰ من الشرائع الكاملة)[٢]؛ بل يعني أن الرسالة المحمدية هي الرسالة التي استوعبت ما سبقها من رسالات، وصدَّقت بما جاء قبلها من كتب صحيحة لم تنلها يد التحريف، وأبطلت بعض ما جاء فيها مما لا يناسب الرسالة العامة الخاتمة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وفي معنىٰ التصديق والهيمنة قال الطاهر بن عاشور: (وقد أشارت الآية

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥) كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، ومسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، والترمذي (٢٨٦٢) كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في مثل النبي ﷺ والأنبياء قبله.

(٢) فتح الباري (٨/ ٥٥٩).

إلىٰ حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما في الشرائع، مقرر له من كل حكم كانت مصلحته كليَّة، لم تختلف مصلحته باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدق، أي محقق ومقرر، وهو أيضًا مبطل لبعض ما في الشرائع السالفة، وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصلحته جزئية مؤقتة مراعًىٰ فيها أحوال أقوام خاصة)[١].

إنه دين واحد، وإن تعددت الرسالات، وتعدد المرسلَون؛ لأن المرسِل ﷻ واحد، والغاية واحدة، قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

ويبقىٰ لمحمد ﷺ مع ذلك فضل الرسالة العامة الشاملة التي جاءت للناس كافة، وختمت بها كل الرسالات.

إن الحديث ينقل لنا الإحساس بالتعاضد الذي يغمر قلب النبي ﷺ، إذ لا يشعر أنه وحيد، وإنما هو عضو في أسرة كريمة واحدة، تجمعها أُخوَّة النبوة: «**أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ، الأنبياء إخوة أولاد علَّات، وليس بيني وبين عيسىٰ عليه السلام نبي**»[٢].

ومع ما فُضل به محمد ﷺ علىٰ سائر الأنبياء من حمل الرسالة الخاتمة، إلا أنه لتواضعه الجمِّ يصف نفسه باللبنة، لبنة في بناء كبير متماسك، حتىٰ وإن كان الواقع يقول أنه لولا هذه اللبنة لما تم البناء، ولما وصف بالكمال والجمال.

❁ ❁ ❁

---

(١) التحرير والتنوير (٦/ ٢٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٦٣).

الحديث يعرض تشبيهًا تمثيليًّا، صور فيه النبي ﷺ حاله وحال الأنبياء من قبله وما جاؤوا به، وما جاء به ـ بحال بيت بناه رجل فأحسن بناءه، وبالغ في تزيينه وتجميله، ولكنه ترك فيه موضع لبنة في زاوية، لم يضعها في موضعها، فصار الناس يتعجبون من جمال البيت وروعة بنائه، ويأسفون لغياب هذه اللبنة، ويقولون هلَّا وضعت هذه اللبنة.

والتشبيه يوحي بأهمية الرسالة المحمدية وفضلها علىٰ كل الرسالات، كما أنه يشير إلىٰ وحدة الرسالات، ووحدانية المرسِل.

وهذا التشبيه مثال واضح للبلاغة النبوية المتفردة، إنه صورة حية شديدة البساطة، مع تعدد أطرافها، وتنوع تفاصيلها. إنها تأخذ لُبَّكَ من اللحظة الأولىٰ حين تتابع هذا الرجل الذي بنىٰ البيت وحسَّنه وجمَّله، ثم تفجؤك بأنه ترك موضع لبنة، ثم تدور عيناك مع الناس وهم يدورون حول البيت ويعجبون من حسنه وجماله، ثم تتحسر معهم حين يتحسرون علىٰ موضع اللبنة الغائبة، ثم تهدأ نفسك، وينشرح صدرك حين تعلم أن النبي ﷺ هو هذه اللبنة، وأن دين الله قد اكتمل واختتم بمجيئه.

إنها صورة مليئة بالحركة (بنىٰ ـ يطوفون) عامرة بالأصوات (يعجبون ـ ويقولون)، متعددة الأطراف، كما أنها تشبه القصة القصيرة في كثافة الصورة، وجودة الحبكة، وروعة الخاتمة.

وقوله ﷺ: «**يطوفون به، ويعجبون له**» ازدواج لطيف الإيقاع.

«**هلَّا وضعت هذه اللبنة**» أسلوب طلبي، غرضه الحث والتحضيض.

«**فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**» جملتان اسميتان مثبتتان صيغتا بأسلوب القصر الذي اعتمد علىٰ ضمير الفصل، وفيه مثال علىٰ التكثيف اللغوي الذي يختم به النبي ﷺ الحديث، ويلخص فيه مضمونه، ويكون آخر ما يقرع به أذن السامع بقوة وتركيز؛ ليظل مترددًا في وعيه؛ محفوظًا في ذاكرته إلىٰ

أطول زمن ممكن.



الرسول ﷺ مع جبريل عليه السلام

١ ـ «فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**...»[(١)].

❁ ❁ ❁

٢ ـ «رأيتُهُ منهبطًا من السماء»:

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلاَثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ـ ﷺ ـ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلاَ تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾. فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**»[(٢)].

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٤٩) كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟، ومسلم (١٦٣) كتاب الإيمان، باب الإسراء، عن أنس رضي الله عنه، وبنحوه عند النسائي في المجتبى عن مالك بن صعصعة (٤٤٨) كِتَابُ الصَّلَاةِ، باب فَرْضُ الصَّلَاةِ.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧) كتاب الإيمان، باب مَعْنَى قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ =

٣ ـ «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾** [لقمان: ٣٤]» ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: «**رُدُّوا عَلَيَّ**» فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوا، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ**»[١].

❁ ❁ ❁

٤ ـ «وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ»:

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: وَاعَدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فيها، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ، ولم يَأْتِهِ، وفي يَدِهِ عَصًا، فَأَلْقَاهَا من يَدِهِ،

= وَهَلْ رَأَىٰ النبي رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، والترمذي (٣٠٦٨) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٧) كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، ومسلم (٩) كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَوُجُوبِ الْإِيمَانِ، والترمذي بنحوه عن عمر (٢٦١٠) كتاب الإيمان، بَابُ ما جاء في وَصْفِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ.

وقال: «ما يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ ولا رُسُلُهُ» ثُمَّ الْتَفَتَ، فإذا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فقال: «يا عَائِشَةُ مَتَىٰ دخل هذا الْكَلْبُ ها هنا؟» فقالت: والله ما دَرَيْتُ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لك فلم تَأْتِ» فقال: مَنَعَنِي الْكَلْبُ الذي كان في بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ[1].

۞ ۞ ۞

٥ ـ «نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي»:

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخَّرَ الْعَصْرَ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: أَمَا إِنَّ جِبْرِيلَ قَدْ نَزَلَ فَصَلَّىٰ أَمَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: اعْلَمْ مَا تَقُولُ يَا عُرْوَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ بَشِيرَ بْنَ أَبِي مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، يَحْسُبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ»[2].

۞ ۞ ۞

٦ ـ «أمَّني جبريل عند البيت مرتين»

عن ابن عَبَّاسٍ قال: قال: رسول اللهِ ﷺ: «أَمَّنِي جِبْرِيلُ عليه السلام عِنْدَ الْبَيْتِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٠٤) كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، عن عائشة رضي الله عنها، وأبو داود (٤١٥٧) كتاب اللباس، باب في الصور، والنسائي في المجتبىٰ (٤٢٨٣) كتاب الصيد والذبائح، باب امْتِنَاعُ الْمَلَائِكَةِ من دُخُولِ بَيْتٍ فيه كَلْبٌ، بنحوه، كلاهما عن ابن عباس عن ميمونة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢١) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم (٦١٠) كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس، والنسائي في المجتبىٰ (٤٩٤) كتاب المواقيت، باب المواقيت، وابن ماجة (٦٦٨) كتاب الصلاة، أبواب مواقيت الصلاة.

مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّىٰ بِيَ الظُّهْرَ حين زَالَتْ الشَّمْسُ، وَكَانَتْ قَدْرَ الشِّرَاكِ، وَصَلَّىٰ بِيَ الْعَصْرَ حين كان ظِلُّهُ مثله، وَصَلَّىٰ بِيَ - يَعْنِي الْمَغْرِبَ - حين أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّىٰ بِيَ الْعِشَاءَ حين غَابَ الشَّفَقُ، وَصَلَّىٰ بِيَ الْفَجْرَ حين حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ علىٰ الصَّائِمِ، فلما كان الْغَدُ صلىٰ بِيَ الظُّهْرَ حين كان ظِلُّهُ مثله، وَصَلَّىٰ بِي الْعَصْرَ حين كان ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ، وَصَلَّىٰ بِيَ الْمَغرِبَ حين أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّىٰ بِيَ الْعِشَاءَ إِلىٰ ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلَّىٰ بِيَ الْفَجْرَ فَأَسْفَر، ثُمَّ الْتَفَتَ إلي فقال: يا محمد، هذا وَقْتُ الأنبياء من قَبْلِكَ، وَالْوَقْتُ ما بين هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ»(١).

❁ ❁ ❁

٧ـ «أَتَانِي جِبْرِيلُ ﷺ»:

عن خَلَّادِ بن السَّائِبِ الْأَنْصَارِيِّ، عن أبيه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ ﷺ، فَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَ أَصْحَابِي وَمَنْ مَعِي أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتهم بِالْإِهْلَالِ**»، أو قال: «بِالتَّلْبِيَةِ»، يُرِيدُ أَحَدَهُمَا(٢).

❁ ❁ ❁

تبدو مفعمة حرارة اللقاء بين الأرض ممثلة في شخص النبي ﷺ، والسماء ممثلة في جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذ لم يكن هذا اللقاء مشابها للقاءات السابقة، بل كان لقاء فذًّا متميزًا، إنه لقاء الإعداد لرحلة الإسراء والمعراج وتهيئة قلب النبي لاختراق السماوات العلىٰ، والسباحة في الملكوت الأعلىٰ. كان لقاء التطهير والاصطفاء.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٣) كتاب الصلاة، بَاب في الْمَوَاقِيتِ، والترمذي (١٤٩) كِتَاب أبواب الصَّلَاةِ، بَاب ما جاء في مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ عن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٨١٤) كتاب المناسك، باب كيف التلبية؟، والترمذي (٨٢٩) كتاب الحج، بَاب ما جاء في رَفْعِ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ، وابن ماجة (٢٩٢٢) كتاب المناسك، بَاب رَفْعِ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ.

في **الحديث الأول** أخبر النبي ﷺ أن جبريل أتاه وهو بمكة ففرج سقف البيت، ثم نزل إلىٰ النبي ﷺ، ففرج صدره، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيمانًا، فأفرغه في صدره، ثم أطبقه كما كان، ثم أخذ بيده بكل رفق، فعرج به إلىٰ السماء.

وهذا الشَّقُّ الذي تحدث عنه النبي في الحديث كان قبيل الإسراء، وهو غير الشقِّ الأول الذي كان النبي ﷺ فيه صبيًا في مرابع بني سعد، ويبدو أن هذا الشَّقَّ الأخير كان تَهيئة للنبي للرحلة العلوية التي لا يتحملها قلب بشر إلا أن يعده الله لذلك.

ولا يجوز تأويل الحديث أو إخراجه عن حقيقته، فإن شقَّ صدر النبي ﷺ ثابت بالأحاديث الصحيحة، وهو ليس بالأمر المستغرب في حق النبي ﷺ، بل هو من معجزاته المعدودة الثابتة.

ويُفاجَأ النبي ﷺ في لقاء آخر بمشهد عظيم لم يره من قبل، إنه جبريل في صورته الطبيعية دون تمثل أو تشكل، أي هول تراه خالط قلب النبي حين رأىٰ هٰذا الخلق العظيم؟! وأي سعادة غمرت جوانحه، وحجب الغيب تتكشف له فيرىٰ ما لا يراه الناس، ويُختص بفيوض المنح الإلهية التي لا توهب إلا لأصفياء المولىٰ عز وجل؟

في **الحديث الثاني** يدور حوار بين السيدة عائشة رضي الله عنها ومسروق رضي الله عنه حول هذه المسألة، فقد بادرت السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت له ـ وكان جالسًا عندها: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم علىٰ الله الفِرية، فسألها ما هنَّ؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأىٰ ربه فقد أعظم علىٰ الله الفرية، وكان مسروق متكئًا فجلس وقال: يا أم المؤمنين أنظريني ـ أي أمهليني ـ ولا تعجلي عليَّ، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؟ وكأن مسروقًا قد فهم من هاتين الآيتين أن المراد

بالرؤية رؤية الله ﷻ، فتجيبه السيدة عائشة: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك ـ أي عن المراد بالرؤية في الآيتين ـ رسولَ الله ﷺ، فقال: «**إنما هو جبريل، لم أره علىٰ صورته التي خُلق عليها ـ فقد كان ينزل علىٰ رسول الله أحيانًا متمثلًا في صور أخرىٰ ـ غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء، سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض**».

والخلاصة أن السيدة عائشة تنفي هنا بصورة قاطعة رؤية الرسول ﷺ لربه رأي العين، ومع ذلك فإن (إنكار عائشة رضي الله تعالىٰ عنها الرؤية لم تذكرها رواية إذ لو كان منها رواية فيه لذكرته)[(١)]، وإنما هي تنقل عن رسول الله ﷺ تفسيره للآيتين السالفتين اللتين سألته عنهما من أن المراد بالرؤية فيهما رؤية جبريل، ومن المحتمل أن لا تكون السيدة عائشة رضي الله عنها سمعت من النبي ﷺ ما يثبت رؤيته لربه.

علىٰ أن الأحاديث الصحيحة التي تحدثت عن رؤية النبي ﷺ لربه لم تذكر صراحة أنه رآه رأي العين، بل ذكرت أنه ﷺ رأىٰ نورًا.

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، فقال: عن أي شيء تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت، فقال: رأيت نورًا، وعند الترمذي أنه قال: «**نور أنّىٰ أراه**»[(٢)].

وعلىٰ أية حال، فإنه لا خلاف في أن المراد بقوله ﷺ: «**رأيته منهبطًا سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلىٰ الأرض**» هو جبريل عليه السلام، وكانت هذه من المرات القليلة التي رآه فيها النبي ﷺ علىٰ صورته التي خلقه الله عليها.

وفي **الحديث الثالث** تتبدىٰ أخلاق النبوة في أسمىٰ صورها، إذ يتسع

---

(١) عمدة القاري (١٥/ ١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨)، والترمذي (٣٢٨٢).

صدر النبي الحليم لرجل غريب لا يعرفه، ولا يعرفه أحد من أصحابه، ليجلس أمامه ويسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه، ويضع كفيه علىٰ فخذيه كما تصرح رواية مسلم عن عمر رضي الله تعالىٰ عنه(١)، ثم يسأل عن أصول الدين وأشراط الساعة فيجيبه بكل أريحية، ولا يكتمه حديثًا، ولا يملَّ منه حتىٰ يملَّ الآخر، ثم ينصرف.

إنه جبريل جاء في صورة رجل، وراح يسأل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان وأمارات الساعة، ثم انصرف، فأمر الرسول ﷺ أصحابه أن يردوه إليه، فذهبوا ليعيدوه، فلم يجدوا شيئًا، فقال ﷺ: «**هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم**».

ويبدو أن الرسول ﷺ عندما جاءه الرجل، وجلس بين يديه يسأله لم يكن يعلم أنه جبريل، وأنه أدرك ذلك حين انصرف الرجل، وسعىٰ الصحابة للعودة به فلم يجدوه.

ودليل ذلك رواية ساقها ابن حبان، والبيهقي والدارقطني، ورد في ختامها قوله ﷺ: «**...هل تدرون من هذا؟ هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، خذوا عنه، والذي نفسي بيده ما شُبِّه عليَّ منذ أتاني قبل مَرتي هذه، وما عرفته حتىٰ ولَّىٰ**»(٢).

والحديث جامع لعلوم القرآن والسنة، (قال القاضي عياض: اشتمل هذا الحديث علىٰ جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداءً وحالًا ومآلًا، ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتىٰ إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه)(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٨) كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام.

(٢) أخرجه ابن حبان (١٧٣)، والبيهقي في الصغرىٰ (٩)، والدارقطني في سننه (٣/ ٣٤٠).

(٣) فتح الباري (١/ ١٢٤).

ويظلُّ شوق النبي ﷺ لجبريل ملحًّا، ولذلك كان يتتبع الأسباب التي قد تحول دون حضوره إلىٰ بيت النبي كالكلب والصورة، ويسارع إلىٰ إزالة تلك الموانع، حتىٰ يظل حبل النبي ﷺ موصولًا بالسماء.

ففي **الحديث الرابع** كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قد واعد رسول الله ﷺ في ساعة يأتيه فيها، فلم يأته، فتعجب رسول الله ﷺ قائلًا: «**ما يخلف الله وعده ولا رسله**».

أدرك الرسول ﷺ أن جبريل لم يأت لعلة قد تكون في البيت، فبحث فوجد كلبًا تحت سريره، فأمر به فأُخرج، وجاء جبريل فأخبر النبي ﷺ أنه أتاه فمنعه من الدخول وجود كلب، وأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب أو صورة.

وتبدو المؤازرة السماوية العلمية للنبي صلىٰ الله عليه متصلة بلا انقطاع إذ يتفرغ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يومين كاملين من الفجر إلىٰ عتمة الليل ليؤم النبي في الصلوات الخمس مرتين، حتىٰ يحدد معه بصورة عملية مواقيت الصلاة.

ففي **الحديث الخامس** ينزل جبريل كما أخبر النبي ﷺ إلىٰ الأرض، فيؤم الرسول ﷺ خمس صلوات، وهي الصلوات الخمس: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ويفصِّل الحديث السادس فيبين أن جبريل أمَّ النبي ﷺ مرتين مرة في أول الوقت ومرة في آخره، ثم بيَّن له أن الوقت المباح هو ما بين هذين الوقتين.

وفي **الحديث السابع** يأتي جبريل إلىٰ النبي ﷺ وهو وأصحابه بملابس الإحرام في طريقهم إلىٰ الحج، فيأمره أن يأمر أصحابه برفع أصواتهم بالإهلال ـ أي التلبية ـ لأنها من شعائر الحج، (والحديث يدل علىٰ استحباب رفع الصوت بالتلبية، وهو قول الجمهور، وروىٰ البخاري في صحيحه[1] عن أنس قال: صلىٰ النبي بالمدينة الظهر أربعًا، والعصر بذي

(١) أخرجه البخاري (١٥٤٨، ٢٩٥١).

الحليفة ركعتين، وسمعتهم يصرخون بهما جميعًا، وروىٰ ابن أبي شيبة[١] بإسناد صحيح عن بكر بن عبد الله المزني قال: كنت مع ابن عمر فلبَّىٰ حتىٰ أسمع ما بين الجبلين)[٢].

ومايزال المسلمون حتىٰ اليوم يرفعون أصواتهم بالتلبية؛ لتتردد أصداؤها في الأرض والسماء، وليتناغم الكون كله جمادات وأحياء في نسق واحد يضرع إلىٰ المولىٰ ويستجير به، ويسبح بحمده. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

❁ ❁ ❁

* **قوله ﷺ: «فُرِج عن سقف بيتي وأنا بمكة»**: فُرِجَ: أي فُتح فيه فَتْح، والفعل مبني للمجهول لأن الأمر فوق قدرات النبي ودون إرادته، كما أن الفاعل لحظة الفعل لم يكن معلومًا للنبي ﷺ.

«عن سقف بيتي»: نزول المَلَك من السقف؛ لا من الباب أوقع صدقًا، وأنسب للملك وأدعىٰ للمفاجأة.

وقوله **«بيتي»**: أضاف ﷺ البيت لنفسه، (فإن قلت: كان البيت لأم هانئ، فكيف قال: بيتي بإضافته إلىٰ نفسه، قلت: أضافه إليه بأدنىٰ ملابسة، وهذا كثير في كلام العرب، كما يقول أحد حاملي الخشبة للآخر: خذ طرفك)[٣].

«وأنا بمكة» جملة اسمية حالية مصدرة بواو الحال، وهي تصرف عن ذهن المستمع أي احتمال لكون الإسراء والمعراج حدث في غير مكة.

«فنزل جبريل ﷺ ففرج صدري»: في العبارة حذف مفهوم من السياق وتقديره: فسلَّم عليَّ، ثم أضجعني علىٰ ظهري ففرج...، والنبي يستغني عن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥٠٤٧).

(٢) تحفة الأحوذي (٣/ ٤٧٨، ٤٧٩).

(٣) عمدة القاري (٤/ ٢٤).

ذكر التفاصيل بالتركيز على الحديث الأهم.

وقول النبي ﷺ: «**فَفَرَج صدري**» مناسب لقوله في أول الحديث «**فُرِج عن سقف بيتي**» وفيه إيحاء بالسهولة التي تم بها الحدث لأنه فعل ملائكة، واستخدام الفاء دلالة على السرعة التي تمَّ بها الأمر.

«**ثم غسله بماء زمزم**» هذه إشارة إلى بركة ماء زمزم، (حيث اختص غسل صدره عليه السلام بمائها دون غيرها، وذلك لأنها ركضة جبريل عليه السلام، وسُقيا إسماعيل)[1].

* **قوله ﷺ: «ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا»**: «**بطست من ذهب**»، قيل إنها (من الجنة يُغسل فيها قلوب الأنبياء)[2].

والطست مؤنثة، ومع ذلك جاء الوصف بعدها «**ممتلئ**» (على معناها، وهو الإناء)[3].

«**ممتلئ حكمة وإيمانًا**»: والحكمة والإيمان معنيان، فكيف يمتلئ بهما الطست، وكيف يفرغهما في صدر النبي ﷺ، وهل يكون ذلك على سبيل المجاز كما قال الإمام النووي رحمه الله: (وأما جَعْل الإيمان والحكمة في إناء وإفراغهما مع أنهما معنيان، وهذه صفة الأجسام - فمعناه والله أعلم أن الطست كان فيها شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما، فسُميّ إيمانًا وحكمة لكونه سببًا لهما، وهذا من أحسن المجاز)[4].

وغالب الظن أننا لو أخذنا بتفسير الإمام النووي - رحمه الله - لما كان هناك معنى للشقِّ واللَّأْم، بل والنزول من باب أولى، ولجاز أن نخرج الحديث كله

---

(١) السابق (٩/ ٢٧٧).

(٢) فتح الباري (٩/ ٥٨).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٢١٨).

(٤) السابق، الموضع نفسه.

من الحقيقة إلىٰ المجاز، وهو ما يتعارض مع كون الشقِّ معجزة ثابتة بالأحاديث الصحيحة المتواترة. فالراجح ـ والله أعلم ـ أن الواقعة لا محل فيها للخيال، وأن تفاصيلها من الأمور الغيبية التي لا مجال للنظر العقلي فيها، وإنما يجب الإيمان بها كما يُؤمَن بسائر الغيبيات.

«**فأفرغه في صدري**» الفاء للسرعة، وأفرغه تفيد تمام استنفاد ما في الطست من إيمان وحكمة، ولذا لم يقل: فسكبه، أو فألقاه؛ لأنهما لا تفيدان ذلك المعنىٰ.

«**في صدري**» صدري مجاز مرسل علاقته المحلية.

«**ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي...**» قدرات ملكية فائقة تقف إمكانات البشر أمامها عاجزة، عملية جراحية سريعة بلا تخدير ولا دماء تنتهي في لحظات، ثم يُطبَق الصدر بلا خيوط، ويقوم النبي سريعًا بلا استراحة ولا نقاهة فيأخذ الملك بيده، فيصعد به إلىٰ السماء.

* **قوله ﷺ: «رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلىٰ الأرض»**: «**رأيته منهبطًا من السماء**» ويدعو للتأمل هنا استعمال النبي لاسم الفاعل «**منهبطًا**»، وعدم استعماله (هابطًا).

و«**منهبطًا**» اسم فاعل من الفعل (انْهبط) بوزن (انفعل)، وهو فعل يأتي غالبًا لمطاوعة فعل، وهو هنا أُهبط فانْهبط، إشارة إلىٰ أن جبريل لم يهبط بنفسه، وإنما أهبطه الله، فهو منهبط، وفيه إلىٰ ذلك إيحاء بشدة الهبوط وقوته.

«**سادًّا عظم خَلْقه**» استخدام اسم الفاعل «**سادًّا**» عوضًا عن الفعل سدَّ يسدُّ ـ أثبت وآكد للصفة.

والجملة كلها تؤكد علىٰ ضخامة المَلَك، وعظيم صنع الله في خلقه.

يُسأل النبي عن أصول الدين، فتجد الإجابة عنها تبدأ بذكر المسؤول عنه، ثم يتلوه مصدر مؤول: «**الإيمان: أن تؤمن... الإسلام أن تعبد... الإحسان أن**

تعبد...» وذكر المسؤول عنه في بداية الإجابة يزيده تحديدًا وتركيزًا في ذهن السامع، واستعمال المصدر المؤول المكون من (أن + الفعل المضارع) أكثر توكيدًا من المصدر الصريح، وأدلُّ علىٰ الحالية والاستمرار.

وحين سُئل ﷺ عن الساعة قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» والعبارة ذهبت في استيفاء نفي العلم إلىٰ أبعد حد إذ نفاه عن نفسه وعن السائل، وهذا يقتضي نفيه عن كل أحد.

ثم بدأ النبي ﷺ يتحدث عن أشراط الساعة فقال: «**إذا ولدت المرأة ربتها**» وفي رواية «**ربها**»، وفي قوله: «**ربتها**» مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون، وقد فُسر هذا القول بأكثر من تفسير أشهرها أن الأَمَة تكون تحت السيد فتلد مولودًا فيصير سيدها أو سيدتها، ولا يناسب هذا التفسير ما آل إليه الأمر من اختفاء الرق القديم، وإن ظلت بعض صور الرق الحديث موجودة، كالمتاجرة في النساء والأطفال بالبغاء، وكبيع لاعبي كرة القدم، وليس ببعيد أن يعود الرق القديم قبل قيام الساعة، لكن أقرب التفاسير إلىٰ الواقع ـ في ظنِّي ـ هو (أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازًا)[1].

وهذا مناسب لما سيرد بعد ذلك من أمارات تدل علىٰ انقلاب الأمور كأن يصير الحفاة العراة رؤوس الناس.

ولا يخفىٰ ما بين الحفاة العراة، ورؤوس الناس من طباق معنوي يبرز المعنىٰ ويؤكده.

فلما انصرف الرجل قال النبي ﷺ: «**ردُّوا علي**» وفي الجملة إرادة الاختصار خوف فوات الفرصة، وغياب أثر الرجل.

---

(١) فتح الباري (١/ ١٢٢).

* يقول النبي ﷺ: «**ما يخلف الله وعده ولا رسله**» أراد تأكيد النفي تأكيدًا قاطعًا، فبدأ بنفي خُلف الوعد عن المولىٰ ﷻ، مع أن المراد جبريل، ثم نفاه عن جبريل فقال: «**ولا رسله**». واستخدم أشهر أداتين للنفي وهما (ما)، و(لا)، فنَفَىٰ المضارع بـ (ما) مع جواز نفيه بـ (لا)، ونفىٰ الاسم بـ (لا) مع جواز نفيه بـ (ما)، واجتماع الأداتين معًا في النفي أقوىٰ وآكد. وقد أخّر الرسول ﷺ «**رسله**» ولم يعطفها مباشرة علىٰ لفظ الجلالة، فلم يقل: «**ما يخلف الله ولا رسله وعدهما**» تأدبًا مع الله ﷻ الذي لا يُسوَّىٰ به أحد من خلقه.

«**متىٰ دخل هذا الكلب هاهنا؟**» استفهام غرضه البلاغي الإنكار.

«**واعدتني فجلست لك فلم تأت**» كأن النبي ﷺ يعاتب جبريل عتابًا رقيقًا، فيبدأ بذكر الوعد، ثم يتلطف في العتاب فيقول: «**فجلست لك فلم تأت**»، و«**فجلست لك**» فيها بيان لتهيؤ الرسول للموعد، واستفراغ الوقت والجهد له، و«**فلم تأت**» أَخَّر مقتضىٰ العتاب وهو عدم الإتيان فلم يَجْبَهْ به جبريل من باب الأدب النبوي الرفيع مع رسول رب العالمين ﷺ.

يقول النبي ﷺ: «نزل جبريل فأمني، فصليت معه ثم صليت معه...»

«**نزل جبريل فأمني، فصليت**» استخدام الفاء يدل علىٰ السرعة كما يوحي بخطورة المهمة التي نزل لها جبريل إذ قصر نزوله عليها، وظل يومًا كاملًا أو يومين كما ذُكر في الحديث التالي يؤم النبي ﷺ في الصلوات الخمس «**أمني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين**».

وقوله ﷺ في الحديث السادس: «**حين أفطر الصائم**» كناية عن أول وقت المغرب، و«**حين حرم الطعام والشراب**» كناية عن أول وقت الفجر.

وفي الحديث الأخير يقول ﷺ: «**أتاني جبريل ﷺ فأمرني أن آمر**»، استخدام جملة (أمرني أن آمر)، توحي بأهمية رفع الصوت عند الإهلال، والتأكيد عليه.

وقوله ﷺ: «**ومن معي**» يجعل الأمر شاملًا للأصحاب وغير الأصحاب، من آل بيت النبي، ومن في معيَّته من الخدم والعبيد والموالي وغيرهم.



الرسول ﷺ مع إبراهيم عليه السلام

١ ـ «رجل طويل لا أكاد أرى رأسه»:

حدثنا سَمُرَةُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، فَأَتَيْنَا علىٰ رَجُلٍ طَوِيلٍ لَا أَكَادُ أَرَىٰ رَأْسَهُ طُولًا، وَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ**»[(١)].

❁ ❁ ❁

٢ ـ «أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إلى صَاحِبِكُمْ»:

عن مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ سمع ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ـ وَذَكَرُوا له الدَّجَّالَ، بين عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ: كَافِرٌ، أو: ك ف ر ـ قال: لم أَسْمَعْهُ، وَلَكِنَّهُ قال: «**أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلىٰ صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَىٰ فَجَعْدٌ آدَمُ علىٰ جَمَلٍ أَحْمَرَ، مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إليه**[(٢)] **انْحَدَرَ فِي الْوَادِي**»[(٣)].

❁ ❁ ❁

٣ ـ «نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** [البقرة: ٢٦٠] **وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

(٢) زاد مسلم: «إذا».

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٥) كتاب الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ومسلم (١٦٦) كتاب الإيمان، باب الإسراء.

السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»(١).

۞ ۞ ۞

تشير الأحاديث الثلاثة السابقة إلىٰ سمات بارزة في شخصية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أولها أنه طويل جدًّا لا يكاد يُرىٰ رأسه من فرط طوله، وربما يُفسر ذلك بقرب عهده بأبيه آدم، إذ كان طول آدم ستين ذراعًا كما ورد عند البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله آدم علىٰ صورته طوله ستون ذراعًا...**»(٢)، فلا عجب إذًا أن يكون إبراهيم بهذا الطول المفرط.

أمَّا السمة الثانية فهي أن ملامح وجه إبراهيم كملامح وجه حفيده محمد ﷺ، وهذا يعني أنه كما ورد عن أنس وهو يصف النبي ﷺ: (أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط، ولا سبط رجل...)(٣).

أمَّا الأمر الثالث فهو الشك الذي خالط قلب إبراهيم في قضية إحياء الموتىٰ إذ قال لربه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

(واختلف السلف في المراد من الشك هنا، فحمله بعضهم علىٰ ظاهره، وقال: كان ذلك قبل النبوة، وحمله أيضًا الطبري علىٰ ظاهره، وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان لكنها لم تستقر، ولا زلزلت الإيمان الثابت... وذهب آخرون إلىٰ تأويل ذلك)(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ الْآيَةَ، ومسلم (١٦٦) كتاب الإيمان، بَاب زِيَادَةِ طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ بِتَظَاهُرِ الْأَدِلَّةِ، وابن ماجة (٤٠٢٦) كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٤) فتح الباري (٦/ ٤١١، ٤١٢).

أما قول النبي ﷺ: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**» فقد رجح فيه النووي معنيان (أحدهما: أنه خرج مخرج العادة في الخطاب، فإن من أراد المدافعة عن إنسان قال للمتكلِّم فيه: ما كنت قائلًا لفلان أو فاعلًا معه من مكروه فقله لي، وافعله معي، ومقصوده: لا تقل ذلك فيه. والثاني: أن معناه أن هذا الذي تظنونه شكًّا أنا أولىٰ به، فإنه ليس بشك، وإنما هو طلب لمزيد اليقين)(١).

عمر قلب النبي ﷺ بحب جده إبراهيم، فهو يذكره دائمًا بكل إعزاز وتقدير، ويعتبر نفسه ابنًا له، فعندما يرزقه الله بولد من ماريَّةَ يسميه إبراهيم ويقول: «**ولد لي الليلة غلامٌ فسميته باسم أبي إبراهيم**»(٢).

بل عندما يسأله أصحابه فيقولون له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، يقول: «**أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسىٰ...**»(٣).

ووليه وخليله من دون الرسل جميعًا هو إبراهيم عليه السلام، فعن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن لكل نبي ولاةً من النبيين، وإن وليي وخليلي منهم أبي إبراهيم**»، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨](٤).

ومن المعروف أن النبي ﷺ قبل أن يبعث كان يخرج إلىٰ غار حراء فيتحنث الليالي ذوات العدد أي (يتبع الحنيفية وهي دين إبراهيم)(٥).

إن رحمًا ونسبًا يربط محمدًا ﷺ بإبراهيم ﷺ، وعلاقة حميمية تصل ما بين شريعة محمد وحنيفية إبراهيم، حتىٰ إنهما ليعدان شيئًا واحدًا.

أخرج الترمذي وغيره عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال له: «**إن الله**

---

(١) شرح النووي (٢/ ١٨٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٥)، وأبو داود (٣١٢٦).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٦٦)، وابن حبان (٦٤٠٤).
(٤) أخرجه الحاكم (٤٠٣١).
(٥) فتح الباري (١/ ٢٣).

أمرني أن أقرأ عليك القرآن» فقرأ عليه ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البينة: ١]، وفيها: **«إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية...»**(١).

وكان هذا قرآنًا يتلىٰ قبل أن ينسخ تلاوةً ويبقىٰ حكمًا.

❁ ❁ ❁

يقول النبي ﷺ: «**أتاني الليلة آتيان**»: وإبهام الآتيين، وعدم الإشارة إلىٰ ماهيتهما، فيه تعظيم لهما، وإضفاء لغلائل الهيبة عليهما.

«**لا أكاد أرىٰ رأسه طولًا**»: كناية عن الطول البائن، وفي الطول جلال ووقار.

«**وإنه إبراهيم ﷺ**»: جملة اسمية مثبتة مؤكدة بإن، وفي الجملة معنىٰ المفاجأة، وكأن النبي ﷺ يقول: فإذا هو إبراهيم.

أمّا قوله ﷺ: «**فانظروا إلىٰ صاحبكم**»: فهو كناية عن الشبه الشديد بين النبي ﷺ وأبيه إبراهيم وهو شبه شكلي ومعنوي.

وقول النبي ﷺ: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»: في باطن العبارة نفي للشك عن إبراهيم؛ لأن معناه (أن الشك يستحيل في حق إبراهيم، فإن الشك في إحياء الموتىٰ لو كان متطرقًا إلىٰ الأنبياء لكنت أنا أحقُّ به من إبراهيم، وقد علمتم أني لم أشكّ، فاعلموا أن إبراهيم لم يشكّ)(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٨)، وأحمد (٥/ ١٣٢).

(٢) الديباج علىٰ مسلم (١/ ١٧٣).

الرسول ﷺ مع يوسف عليه السلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**أَتْقَاهُمْ**»، فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللهِ**»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقُهُوا**»[١].

❁ ❁ ❁

سُئل النبي ﷺ عن أكرم الناس؛ فأجاب أولًا إجابة عامة فقال: «**أتقاهم**» لأن التقيَّ أشرف الناس، إذ يترفع عن الصغائر، ويتسامىٰ عن المطامع، ويتشوف إلىٰ أسباب العز والرفعة.

فلما قال الصحابة: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فيوسف**» فهو أشرف الناس نسبًا، لأنه نبي، ابن نبي هو يعقوب، ابن نبي هو إسحاق، ابن خليل الله إبراهيم، وكفىٰ بهذا النسب شرفًا وعزًّا.

فإذا أضيف إليه (علم الرؤيا، ورئاسة الدنيا، وحياطة الرعية)[٢] كان ذلك غاية الرفعة والسمو.

لكن أصحاب النبي قالوا: ليس عن هذا نسألك، فقال: «**فعن معادن العرب تسألون؟**» أي (أصولهم التي يُنسبون إليها، ويتفاخرون بها، وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعدادات المتفاوتة)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٣) كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ومسلم (٢٣٧٨) كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام.

(٢) فيض القدير (٢/ ٩٠).

(٣) عمدة القاري (١٥/ ٢٤٥).

فأضاف النبي ﷺ قائلًا: «**خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فَقُهُوا**».

أي أن أكرم الناس من كان شريفًا في الجاهلية شريفًا في الإسلام متفقهًا في دينه عالمًا بشريعته.

وهنا يبدو اتصال وشائج القربىٰ الفكرية والمنهجية بين الأنبياء جليًّا، وهذا ما عناه النبي ﷺ بقوله: «**أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ، ودينهم واحد**»(١).

كما نرىٰ خلق التواضع المحمدي باديًا في إجابة النبي عن السؤال «**من أكرم الناس؟**» ولو شاء النبي ﷺ لقال ولصدق: أنا، فهو أكرم خلق الله بلا شك، لكنه أجاب فقال: «**أتقاهم**»، وهي صفة تصدق علىٰ كل مسلم خشي الله وعمل بما يرضيه، فلما أعيد عليه السؤال قدم أخاه يوسف علىٰ نفسه، ليضرب مثلًا لأمته في إنكار الذات وعدم تزكية النفس.

❁ ❁ ❁

قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «**أتقاهم**».

و«**أتقاهم**» جملة اسمية حذف المبتدأ فيها جوازًا لدلالة السياق عليه، والتقدير: أكرم الناس أتقاهم. والغرض من الحذف هنا هو التركيز والتأكيد علىٰ الخبر، وفيه أيضًا اقتباس من قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثم أجاب: «**فيوسف نبي اللَّه، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله**»، وتلك الإجابة فيها بيان تفصيلي لسلسلة النسب الشريفة ليوسف للتدليل القاطع علىٰ كرمه وسمو مكانته.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، وأحمد (٢/ ٤٨٢) وغيرهما.

ثم قال: «**فعن معادن العرب تسألون**»: وفي الجملة تقديم لشبه الجملة «**عن معادن**» غرضه التخصيص، و«**معادن العرب**» تشبيه من باب إضافة المشبه به إلىٰ المشبه، (شبَّههم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن أوعية للجواهر)[١].

«خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام»

في العبارة ازدواج يضفي علىٰ العبارة إيقاعًا جميلًا، يزيد من تأثيره تكرار كلمة خيارهم، والطباق بين الجاهلية والإسلام «**إذا فقهوا**»، وفَقُه بالضم ـ وهي الرواية ـ من الفقه، وهو (العلم بالشيء والفهم له، وغلب علىٰ علم الدين لسيادته وشرفه وفضله علىٰ سائر أنواع العلوم)[٢].

ففَقُه بالضم، أي: صار فقيهًا عالمًا. أما فقِه بالكسر، فيقال: (فقِه يفقه فِقهًا إذا فهم، وأفقهته أي بينت له)[٣].

❀ ❀ ❀

(١) فتح الباري (٦/ ٤١٤).
(٢) لسان العرب (١٣/ ٥٢٢).
(٣) العين (٣/ ٣٧٠).

الرسول ﷺ مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

١ - «لا تُخَيِّرُوني على مُوسَى»:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اسْتَبَّ رَجُلَانِ، رَجُلٌ من الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ من الْيَهُودِ، قال الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُحَمَّدًا علىٰ الْعَالَمِينَ، فقال الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ علىٰ الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذلك فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إلىٰ النبي ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كان من أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَدَعَا النبي ﷺ الْمُسْلِمَ فَسَأَلَهُ عن ذلك، فَأَخْبَرَهُ، فقال النبي ﷺ: «**لا تُخَيِّرُوني علىٰ مُوسَىٰ، فإن الناس يَصْعَقُونَ يوم الْقِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ من يُفِيقُ، فإذا مُوسَىٰ بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ، فلا أَدْرِي، أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أو كان مِمَّنْ اسْتَثْنَىٰ الله؟**»(١).

❁ ❁ ❁

٢ - «فَرَجَعْتُ بذلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ»:

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ حَزْمٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّىٰ أَمُرَّ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ لِي مُوسَىٰ: فَرَاجِعْ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: هِيَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١١) كتاب الخصومات، بَاب ما يُذْكَرُ في الْإِشْخَاصِ والملازمة وَالْخُصُومَةِ بين الْمُسْلِمِ واليهودي، وأبو داود (٤٦٧١) كتاب في السنة، بَاب في التَّخْيِيرِ بين الْأَنْبِيَاءِ عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ﷻ»[1].

❁ ❁ ❁

٣ ـ هذا مُوسَى في قَوْمِهِ»:

عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النبي ﷺ يَوْمًا، قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ: هذا مُوسَىٰ في قَوْمِهِ»[2].

❁ ❁ ❁

٤ ـ «فَلَوْ كنت ثَمَّ؛ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ»:

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إلىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَام، فلما جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إلىٰ رَبِّهِ، فقال أَرْسَلْتَنِي إلىٰ عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ الله عليه عَيْنَهُ، وقال: ارْجِعْ فَقُلْ له يَضَعُ يَدَهُ علىٰ مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ ما غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قال: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قال: ثُمَّ الْمَوْتُ، قال: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ من الأرض الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «فَلَوْ كنت ثَمَّ؛ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إلىٰ جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ»[3].

❁ ❁ ❁

٥ ـ «مَرَرْتُ على مُوسَى»:

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «أَتَيْتُ ـ وفي رِوَايَةِ هَدَّابٍ:

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (٤٤٩) كِتَابُ الصَّلَاةِ، باب فَرْضِ الصَّلَاةِ، وابن ماجة (١٣٩٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٠) كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب وَفَاةِ مُوسَىٰ وَذِكْرِهِ بَعْدُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٩) كتاب الجنائز، بَاب مَنْ أَحَبَّ الدَّفْنَ في الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ أَوْ نَحْوِهَا، ومسلم (٢٣٧٢) كتاب الفضائل، باب من فضائل موسىٰ ﷺ.

مَرَرْتُ - علىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وهو قَائِمٌ يُصَلِّي في قَبْرِهِ»[1].

❁ ❁ ❁

لموسىٰ عليه السلام مكانةً خاصة في الإسلام، فهو من أولي العزم من الرسل الذين جاهدوا في سبيل دعوتهم جهادًا كبيرًا، وصبروا علىٰ أذىٰ أقوامهم صبرًا طويلًا، وقد أيده الله بكثير من المعجزات الباهرة، ونصره علىٰ أعدائه نصرًا مؤزرًا، وكانت قصته أعظم قصص القرآن عظة واعتبارًا، وأكثرها ذكرًا وتكرارًا.

ويكفي أن نعلم أن اسمه أكثر أسماء الأنبياء ذكرًا في القرآن إذ ورد مائة وأربعًا وعشرين مرة، وتلاه في ذلك إبراهيم عليه السلام الذي ذكر ستًا وخمسين مرة.

وأشار النبي ﷺ إلىٰ أخيه موسىٰ في أحاديثه الشريفة فيما يقرب من مائة وعشرين حديثًا في صحيح البخاري وحده.

وفي الحديث الأول ينهىٰ النبي ﷺ - في تواضع جمٍّ - أصحابه عن تفضيله علىٰ موسىٰ، ويعدد فضائل موسىٰ وأياديه علىٰ أمَّة محمد ﷺ، ولا يتعارض ذلك مع قول النبي ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة...**»[2]؛ لأن المراد ليس النهي المطلق عن التفضيل، فقد فضَّل الله بعض الرسل علىٰ بعض، قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧٥) كتاب الفضائل، باب من فضائل موسىٰ عليه السلام، والنسائي في المجتبىٰ (١٦٣٧) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، ذِكْرُ صَلَاةِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ عليه السلام وَذِكْرُ الِاخْتِلَافِ علىٰ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ فيه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، وابن حبان (٦٤٧٨) وغيرهما.

﴿مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] لكن ينبغي أن لا يكون (تفضيلًا يؤدي إلىٰ إيهام المنقصة، أو إلىٰ تسبب الخصومة)(١).

ثم يذكر النبي ﷺ فضلًا لموسىٰ يوم القيامة يختص به عن سائر الخلق، إذ يُصعق الناس أجمعين، ويصعق نبينا ﷺ معهم، ثم يكون أول من يفيق، فيجد موسىٰ مستمسكًا بقوائم العرش فلا يدري أكان فيمن صُعق فأفاق قبله، أو أنه استثني من الصعق، لأنه صُعق قبل ذلك عند الطور؟ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد ورد في رواية أخرىٰ للبخاري وأحمد عن أبي سعيد أنه ﷺ قال: «... **فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسىٰ آخذٌ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟**»(٢).

ويورد الحديث التالي القصة المتواترة في فرض الصلاة، والتي كان لموسىٰ عليه السلام دور بارز فيها، إذ نصح نبينا ﷺ من واقع خبرته بطباع الأمم أن يراجع ربه في عدد الصلوات المفروضة علينا، حتىٰ استقر الأمر علىٰ خمس صلوات بعد أن كانت خمسين، ويشير ذلك إلىٰ الإشفاق العظيم والرحمة النبيلة التي يحملها قلب موسىٰ عليه السلام لأمة محمد، والتي تدفعه إلىٰ أن يحث محمدًا ﷺ علىٰ مراجعة ربه مرات حتىٰ يخفف عن أمته، كما يشف عن الحياء المحمديِّ الذي صرف محمدًا عن مراجعة ربه بعد إقرار الخمس وجَعْلها خمسين في الأجر.

وحين عُرضت الأمم علىٰ محمد ﷺ رأىٰ جمعًا كبيرًا يسد الأفق لكثرته، فلما سأل عنه قيل له: هذا موسىٰ في قومه، وهذا يعني أن أمة موسىٰ من أكثر

---

(١) عون المعبود (١٢/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٩٨)، وأحمد (٣/ ٣٣).

الأمم عددًا بعد أمة محمد ﷺ.

وذكر لنا النبي ﷺ أن قبر موسىٰ عليه السلام قريب من الأرض المقدسة رمية بحجر عند الكثيب الأحمر، وأنه رآه ليلة الإسراء قائمًا يصلي في قبره.

و(هذا صريح في إثبات الحياة لموسىٰ في قبره، فإنه وصفه بالصلاة، وأنه قائم، ومثل ذلك لا يوصف به الروح، وإنما يوصف به الجسد، وفي تخصيصه بالقبر دليل علىٰ هذا، فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر، وقال الشيخ تقي الدين السبكي في هذا الحديث: الصلاة تستدعي جسدًا حيًّا، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلىٰ الطعام والشراب، وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم آخر)[١].

وليست الحياة في القبر أمرًا خاصًّا بموسىٰ، فقد ثبت أن الأنبياء جميعًا أحياء علىٰ نحو ما عند ربهم.

قال رسول الله ﷺ: «**... إن الله ﷻ حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[٢].

وإذا كان الله تعالىٰ قد ذكر ذلك في حق الشهداء فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فإن الأنبياء أرفع درجة من الشهداء، وليس مستغربًا أنهم يكونون أحياء في قبورهم علىٰ الهيئة التي شاءها الله، وبالصفة التي يعلمها ﷻ وحده.

❁ ❁ ❁

قوله ﷺ: «لا تخيِّروني علىٰ موسىٰ»: والمراد منه ليس مطلق النهي كما

---

(١) شرح السيوطي لسنن النسائي (٣/ ٢١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي في المجتبىٰ (١٣٧٤)، وابن ماجة (١٠٨٥)، وأحمد (٤/ ٨)، وغيرهم.

أسلفتُ، وإنما النهي المؤدي إلىٰ الخصومة والتنازع.

«**فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق**»: كلمة (الناس) فيها دلالة علىٰ العموم، والجملة الثانية تؤكد ذلك العموم، وتدفع الوهم باستثناء النبي ﷺ من الصعق، وهي ذكر للخاص بعد العام.

أما الجملة الثالثة فهي التي تحدد ما اختص به النبي من كونه أول من يفيق من البشر بعد النفخة الثانية.

«**فإذا موسىٰ**»: «إذا»: الفجائية، وهي تدل علىٰ أن النبي ﷺ علم مسبقًا بذلك الفضل الذي اختصه به ربه، ولذلك دهش لإفاقة موسىٰ قبله.

قوله ﷺ: «**باطش بجانب العرش**»: البطش: الأخذ بقوة، وفي الكلمة دلالة علىٰ شدة الموقف وصعوبته حتىٰ علىٰ الأنبياء.

والجملة كلها كناية عن اصطفاء موسىٰ وعلو مكانته عند ربه.

«**أكان فيمن صُعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنىٰ الله؟**» استفهام غرضه التعجب.

«**فرض الله علىٰ أمتي خمسين صلاة**»، في العبارة حذف مفهوم من السياق لإرادة الإيجاز، والمعنىٰ: فرض الله علىٰ أمتي خمسين صلاة في اليوم والليلة.

«**فرجعت بذلك حتىٰ أمر بموسىٰ عليه السلام**» في العبارة ما يدل علىٰ رضا محمد ﷺ بما فرضه الله علىٰ أمته، وانصياعه لأمر ربه، وعدم مراجعته فيما فرض، واستخدام الماضي «**فرجعت**» ثم المضارع «**أَمُرَّ**» بدلًا من الماضي (مررتُ) يشير إلىٰ استحضار رسول الله ﷺ للمرور علىٰ موسىٰ، وكأنه أمر ما يزال يحدث حتىٰ ساعة القول، وفي ذلك تأكيد علىٰ أهمية الحديث الذي كان من نتائجه التخفيف عن الأمة المحمدية، ورفع الحرج عنها.

«**فقال: ما فرض ربك علىٰ أمتك؟**»: هنا تتجلىٰ خبرة موسىٰ عليه السلام بأمور الرسالة، والتكاليف، إذ لم يسأل: (هل فرض ربك شيئًا علىٰ أمتك؟)، وإنما قال: «**ما فرض ربك علىٰ أمتك؟**».

فلما أجابه «**فرض عليهم خمسين صلاة**»، قال: «**فراجع ربك** عز وجل» وهو أمر غرضه الالتماس.

ويراجع محمد ﷺ ربه، فيخفف عن الأمة قدرًا، وتستمر المراجعة والتخفيف حتىٰ يقول المولىٰ عز وجل: «**هي خمس وهي خمسون**» وفي العبارة تشبيه بليغ شبه فيه الخمس بالخمسين، وفيها أيضًا حذف أبلغ من الذكر لأنه جعل الخمس بذاتها خمسين، والمراد: هي خمس في العمل، وهي خمسون في الأجر.

وحين يأمر موسىٰ محمدًا بمراجعة ربه بعد هذا يقول له محمد: «**قد استحييت من ربي**»: وهي جملة توحي بكمال خلق النبي ﷺ، وعظيم أدبه الذي أدبه به ربه عز وجل فأحسن تأديبه.

«**عُرضتْ عليّ الأمم**»: هذا مثال من أمثلة عين اليقين الذي علَّم الله به نبيه ﷺ، فهو يعرض عليه عيانًا الأمم السابقة ليرىٰ حجم كل أمة ممن سبقوه، ويوقن بفضل الله ونعمته عليه إذ جعله أكثر الناس تابعًا.

«**ورأيت سوادًا كثيرًا سدَّ الأفق**»

تشبيه شبه فيه كثرة الجمع بالسواد، وهو يوحي بكثافة العدد، وعظمة الجمع، وشدة الزحام.

«**فقيل: هذا موسىٰ في قومه**»: هنا حذف للسؤال لإرادة الإيجاز، ولفهم المحذوف من السياق، فكأن النبي ﷺ سأل: ما هذا السواد الكثيف؟ فجاءته الإجابة: «**هذا موسىٰ في قومه**».

«**فلو كنت ثم لأريتكم قبره**»: أراد النبي بالعبارة أن يؤكد معرفته بمكان قبر

موسىٰ، ولذلك عقَّب بتحديد المكان: «**إلىٰ جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر**».

وقوله: «**عند الكثيب الأحمر**» دون إضافة أخرىٰ يشعر بأن ذلك المكان مشهور ومعلوم.

«**أتيت ـ مررت ـ علىٰ موسىٰ**»: «**مررت**» تفيد أن المجيئ إلىٰ موسىٰ لم يكن مقصودًا، ولم يكن مرادًا أثناء الرحلة، ولم يكن محطة توقف فيها الركب، بينما تحمل رواية «**أتيتُ**» التي صُدِّر بها الحديث عند مسلم كثيرًا من المعاني التي نُفيت عن الرواية السابقة.

«**وهو قائم يصلي في قبره**»: «**وهو قائم**» جملة حالية، واستخدام صفة القيام يؤكد تحقق الحياة، واسم الفاعل يفيد لزوم الصفة، والمضارع «**يصلي**» يعني الاستمرار، و«**في قبره**» تعني أن صلاة موسىٰ كانت علىٰ هيئة مختلفة عن صلاة أحياء الدنيا، وعلىٰ نحو لا يعلمه إلا الله جَلَّ وَعَلَا.



الرسول ﷺ مع عيسى عليه السلام

١ ـ «أنا أولى الناس بابن مريم»:

عن الزُّهْرِيِّ قال: أخبرني أبو سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**أنا أَوْلَىٰ الناس بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، ليس بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**»[١].

❁ ❁ ❁

حب إلهي نبوي يجمع قلوب الأنبياء جميعًا، ويوثق الصلة بينهم، ويجعلهم أولىٰ الناس بعضهم ببعض، ويُرسِّخ لتلك الأخوة النبيلة ذلك القول العظيم: «**والأنبياء أولاد علَّات**» أي أخوة غير أشقاء.

ويزيد من وثاقة العلاقة الخاصة بين عيسىٰ ومحمد عليهما السلام أنه لم يفصل بينهما نبي، فمنذ رفع عيسىٰ إلىٰ ربه رفع معه الوحي المباشر، وظلت الأرض مجدبة عطشىٰ إلىٰ كلمات السماء قرونًا حتىٰ أصابها الوابل القرآني المعجز، فأشرقت بنور ربها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

يقول النبي ﷺ: «**أنا أولىٰ الناس بابن مريم**» وقد قيل: إن ذلك يرجع (لأنه بَشَّرَ بأنه يأتي من بعده)[٢]، أو لأنه كما ذُكر في الحديث «**ليس بيني وبينه نبي**».

والواقع أن ذلك يأتي ـ أيضًا ـ ردًّا علىٰ المكذبين من النصارىٰ الذين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٢) كتاب الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللهِ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾، ومسلم (٢٣٦٥) كتاب الفضائل، باب فضائل عيسىٰ عليه السلام، وأبو داود (٤٦٧٥) كتاب السنة بَاب في التَّخْيِيرِ بين الْأَنْبِيَاءِ عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٢) عون المعبود (١٢/ ٢٨١).

رفضوا الاعتراف بنبوة محمد ﷺ، وزعموا أن عيسىٰ لم يُبشِّر بنبي من بعده، وحرَّفوا أناجيلهم، وحذفوا منها، وأضافوا إليها، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا.

وهو ردٌّ علىٰ الذين يؤلهون عيسىٰ، أو يزعمون أنه ابن لله، إذ يؤكد محمد ﷺ أن عيسىٰ نبي أرسله الله كما أرسل محمدًا، تجمعهما أبوة آدم، ورحم النبوة، ووحدة المنهج.

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ: «**أنا أولىٰ الناس بابن مريم**»: واستخدام اسم التفضيل «**أولىٰ**» مسبوقًا بالضمير المنفصل دون أن يفصل بينهما بحرف الجر «**من**» يفيد الحصر والتوكيد.

وقوله: «**الناس**» يفيد العموم،.

أما قوله: «**بابن مريم**» وعدم ذكره باسمه، فهو إشارة إلىٰ معجزة الله في خلقه من أم بلا أب.

«**والأنبياء أولاد علات**»: تشبيه بليغ شبه فيه صلة الأنبياء بعضهم ببعض بصلة أولاد الأب الواحد من أمهات شتىٰ.

وهو يوحي بعمق العلاقة بينهم، وشدة الترابط، ووحدة الرسالة.

«**ليس بيني وبينه نبي**» كناية عن الاتصال المباشر والعلاقة الخاصة التي تجمع بين النبييْن الكريميْن.



النبي ﷺ مع سليمان عليه السلام

«فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ»:

عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ عِفْرِيتًا من الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ - أو كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، فَأَمْكَنَنِي الله منه، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إلىٰ سَارِيَةٍ من سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حتىٰ تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إليه كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ**: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥]» قال رَوْحٌ: فَرَدَّهُ خَاسِئًا[1].

❁ ❁ ❁

ما زالت المعركة بين الإنسان والشيطان محتدمة، لم يخبُ أوارها منذ أن خُلق آدم، إلىٰ أن يرث الله الأرض وما عليها، والمواجهة مع الأنبياء تكون أشد وأعتىٰ، لكنها تحسم لا محالة في النهاية لصالح الأنبياء الذين أعانهم الله بقدرات خاصة لدحر هذا النوع من الأعداء المتسلطين.

ومع ذلك فقد حتمت علاقة الأخوة التي تربط الأنبياء بعضهم ببعض علىٰ النبي ﷺ أن يراعي خصوصية دعوة أخيه سليمان التي اختصه بها ربه من ملك لا ينبغي لأحد من بعده.

لقد اختص الله سليمان عليه السلام بتسخير الجن، والريح، والطير، وغيرها من مظاهر الملك العظيم، فلم يعد بإمكان الإنس بعده أن يسخِّرُوا الجن في

---

(١) أخرجه البخاريٰ (٤٨٠٨) كتاب التفسير، باب: هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي، ومسلم (٥٤١) كتاب المساجد، بَاب جَوَازِ لَعْنِ الشَّيْطَانِ في أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ وَالتَّعَوُّذِ منه وَجَوَازِ الْعَمَلِ الْقَلِيلِ في الصَّلَاةِ.

أعمال شاقة كتلك التي كان يسخرهم لها سليمان عليه السلام، أو يحبسوهم عن الحركة، أو يمنعوهم من الإيذاء، أو يروهم في صورتهم التي خلقهم الله عليها.

وقد كانت تلك المنحة الخاصة من الله لسليمان استجابة لدعائه: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

يحكي لنا نبينا ﷺ أن عفريتًا تفلت عليه ذات ليلة يريد أن يكيده ليقطع عليه صلاته، فأمكنه الله منه، فأمسك به، وأراد أن يربطه في سارية المسجد حتىٰ يصبح الناس فينظروا إليه، وفي رواية أخرىٰ «... **فخنقته حتىٰ وجدت برد لسانه علىٰ كفي...**»[1]، فلما تذكر دعوة أخيه سليمان أطلقه فارتد خاسئًا.

(قال ابن بطال: رؤيته للعفريت هو مما خُصَّ به، كما خُصَّ برؤية الملائكة، وقد أخبر أن جبريل له ستمائة جناح، ورأىٰ النبي الشيطان في هذه الليلة، وأقدره الله عليه لتجسمه، لأن الأجسام ممكن القدرة عليها، ولكنه ألقىٰ في روعه ما وهب سليمان، فلم ينفذ ما قوي عليه من حبسه رغبة عما أراد سليمان الانفراد به، وحرصًا علىٰ إجابة الله تعالىٰ دعوته. وأما غير النبي من الناس فلا يُمكَّن منه، ولا يرىٰ أحد الشيطان علىٰ صورته غيره؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف: ٢٧])[2].

❁ ❁ ❁

قال ﷺ: «إن عفريتًا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي الصلاة»:

والعفريت من الجن: العتي الخبيث. (قال ابن عبدالبر: الجن علىٰ مراتب، فالأصل جني، فإن خالط الإنس قيل: عامر، ومن تعرض للصبيان قيل: أرواح، ومن زاد في الخبث قيل: شيطان، فإن زاد علىٰ ذلك قيل: مارد، فإن زاد علىٰ ذلك قيل: عفريت. وقال الراغب: العفريت من الجن هو العارم

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٣٤٩)، والنسائي (٥٥٠) وغيرهما.

(٢) عمدة القاري (٤/ ٢٣٥).

الخبيث، وإذا بولغ فيه قيل: عفريت نفريت)[١].

وقوله: «**تفلت علي**»: (أي تعرض لي فلتة - أي فجأة - ليغلبني علىٰ صلاتي)[٢]، وهي توحي بأن الهجوم كان مباغتًا، واستخدام صيغة (تفعَّل) فيها معاني استفراغ القوة والحيلة، وهي ضرورية لأن المهاجَم نبي معصوم.

والبارحة: الليلة الماضية، لأن البارح الزائل. والجن يكثر طروقه للإنس ليلًا بما يتفق مع طبيعته في الخفاء.

«**ليقطع علي الصلاة**»: العبارة تؤكد سموّ مقام النبوة، وصعوبة نفوذ الشيطان إلىٰ نفس صاحبها، ولذلك لم يطمع الشيطان في أكثر من قطع الصلاة علىٰ النبي ﷺ.

«**فأمكنني الله منه**»: كناية عن السيطرة والغلبة، والتعدية بالهمزة «**أمكن**» تبرؤ من الحول والقوة إلا بالله، وهي درجة عالية من درجات الإيمان، والتوكل الحقيقي علىٰ الله.

«**فأردت أن أربطه إلىٰ سارية من سواري المسجد**»: **دلالة علىٰ تمام** التمكن والسيطرة.

«**حتىٰ تُصبحوا وتنظروا إليه كلكم**»: فيه رغبة النبي ﷺ في بيان ضعف الشيطان وقلة حيلته لأصحابه، حتىٰ لا ينخدعوا به، ويستسهلوا الوقوع في حبائله.

قوله ﷺ: «فذكرت قول أخي سليمان ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥]».

واستخدام لفظة «**أخي**» تأكيد علىٰ العلاقة الوثيقة التي تربط بين الأنبياء،

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٥٩).

(٢) كشف المشكل (٣/ ٤٨٩).

ودليل علىٰ تكامل الرسالات، ووحدة المنهج.



النبي ﷺ ينعت الأنبياء والرسل عليهم السلام

١ ـ موسى وعيسى ومالك عليهم السلام: «رأيتُ ليلةَ أُسري بي موسى»:

عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «رأيت لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَىٰ، رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ من رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ، رَجُلًا مَرْبُوعًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ في آيَاتٍ أَرَاهُنَّ الله إِيَّاهُ ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة: ٢٣]» قال أَنَسٌ وأبو بَكْرَةَ: عن النبي ﷺ: «تحْرُسُ الْمَلَائِكَةُ الْمَدِينَةَ من الدَّجَّالِ»[(١)].

٢ ـ موسى وعيسى وإبراهيم وجبريل عليهم السلام: «عُرض عليَّ الأنبياء»:

عن جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «عُرِضَ علي الْأَنْبِيَاءُ، فإذا مُوسَىٰ ضَرْبٌ من الرِّجَالِ كَأَنَّهُ من رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ بن مَرْيَمَ عليه السلام، فإذا أَقْرَبُ من رأيت بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بن مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إبراهيم صَلَوَاتُ اللهِ عليه، فإذا أَقْرَبُ من رأيت بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ ـ يَعْنِي نَفْسَهُ ـ وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السلام، فإذا أَقْرَبُ من رأيت بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ ـ وفي رِوَايَةِ ابن رُمْحٍ ـ دَحْيَةُ بن خَلِيفَةَ»[(٢)].

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رأيت مُوسَىٰ، وإذا هو رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ كَأَنَّهُ من رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ، فإذا هو رَجُلٌ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ من دِيمَاسٍ، وأنا أَشْبَهُ وَلَدِ إبراهيم بِهِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٩) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٧) كتاب الإيمان، باب الإسراء، والترمذي (٣٦٤٩) كتاب المناقب، باب في صفة النبي ﷺ.

في أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وفي الآخَرِ خَمْرٌ، فقال: اشْرَبْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ: أَخَذْتَ الفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لو أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ»[١].

عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «أُرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ كَأَحْسَنِ ما أنت رَاءٍ من آدم الرِّجَالِ، له لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ ما أنت رَاءٍ من اللِّمَمِ، قد رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا علىٰ رَجُلَيْنِ ـ أو علىٰ عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ ـ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: من هذا؟ فَقِيلَ: الْمَسِيحُ بن مَرْيَمَ، وإذا أنا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ، أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ، كَأنها عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: من هذا؟ فَقِيلَ: الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ»[٢].

٣ ـ موسى ويونس عليهما السلام يُلبِّيَان: «كأني أنظرُ إلى موسى عليه السلام هابطًا من الثنيَّة»:

عن ابن عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فقال: «أَيُّ وَادٍ هذا؟» فَقَالُوا: هذا وَادِي الْأَزْرَقِ، قال: «كَأني أَنْظُرُ إلىٰ مُوسَىٰ عليه السلام هَابِطًا من الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إلىٰ اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ»، ثُمَّ أَتىٰ علىٰ ثَنِيَّةِ هرشىٰ، فقال: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هذه؟» قالوا: ثَنِيَّةُ هرش، قال: «كَأني أَنْظُرُ إلىٰ يُونُسَ بن مَتَّىٰ عليه السلام علىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عليه جُبَّةٌ من صُوفٍ خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وهو يُلَبِّي».

❁ ❁ ❁

الله ﷻ الذي بعث أنبياءه برسالاته ـ هو الذي جمع بين قلوبهم، وعرَّف بعضهم ببعض، فإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ كلهم بَشَّر بمحمد، ومحمد ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٤) كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان، باب الإسراء، والترمذي (٣١٣٠) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣) كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، ومسلم (١٦٩) كتاب الإيمان، بَاب ذِكْرِ الْمَسِيحِ بن مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

التقىٰ الأنبياء جميعًا في ليلة الإسراء، وصلَّىٰ بهم إمامًا في بيت المقدس، ثم مرَّ عليهم في السماوات في طريق عروجه إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وكان كلٌ منهم يُهرع لاستقباله، ويرحب به، ويعظِّم مقامه، وينصح له.

وينعت الرسول ﷺ في الأحاديث السابقة إخوانه من الأنبياء كما رآهم في رحلة الإسراء والمعراج، فيصف موسىٰ بأنه رجل أسمر طويل جعد الشعر، أي ليس بالناعم المسترسل كأنه من رجال شنوءة، وهم (حي من اليمن ينسبون إلىٰ شنوءة، وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله)[(١)] وهم معروفون بالطول والسمرة.

ويصف عيسىٰ بأنه رجل مربوع ليس بالطويل ولا بالقصير، معتدل الخلقة، يميل لونه إلىٰ الحمرة، مسترسل الشعر غزيره يصل إلىٰ شحمة أذنيه، نضر الوجه كأنما هو خارج لتوه من الحمّام.

ولكي يقرِّب النبي ﷺ شبه عيسىٰ لأصحابه، ذكر لهم أن أقرب الناس به شبهًا هو عروة بن مسعود الثقفي.

أما إبراهيم، فأقرب الناس شبهًا به محمد ﷺ، وأما جبريل، حين يأتي في صورة بشر، فأقرب الناس شبهًا به دحية بن خليفة الكلبي.

ووصف النبي لأصحابه المسيح الدجال حتىٰ يحذروه، فأخبر أنه رجل شديد القصر والاكتناز، أعور العين اليمنىٰ، عينه ناتئة بارزة كحبة العنب.

وفي وادي الأزرق[(٢)] في طريق النبي ﷺ للحج مُثِّل له موسىٰ عليه السلام هابطًا من الثنية، وهو يجأر إلىٰ الله بالتلبية، وعند ثنية هَرْشَىٰ[(٣)] مُثِّل له يونس بن

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٢٩).

(٢) موضع بين الحرمين سمي به لزرقته، وقيل منسوب إلىٰ رجل بعينه (مرقاة المفاتيح: ١٠/ ٣٩٤).

(٣) جبل علىٰ طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة (الديباج علىٰ مسلم: ١/ ٢١٢).

متىٰ عليه السلام، يركب ناقة حمراء مكتنزة اللحم خطامها من ليف وهو يلبي، (فإن قيل: كيف يحجون ويلبون وهم أموات، وهم في الدار الآخرة، وليست دار عمل، فاعلم أن للمشايخ ـ فيما ظهر لنا ـ عن هذا أجوبة:

أحدها: أنهم كالشهداء، بل هم أفضل منهم، والشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبعد أن يحجوا ويصلُّوا كما ورد في الحديث الآخر، وأن يتقربوا إلىٰ الله بما استطاعوا؛ لأنهم وإن كانوا توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل، حتىٰ إذا فنيت مدتها، وتعقبتها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل.

الوجه الثاني: أن عمل الآخرة ذكر ودعاء: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠].

الوجه الثالث: أن تكون هذه رؤيا منام في غير ليلة الإسراء، أو في بعض ليلة الإسراء، كما قال في رواية ابن عمر رضي الله عنهما: «**بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة...**»(١) وذكر الحديث في قصة عيسىٰ.

الوجه الرابع: أنه ﷺ أُرِيَ أحوالهم التي كانت في حياتهم، ومُثِّلوا له في حال حياتهم، كيف كانوا؟ وكيف حجهم وتلبيتهم؟ كما قال: «**كأني أنظر إلىٰ موسىٰ... وكأني أنظر إلىٰ عيسىٰ... وكأني أنظر إلىٰ يونس...**» عليهم السلام.

الوجه الخامس: أن يكون أُخبر عما أوحي إليه ﷺ من أمرهم، وما كان منهم، وإن لم يرهم رؤية عين)(٢).

❁ ❁ ❁

قال ﷺ في وصف موسىٰ: «رجلًا آدم طوالًا جعدًا، كأنه من رجال شنوءة» وقوله: «فإذا موسىٰ ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٢٦)، ومسلم (١٧١) وغيرهما.

(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (٢/ ٢٨٨، ٢٨٩).

قال الزمخشري في أساس البلاغة: (فلان طُوال: لا تطوله الطِوال)[1]، فالكلمة تعني شدة الطول، أما الجعودة فالوصف بها قد يكون ذمًّا، وقد يكون مدحًا، فإن وصف به الجسد كان ذمًّا؛ لأنه يراد به القصير المتردد الخَلْق، أي المتناهي في القصر وبه وصف الدجال، وإن وصف به الشَّعْر كان مدحًا؛ لأنه يراد به ضد السبط، والسبوطة أكثرها في شعور العجم.

ثم شبَّه النبي ﷺ موسىٰ برجال شنوءة، فكأنه مثلهم في الطول والسمرة.

وقوله «**ضرب من الرجال**» أي خفيف اللحم.

ووصف النبي ﷺ عيسىٰ فقال: «... رجلًا مربوعًا مربوع الخَلْق، إلىٰ الحمرة والبياض سَبْطَ الرأس»، «... فإذا أقرب من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود»، «... فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس»، «... فرأيت رجلًا آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجل، له لِمة كأحسن ما أنت راء من اللمم، قد رجَّلها فهي تقطر ماءً، متكئًا علىٰ رجلين يطوف بالبيت».

والمربوع: ليس بالقصير ولا بالطويل وسيط القامة، وأراد بمربوع الخَلْق أنه معتدل الخِلقة. وقد وَصَف عيسىٰ بأنه إلىٰ الحمرة والبياض، ووصفه بأنه أحمر، ثم عاد ووصفه في الحديث الأخير بأنه آدم وليس في الأمر تناقض، (فيجوز أن يُتأول الأحمر علىٰ الآدم، ولا يكون المراد حقيقة الأدمة والحمرة بل ما قاربها)[2].

وقوله: «**كأنما خرج من ديماس**»، و«**قد رجَّلها فهي تقطر ماء**» كنايتان عن نعومة البشرة وطراوتها وحيويتها وكثرة مائها.

وقال ﷺ في وصف الدجال: «... **وإذا أنا برجل جعد قطط، أعور العين اليمنىٰ، كأنها عنبة طافية**».

---

(١) أساس البلاغة (١/ ٣٩٨).

(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (٢/ ٢٣٢).

والجعد القَطَط: شديد الجعودة، والمراد هنا القصير المتناهي القصر.

و«**كأنها عنبة طافية**» شبه عين الدجال العوراء بالعنبة الطافية؛ أي الناتئة عن حد أختها، (وقال الخطابي: العنبة الطافية هي الحبة الكبيرة التي خرجت عن حد أخواتها)(١)، وهي هيئة قبيحة، قُصد من التفصيل في وصفها التنفير من شخصه، ومن ثم التنفير من سلوكه، والحذر منه واجتنابه.

وفي الحديث عن موسىٰ ويونس استحضر رسول الله ﷺ صورتهما وهما يلبيان، وسَرَدَ تفاصيل الصورة بكل دقائقها، وبكل ما تعج به من حركة ولون وصوت.

فموسىٰ يَجِدُّ هابطًا من الثنية، ولا تشغله الحركة النشطة عن رفع الصوت بالتلبية إلىٰ الله و«**له جؤار**».

صورة مفعمة بالفتوة التي كانت أبرز سمات موسىٰ عليه السلام.

ويونس بن متىٰ عليه السلام يسوق ناقته الحمراء المكتنزة يلبس جبة من صوف، وهو يمسك بخطامها المجدول من الليف، ولسانه ينطلق بالتلبية.

صورة عنوانها التواضع والخشوع والإخبات لله، وتلك كانت أبرز سمات يونس عليه السلام.



(١) عمدة القاري (١٦/ ٣٣).

الفصل الثاني

الرسول ﷺ مع أهل بيته

الرسول ﷺ مع أولاده

١ ـ مع إبراهيم رضي الله عنه: «وُلد لي الليلة غلامٌ»:

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**وُلِدَ لي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أبي إبراهيم**»، ثُمَّ دَفَعَهُ إلىٰ أُمِّ سَيْفٍ، امْرَأَةِ قَيْنٍ يُقَالُ له: أبو سَيْفٍ، فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ، وَاتَّبَعْتُهُ، فَانْتَهَيْنَا إلىٰ أبي سَيْفٍ، وهو يَنْفُخُ بِكِيرِهِ، قد امْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بين يَدَيْ رسول اللهِ ﷺ، فقلت: يا أَبَا سَيْفٍ، أَمْسِكْ، جاء رسول اللهِ ﷺ، فَأَمْسَكَ، فَدَعَا النبي ﷺ بِالصَّبِيِّ، فَضَمَّهُ إليه، وقال ما شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ، فقال أَنَسٌ: لقد رَأَيْتُهُ وهو يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بين يَدَيْ رسول اللهِ ﷺ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رسول اللهِ ﷺ، فقال: «**تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، ولا نَقُولُ إلا ما يَرْضَىٰ رَبُّنَا، والله يا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ**»[(١)].

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: دَخَلْنَا مع رسول اللهِ ﷺ علىٰ أبي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وكان ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَأَخَذَ رسول اللهِ ﷺ إبراهيم، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عليه بَعْدَ ذلك، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رسول اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فقال له عبد الرحمن بن عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يا رَسُولَ اللهِ؟ فقال: «**يا ابن عَوْفٍ، إنها رَحْمَةٌ**» ثم أَتْبَعَهَا بِأُخْرَىٰ، فقال ﷺ: «**إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، ولا نَقُولُ إلا ما يَرْضَىٰ رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»[(٢)].

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: ما رأيت أَحَدًا كان أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ من رسول اللهِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٥) كتاب الفضائل، بَاب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذلك، وأبو داود (٣١٢٦) كتاب الجنائز، باب في البكاء علىٰ الميت.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣) كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: إنا بك لمحزونون.

ﷺ، قال: كان إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا له في عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ معه، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ، وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وكان ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ، فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ، قال عَمْرٌو: فلما تُوفي إِبْرَاهِيمُ، قال رسول اللهِ ﷺ: **«إِنَّ إبراهيم ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ، وَإِنَّ له لَظِئْرَيْنِ تُكَمِّلَانِ رَضَاعَهُ في الْجَنَّةِ»**[1].

۞ ۞ ۞

رزق النبي ﷺ إبراهيم من مارية القبطية في ذي الحجة سنة ثمان للهجرة، (وكانت سلمىٰ زوجة أبي رافع مولاة رسول الله ﷺ قَابِلَتَهُ، فبشَّر أبو رافع به النبيَّ ﷺ، فوهب له عبدًا، فلما كان يوم سابعه عقَّ عنه بكبش، وحلق رأسه، حلقه أبو هند، وسمَّاه يومئذ، وتصدق بزنة شعره وَرِقًا علىٰ المساكين، ودفنوا شعره في الأرض)[2].

ودفع الرسول ﷺ إبراهيم إلىٰ أم سيف لترضعه، وهي امرأة حداد بالمدينة يقال له أبو سيف.

وظل إبراهيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسترضعًا في عوالي المدينة حتىٰ بلغ ثمانية عشر شهرًا.

وكان رسول الله يزوره هناك بين الفينة والفينة فيأخذ الصبي، فيضمه إليه، ويقول له ما شاء الله أن يقول.

ثم مرض إبراهيم، وذهب النبي ﷺ ليعوده، فوجده يجود بنفسه، فحمله بين يديه، وتفجر سيل من المشاعر الدافقة بين جوانح النبي ﷺ وهو يرىٰ فلذة كبده يجود بنفسه في حجره، لعله كان يود أن يستمتع به صبيًا يلهو بين يديه، أو شابًا يكبر أمام عينيه، لكن إرادة الله شاءت أن يُحرم النبي من أولاده

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٦) كتاب الفضائل، بَاب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذلك.

(٢) ذخائر العقبىٰ (١/ ١٥٣).

جميعًا، وأن يسبقوه إلىٰ دار الحق، فلا يبقىٰ له إلا فاطمة التي ما لبثت أن لحقت به بعد ستة أشهر من وفاته.

قال ﷺ: «**إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين**[1] **تكملان رضاعه في الجنة**».

وانْهمرت دموع الرحمة من عيني النبي، وهو يرىٰ الطفل الرضيع تتقعقع نفسه بين يديه، وعجب عبد الرحمن بن عوف لهذه الدموع الغالية التي فاضت من عيني النبي، فقال: وأنت يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**يا ابن عوف إنها رحمة**».

نعم.. إنها رحمة القلب الكبير الذي وسع بين حناياه هموم الأمة جمعاء، لكنه يتفطر ألمًا لمشهد رضيع يلفظ أنفاسه الأخيرة.

❁ ❁ ❁

قال رسول الله ﷺ: «**تدمع العين ويحزن القلب**»، وقال: «**إن العين تدمع والقلب يحزن**»، فاستخدم في التعبير الأول الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع الدال علىٰ الاستمرار، بينما استخدم في الثاني الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بإن.

وقدَّم دمع العين علىٰ حزن القلب رغم أن الأول نتيجة للثاني؛ لأن الدمع هو الأمر المشاهد المحسوس الذي يتأكد به حزن القلب وتأثره.

ثم أقسم: «**والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون**» والقسم للتوكيد، والنداء للتحبب، وتحس فيه لوعة الحزن والفراق، واستخدام صيغة الجمع «**إنا بك لمحزونون**» للتعبير عن شدة الحزن وعظم المصاب، والجملة مؤكدة بإن واللام.

وقال رسول الله ﷺ: «**إن إبراهيم ابني**»: وفي قوله: «**ابني**» نبرة حب واعتزاز

---

(١) مرضعتين.

وتحسر من أب مكلوم، وقوله: «**مات في الثدي**» مجاز مرسل علاقته السببية.

قوله ﷺ: «**وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة**»: وتقديم شبه الجملة «**له**» يفيد التخصيص، وفي الجملة كناية عن وفاة إبراهيم قبل تمام مدة رضاعه.

٢ ـ مع فاطمة رضي الله عنها: «فَاطِمَةُ بَضعَةٌ مِنِّي»:

عن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي**»[(١)].

عن عَلِيِّ بن حُسَيْنٍ أنهم حين قَدِمُوا الْمَدِينَةَ من عِنْدِ يَزِيدَ بن مُعَاوِيَةَ ـ مَقْتَلَ حُسَيْنِ بن عَلِيٍّ رحمة اللهِ عليه ـ لَقِيَهُ الْمِسْوَرُ بن مَخْرَمَةَ، فقال له: هل لك إِلَيَّ من حَاجَةٍ تَأْمُرني بها؟ فقلت له: لَا، فقال: فَهَلْ أنت مُعْطِيَّ سَيْفَ رسول اللهِ ﷺ فَإِني أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عليه؟ وأيم اللهِ، لَئِنْ أَعْطَيْتَنِيهِ لَا يُخْلَصُ إليه أَبَدًا حتىٰ تُبْلَغَ نَفْسِي، إِنَّ عَلِيَّ بن أبي طَالِبٍ خَطَبَ ابْنَةَ أبي جَهْلٍ علىٰ فَاطِمَةَ عليها السَّلَام، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ الناس في ذلك علىٰ مِنْبَرِهِ هذا، وأنا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ، فقال: «**إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وأنا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ في دِينِهَا**» ثُمَّ ذَكَرَ صِهْرًا له من بَنِي عبد شَمْسٍ، فَأَثْنَىٰ عليه في مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ، قال: «**حدثني فَصَدَقَنِي، وَوَعَدني فَوَفَىٰ لي، وَإِني لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا، ولا أُحِلُّ حَرَامًا، وَلَكِنْ والله لا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رسول اللهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ أَبَدًا**»[(٢)].

عن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ قال: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول وهو علىٰ الْمِنْبَرِ: «**إِنَّ بَنِي هِشَامِ بن الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا في أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بن أبي**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٤) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة الله ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣١١٠) كتاب فرض الخمس، باب ما ذُكِرَ من دِرْعِ النبي ﷺ وَعَصَاهُ وَسَيْفِهِ وَقَدَحِهِ وَخَاتَمِهِ، ومسلم (٢٤٤٩) كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة، وأبو داود (٢٠٦٩) كتاب النكاح، باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء.

طَالِبٍ، فلا آذَنُ، ثُمَّ لا آذَنُ، ثُمَّ لا آذَنُ، إلا أَنْ يُرِيدَ ابن أبي طَالِبٍ أَنْ يُطلِّقَ ابْنَتِي، وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيبُنِي ما أَرَابها، وَيُؤْذِينِي ما آذَاهَا»[١].

ـ عن ابن أبي لَيْلَىٰ قال: حدثنا عَلِيٌّ: أَنَّ فَاطِمَةَ عليها السَّلَام شَكَتْ ما تَلْقَىٰ من أَثرِ الرحىٰ، فَأَتَىٰ النبي ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فلم تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرتها، فلما جاء النبي ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النبي ﷺ إِلَيْنَا وقد أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فقال: «علىٰ مَكَانِكُمَا» فَقَعَدَ بَيْنَنَا، حتىٰ وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ علىٰ صَدْرِي، وقال: «ألا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إذا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تكبران أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وتسبحان ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وتحمدان ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا من خَادِمٍ»[٢].

عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: أتىٰ النبي ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فلم يَدْخُلْ عليها، وَجَاءَ عَلِيٌّ فَذَكَرَتْ له ذلك، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قال: «إني رأيت علىٰ بَابها سِتْرًا مَوْشِيًّا» فقال: «ما لي وَلِلدُّنْيَا» فَأَتَاهَا عَلِيٌّ، فذكر ذلك لها، فقالت: لِيَأْمُرْنِي فيه بِمَا شَاءَ، قال: «تُرْسِلُ بِهِ إلىٰ فُلَانٍ أَهْلِ بَيْتٍ بهم حَاجَةٌ»[٣].

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: لما أنزل الله هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٣٠) كتاب االنكاح، باب ذَبِّ الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف، ومسلم (٢٤٤٩) كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة، وأبو داود (٢٠٧١) كتاب النكاح، باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء، والترمذي (٣٨٦٧) كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، وابن ماجة (١٩٩٨) كتاب النكاح، باب الغيرة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٥) كتاب الفضائل، باب مناقب علي، ومسلم (٢٧٢٧) كتاب الذكر، باب التسبيح أول النهار وعند النوم.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦١٣) كتاب الهبة، هدية ما يكره لبسه، وعند أبي داود بنحوه (٤١٤٩) كتاب اللباس، باب في اتخاذ الستور.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٩٩) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة آل =

توفي كل أبناء النبي ﷺ في حياته، ولم يبق إلا فاطمة التي زوَّجها ابن عمه عليًّا، لذلك احتلت في قلب النبي منزلة خاصة، وكان لا يتحمل أن يؤذيها أحد أو يغضبها. ويعبر قوله ﷺ: «**فاطمة بضعة مني**» عن العلاقة القلبية الوثيقة التي كانت تربط النبي ﷺ بابنته فاطمة، إنها قطعة منه، يتخوف عليها مما يتخوف منه علىٰ نفسه، ويريبه ما أرابها، ويؤذيه ما آذاها، ويغضبه ما أغضبها.

إنها النفحة الباقية من عبق الزوجة الغالية خديجة التي أحبها النبي ﷺ كما لم يحب أحدًا قبلها، وظل وفيًّا لذكراها حتىٰ لقي ربه.

فلما خطب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنة أبي جهل، لم يأذن النبي ﷺ بإتمام ذلك الزواج؛ خوفًا من أن تفتن فاطمة في دينها حين تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله في بيت واحد.

ورغم كل هذا الحب لم يميز النبي ﷺ ابنته الأثيرة علىٰ أحد بعطاء خاص، أو هبة مميزة، حتىٰ إنها لما اشتكت أثر الرحىٰ، وأتت النبي ـ وقد علمت أنه جاءه سبي ـ تطلب منه خادمًا، لم يجبها إلىٰ ما طلبت، وإنما نصحها وعليًّا إذا أخذا مضجعهما أن يكبرا الله أربعًا وثلاثين، ويسبحانه ثلاثًا وثلاثين، ويحمدانه ثلاثًا وثلاثين فهو خير لهما من خادم.

لقد ظل النبي ﷺ حريصًا علىٰ أن يكون قريبًا من فاطمة، كان يستقبلها في بيته فيكرمها ويجلسها إلىٰ جانبه، ويحدثها بأطيب حديث، وكان يزورها في بيتها، فيجدها وعليًّا مضطجعين، فيرفض أن يقوما، ويجلس بينهما يجدان برد قدميه علىٰ صدريهما.

ولأنها ابنة محمد، فلابد أن تكون عالية الهمة كأبيها في الذكر، والدعاء،

= عمران.

والعبادة، والزهد في متاع الدنيا وزينتها، والتزود بالتقوىٰ للآخرة.

أتىٰ النبيُّ ﷺ بيتها يومًا فوجد سترا مَوْشيًّا فلم يدخل، وعاد من حيث أتىٰ، وأمرها أن ترسل به إلىٰ أهل بيت بهم حاجة.

ولما نزل قول الله ﷻ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] آية المباهلة، دعا الرسول ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، وضمهم في ردائه، وقال: «**اللَّهم هؤلاء أهلي**».

❁ ❁ ❁

قوله ﷺ: «**فاطمة بضعة مني**»، «**إن فاطمة مني**»: هما كنايتان عن عميق الصلة وشديد الحب.

وقال ﷺ عن صهر له يثني عليه: «**حدثني فصدقني، ووعدني فوفىٰ لي**»، ثم قال عن فلذة كبده: «**يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها**»: وفي العبارات ازدواج ذو إيقاع لطيف يزيد المعنىٰ وضوحًا.

وقوله ﷺ: «**لست أحرِّم حلالًا، ولا أحلُّ حرامًا**»، و«**بنت رسول الله، وبنت عدو الله**» مقابلتان تبرزان المعنىٰ وتوضحانه.

وقول النبي ﷺ: «**فلا آذن ثم لا آذن، ثم لا آذن**» تكرار يؤكد المعنىٰ، وبيان لصرامة الرسول في رفضه زواج عليٍّ بن أبي طالب من ابنة أبي جهل.

قوله ﷺ: «**ألا أعلمكما خيرًا مما سألتماني؟**»: استفهام غرضه استثارة النفس وتشويقها.

وأمر الرسول لفاطمة وعليٍّ بالتكبير والتسبيح والتهليل قبل النوم مائة مرة، وقوله لهما: «**فهو خير لكما من خادم**» يؤكد العلاقة بين الذكر وعلو الهمة، وقوة البدن ونشاطه.

قوله ﷺ: «**اللهم هؤلاء أهلي**»: النداء فيه للتضرع والالتماس، و«**هؤلاء**

أهلي» توكيد بأسلوب القصر باستخدام اسم الإشارة.

٣ـ مع زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فإذا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي»:

ـ عن أُمِّ عَطِيَّةَ قالت: دخل عَلَيْنَا رسول اللهِ ﷺ حين تُوُفِّيَتْ ابْنَتُهُ، فقال: «**اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا، أو خَمْسًا، أو أَكْثَرَ من ذلك إن رَأَيْتُنَّ ذلك بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ في الْآخِرَةِ كَافُورًا أو شيئًا من كَافُورٍ، فإذا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي**» فلما فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَعْطَانَا حَقْوَهُ، فقال: «**أَشْعِرنها إِيَّاهُ**»[(١)].

۞ ۞ ۞

عاشت زينب كبرىٰ بنات النبي ﷺ حياة صعبة في مكة بعد هجرة النبي ﷺ إلىٰ المدينة إذ مُنعت من الهجرة إلىٰ أبيها، وظلت مع زوجها أبي العاص ابن الربيع الذي ما فتئ مشركًا، وقاتل زوجها مع قريش في بدر، ووقع في الأسر، فبعثت زينب في فدائه إلىٰ أبيها (بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها عليه حين بَنَىٰ عليها، فلما رآها رسول الله صلىٰ الله عليه رقَّ لها رقة شديدة، وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها، فافعلوا**» قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها)[(٢)].

ووعد أبو العاص رسول الله ﷺ أن يخلي سبيل زينب، وبعث الرسول زيد بن حارثة ورجلًا من الأنصار كي ينتظرا زينب في بعض الطريق، فيأتيا بها.

وما إن وصل أبو العاص إلىٰ مكة حتىٰ جهز زينب للرحيل إلىٰ أبيها كما

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٥٣) كتاب الجنائز، بَاب غُسْلِ الْمَيِّتِ وَوُضُوئِهِ، ومسلم (٩٣٩) كتاب الجنائز، باب في غسل الميت، وأبو داود (٣١٤٢) كتاب الجنائز، باب كيف غسل الميت، والنسائي في المجتبىٰ (١٨٩٠) كتاب الجنائز، باب الكافور في غسل الميت، وابن ماجة (١٤٥٨) كتاب الجنائز، باب ما جاء في غسل الميت.

(٢) عيون الأثر (١/ ٣٥١، ٣٥٢).

وعد، وخرج بها حموها كنانة بن الربيع نهارًا علىٰ بعير له، فلمَّا فشا الخبر في قريش، خرج بعضهم في طلبها، (فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزىٰ والفهري، فردعها هبَّار بالرمح وهي في هودجها، وكانت المرأة حاملًا ـ فيما يزعمون ـ فلما ريعت طرحت ذا بطنها، وبرك حموها كنانة، ونثر كنانته، ثم قال: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهمًا، فتكركر الناس عنه، وأتىٰ أبو سفيان في جلة من قريش، فقال: أيها الرجل كف عنَّا نبلك حتىٰ نكلمك، فكفَّ، فأقبل أبو سفيان حتىٰ وقف عليه، فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة علىٰ رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس ـ إذ خرجت بابنته إليه علىٰ رؤوس الناس من بين أظهرنا ـ أنَّ ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك منا ضعف ووهن، ولعمري مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة، ومالنا في ذلك من ثورة، ولكن ارجع بالمرأة، حتىٰ إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أنْ قد رددناها، فسُلَّها سرًّا، وألحقها بأبيها)[1].

فعاد بها كنانة، فأقامت ليالي، ثم خرج بها كنانة ليلًا حتىٰ أسلمها إلىٰ زيد ابن حارثة وصاحبه اللذين كانا ينتظرانها، فقدما بها علىٰ النبي ﷺ.

وأقامت زينب مع النبي ﷺ، وقد فرَّق الإسلام بينها وبين زوجها المشرك، وخرج أبو العاص في قافلة لقريش، فاعترضته سرية للمسلمين، فأصابت ما معه، وفرَّ هو إلىٰ المدينة فدخل علىٰ زينب، فاستجار بها، فأجارته.

وتسامع الناس بالأمر، فلما صلىٰ رسول الله ﷺ الصبح (أقبل علىٰ الناس، فقال: «**أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟**»، قالوا: نعم، قال: «**أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتىٰ سمعت ما سمعتم، إنه يجير علىٰ المسلمين أدناهم**»، ثم انصرف رسول الله ﷺ، فدخل علىٰ ابنته،

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٦٥٤، ٦٥٥).

فقال: «**أي بنية، أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له**»[(١)].

وسعىٰ رسول الله ﷺ في ردِّ المال الذي سلب من أبي العاص، فرده الذين غنموه إكرامًا لرسول الله ﷺ، فحمل أبو العاص المال، وعاد به إلىٰ قريش، وأعطىٰ كل ذي حق حقه، ثم أعلن فيهم إسلامه، وخرج إلىٰ النبي ﷺ مسلمًا، فرد عليه الرسول زينب.

وفي السنة الثامنة للهجرة مرضت زينب ثم ماتت، وأشرف النبي ﷺ علىٰ غسلها وتكفينها.

فأيُّ أسًىٰ عميق كان يعتمل في نفس النبي الكريم وهو يتابع غُسل ابنته الكريمة زينب، فيأمر النساء بغسلها وترًا، ثلاثًا علىٰ الأقل أو خمسًا، أو أكثر من ذلك، وأن يخلطن الماء بالسدر، ويجعلن في الغسلة الأخيرة كافورًا.

ثم يأمرهن إذا فرغن أن يعلمنه، فلما أعلمنه أعطاهن إزاره، ليكون أول ما يلامس جسدها من لفائف الكفن.

إنه النبي الإنسان، الأب الذي ابتلىٰ في أبنائه، وذاق مرارة الفقد، ووسَّدهم جميعًا بيديه الثرىٰ، وها هو الآن يتابع تفاصيل الغسل ودقائقه بكل اهتمام، ثم يؤثر آخر من فُقد من أبنائه في حياته بإزاره لعله ببركة مسه لجسد النبي المصطفىٰ يحمي جسدها، ويبارك لها في ضجعتها، ويرحم ضعفها، ويؤنسها في وحشتها.

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ: «**اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر**»: الأمر للإرشاد، وتعيين الثلاث والخمس لبيان إرادة الوتر، لأن أحب الأعمال عند الله الوتر، كما قال النبي ﷺ: «**لله تسعة وتسعون اسمًا مائة**

---

(١) السابق (١/ ٦٥٧).

إلا واحدًا، لن يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»(١).

قال ﷺ: «**واجعلن في الآخرة كافورًا، أو شيئًا من كافور**»: وفي العبارة ما يوحي بحرص النبي علىٰ تطييب جسد الميتة حتىٰ لا ينفر الأحياء منها.

وقوله: «**أشعرنها إياه**»: كناية عن البدء في الكفن بحقو النبي ﷺ.

٤ ـ مع الحسن والحسين رضي الله عنهما: «هما رَيحانَتَايَ من الدُّنْيا»:

ـ عن أبي مُوسَىٰ قال: سمعت الْحَسَنَ يقول: اسْتَقْبَلَ ـ والله ـ الْحَسَنُ بن عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فقال عَمْرُو بن الْعَاصِ: إني لَأَرَىٰ كَتَائِبَ لَا تُوَلِّي حتىٰ تَقْتُلَ أَقْرَانها، فقال له مُعَاوِيَةُ ـ وكان والله خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ ـ: أَيْ عَمْرُو إن قَتَلَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ، من لي بِأُمُورِ الناس؟ من لي بِنِسَائِهِمْ؟ من لي بِضَيْعَتِهِمْ؟ فَبَعَثَ إليه رَجُلَيْنِ من قُرَيْشٍ من بَنِي عبد شَمْسٍ: عَبْدَالرحمن بن سَمُرَةَ، وَعَبْدَ اللهِ بن عَامِرِ بن كُرَيْزٍ، فقال: اذْهَبَا إلىٰ هذا الرَّجُلِ، فَاعْرِضَا عليه، وَقُولَا له، وَاطْلُبَا إليه، فَأَتَيَاهُ، فَدَخَلَا عليه، فَتَكَلَّمَا وَقَالَا له، فَطَلَبَا إليه، فقال لَهُمَا الْحَسَنُ بن عَلِيٍّ: إِنَّا بَنُو عبد الْمُطَّلِبِ قد أَصَبْنَا من هذا الْمَالِ، وَإِنَّ هذه الْأُمَّةَ قد عَاثَتْ في دِمَائِهَا، قالا: فإنه يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ، قال فَمَنْ لي بهذا؟ قالا: نَحْنُ لك بِهِ، فما سَأَلَهُمَا شيئًا إلا قالا: نَحْنُ لك بِهِ، فَصَالَحَهُ، فقال الْحَسَنُ: وَلَقَدْ سمعت أَبَا بَكْرَةَ يقول: رأيت رَسُولَ اللهِ ﷺ علىٰ الْمِنْبَرِ، وَالْحَسَنُ بن عَلِيٍّ إلىٰ جَنْبِهِ، وهو يُقْبِلُ علىٰ الناس مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَىٰ، وَيَقُولُ: «**إِنَّ ابْنِي هذا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بين فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ من الْمُسْلِمِينَ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) كتاب الصلح، باب قول النبي للحسن: ابني هذا سيد، وأبو داود (٤٦٦٢) كتاب السنة باب ما يَدُلُّ علىٰ تَرْكِ الْكَلَامِ في الفتنة.

ـ عن الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: رأيت النبي ﷺ وَالْحَسَنُ بن عَلِيٍّ على عَاتِقِهِ يقول: «**اللهم إني أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ**»(١).

ـ عن يَعْلَىٰ بن مُرَّةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**حُسَيْنٌ مِنِّي، وأنا من حُسَيْنٍ، أَحَبَّ الله من أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ من الْأَسْبَاطِ**»(٢).

ـ عن عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ ـ وَسَأَلَهُ عن الْمُحْرِمِ ـ قال شُعْبَةُ: أَحْسِبُهُ يَقْتُلُ الذُّبَابَ، فقال: أَهْلُ الْعِرَاقِ يَسْأَلُونَ عن الذُّبَابِ، وقد قَتَلُوا ابن ابْنَةِ رسول اللهِ ﷺ، وقال النبي ﷺ: «**هُمَا رَيْحَانَتَايَ من الدُّنْيَا**»(٣).

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**من أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي**»(٤).

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع رسول اللهِ ﷺ في سُوقٍ من أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ، فَانْصَرَفَ، فَانْصَرَفْتُ، فقال: «**أَيْنَ لُكَعُ؟**» ثَلَاثًا «**ادْعُ الْحَسَنَ بن عَلِيٍّ**» فَقَامَ الْحَسَنُ بن عَلِيٍّ يَمْشِي، وفي عُنُقِهِ السِّخَابُ، فقال النبي ﷺ بيده هَكَذَا، فقال الْحَسَنُ بيده هَكَذَا، فَالْتَزَمَهُ، فقال: «**اللهم إني أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبَّ من يُحِبُّهُ**»، وقال أبو هُرَيْرَةَ: فما كان أَحَدٌ أَحَبَّ إلي من الْحَسَنِ بن عَلِيٍّ، بَعْدَ ما قال رسول اللهِ ﷺ ما قال(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٩) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٧٥) كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن ماجة (١٤٤) كتاب في فضائل أصحاب الرسول ﷺ، باب فضل الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٥٣) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين، والترمذي (٣٧٧٠) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين.

(٤) أخرجه ابن ماجة (١٤٣) كتاب فضائل أصحاب الرسول ﷺ، فَضْلِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه البخاري (٥٨٨٤) كتاب اللباس، باب السخاب للصبيان، وبنحوه عند مسلم (٢٤٢١) كتاب الفضائل، باب فضائل الحسن والحسين.

- عن بَحِيرٍ عن خَالِدٍ قال: وَفَدَ الْمِقْدَامُ بن معد يكرب، وَعَمْرُو بن الْأَسْوَدِ، وَرَجُلٌ من بَنِي أَسَدٍ من أَهْلِ قِنَّسْرِينَ إلىٰ مُعَاوِيَةَ بن أبي سُفْيَانَ، فقال مُعَاوِيَةُ لِلْمِقْدَامِ: أَعَلِمْتَ أَنَّ الْحَسَنَ بن عَلِيٍّ تُوفي؟ فَرَجَّعَ الْمِقْدَامُ، فقال له رَجُلٌ: أَتَرَاهَا مُصِيبَةً؟ قال له: وَلِمَ لَا أَرَاهَا مُصِيبَةً، وقد وَضَعَهُ رسول اللهِ ﷺ في حِجْرِهِ، فقال: «**هذا مِنِّي وَحُسَيْنٌ من عَلِيٍّ**»...[1].

❁ ❁ ❁

رزقت فاطمة بالحسن والحسين، فكانا ريحانتي رسول الله ﷺ، وكان وجودهما في حياة النبي ﷺ في أخريات عمره ترويحة من عناء الدعوة، وعبء الجهاد، وهموم المسؤولية.

وقد درج الحسن والحسين في حجر النبي ﷺ، وشربا من معين أخلاقه الصافي، وشاهدا بأم أعينهما مواقف عظيمة من سيرته الخالدة، تعلمًا منه، وتربيا علىٰ يديه، وكانا في حياتهما من بعده مقتديَيْن بهديه لا يحيدان عنه قيد أنملة.

وصرح النبي ﷺ بحبه العظيم لحفيديه، بل دعا الله وهو يحمل الحسن علىٰ عاتقه فقال: «**اللهم إني أحبه فأحبه**».

وربط حبَّه بحبهما، وبغضَه يبغضهما، فقال: «**من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**».

ولم يكن النبي ﷺ يراهما إلا هشَّ لهما وبشَّ، بل كان يسأل عنهما، ويستدعيهما ليلعب معهما، ويحتضنهما، ويقبلهما، ويحملهما علىٰ ظهره وهو يصلي، ويُهرع إليهما وهو علىٰ المنبر فيحملهما، ويضعهما إلىٰ جواره.

وكان الحسن أشبههما بالنبي خَلْقًا، وكان الحسين أشبه بعلي؛ ولذلك

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٣١) كتاب اللباس، باب في جلود النمور والسباع.

قال ﷺ، وهو يضع الحسن في حجره: «**هذا مني وحسين من علي**».

وتنبأ النبي ﷺ بأن الحسن سيكون سيِّدًا، وأن الله سوف يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

وقد حصل ذلك عقب استشهاد عليٍّ رضي الله عنه، وتَنَازُعِ الحسن ومعاوية علىٰ خلافة المسلمين، إذ صالح الحسن معاوية، وتنازل عن الخلافة وهو بها أحق؛ ليحقن دماء المسلمين، ويئد الفتنة التي حصدت أرواح الكثيرين.

وتعرض الحسين رضي الله عنه لمحنة عظيمة، انتهت باستدراجه إلىٰ العراق، وانفضاض القوم من حوله، وتركه في عدد يسير من أهله، لينال شرف الشهادة مقاتلًا مقبلًا غير مدبر.

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ: «**إن ابني هذا سيِّد**»: والجملة اسمية مثبتة مؤكدة بإن، ويزيدها تأكيدًا اسم الإشارة، وفي قوله: «**ابني**» إشعار بعظيم حب النبي ﷺ للحسن، وكلمة «**سيِّد**» توحي برفعة المكانة، وعلو الشأن، والترفع عن الصغائر، والسمو عن المناصب.

وقال ﷺ: «**اللهم إني أحبه فأحبه**»: «**اللهم**» نداء غرضه الدعاء والتضرع.

«**إني أحبه**» استخدام المضارع للدلالة علىٰ دوام الحب وبقائه.

«**فأَحِبَّهُ**»: الفاء للسرعة، والفعل فعل أمر غرضه الدعاء، وبين «**أُحِبُّهُ**»، «**فَأَحِبَّهُ**» ازدواج إيقاعي يقرب المعنىٰ ويوضحه.

وقال ﷺ: «**حسين مني، وأنا من حسين**»: الجملتان تشيران إلىٰ الرباط الوثيق الذي يجمع بين النبي ﷺ وبين الحسين، إذ لم يكتف النبي بقوله: «**حسين مني**» وإنما أضاف: «**وأنا من حسين**» وبين الجملتين مقابلة مؤكِّدة.

«**أحبَّ الله من أحب حسينًا**» جملة فعلية خبرية إنشائية المعنىٰ، غرضها

الدعاء.

«**حسين سِبط من الأسباط**»: وصفُ حسين بأنه سِبط يوحي بعلو مكانة الحسين في الإسلام، والسِبط (أي أمة من الأمم، والأسباط في أولاد إسحق بن إبراهيم الخليل، بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل)[١].

(ويحتمل إرادته هنا علىٰ معنىٰ أنه يتشعب منهما قبيلة، ويكون من نسلهما خلق كثير، وقد كان)[٢].

والسِبط أيضًا هو ولد الولد، كأن الرسول ﷺ يؤكد أنه بعض منه.

وكأن النبي ﷺ قد علم بنور الوحي (ما سيحدث بين الحسين وبين القوم، فخصّه بالذكر، وبيّن أنهما كشيء واحد في وجوه المحبة، وحرمة التعرض والمحاربة)[٣].

وقال النبي ﷺ عن الحسن والحسين: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»

تشبيه شبه فيه الرسول ﷺ الحسن والحسين بالريحانتين، فالريحان يُشمُّ، والولد يُشمُّ ويُقبل، وفي التشبيه طيب الولد، وحب قربه.

قال رسول الله ﷺ: «**من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**»

جملتان شرطيتان بينهما مقابلة تبرز المعنىٰ وتوضحه.

قال النبي ﷺ: «**أين لكع؟**»: ولكع تأتي بمعانٍ؛ منها: الصغير، واللئيم، والعبد، والمراد هنا الأول.

وفي الحديث صورة واقعية، ومشهد حب كريم من النبي ﷺ، إذ يقول

---

(١) تحفة الأحوذي (١٠/ ١٩٠).

(٢) فيض القدير (٣/ ٣٨٧).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

أبو هريرة: فقال النبي بيده هكذا، فقال الحسن بيده هكذا، فالتزمه.

ونتخيل الجد الكريم يقول بيده هكذا، أي يمدها، والحسن يقول بيده هكذا، أي يمدها، وقد جاء يشتد كما في رواية أخرىٰ[1]، فألقىٰ نفسه في حضن النبي ﷺ، فعانقه النبي، ثم قال: «**اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من أحبه**».

وقال النبي ﷺ، وهو يضع الحسن في حجره: «**هذا مني، وحسين من علي**»، وهو يشير بقوله: «**مني**» هنا إلىٰ الشبه الخَلْقِي الشديد الذي كان بين الحسن والنبي ﷺ، وبقوله: «**وحسين من علي**» إلىٰ الشبه بين الحسين وعلي رضي الله عنهما.

ولا يقصد النبي تفضيل أحدهما علىٰ الآخر، فقد سبق أن قال في حديث سابق: «**حسين مني وأنا من حسين**».



(١) أخرجه البخاري (٢٢٢١).

الرسول ﷺ مع علي والعباس رضي الله عنهما

١ - مع عَلِي رضي الله عنه: «أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسى»:

- عن مُصْعَبِ بن سَعْدٍ عن أبيه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلىٰ تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فقال: أَتُخَلِّفُنِي في الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قال: **«ألا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ من مُوسَىٰ، إلا أَنَّهُ ليس نَبِيٌّ بَعْدِي»**(١).

- عن الْبَرَاءِ رضي الله عنه قال: اعْتَمَرَ النبي ﷺ في ذِي الْقَعْدَةِ، فَأَبَىٰ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ، حتىٰ قَاضَاهُمْ علىٰ أَنْ يُقِيمَ بها ثَلَاثَةَ أَيَّام، فلما كَتَبُوا الْكِتَابَ كَتَبُوا: هذا ما قَاضَىٰ عليه مُحَمَّدٌ رسول اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: لَا نُقِرُّ بها، فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رسول اللهِ ما مَنَعْنَاكَ، لَكِنْ أنت محمد بن عبد اللهِ، قال: **«أنا رسول اللهِ، وأنا محمد بن عبد اللهِ»** ثُمَّ قال لِعَلِيٍّ: **«امْحُ رسول اللهِ»** قال: لَا واللهِ لَا أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رسول اللهِ ﷺ الْكِتَابَ فَكَتَبَ: **«هذا ما قَاضَىٰ عليه محمد بن عبد اللهِ، لا يَدْخُلُ مَكَّةَ سِلَاحٌ إلا في الْقِرَابِ، وَأَنْ لا يَخْرُجَ من أَهْلِهَا بِأَحَدٍ إن أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَأَنْ لا يَمْنَعَ أَحَدًا من أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بها»**. فلما دَخَلَهَا، وَمَضَىٰ الْأَجَلُ أَتَوْا عَلِيًّا، فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ: اخْرُجْ عَنَّا، فَقَدْ مَضَىٰ الْأَجَلُ، فَخَرَجَ النبي ﷺ فَتَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ: يا عَمِّ يا عَمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وقال لِفَاطِمَةَ عليها السَّلَام: دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ احمليها، فَاخْتَصَمَ فيها عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ، فقال عَلِيٌّ: أنا أَحَقُّ بها وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي، وقال جَعْفَرٌ: ابْنَةُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٧) كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ومسلم (٢٤٠٤) كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب.

عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وقال زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي، فَقَضَىٰ بها النبي ﷺ لِخَالَتِهَا، وقال: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**» وقال لِعَلِيٍّ: «**أنت مِنِّي وأنا مِنْكَ**»، وقال لِجَعْفَرٍ: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**» وقال لِزَيْدٍ: «**أنت أَخُونَا وَمَوْلَانَا**»[1].

ـ قال زُهَيْرٌ: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثني أبو حَيَّانَ، حدثني يَزِيدُ ابن حَيَّانَ قال: انْطَلَقْتُ أنا وَحُصَيْنُ بن سَبْرَةَ وَعُمَرُ بن مُسْلِمٍ إلىٰ زَيْدِ بن أَرْقَمَ، فلما جَلَسْنَا إليه، قال له حُصَيْنٌ: لقد لَقِيتَ يا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ معه، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لقد لَقِيتَ يا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدِّثْنَا يا زَيْدُ ما سَمِعْتَ من رسول اللهِ ﷺ، قال: يا ابن أَخِي، والله لقد كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الذي كنت أَعِي من رسول اللهِ ﷺ، فما حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، وما لَا فلا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قال: قام رسول اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَىٰ خُمًّا بين مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عليه، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قال: «**أَمَّا بَعْدُ، ألا أَيُّهَا الناس، فَإِنَّمَا أنا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رسول رَبِّي فَأُجِيبَ، وأنا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فيه الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**» فَحَثَّ علىٰ كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فيه، ثُمَّ قال: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ في أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ في أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ في أَهْلِ بَيْتِي**» فقال له حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ من أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قال: نِسَاؤُهُ من أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ من حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قال: وَمَنْ هُمْ؟ قال: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ، قال: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قال: نعم[2].

ـ عن عَامِرِ بن سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ، عن أبيه، قال: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بن أبي

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٩) كتاب الصلح، باب كيف يكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان فلان بن فلان.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب.

سُفْيَانَ سَعْدًا، فقال: ما مَنَعَكَ أن تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟ فقال: أَمَّا ما ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ له رسول اللهِ ﷺ فَلَنْ اسبَّه، لأن تَكُونَ لي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إلي من حُمْرِ النَّعَمِ، سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول له ـ خَلَّفَهُ في بَعْضِ مَغَازِيهِ ـ فقال له عَلِيٌّ: يا رَسُولَ اللهِ خَلَّفْتَنِي مع النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فقال له رسول اللهِ ﷺ: **«أَمَا تَرْضَىٰ أن تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ من مُوسَىٰ، إلا أنه لا نُبُوَّةَ بَعْدِي؟»** وَسَمِعْتُهُ يقول يوم خَيْبَرَ: **«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ»** قال: فَتَطَاوَلْنَا لها، فقال: **«ادْعُوا لي عَلِيًّا»** فَأُتِيَ بِهِ أرمد، فَبَصَقَ في عَيْنِهِ، وَدَفَعَ الرَّايَةَ إليه، فَفَتَحَ الله عليه، وَلَمَّا نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دَعَا رسول اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فقال: **«اللهم هَؤُلَاءِ أَهْلِي»**(١).

ـ عن حُبْشِيِّ بن جُنَادَةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: **«عَلِيٌّ مِنِّي، وأنا من عَلِيٍّ، ولا يُؤَدِّي عَنِّي إلا أنا أو عَلِيٌّ»**(٢).

عن أبي سَرِيحَةَ أو زَيْدِ بن أَرْقَمَ ـ شَكَّ شُعْبَةُ ـ عن النبي ﷺ قال: **«من كنت مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»**(٣).

❁ ❁ ❁

رأىٰ عليٌّ رضي الله عنه بأم عينيه نور النبوة يشرق في جنبات بيت محمد ﷺ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٤) كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب، والترمذي (٣٧٢٤) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧١٩) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، وابن ماجة (١١٩) في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب فضل علي بن أبي طالب.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧١٣) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، وابن ماجة (١٢١) كتاب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب فضل علي بن أبي طالب.

وامتلأ قلبه حبًا للإسلام، وسجدت جبهته ـ أول ما سجدت ـ مع النبي وزوجه خديجة لله الواحد، أحبَّ النبي حب الولد لوالده، وآمن به إيمان الواثق، ونافح معه عن الدعوة، وافتداه بنفسه عند الهجرة.

وأحبه النبيُّ حب الوالد لولده، وزوَّجه آخر بناته، وأحبهن إلىٰ نفسه فاطمة، وقدَّمه علىٰ كثير من أصحابه، وكان حريصًا علىٰ رعايته نفسيًّا وبدنيًّا، وعلىٰ استقرار حياته مع زوجه الكريمة.

حدث بين علي وبين زوجه بعض ما يحدث بين الأزواج من خلاف، فتركها واضطجع في المسجد ـ فذهب إليه رسول الله ﷺ، وأيقظه من نومه، ونفض التراب عن ثيابه، وقال له يمازحه: «**قم أبا تراب، قم أبا تراب**» فلم يكن لقب أحب إليه أن يناديه الناس به من ذلك اللقب.

وفي يوم خيبر قال رسول الله ﷺ: «**لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**» فتطاول الصحابة، فقال: «**ادعوا لي عليًّا**»، فأتي به، وقد أصابه رمد في عينيه، فتفل النبي في عينيه، ثم دفع الراية إليه، ففتح الله علىٰ يديه.

وقد استخلفه النبي علىٰ المدينة، وهو سائر إلىٰ تبوك، فتألم عليٌّ لذلك، وقال له: أتخلِّفني في الصبيان والنساء، فقال: «**ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ، إلا أنه ليس نبي بعدي**».

ولما نزل قول الله ﷻ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فجمعهم في ردائه وقال: «**اللَّهم هؤلاء أهلي**».

ولبيان مكانة عليٍّ وفضله في الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «**عليٌّ مني، وأنا من عليٍّ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو عليٌّ**».

وقال ﷺ: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**».

قال الرسول ﷺ لعليٍّ: «**ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ**»، وهو استفهام تشويقي محفز.

وفي قوله: «**بمنزلة هارون من موسىٰ**» تشبيه، شبه فيه النبي ﷺ منزلة عليٍّ عنده بمنزلة هارون من موسىٰ، وهو يوحي بسمو مكانة علي.

وقوله ﷺ: «**إلا أنه ليس نبي بعدي**» احتراس يؤكد أن عليًّا كهارون في المنزلة لا في النبوة.

وقول الرسول ﷺ: «**أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله**» ثم قوله: «**امح رسول الله**» يوحي بتواضعه وثقته بتأييد ربه ونصره.

قال رسول الله ﷺ: «**أمَّا بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب**».

و«**أمَّا**» أداة شرط وتفصيل، (وقال أبو جعفر النحاس عن سيبويه: معنىٰ أمَّا بعد: مهما يكن من شيء، وقال أبو إسحق: إذا كان رجل في حديث وأراد أن يأتي بغيره قال: أمَّا بعد)[1].

وجوابها يأتي مقترنًا بالفاء دائمًا، وفيها تنبيه للسامع، واستنفار لحواسه ووعيه، وفصل ما بين حديث وحديث.

قوله: «**ألا أيها الناس**» فيه (ألا) الاستفتاحية للتنبيه، والنداء (أيها الناس) للدلالة علىٰ عموم الخطاب.

قوله: «**فإنما أنا بشر**» أسلوب قصر، طريقه: إنما وضمير الفصل، وغرضه الحصر والتوكيد.

«**يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب**» كناية عن الوفاة.

وقوله ﷺ: «**وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدىٰ والنور،**

---

(١) عمدة القاري (٦/ ٢٢١).

فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به».

«**وأنا تارك فيكم ثقلين**»: «**ثقلين**» تشبيه شبه فيه كتاب الله وأهل بيته بشيء ثقيل عظيم، وهو يوحي بعظمهما وكبر شأنهما.

«**فيه الهدىٰ والنور**» كلمة النور مجاز مرسل علاقته السببية.

وقوله: «**فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**»: كناية عن تنفيذ أحكام الله والسير علىٰ منهجه.

قال ﷺ: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»: و«**أهل بيتي**» المراد بهم الثقل الثاني، و«**أذكركم الله في أهل بيتي**» جملة فعلية فعلها مضارع للدلالة علىٰ استمرار الذكر، وقرنه بلفظ الجلالة ليكون أقدس وأجلّ، وأَدْعَىٰ إلىٰ الوفاء (كما يقول الأب المشفق: الله الله في حق أولادي)[1].

والتكرار ثلاثًا لتوكيد أهمية الأمر.

قال رسول الله ﷺ: «**لأُعطينَّ الراية رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»: أسلوب تشويقي يدعو إلىٰ التطلع والتشوف والمسابقة إلىٰ الخير، ولذلك قال الراوي في الحديث: (فتطاولنا) أي تشوّفنا أينا ينال هذا الشرف، ويحظىٰ بتلك المنزلة.

وتقديم حبه لله ورسوله علىٰ حب الله ورسوله له دليل علىٰ أن حب الله ورسوله يقتضي إيمانًا وإخلاصًا لا يتحقق إلا بهما، فإذا تحقق أحبه الله ورسوله.

قال رسول الله ﷺ: «**عليٌّ مني وأنا من عليٍّ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو عليٌّ**». وقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**» وهي عبارات توحي كلها بعميق الصلة

---

(١) تحفة الأحوذي (١٠/ ١٩٧).

والامتزاج، وبعظيم مكانة عليٍّ عند النبي إذ كلاهما من الآخر، ولا يؤدي عن النبي إلا شخصه أو عليٌّ، ومن كان يعدُّ النبي مولىً له، فعليه أن يعدَّ عليًّا أيضًا مولىً له.

٢- مع عمه العباس رضي الله عنه: «يا عَبَّاسُ، يا عمَّاهُ، ألا أُعْطِيكَ؟»:

- عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جاء إلىٰ السِّقَايَةِ، فَاسْتَسْقَىٰ، فقال الْعَبَّاسُ: يا فَضْلُ، اذْهَبْ إلىٰ أُمِّكَ، فَأْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشَرَابٍ من عِنْدِهَا، فقال: «**اسْقِنِي**»، قال: يا رَسُولَ اللهِ، إنهم يَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فيه، قال: «**اسْقِنِي**»، فَشَرِبَ منه، ثُمَّ أَتىٰ زَمْزَمَ وَهُمْ يَسْقُونَ، وَيَعْمَلُونَ فيها، فقال: «**اعْمَلُوا فَإِنَّكُمْ علىٰ عَمَلٍ صَالِحٍ**» ثُمَّ قال: «**لَوْلَا أَنْ تُغْلَبُوا لَنَزَلْتُ حتىٰ أَضَعَ الْحَبْلَ علىٰ هذه**» يَعْنِي - عَاتِقَهُ - وَأَشَارَ إلىٰ عَاتِقِهِ[(١)].

- عن أبي هُرَيْرَةَ قال: بَعَثَ رسول اللهِ ﷺ عُمَرَ علىٰ الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنَعَ ابن جَمِيلٍ، وَخَالِدُ بن الْوَلِيدِ، وَالْعَبَّاسُ عَمُّ رسول اللهِ ﷺ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**ما يَنْقِمُ ابن جَمِيلٍ إلا أَنَّهُ كان فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ الله، وَأَمَّا خَالِدٌ، فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قد احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَادَهُ في سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ، فَهِيَ عَلَيَّ، وَمِثْلُهَا مَعَهَا**» ثُمَّ قال: «**يا عُمَرُ، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبيه**»[(٢)].

- عن ابن عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال لِلْعَبَّاسِ بن عبد الْمُطَّلِبِ: «**يا عَبَّاسُ، يا عَمَّاهُ، ألا أُعْطِيكَ، ألا أَمْنَحُكَ، ألا أَحْبُوكَ، ألا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ، إذا أنت فَعَلْتَ ذلك غَفَرَ الله لك ذَنْبَكَ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، عَشْرَ خِصَالٍ، أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، تَقْرَأُ في كل رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً، فإذا فَرَغْتَ من الْقِرَاءَةِ في أَوَّلِ رَكْعَةٍ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٣٥) كتاب الحج، باب سقاية الحاج.

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٣) كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها، وأبو داود (١٦٢٣) كتاب الزكاة، باب في تعجيل الزكاة.

وَأَنْتَ قَائِمٌ، قُلْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ولا إِلَهَ إلا الله، وَاللهُ أَكْبَرُ، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ من الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ من السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ في كل رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذلك، في أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، إن اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا في كل يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لم تَفْعَلْ فَفِي كل جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لم تَفْعَلْ فَفِي كل شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لم تَفْعَلْ فَفِي كل سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لم تَفْعَلْ فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً»[(١)].

❁ ❁ ❁

لم يكن النبي ﷺ يكتم حبه للعباس بن عبد المطلب، لقد حُرم النبي ﷺ رؤية أبيه، وكان أعمامه بعد جده هم العوض عن فقده أباه قبل أن يولد، ظل عمه أبو طالب يذبُّ عنه، ويدفع عنه أذىٰ قريش طيلة حياته، فلما مات دون أن يُسلم تولىٰ عمه العباس هذه المهمة، وكان تقاربهما في السن أدعىٰ إلىٰ مزيد من الود والعلاقة الحميمية بينهما إذ لم يكن يبدو واضحًا لمن يراهما من منهما أكبر من الآخر.

رُوي عن مغيرة بن رزين أنه قال: قيل للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله[(٢)].

وكان الفارق بينهما لا يجاوز ثلاث سنين، إذ (ولد العباس قبل الفيل بثلاث سنين)[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٩٧) كتاب الصلاة، باب صلاة التسبيح، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة التسبيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٩٢١)، والحاكم في المستدرك (٥٣٩٨) وغيرهما.

(٣) مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٠).

وكان النبيُّ ﷺ يجلُّ عمه ويكرمه، ويعطيه حتىٰ يرضىٰ.

روىٰ الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**العباس مني وأنا منه**»[١].

وعن أبي رافع أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا الفضل، لك من الله حتىٰ ترضىٰ**»[٢].

وكان العباس رضي الله عنه محبًّا للنبيِّ ﷺ منافحًا عنه غير أنه ظل علىٰ شركه حتىٰ قبيل فتح مكة، فخرج إلىٰ النبي مسلمًا، فلقيه النبيُّ ﷺ في أثناء الطريق وهو ذاهب إلىٰ فتح مكة[٣].

وقيل: (كان إسلام العباس رضي الله تعالىٰ عنه قديمًا، وكان يكتم إسلامه، وخرج مع المشركين يوم بدر مكرهًا، فقال رسول الله ﷺ: «**من لقي العباس فلا يقتله، فإنه خرج مستكرهًا**» فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو، ففادىٰ نفسه ورجع إلىٰ مكة، ثم أقبل إلىٰ المدينة مهاجرًا)[٤].

وقد شهد مع النبيِّ حنينًا والطائف وتبوك، وحرص النبي ﷺ علىٰ الشرب من سقاية العباس، التي بين أيدي الناس قبل أن يأتي زمزم؛ ليكرم العباس، ويشد من أزر العاملين فيها، ويقول لهم: اعملوا فإنكم علىٰ عمل صالح.

وقال لعمر، وهو يتحمل عن العباس صدقته ومثلها معها: «**يا عمر، أما شعرت أن عم الرجل صِنْو أبيه**».

وكان النبي حريصًا علىٰ أن يَهْدي العباس إلىٰ ما يغفر الله به ذنوبه، ويحط عنه خطاياه: أولها وآخرها، قديمها وحديثها، خطأها وعمدها، صغيرها

---

(١) المستدرك (٥٤١١) (٣/ ٣٦٧).

(٢) السابق (٥٤١٣) (٣/ ٣٦٨).

(٣) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٥٤٣).

(٤) سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد (١١/ ٩٨).

وكبيرها، سرها وعلانيتها، فعلَّمه صلاة التسبيح.

ونصحه أن يصليها ـ إن استطاع ـ في كل يوم مرة، فإن لم يفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم يفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم يفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم يفعل ففي العمر مرة.

❁ ❁ ❁

يقول النبي الكريم ﷺ لعمه العباس: «**اسقني**» «**اسقني**»: أمر صريح مكرر يؤكد به النبي ﷺ طلب الشرب من ذات الشراب الذي يشرب منه الناس، ويوحي ذلك بتواضعه وتبسطه وعدم أنفته من شرب ما يشربه الناس.

ويخاطب النبي العاملين علىٰ زمزم قائلًا: «**اعملوا؛ فإنكم علىٰ عمل صالح**» والأمر يوضح أهمية العمل في زمزم، وقدسيته وصلاحه.

ويؤكد النبي ﷺ ذلك بقوله: «**لولا أن تغلبوا لنزلت حتىٰ أضع الحبل علىٰ هذه**» يعني عاتقه، وقوله: «**لولا أن تغلبوا**» كناية عن تزاحم الناس حولهم لنزول النبي، حتىٰ يغلبوهم عن العمل. وقوله: «**حتىٰ أضع الحبل علىٰ هذه**» كناية عن بذل غاية الجهد في العمل.

يقول النبي ﷺ بعد أن أعلن تحمله لزكاة عمه العباس ومثلها معها: «**يا عمر، أما شعرت أن عم الرجل صِنو أبيه**».

وفي معنىٰ الصِنو كلام كثير، (قال أبو عبيد: معناه أن أصلهما واحد، قال: وأصل الصِنو إنما هو في النخل، وروىٰ أبو إسحق عن البراء بن عازب في قول الله ﷻ: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤] ـ قال: الصنوان المجتمع، وغير الصنوان المتفرق، وقال الفراء: الصنوان النخلات أصلهن واحد)(١).

وعلىٰ المعنىٰ الأخير ففي الكلام استعارة مكنية شبه فيها العم والأب

(١) تهذيب اللغة (١٢/ ١٧٠).

بنخلتين ذواتي أصل واحد، وهي توحي بعمق الصلة وقوة القرابة.

قال النبي ﷺ لعمه: «**يا عباس يا عماه، ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك**»: وفي كلامه ﷺ مناجاة بديعة لا تكون إلا من خل لخليله، وهو يبدأ فيناديه باسمه مجردًا لتقاربهما في السن، ولمتانة الصلة بينهما، ثم يناديه بعمومته ليتحبب إليه ويتقرب، ويؤكد مزيد استحقاقه، ثم يخاطبه بثلاث جمل متتاليات، كلها تحمل معاني العطاء السخي.

«**ألا أعطيك**» والعطاء معروف.

«**ألا أمنحك**» و(المنح أن يعطي الرجلُ الرجلَ شاة ليشرب لبنها، ثم يردها إذا ذهب دَرُّها، هذا أصله، ثم كثر استعماله حتىٰ قيل في كل عطاء «**ألا أحبوك**» يقال حباه كذا وبكذا؛ إذا أعطاه، والحباء العطية)[1].

واستخدم (ألا) للتنبيه، وقد تكون الهمزة للاستفهام، وغرضه حينئذ التشويق والتحفيز للاستماع، (وقرر ألفاظًا متقاربة المعنىٰ تقريرًا للتأكيد، وتأييدًا للتشويق، وتوطئة للاستماع إليه لتعظيم هذه الصلة)[2].

ثم قال النبي: «**ألا أفعل بك عشر خصال، إذا أنت فعلت ذلك غفر الله ذنبك**»: وفي الجملة الأولىٰ أضاف النبي فعل الخصال إلىٰ نفسه رغم أن المراد عمه (لأنه الباعث عليها، والهادي إليها)[3].

والجملة الثانية شرطية، فعلاها ماضيان مثبتان للدلالة علىٰ لزوم تحقق الجواب إذا تحقق الشرط.

ثم يصف النبي ﷺ الذنب المغفور بأوصاف تفصيلية متتالية تستوعب جميع أصناف الذنوب ومراحلها وهيئاتها:

---

(١) عون المعبود (٤/ ١٢٤).

(٢) مرقاة المفاتيح (٣/ ٣٧٤).

(٣) السابق، الموضع نفسه.

«أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سره وعلانيته»:

وكل اثنين مما مضىٰ بينهما طباق يوضح المعنىٰ ويؤكده، ويجمعهم جميعًا ازدواج فيه إيقاع جميل.



مع زوجات النبي ﷺ

١ ـ مع خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إنِّي قد رُزِقتُ حُبَّها»:

ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما غِرْتُ علىٰ أَحَدٍ من نِسَاءِ النبي ﷺ ما غِرْتُ علىٰ خَدِيجَةَ، وما رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كان النبي ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا في صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قلت له: كَأَنَّهُ لم يَكُنْ في الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إلا خَدِيجَةُ، فيقول: «**إنها كانت وَكَانَتْ وكان لي منها وَلَدٌ**»[1].

ـ عن عَائِشَةَ قالت: ما غِرْتُ علىٰ نِسَاءِ النبي ﷺ إلا علىٰ خَدِيجَةَ، وَإِني لم أُدْرِكْهَا، قالت: وكان رسول اللهِ ﷺ إذا ذَبَحَ الشَّاةَ فيقول: «**أَرْسِلُوا بها إلىٰ أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**» قالت: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فقلت: خَدِيجَةَ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**إني قد رُزِقْتُ حُبَّهَا**»[2].

❁ ❁ ❁

كان حب خديجة للنبي ﷺ مثلًا رائعًا لحب المرأة الصالحة لزوجها الصالح، فقد أحبته قبل البعثة لما لمست فيه من أمانة وصدق، ولم تجد حرجًا في أن تسعىٰ بنفسها للزواج منه، لقد شعرت المرأة العظيمة التي كان يطمح إليها سادات قريش أن هذا الرجل نسيج وحده، وأنه سيكون له شأن أيما شأن، ولذلك سعت إليه وطلبته، ووهبته نفسها وحنانها وحبها، ولم تدخر جهدًا في إسعاده.

ولقد صدق ظنها في الرجل الذي اختارته، فلم يكن زوجًا عاديًّا، بل كان

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٨) كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي خديجة وفضلها.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٣٥) كتاب الفضائل، باب فضائل خديجة.

الرجل الذي اصطفاه الله واختاره علىٰ عينه ليكون خاتم رسله إلىٰ الناس كافة، فآمنت به وآزرته، وتحملت معه صنوف الأذىٰ التي صبتها عليه عشيرتُه، وظلت تنافح عنه حتىٰ اختارها الله إلىٰ جواره راضية مرضيَّة، فسُمي العام الذي توفيت فيه عام الحزن، وهو العام العاشر من المبعث.

وفقد النبي بفقدها حضنًا دافئًا كان يبث فيه همومه وأحزانه، ومُعينًا مؤازرًا كان يلجأ إليه في أحرج أزماته، ويستمد منه العون في أحلك أوقاته.

ولم ينس النبي ﷺ خديجة أبدًا، بل كان يحن إلىٰ ذكراها، ويرق قلبه إذا رأىٰ ما يذكره بها، ولا يأنف من الاعتراف بفضلها عليه، وعظيم مكانتها لديه، وظل النبي ﷺ وفيًّا لها بعد أن منَّ الله عليه، وفُتحت عليه الدنيا، فكان يكثر من ذكرها، ويذبح الشاة، ثم يقطعها، ويبعثها إلىٰ صديقات خديجة.

وكان حبه لها يثير الغيرة في نفوس زوجاته، ولا سيما عائشة، فربما قالت له: (كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة) فيقول: «**إنها كانت.. وكانت.. وكان لي منها ولد**». ويقول أيضًا: «**إني قد رُزقت حبها**».

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ عن خديجة: «**إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**»: وفي قوله: «**كانت وكانت**» حذف يوحي بعظيم الصفات التي أراد الرسول نسبتها إلىٰ زوجه الكريمة، إذ يوحي الحذف بأنه ﷺ لا يستطيع أن يعد كريم خصالها لكثرتها وتميزها.

ثم يخص النبي ﷺ أعظم تلك الخصال بالذكر فيقول: «**وكان لي منها ولد**»، ذلك لأنها انفردت بهذا الفضل دون زوجاته جميعًا.

ويقول النبي ﷺ في حب خديجة: «**إني رُزقت حبها**»: والفعل مبني للمجهول. إذ جعل النبي حب خديجة رزقًا رزقه الله إياه، فهو لا يملك

دفعه، ولا الانتقاص منه، والرزق لا يكون إلا فضلًا يُشكَر عليه المتفضِّل، ونعمة يستمتع بها المتفضَّل عليه.

٢ ـ مع عائشة: «كُنتُ لَكِ كَأَبي زَرْعٍ لأُمِّ زرعٍ»:

ـ عن عُرْوَةَ أَنَّ النبي ﷺ خَطَبَ عَائِشَةَ إلىٰ أبي بَكْرٍ، فقال له أبو بَكْرٍ: إنما أنا أَخُوكَ، فقال: «**أنت أَخِي في دِينِ اللهِ وَكِتَابِهِ، وَهِيَ لي حَلَالٌ**»[1].

ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النبي ﷺ قال لها: «**أُرِيتُكِ في الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ**[2]، **أَرَىٰ أَنَّكِ في سَرَقَةٍ من حَرِيرٍ، ويقال: هذه امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفْ عنها، فإذا هِيَ أَنْتِ**[3]، **فَأَقُولُ: إن يَكُ هذا من عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ**»[4].

ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قَدِمَ رسول اللهِ ﷺ من غَزْوَةِ تَبُوكَ أو خَيْبَرَ، وفي سَهْوتها سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عن بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فقال: «**ما هذا يا عَائِشَةُ؟**» قالت: بَنَاتي، وَرَأَىٰ بَيْنَهُنَّ فَرَسًا له جَنَاحَانِ من رِقَاعٍ، فقال: «**ما هذا الذي أَرَىٰ وَسْطَهُنَّ؟**» قالت: فَرَسٌ، قال: «**وما هذا الذي عليه**»؟ قالت: جَنَاحَانِ، قال: «**فَرَسٌ له جَنَاحَانِ؟**» قالت: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لها أَجْنِحَةٌ؟ قالت: فَضَحِكَ حتىٰ رأيت نَوَاجِذَهُ[5].

ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: قال لي رسول اللهِ ﷺ: «**إني لأَعْلَمُ إذا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وإذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَىٰ**» قالت: فقلت: من أَيْنَ تَعْرِفُ ذلك؟ فقال: «**أَمَّا إذا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وإذا كُنْتِ غَضْبَىٰ قُلْتِ: لا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٨١) كتاب النكاح، باب تزويج الصغار من الكبار.

(٢) عند مسلم: «**ثلاث ليال**».

(٣) عند مسلم: «**أنتِ هي**».

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٩٥) كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي عائشة، ومسلم (٢٤٣٨) كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٣٢) كتاب الأدب، باب في اللعب بالبنات.

وَرَبِّ إبراهيم» قالت: قلت: أَجَلْ والله يا رَسُولَ اللهِ، ما أَهْجُرُ إلا اسْمَكَ[١].

ـ قالت عَائِشَةُ: قال[٢] رسول اللهِ ﷺ «**كنت لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ**»[٣].

ـ عن عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ نِسَاءَ رسول اللهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ، فَحِزْبٌ فيه عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ، وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رسول اللهِ ﷺ، وكان الْمُسْلِمُونَ قد عَلِمُوا حُبَّ رسول اللهِ ﷺ عَائِشَةَ، فإذا كانت عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إلىٰ رسول اللهِ ﷺ أَخَّرَهَا، حتىٰ إذا كان رسول اللهِ ﷺ في بَيْتِ عَائِشَةَ، بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ في بَيْتِ عَائِشَةَ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ لها كَلِّمِي رَسُولَ اللهِ ﷺ يُكَلِّمُ الناس، فيقول: من أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ هَدِيَّةً، فليهدها إليه حَيْثُ كان من بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ لها، فلم يَقُلْ لها شيئًا، فَسَأَلْنَهَا، فقالت: ما قال لي شيئًا، فَقُلْنَ لها: فَكَلِّمِيهِ، قالت: فَكَلَّمَتْهُ حين دَارَ إِلَيْهَا، أَيْضًا فلم يَقُلْ لها شيئًا، فَسَأَلْنَهَا، فقالت: ما قال لي شيئًا، فَقُلْنَ لها: كَلِّمِيهِ حتىٰ يُكَلِّمَكِ، فَدَارَ إِلَيْهَا، فَكَلَّمَتْهُ، فقال لها: «**لا تُؤْذِينِي في عَائِشَةَ، فإن الْوَحْيَ لم يَأْتِنِي وأنا في ثَوْبِ امْرَأَةٍ إلا عَائِشَةَ**» قالت: فقالت: أَتُوبُ إلىٰ اللهِ من أَذَاكَ يا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رسول اللهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللهَ الْعَدْلَ في بِنْتِ أبي بَكْرٍ، فَكَلَّمَتْهُ، فقال: «**يا بُنَيَّةُ ألا تُحِبِّينَ ما أُحِبُّ؟**» قالت: بَلَىٰ، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرَتْهُنَّ، فَقُلْنَ: ارْجِعِي إليه، فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ، فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَأَتَتْهُ، فَأَغْلَظَتْ، وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللهَ الْعَدْلَ في بِنْتِ بن أبي قُحَافَةَ، فَرَفَعَتْ صَوتها حتىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢٨) كتاب النكاح، بَاب غَيْرَةِ النِّسَاءِ وَوَجْدِهِنَّ، ومسلم (٢٤٣٩) كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة.

(٢) زاد مسلم: «**لي**».

(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٨) كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، ومسلم (٢٤٤٨) كتاب الفضائل، باب ذكر حديث أم زرع.

تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا، حتىٰ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيَنْظُرُ إِلىٰ عَائِشَةَ هل تَكَلَّمُ؟ قال فتكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ علىٰ زَيْنَبَ حتىٰ أَسْكَتَتْهَا، قالت: فَنَظَرَ النبي ﷺ إلىٰ عَائِشَةَ، وقال: «**إنها بِنْتُ أبي بَكْرٍ**»[1].

ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان رسول اللهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَيْتُ أنا وَحَفْصَةُ علىٰ أَيَّتُنَا دخل عليها فَلْتَقُلْ له: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، إني أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قال: «**لا وَلَكِنِّي كنت أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ له، وقد حَلَفْتُ لا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا**»[2].

ـ عن عَائِشَةَ قالت: قلت لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ من صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قال غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فقال: «**لقد قُلْتِ كَلِمَةً لو مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**» قالت: وَحَكَيْتُ له إِنْسَانًا، فقال: «**ما أُحِبُّ أني حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لي كَذَا وَكَذَا**»[3].

ـ عن مُحَمَّدِ بن قَيْسِ بن مَخْرَمَةَ بن الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قال يَوْمًا: ألا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أُمِّي؟ قال: فَظَنَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أُمَّهُ التي وَلَدَتْهُ، قال: قالت عَائِشَةُ: ألا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رسول اللهِ ﷺ؟، قُلْنَا: بَلَىٰ، قال: قالت: لَمَّا كانت لَيْلَتِي التي كان النبي ﷺ فيها عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨١) كتاب الهبة، باب من أَهْدَىٰ إلىٰ صَاحِبِهِ وَتَحَرَّىٰ بَعْضَ نِسَائِهِ دُونَ بَعْضٍ، وعند مسلم بنحوه مختصرًا (٢٤٤٢) كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة، والترمذي (٣٨٧٩) كتاب المناقب، باب فضل عائشة، والنسائي في المجتبىٰ (٣٩٤٤) كتاب عشرة النساء، باب حُبُّ الرَّجُلِ بَعْضَ نِسَائِهِ أَكْثَرَ من بعض.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٢) كتاب التفسير، بَابَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ومسلم (١٤٧٤) كتاب الطلاق، بَاب وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ علىٰ من حَرَّمَ امْرَأَتَهُ ولم يَنْوِ الطَّلَاقَ، وأبو داود (٣٧١٤) كتاب الأشربة، باب في شراب العسل، والنسائي في المجتبىٰ (٣٤٢١) كتاب الطلاق، باب تَأْوِيلُ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥) كتاب الأدب، باب في الغيبة.

عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ علىٰ فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فلم يَلْبَثْ إلا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قد رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي في رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ علىٰ إِثْرِهِ، حتىٰ جاء الْبَقِيعَ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إلا أَنْ اضْطَجَعْتُ، فَدَخَلَ فقال: «**مالك يا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً؟**» قالت: قلت: لَا شَيْءَ، قال: «**لَتُخْبِرِينِي أو لَيُخْبِرني اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**» قالت: قلت: يا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أنت وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قال: «**فَأَنْتِ السَّوَادُ الذي رأيت أَمَامِي؟**» قلت: نعم، فَلَهَدني في صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قال: «**أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ الله عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟**» قالت: مَهْمَا يَكْتُم الناس يَعْلَمْهُ الله، نعم، قال: «**فإن جِبْرِيلَ أَتَانِي حين رَأَيْتِ، فَنَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، ولم يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وقد وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قد رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي**» فقال: «**إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لهم**» قالت: قلت: كَيْفَ أَقُولُ لهم يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**قُولِي: السَّلَامُ علىٰ أَهْلِ الدِّيَارِ من الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ الله الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إن شَاءَ الله بِكُمْ لَلَاحِقُونَ**»[1].

ـ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْتَمَسْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَدْخَلْتُ يَدِي في شَعْرِهِ، فقال: «**قَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ**»، فَقُلْتُ: أَمَا لَكَ شَيْطَانٌ؟ فَقَالَ: «**بَلَىٰ، وَلَكِنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ**»[2].

ـ عن جَابِرِ بن عبد اللهِ رضي الله عنهما قال: دخل أبو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ علىٰ رسول اللهِ

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٤) كتاب الجنائز، بَاب ما يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ وَالدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا، والنسائي في المجتبىٰ (٢٠٣٧) كتاب الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (٣٩٦٠) كتاب (عشرة النساء باب الغيرة) بَابُ (الْغَيْرَةِ).

ﷺ، فَوَجَدَ الناس جُلُوسًا ببَابِهِ، لم يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ منهم، قال: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ له، فَوَجَدَ النبي ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا، قال: فقال: لَأَقُولَنَّ شيئًا أُضْحِكُ النبي ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، لو رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا، فَضَحِكَ رسول اللهِ ﷺ، وقال: «**هُنَّ حَوْلِي كما تَرَىٰ يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ**»، فَقَامَ أبو بَكْرٍ إلىٰ عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إلىٰ حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كلاهما يقول: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ما ليس عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: والله لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ شيئًا أَبَدًا ليس عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا، أو تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عليه هذه الْآيَةُ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حتىٰ بَلَغَ: ﴿لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩] قال: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فقال: «**يا عَائِشَةُ، إني أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا، أُحِبُّ أَنْ لا تَعْجَلِي فيه حتىٰ تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ**» قالت: وما هو يا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عليها الْآيَةَ، قالت: أَفِيكَ يا رَسُولَ اللهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ، بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً من نِسَائِكَ بِالَّذِي قلت، قال: «**لا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إلا أَخْبَرتها، إِنَّ اللهَ لم يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**»(١).

❁ ❁ ❁

تلك صورة من صور الحب العفيف يقدمها لنا النبيُّ الإنسان محمد ﷺ، صورة تبدد ما ينسب إلىٰ الإسلام من جمود وتحجر، وتؤكد أنه يعلي من قيمة المشاعر الإنسانية، في إطار ما شرعه الله وأحلَّه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٨) كتاب الطلاق، باب بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إلا بالنية، والترمذي (٣٢٠٤) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب، والنسائي في المجتبىٰ (٣٤٣٩) كتاب الطلاق، باب التوقيت في الخيار، وابن ماجة (٢٠٥٣) كتاب الطلاق، باب الرجل يخير امرأته.

لم يخفِ النبي حبه عائشة، ولم يتحرج من التصريح به في غير مرة من أحاديثه، وكانت معاملته لها نموذجًا راقيًا، ومثلًا أعلىٰ لما يمكن أن تكون عليه أخلاق الزوج المسلم.

إن ما يدَّعيه أعداء الإسلام علىٰ الإسلام من تحقير لشأن المرأة، وامتهان لآدميتها يتداعىٰ حين تتراءىٰ هذه الصورة الرائعة لمكانة الزوجة المسلمة في الأحاديث السابقة.

ولقد أراد النبي ﷺ بزواجه من عائشة أن يوثق علاقته بصاحبه الأول أبي بكر، فلما عرض الرسول ﷺ الأمر علىٰ صاحبه، ظنَّ أبو بكر أن الأخوة التي بينه وبين رسول الله ﷺ في الله تمنع هذا الزواج، فقال: إنما أنا أخوك، فقال الرسول ﷺ: «**أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال**».

وكان النبي ﷺ قد أُرِيَ عائشة في المنام مرتين، تأتي إليه ملفوفة في أجود أنواع الحرير، ويقال له: «**هذه امرأتك**».

وتزوج النبي ﷺ بعائشة، وكانت أحب أزواجه إليه، وأكثرهن دَلًّا عليه، حتىٰ إن النبي ﷺ كان يسمح لها بأن تحتفظ بلعبها التي كانت تلعب بها في بيت أبيها لحداثة سنها، وقرب عهدها بالطفولة.

وكان النبي ﷺ يسعد برضاها، ويتحمل غضبها، يقول لها النبي ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبىٰ**» فتسأله: من أين تعرف ذلك؟ فيقول: «**إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت عليّ غضبىٰ، قلت: لا ورب إبراهيم**» فتجيبه بأدب جم، وتلطف رقيق، وذكاء حاد: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك.

إن النبي العظيم ﷺ يتحرىٰ كلمات الرضا من زوجه فيسرُّ بها، وكلمات الغضب فيتحسب لها، ويتعامل معها بكل حلم وسماحة.

وكان أزواج النبي ينقسمن إلىٰ معسكرين: أحدهما يضم عائشة وحفصة

وصفية وسودة، والآخر يضم أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ.

ولمَّا كان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإنهم كانوا يتحرَّون بهداياهم يوم عائشة، فيهدونها للنبي إذا كان عندها.

وقد آلم ذلك معسكر أم سلمة، فقلن لها: كلمي رسول الله ﷺ يكلّم الناس إذا أراد أحدهم أن يهدي النبي هدية أن يهديها إليه حيث كان من بيوت أزواجه.

فكلمته أم سلمة فلم يقل لها شيئًا، فألححن عليها أن تعاوده، فألحت عليه فقال لها: «**لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة منكن إلا عائشة**»، فتابت إلىٰ الله مما قالت.

لكن نساء النبي لم ييأسن، فتشفعن بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فكلمته، فقال: «**يا بنية ألا تحبين ما أحب؟**» قالت: بلىٰ.

ثم أرسلن زينب بنت جحش، فأغلظت القول، وقالت: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي قحافة، ورفعت صوتها، حتىٰ تناولت عائشة بالسب، فنظرت عائشة إلىٰ رسول الله ﷺ تريد أن تعرف هل يريد لها أن تنتصر لنفسها، فلمحت في عينيه الموافقة، فردت عائشة علىٰ زينب حتىٰ أسكتتها، فقال النبي ﷺ: «**إنها بنت أبي بكر**».

ويرد معسكر عائشة الصاع لمعسكر أم سلمة صاعين، فقد علمت عائشة أن النبي ﷺ يشرب عند زينب بنت جحش عسلًا، ويمكث عندها، فتحالفت مع حفصة علىٰ أن تقول أيتهما دخل عليها: أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير، والمغافير (صمغ يسيل من شجر العرفط[1]، غير أن رائحته

---

(١) العُرفط واحدته عرفطة، وهي شجرة قصيرة متدانية الأغصان، ذات شوك كثير، طولها في السماء كطول البعير باركًا، لها وريقة صغيرة، تنبت بالجبال. لسان العرب (٧/ ٣٥٠).

ليست طيبة)[١].

وأفلحت الخطة، فقال النبي ﷺ: **«لا، ولكني أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدًا»**.

وفي ذلك عند كثير من المفسرين نزل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١].

وكانت عائشة تغار من جمال صفية بنت حيي فقالت للنبي ﷺ يومًا: حسبك من صفية كذا وكذا، تعني أنها قصيرة، فقال لها النبي ﷺ: **«لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»**.

ومن الحوادث الأخرىٰ التي تدل علىٰ غيرة السيدة عائشة علىٰ رسول الله ﷺ أنه في إحدىٰ الليالي التي كان النبي فيها عندها، اضطجع حتىٰ ظن أن قد نامت، ثم قام في خفة فانتعل، وفتح الباب وخرج ثم أغلقه رويدًا، فذهبت بها الظنون كل مذهب، فلبست درعها وخمارها، وتقنعت بإزارها، ثم خرجت في إثره. فأتىٰ النبيُّ البقيع، فأطال القيام عنده، ورفع يديه يدعو لأصحابه، ثم انقلب عائدًا، فلمحها أمامه، فأسرع ليلحق بها، فأسرعت فسبقته، فدخلت، فاضطجعت في فراشها وهي تلهث، فدخل النبي واضطجع إلىٰ جوارها ثم سألها: **«مالك يا عائش؟ حشيًا رابية»** أي: (وقع عليك الحشا، وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه، والمحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره، يقال امرأة حشياء وحشية، ورجل حشيان وحشش، قيل أصله من أصاب الربو حشاه، وقوله: **«رابية»** أي مرتفعة البطن)[٢].

قالت: لا شيء، قال: **«لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير»** فأخبرته بما كان منها، فقال: **«فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟»** قالت: نعم، فوكزها النبي

---

(١) لسان العرب (٥/ ٢٨).

(٢) شرح النووي (٧/ ٤٣).

ﷺ في صدرها وكزة أوجعتها، ثم قال لها: «**أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟**» ثم أخبرها أن جبريل أتاه فقال له: «**إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**»، ولذلك خرج، وكره أن يوقظها في تلك الساعة. وفي لفتة ذكية تغيِّر السيدة عائشة الموضوع الذي أثار غضب رسول الله ﷺ، فتسأله: كَيْفَ أَقُولُ لهم يا رَسُولَ اللهِ؟ فيقول لها: «**قُولِي: السَّلَامُ علىٰ أَهْلِ الدِّيَارِ من الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ الله الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إن شَاءَ الله بِكُمْ لَلَاحِقُونَ**»

وفي ليلة أخرىٰ ـ والرسول عندها ـ قلقت من نومها فالتمسته في فراشه حتىٰ أدخلت يديها في شعره، فقال لها: «**وقد جاءك شيطانُك**»، قالت: أما لك شيطان؟ قال: «**بلىٰ، ولكن الله أعانني عليه فأسلم**».

ولما نزل قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨] دعا النبي ﷺ عائشة فقال لها: «**يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرًا، أحب ألا تعجلي فيه حتىٰ تستشيري أبويك**»، فقالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبويَّ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. ثم سألته ألا يخبر امرأة من نسائه بالذي قالته من اختيارها لله ورسوله، فرفض ذلك قائلًا: «**لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها...**»، إنه يحب عائشة حقًّا، لكن حبَّه لها لا يدفعه إلىٰ كتمان الحق، ولا يمنعه من بيانه.

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ لصاحبه الأثير: «**أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال**»: والجملة الأولىٰ تؤكد مكانة أبي بكر في الإسلام، ومنزلته في نفس النبي ﷺ.

وفي الثانية يفيد تقديم شبه الجملة (لي) الاختصاص.

وقال النبي ﷺ لعائشة: «**أُريتك في المنام مرتين**» والفعل المبني للمجهول، والرؤيا المتكررة، للدلالة على أن أمر زواج عائشة من النبي ﷺ كان مقررًا في السماء.

قوله ﷺ: «**أرىٰ أنك في سَرَقَة من حرير**»: استخدام المضارع (أرىٰ) فيه استحضار للصورة، وتلك الصورة الضبابية المغلفة تناسب الرؤىٰ، وتُشوِّق لاكتشاف المبهم، وتُمهد للذة التعرف علىٰ المجهول.

وقوله: «**ويقال: هذه امرأتك**» استمرار لاستخدام الفعل المضارع المبني للمجهول لإضفاء المزيد من الإثارة والتشويق علىٰ المشهد، ولذلك قال بعدها: «**فأكشف عنها، فإذا هي أنت**» وإذا للدلالة علىٰ المفاجأة، وقوله: «**فإذا هي أنت**» يوحي بمعرفته لها ورؤيته إياها، ولعل ذلك كان في طفولتها الغضة.

أما قوله: «**إن يك هذا من عند الله يمضه**»: فإنه يشعر بالشك، لكنه شك في التعبير وليس في حقيقة الرؤيا، لأن رؤيا الأنبياء كما هو معلوم حق.

قال العيني: (فلها ثلاثة معان:

الأول: أن تكون الرؤيا علىٰ وجهها، فظاهرها لا يحتاج إلىٰ تعبير وتفسير فسيمضيه الله وينجزه، فالشك عائد إلىٰ أنها رؤيا علىٰ ظاهرها أم تحتاج إلىٰ تعبير وصرف عن ظاهرها.

الثاني: المراد: إن كانت هذه الزوجيَّة في الدنيا يمضه الله ﷻ، فالشك أنها هل هي زوجته في الدنيا أو في الآخرة.

الثالث: أنه لم يشك، ولكن أخبر علىٰ التحقيق، وأتىٰ بصورة الشك، وهذا نوع من البلاغة يسمىٰ مزج الشك باليقين)[1].

قال النبي ﷺ لعائشة، وهو يرىٰ لُعبًا لها: «**ما هذا يا عائشة؟**» وهو استفهام

---

(١) عمدة القاري (٢٠/ ٧٥).

غرضه التلطف والاستحباب.

وقوله ﷺ: «**فرس له جناحان؟**» استفهام محذوف الأداة، للدلالة على التعجب والدهشة.

قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضيةً، وإذا كنت عليَّ غضبى**» بين العبارتين مقابلة وازدواج، وتقديم شبه الجملة فيهما (عنِّي، عليّ) للتخصيص.

ونقل السيوطي عن ابن مالك في التعبير السابق أنه (استدل به على وقوع إذا مفعولًا، وأجاب الجمهور بأنها ظرف لمحذوف هو المفعول، أي: شأنك ونحوه)(١).

قال النبي ﷺ لعائشة: «**كنت لك كأبي زرع لأم زرع**»: وهذا تشبيه تمثيلي شبه النبي ﷺ حبه للسيدة عائشة ورعايته لها وأداءه لحقوقها كحب أبي زرع لأم زرع، وقد جاء هذا القول في ختام حديث السيدة عائشة عن أبي زرع وأم زرع، والذي ورد فيه وصف أم زرع لكمال صفات زوجها، وحسن عشرته لها.

ويرى النووي وغيره أنَّ (كان) في العبارة زائدة، والمراد: أنا لك.

قال النووي: (قال العلماء هو تطييب لنفسها وإيضاح لحسن عشرته إياها، ومعناه أنا لك كأبي زرع لأم زرع، و(كان) زائدة أو للدوام كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: كان فيما مضى، وهو باق والله أعلم)(٢).

قال النبي ﷺ لأم سلمة رضي الله عنها: «**لا تؤذيني في عائشة؛ فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة**».

وقوله: «**لا تؤذيني في عائشة**» نَهيٌ يوحي بمكانة عائشة في نفس النبي ﷺ، إذ عدَّ إيذاءها إيذاءً له. وبرر ذلك بما جاء في ذيل العبارة من أن الوحي

---

(١) مرقاة المفاتيح (٦/ ٣٦١).

(٢) شرح النووي (١٥/ ٢٢١).

لم يأته في لحاف امرأة سواها، وفيها كناية عن قربها من ربها ورضاه عنها، و(في) في العبارة (للتعليل كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، وفي الحديث أن امرأة دخلت النار في هرة[١]...)[٢].

وقال النبي ﷺ: «**يا بنيّة ألا تحبين ما أحب؟**» والنداء بالتصغير للتحبب والتدليل، والاستفهام غرضه التقرير.

قال رسول الله ﷺ: «**إنها بنت أبي بكر**»: المراد من العبارة المؤكدة أن عائشة (شريفة عاقلة عارفة كأبيها، وقيل معناه: هي أجود فهمًا وأدق نظرًا منها)[٣]. فهيٰ كناية عن شبهها بأبيها في الحكمة والفطنة.

قال النبي ﷺ للسيدة عائشة ـ وقد نالت من السيدة صفية ـ «**لقد قلتِ كلمة لو مُزجتْ بماء البحر لمزجَتْهُ**»: وفي العبارة كناية عن عظم ذنب الغيبة وتأثيره الفاحش، والمراد أن (هذه غيبة منتنة لو كانت مما يمزج بالبحر مع عظمه لغيَّرتْهُ، فكيف بغيره؟)[٤].

ويؤكد هذا المعنىٰ مسارعة النبي إلىٰ إنكار هذا الأمر إذ لم يمنعه من ذلك حبه للسيدة عائشة، أو إدلالها عليه.

وقال النبي ﷺ: «**ما أحب أني حكيت إنسانًا، وأن لي كذا وكذا**»: وحكىٰ وحاكىٰ فلانًا: أي فعل مثل فعله، أو قال مثل قوله: علىٰ سبيل السخرية والاستهزاء غالبًا.

وقوله: «**وأن لي كذا وكذا**...» أي: ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا، وهي جملة حالية مصدرة بواو الحال، و«**كذا وكذا**» كناية عن الكثير من المتاع

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩) وغيرهما.

(٢) عمدة القاري (١٣/ ١٣٧).

(٣) السابق (١٣/ ١٣٨).

(٤) فيض القدير (٥/ ٤١١).

والأموال. وفي كل ذلك ما يوحي بقبح المحاكاة لما فيها من إيغار الصدور بالغل والحقد، ونشر بذور الخلاف بين الناس.

قال النبي لعائشة وقد لاحظ تسارع أنفاسها، وهي مضطجعة إلىٰ جواره: «**ما لك يا عائش، حشيًا رابية؟**»: وهو استفهام إنكاري، والنداء المرخم للمداعبة والتدليل.

ولما أجابت: لا شيء، قال في حزم: «**لتخبريني، أو ليخبرني اللطيف الخبير**»: والأمر للتهديد والوعيد. واختيار اسمي الله اللطيف الخبير مناسب للسياق: إذ من بين معاني اللطيف: العالم بخفايا الأمور ودقائقها. والخبير: العالم (الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، والواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء)[1].

وفي العبارة قطع بأن النبي سوف يعلم حقيقة الأمر ـ لا محالة ـ منها إن أخبرته، أو من الله إن أصرت علىٰ إخفائه.

وقال النبي: «**أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟**»: وهو استفهام إنكاري، واستخدام الفعل (ظنَّ) يؤكد أن ما شعرت به عائشة رضي الله عنها لم يكن يقينًا، (وذكر الله لتعظيم الرسول، والدلالة علىٰ أن الرسول لا يمكن أن يفعل شيئًا بدون إذن من الله تعالىٰ، فلو كان منه جور لكان بإذن الله تعالىٰ له فيه، وهذا غير ممكن)[2].

قال رسول الله ﷺ لعائشة وقد أدخلت يدها في شعرها، تلتمسه في فراشه:

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ العدد ١١٢ ـ السنة ٣٣ ـ ١٤٢١هـ.

(٢) حاشية السندي علىٰ سنن النسائي (٤/ ٩٣).

«**قد جاءك شيطانك**»: كناية عن سوء ما ظنَّتْه؛ لأن الشيطان لا يوحي بخير.

وأجابها حين سألته: أما لك شيطان؟ فقال: «**بلىٰ؛ ولكن الله أعانني عليه فأسلم**».

وقد ذهب العلماء في تأويل قول النبي السابق مذهبين:

الأول: أن الفعل (أَسْلَمَ) ماض، فيكون المعنىٰ أن الجني قد أسلم علىٰ يدي رسول الله، وهذا ليس بمستغرب، فقد أسلمت علىٰ يديه قبيلة من الجن، أو أن الجني أسلم، بمعنىٰ انقاد ولم يتعرض لي.

والثاني: أن الفعل مضارع (أَسْلَمُ) فيكون المعنىٰ أن النبي ﷺ يسلم من أذىٰ الشيطان بالعصمة(١).

قال النبي ﷺ لعائشة يخيِّرها: «**يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرًا، أحب ألا تعجلي فيه حتىٰ تستشيري أبويك**» ثم تلا عليها الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

واستخدام الأفعال المضارعة (أريد ـ أعرض ـ أحب ـ تعجلي ـ تستشيري) أراد بها رسول الله أن تستحضر السيدة عائشة الموقف، وأن تتأنىٰ في الرد، ولا تتعجل.

وجاءت العبارة كلها تمهيدًا مشوِّقًا محفزًا للآية التي تضمنت التخيير.

وقال النبي ﷺ: «**إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسِّرًا**»: وبين الجملتين السابقتين مقابلة توضح المعنىٰ وتؤكده.

وقد استخدم النبي ﷺ صيغتين أراد أن ينفي بهما عن نفسه التعنت، وهما (معنِّت)، علىٰ وزن (مُفَعِّل) والثانية (متعنِّت) علىٰ وزن (مُتَفَعِّل).

---

(١) انظر مرقاة المفاتيح (٦/ ٤٤٢)، وحاشية السندي علىٰ سنن النسائي (٧/ ٧٣).

والأولىٰ (معنِّت) تعنىٰ أن النبي ﷺ لا يشق علىٰ غيره أو يكلفه ما لا يطيق، والثانية: (متعنِّت) تعني أن النبي ﷺ نفسه ليس متشددًا ولا متكلفًا.

٣ـ مع أم سلمة رضي الله عنها: «إن شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ»:

عن أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا تزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، وقال: **«إنه ليس بِكِ علىٰ أَهْلِكِ هَوَانٌ، إن شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ، وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِي»**(١).

❁ ❁ ❁

أم سلمة هي: هند بنت أبي أمية «زاد الراكب» بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد، وكان أبو سلمة صاحب رسول الله ﷺ قد أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر بأهله في سبيل دينه إلىٰ الحبشة هجرتين، ثم هاجر إلىٰ المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا، وجرح في أحد، فمكث شهرًا يداوي جراحه، ثم خرج في سرية، فانتقض جرحه، ثم توفي بعدها، وترك أم سلمة امرأة ذات عيال، ليس لها أولياء يلون شأنها، أو يتكفلون بمعيشتها.

وما كان النبي ولا أصحابه يدعون امرأة كهذه بلا عائل، فأراد النبي أن يكرمها، لحسن صحبة زوجها، وعظيم بلائها في سبيل الدعوة، فتزوجها، وضمَّ عيالها إليه، ودعا الله أن يذهب عنها غيرتها، فكانت في نسائه كأنها ليست فيهن، لا تجد ما يجدن من الغيرة.

عن ابن أم سلمة أن أبا سلمة جاء إلىٰ أم سلمة فقال: لقد سمعت من

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٠) كتاب الرضاع، بَاب قَدْرِ ما تَسْتَحِقُّهُ الْبِكْرُ وَالثَّيِّبُ من إِقَامَةِ الزَّوْجِ عِنْدَهَا عُقْبَ الزِّفَافِ، وأبو داود (٢١٢٢) كتاب النكاح، بَاب في الْمُقَامِ عِنْدَ الْبِكْرِ، وابن ماجة (١٩١٧) كتاب النكاح، بَاب الْإِقَامَةِ علىٰ الْبِكْرِ وَالثَّيِّبِ.

رسول الله ﷺ حديثًا أحبَّ إليّ من كذا وكذا - لا أدري ما عدل به - سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يصيب أحدًا مصيبة، فيسترجع عند ذلك، ويقول: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، اللهم اخلفني فيها خيرًا منها، إلا أعطاه الله ﷻ**» قالت أم سلمة: فلما أصبت بأبي سلمة قلت: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، ولم تطب نفسي أن أقول: اللهم اخلفني فيها بخير منها، ثم قالت: منْ خيرٌ من أبي سلمة؟، أليس أليس...، ثم قالت ذلك.

فما انقضت عدتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها فأبت، ثم أرسل إليها عمر يخطبها فأبت، ثم أرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها، فقالت: مرحبًا برسول الله ﷺ، إن في خلالًا ثلاثًا: أنا امرأة شديدة الغيرة، وأنا امرأة مُصبِيَة، وأنا امرأة ليس هاهنا أحد من أوليائي فيزوجني.

فغضب عمر لرسول الله ﷺ أشدَّ مما غضب لنفسه حين ردته، فأتاها عمر، فقال: أنت التي تردين رسول الله ﷺ؟ بم تردينه؟ فقالت: يا ابن الخطاب، لي كذا وكذا.

فأتاها رسول الله ﷺ، فقال: «**أمَّا ما ذكرت من غيرتك فإني أدعو الله ﷻ أن يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من صِبيتك، فإن الله ﷻ سيكفيكهم، وأما ما ذكرت من أنه ليس من أوليائك أحد شاهد، فليس من أوليائك أحد شاهد ولا غائب يكرهني**» وقال لابنها: «**زوج رسول الله**» فزوَّجه)[1].

ولما دخل رسول الله ﷺ بأم سلمة أقام عندها ثلاثًا؛ لكونها ثيبًا، ثم قال لها: «**إنه ليس بك علىٰ أهلك هوان، إن شئتِ سبَّعت لك - أي أقمتُ عندك سبع ليالٍ - وإن سبعت لك سبعت لنسائي**».

وكانت أم سلمة امرأة حكيمة فطنة، وهي صاحبة مشورة رسول الله ﷺ يوم الحديبية حين فرغ رسول الله ﷺ من كتابة الصلح، وقام إلىٰ أصحابه (فقال: «**يا أيها الناس، انحروا واحلقوا**»، قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد

(١) صفة الصفوة (٢/ ٤٠، ٤١).

بمثلها فما قام رجل، حتىٰ عاد بمثلها فما قام رجل. فرجع رسول الله ﷺ، فدخل علىٰ أم سلمة، فقال: «يا أم سلمة، ما شأن الناس؟» قالت: يا رسول الله، قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمَنَّ منهم إنسانًا، واعمد إلىٰ هديك حيث كان فانحره واحلق، فلو قد فعلت فعل الناس ذلك. فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدًا حتىٰ أتىٰ هديه، فنحره، ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون. قال: حتىٰ إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق، فنزلت سورة الفتح)[١].

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ لأم سلمة بعد أن دخل بها، وأقام عندها ثلاث ليالٍ: «**إنه ليس بك علىٰ أهلك هوان**»: وهو كناية عن أخذها حقها كاملًا غير منقوص. وتقديم شبه الجملة (بك) للتخصيص.

(والباء للسببية: أي لا يلحق أهلك بسببك هوان، وقيل: أراد بالأهل نفسه ﷺ، وكل من الزوجين أهل، والباء متعلقة بهوان)[٢].

وفي العبارة التلطف والرفق بالزوجة، وعدم إهانتها بالقول أو بالفعل.

وقال النبي ﷺ: «**إن شئت سبعت لك، وإن سبعت لك سبعت لنسائي**».

وقوله: «**سبعتُ**» مشتق من العدد سبعة، وفي الكلام غاية العدل بين الزوجات، مع ترك الأمر لهن، يخترن ما شئن، علىٰ ألا يجاوزن حقوق غيرهن.

٤ ـ مع زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أسرعُكن لَحَاقًا بي، أطولُكن يَدًا»:

عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قالت: قال رسول اللهِ ﷺ: «**أسرعكن لَحَاقًا بِي،**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٥)، وابن حبان (٤٨٧٢) وغيرهما.

(٢) عون المعبود (٦/ ١١٢).

أطولكن يَدًا» قالت: فَكُنَّ يَتطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قالت: فَكَانَتْ أطولنا يَدًا زَيْنَبُ، لِأنها كانت تَعْمَلُ بِيَدِهَا، وَتَصَدَّقُ[(١)].

❁ ❁ ❁

هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر الأسدية أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. زوّجها النبي ﷺ من مولاه زيد بن حارثة، فأخذته بلسانها، فشكاها إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال له: **«أمسك عليك زوجك واتق الله»**، ثم طلقها زيد، فلما انقضت عدتها زوجها الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ.

وفي ذلك نزل قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وكانت زينب رضي الله عنها تفخر علىٰ أزواج النبي ﷺ بذلك، فتقول: (زَوَّجَكُنَّ أهلُكنَّ، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات)[(٢)].

وفي شأنها فُرض الحجاب علىٰ نساء النبي ﷺ، فقد روىٰ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما تزوج رسول الله زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأىٰ ذلك قام، فلما قام قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتىٰ دخل، فذهبت أدخل، فألقىٰ الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٣])[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٢) كتاب الفضائل، بَاب من فَضَائِلِ زَيْنَبَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠)، والترمذي (٣٢١٢)، وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٩١)، ومسلم (١٤٢٨)، وغيرهما.

كانت زينب من أحب زوجات النبي ﷺ إليه، فهي ألصقهن به قرابة، وأقربهن إليه نسبًا.

وكان النبي ﷺ يحب زيارتها، ويكثر من الجلوس لديها، حتىٰ أثار ذلك غيرة بعض نسائه، فتحالفن لمنعه من زيارتها، وطول المكث عندها، ونجحن في ذلك بقصة المغافير التي سبقت الإشارة إليها، والتي عاتب الله ﷻ نبيَّه في شأنها.

وكانت أعظم نساء النبي عطاءً وتصدقًا، إذ كانت تعمل بيدها وتتصدق.

قال النبي ﷺ: «**أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا**». أي أكثركن صدقة.

وقد كانت زينب أول نسائه لحوقًا به، وتوفيت في خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين هجرية.

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ: «**أسرعكن لحاقًا بي، أطولكن يدًا**»: و(**أسرع**) اسم تفضيل، واستخدامه علىٰ إطلاقه دون أن يسبق بحرف الجر (من) يدل علىٰ التعيين الذي قصده النبي ﷺ.

وقوله: «**أطولكن يدًا**» كناية عن الجود وكثرة البذل والتصدق، والدليل علىٰ أن المقصود بكلام النبي هو المجاز أن نساء النبي ظَنَنَّه حقيقة فكنَّ ـ كما تقول السيدة عائشة يتطاولن أيتهن أطول يدًا، ومعنىٰ الحديث (أنهن ظَنَنَّ أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، وهي الجارحة، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يدًا في الصدقة وفعل الخير، فماتت زينب أولهن، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود. قال أهل اللغة: فلان طويل اليد، وطويل الباع إذا كان سمحًا

جوادًا)[١].

و(أطولكن) مرفوع، يجوز أن يكون مبتدأً، ويجوز أن يكون خبرًا (أما الأول، فتقديره: أطولكن يدًا أسرع بي لحوقًا، وأما الثاني: فتقديره: أسرع بي لحوقًا أطولكن يدًا)[٢].

وقال النبي ﷺ: (أطولكن)، ولم يقل: (طولاكن)، بالجمع المؤنث لـ(طولىٰ) لأن مثل هذا التعبير يجوز فيه الإفراد والمطابقة.

وفي كلمة (يدًا) مجاز مرسل علاقته السببية، (فإن اليد تطلق، ويراد بها المنة والنعمة والإحسان)[٣].

٥ ـ مع جويرية رضي الله عنها: «أُؤَدِّي عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ»:

ـ عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارث بن الْمُصْطَلِقِ في سَهْمِ ثَابِتِ بن قَيْسِ بن شَمَّاسٍ، أو ابن عَمٍّ له، فَكَاتَبَتْ علىٰ نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً مَلَّاحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ، قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في كِتَابَتِهَا، فلما قَامَتْ علىٰ الْبَابِ فَرَأَيْتُهَا كَرِهْتُ مَكَانَها، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَيَرَىٰ منها مِثْلَ الذي رأيت، فقالت: يا رَسُولَ اللهِ، أنا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارث، وَإِنَّمَا كان من أَمْرِي ما لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ، وَإِني وَقَعْتُ في سَهْمِ ثَابِتِ ابن قَيْسِ بن شَمَّاسٍ، وَإِني كَاتَبْتُ علىٰ نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْأَلُكَ في كِتَابَتِي، فقال رسول اللهِ ﷺ: **«فَهَلْ لَكِ إلىٰ ما هو خَيْرٌ منه»**، قالت: وما هو يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: **«أُؤَدِّي عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ»** قالت: قد فَعَلْتُ، قالت: فَتَسَامَعَ ـ تَعْنِي الناس ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قد تزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ، فَأَرْسَلُوا ما في أَيْدِيهِمْ من السَّبْيِ فَأَعْتَقُوهُمْ، وَقَالُوا أَصْهَارُ رسول اللهِ ﷺ، فما رَأَيْنَا امْرَأَةً كانت أَعْظَمَ بَرَكَةً

---

(١) شرح النووي (١٦/ ٨).

(٢) عمدة القاري (٨/ ٢٨١).

(٣) مرقاة المفاتيح (٤/ ٣٢٦).

علىٰ قَوْمِهَا منها، أُعْتِقَ في سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ من بَنِي الْمُصْطَلِقِ[(١)].

ـ عن ابن عَبَّاسٍ، عن جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النبي ﷺ خَرَجَ من عِنْدِهَا بُكْرَةً، حين صلىٰ الصُّبْحَ، وهي في مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقال: «**ما زِلْتِ علىٰ الْحَالِ التي فَارَقْتُكِ عليها**» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «**لقد قلت بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لو وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»[(٢)].

❁ ❁ ❁

عندما غزا النبي بني المصطلق في العام الخامس من الهجرة وهزمهم، وأصاب نساءهم ـ وقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها علىٰ حريتها، فذهبت إلىٰ النبي ﷺ تسأله أن يعينها علىٰ المكاتبة.

وكانت جويرية امرأة حلوة ملَّاحة، تأخذها العين كما قالت السيدة عائشة، وقد حركت ملاحتها الغيرة في قلب السيدة عائشة، وكرهت أن يراها النبي ﷺ بعد وقوعها في السبي خوفًا من أن تقع في نفسه فيتخذها زوجة، وقد وقع ما كانت تخشاه السيدة عائشة، إلا أن النبي ـ قطعًا ـ لم ينظر إلىٰ الملاحة والجمال بقدر ما نظر إلىٰ تأليف القلوب بالمسامحة، وتوثيق الأواصر بالمصاهرة، ونشر الدين بالعفو والبذل.

فدعاها النبي إلىٰ ما هو خير من الإعانة علىٰ المكاتبة، قال: «**أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك**» فقالت: «قد فعلت». وكانت بركةً علىٰ قومها إذ ما أن

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٣١) كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٦) كتاب الذكر، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، وأبو داود (١٥٠٣) كتاب الصلاة بَاب التَّسْبِيحِ بِالْحَصَىٰ، وابن ماجة (٣٨٠٨) كتاب الأدب، بَاب فَضْلِ التَّسْبِيحِ.

سمع الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية حتىٰ نظروا إلىٰ سلوكه، واقتدوا بعفوه، فتحرجوا أن يظل في أيديهم شيء من السبي من قوم أصهر إليهم رسول الله، فأطلقوهم لله، ولم يأخذ أحد منهم فداء فيمن أعتق إكرامًا لرسول الله ﷺ، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ. فأُعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق.

وعن أبي قلابة أن النبي ﷺ سبا جويرية، فجاء أبوها فقال: إن ابنتي لا تُسبىٰ فخلِّ سبيلها، فقال: «**أرأيت إن خيرتها، أليس قد أحسنت؟**» قال: بلىٰ، فأتاها أبوها، فذكر لها ذلك، فقالت: قد اخترت رسول الله ﷺ[١].

وكانت عابدة تقية كثيرة الذكر، خرج النبي ﷺ من عندها يومًا لصلاة الفجر، وتركها في مسجدها (أي المكان الذي اتخذته مصلىٰ لها في بيتها)، ثم رجع بعد الضحىٰ، فوجدها ما زالت ماكثة في مسجدها.

فسألها: «**ما زلت علىٰ الحال التي فارقتك عليها**» قالت: نعم، فعلَّمها النبي ﷺ أن تقول أربع كلمات يعدلن كل ما قالته منذ الفجر إلىٰ الضحىٰ، وهن: «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**».

حدَّثتْ عن رسول الله ﷺ، وروىٰ عنها (ابن عباس وعبيد بن السباق، ومجاهد وأبو أيوب يحيىٰ بن مالك الأزدي، وآخرون)[٢].

توفيت في ربيع الأول سنة ست وخمسين من الهجرة، وقيل سنة خمسين، وصلىٰ عليها مروان بن الحكم[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦١).

(٣) انظر التعديل والتجريح (٣/ ١٢٨٠)، والثقات (٣/ ٦٦).

قال رسول الله ﷺ لجويرية حين أتته تطلب معاونته في الكتابة: «**فهل لكِ إلىٰ ما هو خير منه؟**»

والجملة استفهام غرضه التشويق والترغيب.

فلما سألت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**أؤدي عنك كتابتك، وأتزوجك**» بدأ النبي ﷺ بما يشغل بالها وهو الكتابة، فأخبرها أنه يقوم به فتصير حرة، ثم زاد من إكرامها ورفع منزلتها فقال: «**وأتزوجك**».

وقال النبي لجويرية: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن**»: والمراد بقوله: «**أربع كلمات**» تقليل العدد، وفي الكلام مجاز في قوله: «**لو وزنت**»، «**لوزنتهن**» وهو استعارة مكنية شبه فيها الرسول ﷺ كلمات الذكر ببضاعة توزن، وترجح علىٰ ما عداها.

وفيه ما يوحي بعظمة هذا الذكر، وكبير فضله علىٰ ما سواه.

وقال ﷺ: «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»: «**سبحان الله**» منصوب علىٰ المصدرية، (كأنه قال: أبرئ الله من كل سوء براءة)[١].

«**عدد خلقه**» (منصوب علىٰ نزع الخافض، أي بعدد كل واحد من مخلوقاته، وقال السيوطي: نصب علىٰ الظرف، أي: قدر عدد خلقه)[٢].

«**ورضا نفسه**»: المقصود بالنفس ذات اللّٰه جَلَّ وَعَلَا، والمراد: ابتغاء مرضاته.

«**وزنة عرشه**» أي بما يساوي ثقل عرش المولىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**ومداد كلماته**» (أي مثل عددها وكثرتها، وقيل: قدر ما يوازيها في

---

(١) مختار الصحاح (١/ ١١٩).

(٢) عون المعبود (٤/ ٢٥٩).

الكثرة)[١].

والمداد هنا مصدر مثل المدد، (وهو الزيادة والكثرة)[٢].

وذهب الطيبي إلىٰ أن هذه الألفاظ منصوبة علىٰ المصدرية، والتقدير (أُعدُّ تسبيحه المقرون بحمده عدد خلقه، وأُقدِّرُ مقدار ما يرضي لنفسه، وزنة عرشه، ومقدار كلماته)[٣].

والكلام كله يراد به المبالغة في الكثرة (لأنه ذكر أولًا ما يحصره العدد الكثير من عدد الخلق، ثم ارتقىٰ إلىٰ ما هو أعظم منه، أي ما لا يحصيه عدٌّ كما لا تُحصَىٰ كلمات الله)[٤].

٦ ـ مع أم حبيبة رضي الله عنها: «فلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ، ولا أَخَوَاتِكُنَّ»:

عن أُمِّ حَبِيبَةَ قالت: قلت: يا رَسُولَ اللهِ، هل لك في بِنْتِ أبي سُفْيَانَ؟ قال: «**فَأَفْعَلُ مَاذَا؟**» قلت: تَنْكِحُ، قال: «**أَتُحِبِّينَ؟**» قلت: لَسْتُ لك بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ من شَرِكَنِي فِيكَ أُخْتِي، قال: «**إنها لا تَحِلُّ لي**» قلت: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَخْطُبُ، قال: «**ابْنَةَ أُمِّ سَلَمَةَ؟**» قلت: نعم، قال: «**لو لم تَكُنْ رَبِيبَتِي ما حَلَّتْ لي، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَاهَا ثُوَيْبَةُ، فلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ، ولا أَخَوَاتِكُنَّ**»[٥].

هي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأمها صفية

---

(١) لسان العرب (٣/ ٣٩٦).

(٢) مرقاة المفاتيح (٥/ ٢١٣).

(٣) السابق، الموضع نفسه.

(٤) عون المعبود (٤/ ٢٥٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥١٠٦) كتاب النكاح، باب ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾، ومسلم (١٤٤٩) كتاب الرضاع، بَاب تَحْرِيمِ الرَّبِيبَةِ وَأُخْتِ الْمَرْأَةِ، وأبو داود (٢٠٥٦) كتاب النكاح، بَاب يَحْرُمُ من الرَّضَاعَةِ ما يَحْرُمُ من النَّسَبِ، والنسائي في المجتبىٰ (٣٢٨٧) كتاب النكاح، باب تَحْرِيمُ الْجَمْعِ بين الْأُخْتَيْنِ، وابن ماجة (١٩٣٩) كتاب النكاح، بَاب يَحْرُمُ من الرَّضَاعِ ما يَحْرُمُ من النَّسَبِ.

بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس عمة عثمان بن عفان. تزوجت من عبيد الله بن جحش، فولدت له صَبيَّة، وكُنِّيتْ بها.

هاجرت مع عبيد الله بن جحش إلىٰ الحبشة، غير أنه فتن في دينه، وارتد عن الإسلام إلىٰ النصرانية، (قالت أم حبيبة: رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت، فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حيث أصبح: يا أم حبيبة، إني نظرت في الدين، فلم أر دينًا خيرًا من النصرانية، وكنت قد دِنت بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم قد رجعت إلىٰ النصرانية، فقلت: والله ما خُيِّر لك، وأخبرتُه بالرؤيا التي رأيت، فلم يحفل بها، وأكب علىٰ الخمر حتىٰ مات)[1].

أية مشاعر ضيعة وشتات اجتاحت أم حبيبة، وهي في ديار الهجرة، بعيدة عن أهلها وديارها، وزوجها يلقي علىٰ مسامعها خبر ارتداده عن الإسلام، وتحوله إلىٰ النصرانية، وقد أصبح محتمًا عليها، وقد ثبتت علىٰ دينها ـ أن تفارقه، وأن تصبح وحيدةً لا يعينها إلا جماعة المسلمين الصغيرة التي هاجرت معها، ضعيفة لا يثبتها إلا إيمانها الذي يملأ قلبها.

ورغم الإحساس باللوعة والأسىٰ؛ إلا أن أم حبيبة لم تفتن لحظة في دينها، ولم تَشُكَّ أبدًا في كونها علىٰ الحق، وكونه علىٰ الباطل.

وأحس النبي الإنسان علىٰ رغم مئات الأميال التي تفصله عن الحبشة ـ بما تعانيه أم حبيبة، فكان القرار السريع الحاسم الذي هدَّأ بالها، وفرَّج أحزانها، وصرف عنها الهم، وأبدلها بالترح فرحًا، وبالفزع أمنًا، وبالقلق سكنًا.

أرسل إلىٰ النجاشي يخطبها إلىٰ نفسه، (فزوجها النجاشي النبيَّ ﷺ وأمهرها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلىٰ رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٧).

حسنة)[١].

وعادت أم حبيبة من الحبشة معززة مكرمة لتُزف إلىٰ خير خلق الله محمد ﷺ.

ولما خرج أبو سفيان إلىٰ المدينة للقاء النبي ﷺ لكي يجدد عهد الحديبية، دخل علىٰ ابنته أم حبيبة (فلما ذهب ليجلس علىٰ فراش رسول الله ﷺ طوته، فقال: يا بنيتي، ما أدري أرغبت بهذا الفراش عني، أم رغبت بي عنه؟ قالت: هذا فراش رسول الله، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس علىٰ فراش النبي)[٢].

وبلغ أم حبيبة أن النبي ﷺ يخطب ابنة أم سلمة، فعرضت عليه أختها، تريد أن تشركها في الخير، فأخبرها رسول الله ﷺ أن أخت الزوجة لا تحل، فلا يجوز الجمع بين الأختين، وأن ابنة أم سلمة لا تحل له أيضًا لأنها ربيبته، ولأن أباها فوق ذلك أخو النبي في الرضاعة.

❁ ❁ ❁

سأل النبي ﷺ أم حبيبة، وهي تعرض أختها عليه سؤالين: «**وأفعل ماذا؟**»، و«**أتحبين؟**» والاستفهامان ملؤهما الدهشة والتعجب، ومثار الدهشة أن هذا العرض جاء من قبل زوجه أم المؤمنين.

وبعد أن أعلمها رسول الله ﷺ بالحرمة نهاها فقال: «**فلا تعرضْن عليّ بناتكن، ولا أخواتكن**».

والنهي للردع والزجر، و«**تعرضن**» تضبط علىٰ وجهين:

الأول: «**تَعْرِضْنَ**» بفتح الأول، وسكون العين، وكسر الراء، وسكون الضاد،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٠٧)، والنسائي في المجتبىٰ (٣٣٥٠).

(٢) الثقات (٢/ ٣٨).

وفتح النون.

والثاني: «تَعْرِضِنَّ» بفتح الأول، وسكون العين، وكسر الراء والضاد، وتشديد النون.

والأول خطاب لجماعة النساء، والثاني خطاب لأم حبيبة وحدها.

وقال ابن القيم: (ضُبط بضم الضاد في بعض الأمهات، ولا أعلم له وجهًا، لأنه إن كان الخطاب لجماعة النساء، وهو الأبين، فهو بسكون الضاد، لأنه فعل مستقبل مبني علىٰ أصله، ولو أدخلت عليه التأكيد، فشددت النون؛ لكان «تعرِضْنَانِّ»؛ لأنه تجتمع ثلاث نونات، فيفرق بينهن بألف، وإن كان الخطاب لأم حبيبة خاصة؛ فتكون الضاد مكسورة، والنون مشددة)[1].

وفي تفسير الوجه الأول «تَعْرِضْنَ» نقل ابن حجر عن القرطبي قوله: (جاء بلفظ الجمع، وإن كانت القصة لاثنتين، وهما أم حبيبة وأم سلمة ردعًا وزجرًا أن تعود واحدة منهما أو غيرهما إلىٰ مثل ذلك)[2].

وتقديم الجار والمجرور (عليَّ) للتخصيص.

٧ـ مع صفية رضي الله عنها: «وَإني خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلُوبكُمَا شيئًا»:

عن عَلِيِّ بن الْحُسَيْنِ رضي الله عنهما، أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النبي ﷺ أَخْبَرَتْهُ: أنها جَاءَتْ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ تَزُورُهُ في اعْتِكَافِهِ في الْمَسْجِدِ، في الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ من رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النبي ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حتىٰ إذا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ من الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا علىٰ رسول اللهِ ﷺ، فقال لَهُمَا النبي ﷺ: **«علىٰ رِسْلِكُمَا، إنما هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»** فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يا رَسُولَ اللهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فقال النبي ﷺ **«إِنَّ**

(١) فتح الباري (٩/ ١٤٤).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ من الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِني خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُمَا شيئًا»[١].

❁ ❁ ❁

هي صفية بنت حيي بن أخطب بن شعبة بن ثعلبة بن عبد كعب بن الخزرج. من سلالة هارون عليه السلام.

كان أبوها سيد بني النضير، فلما أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة ساروا إلىٰ خيبر. وقتل أبوها مع بني قريظة.

وعندما فتحت خيبر، وجمع السبي (جاء دحية فقال: يا رسول الله أعطني جارية من السبي، قال: «**اذهب فخذ جارية**»، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلا لك، قال: «**ادعوه بها**»، فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «**خذ جارية من السبي غيرها**»، وإن رسول الله ﷺ أعتقها وتزوجها)[٢].

وعاشت صفية حياتها بين زوجات النبي ﷺ، وكانت جميلة، فتعرضت لما تتعرض له النساء الجميلات إذا كانت لهن ضرائر، ومن ذلك ما أوردته سابقًا من قول السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا.. تعني قصيرة.

ومع ذلك كانت صفية من حزب عائشة وحفصة وسودة ـ كما تروي السيدة عائشة ـ في مواجهة الحزب الآخر الذي تتزعمه أم سلمة وسائر نساء

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥) كتاب الاعتكاف، باب هل يَخْرُجُ الْمُعْتَكِفُ لِحَوَائِجِهِ إلىٰ بَابِ الْمَسْجِدِ، ومسلم (٢١٤٧) كتاب السلام، بَاب بَيَانِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ رُئِيَ خَالِيًا بِامْرَأَةٍ وَكَانَتْ زوجة أو مَحْرَمًا له أَنْ يَقُولَ هذه فُلَانَةُ لِيَدْفَعَ ظَنَّ السُّوءِ بِهِ، وأبو داود (٢٤٧٠) كتاب الصوم، بَاب أَيْنَ يَكُونُ الِاعْتِكَافُ، وابن ماجة (١٧٧٩) كتاب الصيام، بَاب في الْمُعْتَكِفِ يَزُورُهُ أَهْلُهُ في الْمَسْجِدِ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥) وغيرهما.

النبي ﷺ، ولكن لا يؤثر عنها في صحيح الأحاديث أنها شاركت مشاركة فاعلة فيما جرىٰ بين هذين الحزبين من خصومات.

ذهبت السيدة صفية تزور النبي ﷺ في معتكفه في رمضان، وظلت معه ساعة تسامره، ثم أرادت أن تعود إلىٰ بيتها، فقام النبي معها، وبينما هما سائران مرّ رجلان من الأنصار، فسلما علىٰ رسول الله ﷺ، فأسرع النبي دفعًا لسوء الظن يقول: «**علىٰ رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي**».

إن النبي ليس في حاجة لأن يدفع عن نفسه أو عن زوجه الشبهة، فهو المعصوم ﷺ، لكنه يعلم أن الشيطان يجري من الإنسان مجرىٰ الدم، وأصحابه رضي الله عنهم ليسوا معصومين، فقد يحتال الشيطان علىٰ أحدهم، فيظن برسوله ﷺ شيئًا، فتكون الهلكة وسوء العاقبة.

لقد كان ﷺ يرفق بأصحابه وبأزواجه قبل أن يرفق بنفسه، ويجنبهم مواقع الزلل؛ ومواطن الشبهات.

وكرّم النبي ﷺ زوجه صفية في موقف آخر حين شهد لها بالصدق في حبه أمام أزواجه جميعًا، أورد ابن سعد في طبقاته عن زيد بن أسلم (أن نبي الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه اجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي: أما والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزنها أزواج النبي ﷺ، وأبصرهن رسول الله ﷺ، فقال: «**مضمضن**»، فقلن: من أي شيء يا نبي الله؟ قال: «**من تغامزكن بصاحبتكن، والله إنها لصادقة**»)[1].

❁ ❁ ❁

❁ قال النبي ﷺ لصاحبيه: «**علىٰ رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي**»: وقوله:

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ١٢٨)، والجامع في الحديث (٢/ ٦٥٥).

«**علىٰ رسلكما**» (بكسر الراء، أي علىٰ هيئتكما، وقال ابن فارس: الرسل: السير السهل)[(١)].

وكأنه يطلب منهما أن لا يغيرا من هيئتهما في المشي؛ فلا يسرعا، ولا يتعجلا، فلم يحدث ما يدعو إلىٰ ذلك.

قوله ﷺ: «**إنما هي صفية بنت حيي**»: أسلوب قصر أداته إنما، وضمير الفصل، والمراد التوكيد بشدة علىٰ أن هذه ليست امرأة غريبة عن النبي ﷺ، وإنما هي زوجه صفية.

وذكر الاسم كاملًا «**صفية بنت حيي**» لدفع التوهم.

وقال الرسول ﷺ لصاحبيه لما سبَّحا، وكَبُرَ عليهما كلام رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا**».

وقوله: «**يبلغ مبلغ الدم**» أي كمبلغ الدم، ففي العبارة تشبيه شبه فيه النبي ﷺ شدة اتصال الشيطان بالإنسان وعدم مفارقته له، بجريان الدم في عروقه.

وفي ذلك إشارة إلىٰ تسلط الشيطان علىٰ الإنسان، وقربه منه، وملازمته إياه.

وقوله ﷺ: «**إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا**»: استعارة مكنية شبه فيها النبي ﷺ ما يلقيه الشيطان من وساوس في القلوب بشيء يُقذف، وهي تدل علىٰ مدىٰ ما يضمره الشيطان للإنسان من عداوة.

واستخدام لفظ «**يقذف**» يوحي بأنها معركة حقيقة يستخدم فيها الشيطان كل أسلحته ليخرج منتصرًا علىٰ الإنسان، ويورده موارد التهلكة.

❀ ❀ ❀

(١) عمدة القاري (١١/ ١٥١).

الرسول ﷺ مع أمِّ هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها

«قد أَجَرْنَا من أَجَرْتِ يا أُمَّ هَانِئٍ»:

عن أبي النَّضْرِ مولىٰ عُمَرَ بن عُبَيْدِ اللهِ، أَنَّ أَبَا مُرَّةَ مولىٰ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أبي طَالِبٍ، أخبره أَنَّهُ سمع أُمَّ هَانِئٍ بِنْتَ أبي طَالِبٍ تقول: ذَهَبْتُ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عليه، فقال: **«من هذه؟»** فقلت: أنا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أبي طَالِبٍ، فقال: **«مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ»**، فلما فَرَغَ من غُسْلِهِ، قام فَصَلَّىٰ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا في ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فلما انْصَرَفَ، قلت: يا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ ابن أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا قد أَجَرْتُهُ، فُلَانُ بن هُبَيْرَةَ، فقال رسول اللهِ ﷺ: **«قد أَجَرْنَا من أَجَرْتِ يا أُمَّ هَانِئٍ»** قالت أُمُّ هَانِئٍ: وَذَاكَ ضُحًىٰ[1].

❁ ❁ ❁

أم هانئ: اسمها فاختة بنت أبي طالب الهاشمية، وقيل هند، أخت علىٰ ابن أبي طالب، تزوجت في الجاهلية هبيرة بن أبي وهب، ثم أسلمت، ففرق الإسلام بينهما، فخطبها رسول الله ﷺ إلىٰ نفسه فيما رواه أبو هريرة من (أن رسول الله ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: إني كبرت، ولي عيال، فقال رسول الله ﷺ: **«خير نساء ركبن الإبل نساء قريش؛ أحناه علىٰ ولد في صغره، وأرعاه علىٰ زوج في ذات يده، ولم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قط»**)[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٥٨) كتاب الأدب، باب ما جاء في زَعَمُوا، ومسلم (٣٣٦) كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحىٰ، وأبو داود بنحوه (٢٧٦٣) كتاب الجهاد، باب في أمان المرأة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٢٧)، وابن حبان (٦٢٢٨)، وغيرهما.

هؤلاء هن نساء المسلمين اللائي يزعم أعداء الإسلام أنهن مقهورات، مسلوبات الحقوق، خاضعات لأزواجهن، مغتصبات الإرادة.

أم هانئ بنت أبي طالب، يطلبها للزواج رسول الله ﷺ إكرامًا لها، وحفظًا لقرابتها فتعتذر إليه في رفق وأدب، فيقبل النبي ﷺ ذلك دون حرج، بل يُثْنِي فيمدح نساء قريش.

وفي عام الفتح أجارت أم هانئ رجلًا من قريش، فأراد علي بن أبي طالب أن يقتله، فذهبت إلىٰ النبي تشتكي أخاها، فقال لها النبي ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**».

وجلست أم هانئ يومًا عند النبي، وكانت صائمة، فأتي بشراب، فشرب النبي ﷺ ثم ناولها فكرهت أن ترد سؤره فشربت، ثم قالت للنبي ﷺ: (إني أذنبت فاستغفر لي، فقال: «**وما ذاك؟**» قالت: كنت صائمة فأفطرت، فقال: «**أمن قضاء كنت تقضينه؟**» قالت: لا، قال: «**فلا يضرك**»)[1].

لقد كانت أم هانئ مثالًا للمرأة المسلمة المتميزة، صاحبة الشخصية المستقلة، والإرادة الصلبة.

❁ ❁ ❁

قال النبي ﷺ لأم هانئ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»: استخدم النبي الجملة الفعلية المؤكدة بقد، والفعل الماضي المتحقق الحدوث، ليقطع الطريق علىٰ أي متأول، وليحسم مسألة الإجارة.

و(مَنْ) تفيد العموم، فيدخل في هذا الأمان، كل من أجارته أم هانئ، دون تحديد لاسم، أو عدد.

---

(١) أخرجه الترمذي (٧٣١)، والنسائي في الكبرى (٣٣٠٦)، وغيرهما.

والنداء «**يا أم هانئ**» للتقرب، وتطييب الخاطر، وتسكين النفس.



على قبر أمِّ النبي ﷺ

«اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لها، فلم يُؤْذَنْ لي»:

عن أبي هُرَيْرَةَ قال: زَارَ النبي ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَىٰ، وَأَبْكَىٰ من حَوْلَهُ، فقال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي في أَنْ أَسْتَغْفِرَ لها، فلم يُؤْذَنْ لي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ في أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأُذِنَ لي، فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإنها تُذَكِّرُ الْمَوْتَ**»[1].

❁ ❁ ❁

أم النبي هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة سيدة نساء قومها بني زهرة.

وقد رُوي في قصة زواجها من عبد الله بن عبد المطلب أن عبد المطلب لما قدم اليمن في رحلة الشتاء نزل علىٰ حبر من اليهود (قال: فقال لي رجل من أهل الديور ـ يعني أهل الكتاب ـ: يا عبد المطلب، أتأذن لي أن أنظر علىٰ بعضك؟ قال: نعم، إذا لم يكن عورة. قال: ففتح إحدىٰ منخريَّ فنظر فيه، ثم نظر في الآخر، فقال: أشهد أن في إحدىٰ يديك ملكًا، وفي الأخرىٰ نبوة، وإنا نجد ذلك في بني زهرة، فكيف ذلك؟ قلت: لا أدري، قال: هل لك من شاعة، قلت: وما الشاعة؟ قال: زوجة، قلت: أما اليوم فلا، قال: فإذا رجعت فتزوج فيهم.

فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة،

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦) كتاب الجنائز، بَاب اسْتِئْذَانِ النبي ﷺ رَبَّهُ ﷻ في زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، وأبو داود (٣٢٣٤) كتاب الجنائز، بَاب في زِيَارَةِ الْقُبُورِ، والنسائي في المجتبىٰ (٢٠٣٤) كتاب الجنائز، باب زيارة قبر المشرك.

فولدت له حمزة وصفية، ثم تزوج عبد الله آمنة بنت وهب، فولدت رسول الله ﷺ، فقالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة: فَلَجَ، أي فاز وغلب عبد الله علىٰ أبيه عبد المطلب)[١].

وما لبث عبد الله أن مات، ومحمد ﷺ في بطن أمه، فنشأ النبي يتيم الأب، لم ير سوىٰ أمه، (فلما بلغ ست سنين، خرجت به إلىٰ أخوالها من بني عدي ابن النجار بالمدينة تزورهم ثم رجعت به إلىٰ مكة، فلما كانوا بالأبواء توفيت، فقبرُها هناك)[٢].

ومر النبي بالأبواء حين خرج في حجة الوداع هو وأصحابه، فتلمس قبر أمه حتىٰ وجده، وجلس إليه.

لقد استأذن النبي ربه أن يستغفر لأمه فلم يأذن له. قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

واستأذن النبي ربه في أن يزور قبر أمه فأذن له، فزاره، ودعا أصحابه إلىٰ زيارة القبور لأنها تذكر بالآخرة.

إن الأسىٰ واللوعة اللذان اعتملا في قلب النبي ﷺ، وهو يزور قبر أمه - لا يحتملهما بشر، فهي أمُّه التي حملته بين ضلوعها تسعة أشهر، فقدت الزوج في أول حملها، فتحملت مرارة الثكل، وانشغلت بجنينها عن الدنيا وما فيها، فلما وضعته أشرقت الدنيا أمام عينيها، وتدفقت الأنوار بين يديها، ورأت فيوض الرحمة الإلهية تحيط بها، فاحتضنته بكل كيانها، وغذته بلبانها، وروّته بحنانها.

ثم شاء الله أن تفارقه، ولا يبقىٰ للصبي الصغير سوىٰ ذكريات الأيام

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ١٨٠)

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ٢١٦).

الحلوة التي قضاها بين أحضانها.

وها هو يعود إليها بعد سنين طويلة، فيجلس إلىٰ قبرها، ويتذكر أيام الصبا فيناجيها طويلًا، ويتفطر فؤاده من الحزن؛ لأنه لا يملك أن يستغفر لها، فيبكي ويبكي الناس من حوله لبكائه النبيل، فلم يُر باكيًا أكثر من ذلك اليوم.

❁ ❁ ❁

قال رسول الله ﷺ: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي، فلم يأذن لي**»: قال الرسول ﷺ: «**استأذنت ربي**»، ولم يقل: (استأذنت الله) لأن الرب هو المدبر وهو صاحب الأمر والنهي ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وأضاف الرب إلىٰ نفسه ليبين شدة إيمانه بربه، وعمق اعتزازه به.

«**فلم يؤذن لي**»: عبارة منفية موحية بالحزن والأسىٰ ومرارة الإحساس بالإشفاق علىٰ مصير الأم.

وقال رسول الله ﷺ: «**واستأذنته في أن أزور قبرها، فأُذن لي**»: بدأ رسول الله ﷺ بالطلب الأعلىٰ، وهو الاستغفار، فلمّا لم يُقبل انتقل إلىٰ الأدنىٰ وهو زيارة القبر.

و«**فأُذِنَ لي**» قد تكون بالبناء للمجهول، وحُذف لفظ الفاعل تعظيمًا له وإجلالًا، وقد تكون «**فأَذِن لي**» بالبناء للمعلوم، وفيها ما يوحي بأن الإذن كان سريعًا ومباشرًا.

وقال رسول الله ﷺ: «**فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت**»: والأمر للإباحة، والتذييل: «**فإنها تذكر الموت**» تعليل للأمر، وبيان لأهميته.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

الرسول ﷺ مع أصحابه

الرسول ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم

١ ـ أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: «وَلَوْ كنت مُتَّخِذًا خَلِيلاً، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً»:

ـ عن أبي عُثْمَانَ قال: حدثني عَمْرُو بن الْعَاصِ رضي الله عنه، أَنَّ النبي ﷺ بَعَثَهُ علىٰ جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ، فقلت: أَيُّ الناس أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: «عَائِشَةُ»، فقلت: من الرِّجَالِ؟ فقال: «أَبُوهَا» قلت: ثُمَّ من؟ قال: «عُمَرُ بن الْخَطَّابِ» فَعَدَّ رِجَالًا[(١)].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «ما لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ، إلا وقد كَافَيْنَاهُ، ما خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فإن له عِنْدَنَا يَدًا يكافئه الله به يوم الْقِيَامَةِ، وما نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ ما نَفَعَنِي مَالُ أبي بَكْرٍ، وَلَوْ كنت مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، ألا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ»[(٢)].

ـ عن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: كنت جَالِسًا عِنْدَ النبي ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أبو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ، حتىٰ أَبْدَىٰ عن رُكْبَتِهِ، فقال النبي ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ»، فَسَلَّمَ، وقال: إني كان بَيْنِي وَبَيْنَ ابن الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إليه، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لي فَأَبَىٰ عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فقال: «يَغْفِرُ الله لك يا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢) كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنت متخذًا خليلًا، ومسلم (٢٣٨٤) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والترمذي (٣٨٨٥) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها كلهم عن عمرو بن العاص، وابن ماجة (١٠١)كتاب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب فضل أبي بكر رضي الله عنه، عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦١) كتاب المناقب، مناقب أبي بكر، وابن ماجة مختصرًا (٩٤) باب في فضائل أصحاب رسول الله، فضل أبي بكر.

أَبَا بَكْرٍ» ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَىٰ مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أبو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَىٰ إِلَىٰ النبي ﷺ، فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النبي ﷺ يَتَمَعَّرُ حتىٰ أَشْفَقَ أبو بَكْرٍ، فَجَثَا علىٰ رُكْبَتَيْهِ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، والله أنا كنت أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وقال أبو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تاركو لي صَاحِبِي؟**»، مَرَّتَيْنِ، فما أُوذِيَ بَعْدَهَا[1].

ـ عن سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَىٰ بَنِي عَمْرِو بن عَوْفٍ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ، فَحَانَتْ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ إِلَىٰ أبي بَكْرٍ، فقال: أَتُصَلِّي لِلنَّاسِ فَأُقِيمَ؟ قال: نعم، فَصَلَّىٰ أبو بَكْرٍ، فَجَاءَ رسول اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ في الصَّلَاةِ، فَتَخَلَّصَ حتىٰ وَقَفَ في الصَّفِّ، فَصَفَّقَ الناس، وكان أبو بَكْرٍ لَا يَلْتَفِتُ في صَلَاتِهِ، فلما أَكْثَرَ الناس التَّصْفِيقَ، الْتَفَتَ فَرَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَشَارَ إليه رسول اللهِ ﷺ: أَنْ امْكُثْ مَكَانَكَ، فَرَفَعَ أبو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللهَ علىٰ ما أَمَرَهُ بِهِ رسول اللهِ ﷺ من ذلك، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أبو بَكْرٍ حتىٰ اسْتَوَىٰ في الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رسول اللهِ ﷺ فَصَلَّىٰ، فلما انْصَرَفَ قال: «**يا أَبَا بَكْرٍ، ما مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ إِذْ أَمَرْتُكَ؟**» فقال أبو بَكْرٍ: ما كان لابن أبي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بين يَدَيْ رسول اللهِ ﷺ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**ما لي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمْ التَّصْفِيقَ؟ من رَابَهُ شَيْءٌ في صَلَاتِهِ فَلْيُسَبِّحْ، فإنه إذا سَبَّحَ الْتُفِتَ إليه، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ**»[2].

ـ عن مُحَمَّدِ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ عن أبيه قال: أَتَتْ امْرَأَةٌ النبي ﷺ، فَأَمَرَهَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦١) كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنت متخذًا خليلًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٤) كتاب الجماعة والإمامة، باب من دخل لِيَؤُمَّ الناس فَجَاءَ الإِمَامُ الأَوَّلُ فتأخَّرَ الآخر، ومسلم (٤٢١) كتاب الصلاة، بَاب تَقْدِيمِ الْجَمَاعَةِ من يُصَلِّي بهم إذا تأخَّرَ الإِمَامُ ولم يَخَافُوا مَفْسَدَةً بِالتَّقْدِيمِ، وأبو داود (٩٤٠) كتاب الصلاة، باب التَّصْفِيقِ في الصَّلَاةِ.

أَنْ تَرْجِعَ إليه، قالت: أَرَأَيْتَ إن جِئْتُ، ولم أَجِدْكَ؟ كَأنها تَقُولُ الْمَوْتَ، قال ﷺ: «**إن لم تَجِدِينِي، فَأتي أَبَا بَكْرٍ**».

ـ عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: كنا جُلُوسًا عِنْدَ النبي ﷺ، فقال: «**إني لا أَدْرِي ما بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ من بَعْدِي، وَأَشَارَ إلىٰ أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ**»[(١)].

ـ عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ، عن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بن الْحَكَمِ ـ يَزِيدُ أَحَدُهُمَا علىٰ صَاحِبِهِ ـ قالا: خَرَجَ النبي ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ في بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً من أَصْحَابِهِ، فلما أتىٰ ذَا الْحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ، وَأَحْرَمَ منها بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا له من خُزَاعَةَ، وَسَارَ النبي ﷺ، حتىٰ كان بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ، قال: إنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لك جُمُوعًا، وقد جَمَعُوا لك الْأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ عن الْبَيْتِ وَمَانِعُوكَ، فقال: «**أَشِيرُوا أَيُّهَا الناس عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إلىٰ عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عن الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كان الله ﷻ قد قَطَعَ عَيْنًا من الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ؟**» قال أبو بَكْرٍ: يا رَسُولَ اللهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، ولا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ له، فَمَنْ صَدَّنَا عنه قَاتَلْنَاهُ، قال: «**امْضُوا علىٰ اسْمِ اللهِ**»[(٢)].

ـ عن أبي وَائِلٍ قال: قام سَهْلُ بن حُنَيْفٍ يوم صِفِّينَ، فقال: أَيُّهَا الناس، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لقد كنا مع رسول اللهِ ﷺ يوم الْحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَىٰ قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ في الصُّلْحِ الذي كان بين رسول اللهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ، فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْنَا علىٰ حَقٍّ، وَهُمْ علىٰ بَاطِلٍ؟ قال: بَلَىٰ، قال: أَلَيْسَ قَتْلَانَا في الْجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ في النَّارِ؟ قال: بَلَىٰ، قال: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٣) كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر، وابن ماجة (٩٧) باب في فضائل أصحاب رسول الله، فضل أبي بكر.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٧٨)كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ.

فقال: «**يا ابن الْخَطَّابِ، إني رسول اللهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي الله أَبَدًا**»، قال: فَانْطَلَقَ عُمَرُ، فلم يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَىٰ أَبَا بَكْرٍ، فقال: يا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْنَا علىٰ حَقٍّ، وَهُمْ علىٰ بَاطِلٍ؟ قال: بَلَىٰ، قال: أَلَيْسَ قَتْلَانَا في الْجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ في النَّارِ؟ قال: بَلَىٰ، قال: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فقال: يا ابن الْخَطَّابِ، إنه رسول اللهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ الله أَبَدًا، قال: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ علىٰ رسول اللهِ ﷺ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إلىٰ عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، أو فَتْحٌ هو؟ قال: «**نعم**»، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ[١].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ علىٰ بَقَرَةٍ، الْتَفَتَتْ إليه فقالت: لم أُخْلَقْ لِهَذَا، خُلِقْتُ لِلْحِرَاثَةِ، قال آمَنْتُ بِهِ، أنا وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَخَذَ الذِّئْبُ شَاةً، فَتَبِعَهَا الرَّاعِي، فقال الذِّئْبُ: من لها يوم السَّبُعِ، يوم لا رَاعِيَ لها غَيْرِي، قال: آمَنْتُ بِهِ، أنا وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»، قال أبو سَلَمَةَ: وما هُمَا يَوْمَئِذٍ في الْقَوْمِ[٢].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: خَرَجَ رسول اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أو لَيْلَةٍ، فإذا هو بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فقال: «**ما أَخْرَجَكُمَا من بُيُوتِكُمَا هذه السَّاعَةَ؟**» قالا: الْجُوعُ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**وأنا وَالَّذِي نَفْسِي بيده، لَأَخْرَجَنِي الذي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فَقَامُوا معه، فَأَتَىٰ رَجُلًا من الْأَنْصَارِ، فإذا هو ليس في بَيْتِهِ، فلما رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قالت: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فقال لها رسول اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» قالت: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لنا من الْمَاءِ، إِذْ جاء الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ ما أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قال: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فقال: كُلُوا من هذه، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فقال له

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٤) كتاب التفسير، بَاب ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، ومسلم (١٧٨٥) كتاب الجهاد والسير، بَاب صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ في الْحُدَيْبِيَةِ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٤) كتاب المزارعة، بَاب اسْتِعْمَالِ الْبَقَرِ لِلْحِرَاثَةِ.

رسول اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ**»، فَذَبَحَ لهم، فَأَكَلُوا من الشَّاةِ، وَمِنْ ذلك الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا، فلما أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قال رسول اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بيده، لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النَّعِيمِ يوم الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ من بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ، ثُمَّ لم تَرْجِعُوا حتىٰ أَصَابَكُمْ هذا النَّعِيمُ**»[1].

❁ ❁ ❁

كان صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين حُزمة من القيم النبيلة الفريدة التي قلَّما تجتمع في أمة واحدة، التقت كلها في ظل قيادة رفيعة المقام، إلهية المصدر؛ لتكون رافدًا لمن بعدها، ولتضع لبنات حضارة جديدة متميزة، تختلف عن سائر الحضارات السابقة لها، في أنها ولدت لتبقىٰ.

ولم يكن رسول الله ﷺ يعامل أصحابه كلهم معاملة واحدة، إنما كان يفهم نفس كل واحد منهم، ويقدِّر إمكاناته وملكاته، ويوجِّه هذه الملكات التوجيه الصحيح، في الوقت الصحيح، وفي المكان الصحيح، وبحكمة بالغة، وبالقدر الذي يقتضيه الموقف، ولذلك التفَّت حوله قلوب هؤلاء، وأحبوه كما لم يحب أحدٌ أحدًا، وبذلوا في سبيل نصرته كل جهدهم، واستفرغوا في سبيل ذلك كل طاقتهم.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أبرز شخصية من هذه النماذج الفذة التي رباها رسول الله ﷺ علىٰ عينه، وهو (عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، يلتقي مع رسول الله ﷺ في مرة)[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣٨) كتاب الأشربة، بَاب جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلىٰ دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ.

(٢) تاريخ الخلفاء (١/ ٢٧).

ولُقِّب بالصدِّيق لسبقه إلىٰ التصديق برسول الله ﷺ.

جهاده مع رسول الله ﷺ في مكة والمدينة معروف ومشهور، ومواقفه الصلبة في إعلاء دين الله غير منكورة.

كان أقرب الناس إلىٰ رسول الله ﷺ، وآثرهم عنده، وأحبهم إلىٰ نفسه، بعد ابنته عائشة. وكان حب أبي بكر لرسول الله أعظم من حبه لنفسه، وكان إيمانه بما جاء به إيمانًا يقينيًّا، لا يخالطه شك ولا ريبة، ولذلك لم يتردد لحظة واحدة في بذل الغالي والنفيس في سبيل حماية النبي، والذود عنه، ونشر دعوته.

وما انتفع رسول الله ﷺ بمال أحد كما انتفع بمال أبي بكر، وما كان لأحد عند رسول الله ﷺ يد لا يكافئه بها إلا الله سوىٰ أبي بكر.

حدث بينه وبين ابن الخطاب يومًا شيء، فأغلظ عليه، ثم ندم، وطلب منه أن يغفر له، فأبىٰ عمر، فأقبل أبو بكر إلىٰ رسول الله منزعجًا يشكو إليه فعل عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**»، فلما جاء عمر أبدىٰ النبي غضبه لصاحبه، وتمعر وجهه حتىٰ أشفق أبو بكر عليه، وجثا علىٰ ركبتيه يتوسل إليه، ويقسم أنه كان أظلم من عمر، فقال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟**».

وكان أبو بكر يصلي إمامًا بالناس يومًا، وقد ذهب رسول الله ﷺ إلىٰ بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فعاد رسول الله ﷺ والناس يصلون، فتخلص حتىٰ وقف في الصف، فنبه الناس أبا بكر، فلما همَّ بالتراجع للخلف، أشار إليه الرسول أن امكث مكانك، فرفع يديه يحمد الله علىٰ ما أمره به رسول الله، ثم تأخر إلىٰ الصف، وتقدم رسول الله ﷺ فصلىٰ بالناس، فلما أتم صلاته سأل أبا بكر: «**ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟**» فقال أبو بكر: ما كان لابن

أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ.

ولقد كاد النبي أن يصرح بخلافة أبي بكر من بعده، حين جاءته امرأة فسألته شيئًا، فأمرها أن ترجع إليه، فسألته: أرأيتَ إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تعني الموت، فقال: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**».

وفي مجلس آخر حث أصحابه علىٰ الاقتداء بالآتيين من بعده أبي بكر وعمر.

وكان الرسول ﷺ يستشير صاحبه فيما أهمه من أمر، ويستصوب رأيه، فبينما كان الرسول في طريقه إلىٰ الحديبية، علم أن قريشًا قد أعدت لقتاله، وصده عن البيت، فاستشار أصحابه في أن يميل عليهم ميلة واحدة فيرزأهم في عيالهم، ويشغلهم عن الخروج إلىٰ المسلمين أو منعهم من الاعتمار.

فأشار عليه الحليم أبو بكر بأن لا يفعل، إذ إنه خرج قاصدًا زيارة البيت، لا ينوي قتالًا ولا إيذاءً، فإن صدُّوه وقاتلوه قاتلهم.

وأخذ النبي ﷺ برأي صاحبه أبي بكر، وانطلق إلىٰ الحديبية.

وبعد توقيع صلح الحديبية لم يرض بعض الصحابة عن بنوده التي عدُّوها مجحفة بالمسلمين، وأتىٰ عمر بن الخطاب رسول الله يتساءل عما رآه تنازلات من النبي ﷺ للمشركين، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا**»، فانصرف عمر متغيظًا، وذهب إلىٰ أبي بكر، يطرح عليه ذات التساؤل، فيجيبه أبو بكر ـ ولم يكن قد سمع جواب رسول الله ﷺ ـ بذات الجواب: (يا ابن الخطاب، إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدًا).

وغاب أبو بكر وعمر، ذات يوم عن مجلس رسول الله ﷺ في المسجد، وكان الرسول ﷺ يحكي لأصحابه قصة عجيبة لرجل خالف ما اعتاد الناس عليه، وركب بقرته، فالتفتت إليه البقرة وقالت له: لم أخلق لهذا، خلقت

للحراثة. وقبل أن تبلغ الدهشة مداها من أصحاب رسول الله ﷺ عقَّبَ قائلًا: «**آمنت به أنا وأبو بكر وعمر**». ثم روىٰ لهم قصة ذئب انتزع شاة من قطيعها فأتبعه الراعي، فخلَّصها منه، فقال له الذئب: من لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري؟ ثم أردف الرسول قائلًا: «**آمنت به أنا وأبو بكر وعمر**».

لقد قرن الرسول ﷺ بين إيمانه وإيمان صاحبيه في إشارة قوية إلىٰ عمق هذا الإيمان ورسوخه.

وفي مشهد لافت يشتد الجوع برسول الله ﷺ، فيخرج من بيته، فإذا هو بالصاحبين أبي بكر وعمر، فيسألهما: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**» فيجيبان: الجوع يا رسول الله، فيقول الرسول ﷺ: «**وأنا والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا**» فانطلقوا إلىٰ منزل رجل من الأنصار، قيل هو (منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري، وكان رجلًا كثير النخل والشاء)[1]، فلما رآهم الرجل لم تسعه الفرحة بِهؤلاء الأضياف الكرام، وأسرع إلىٰ بستانه فجاء بكباسة كاملة من البلح، فوضعها أمامهم، وطلب منهم أن يأكلوا منها ريثما يعد لهم الطعام، ثم ذبح لهم شاة، وقدمها لهم، فأكلوا وشربوا حتىٰ شبعوا ورووا، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «**والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتىٰ أصابكم هذا النعيم**».

❁ ❁ ❁

سئل النبي ﷺ: «**أيُّ الناس أحب إليك؟**» فقال: عائشة، قيل له من الرجال، قال: «**أبوها**»: وكلمتا: «**عائشة**» و«**أبوها**»، كلٌّ منهما خبر لمبتدأ محذوف جوازًا لإرادة الاختصار، والتركيز علىٰ الخبر لأهميته.

---

(١) مرقاة المفاتيح (٨/ ١٤٥).

وفي قول رسول الله ﷺ: «**ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر**».

كلمة «**يد**» مجاز مرسل علاقته السببية.

وتقديم شبه الجملة (لأحد) للتخصيص.

«**فإن له عندنا يدًا يكافئه الله به يوم القيامة**»: اليد مؤنثة والضمير المذكر في (به) عائد علىٰ معنىٰ اليد، وهو المعروف.

«**وما نفعني مال أحدٍ قط، ما نفعني مال أبي بكر**»: (ما) الأولىٰ نافية، والثانية مصدرية، مقدر بعدها مثل، أي: مثل ما نفعني مال أبي بكر.

وقوله ﷺ: «**ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا**»: الاتخاذ (افتعال من الأخذ، واتخذ يتعدىٰ إلىٰ مفعول واحد، ويتعدىٰ إلىٰ مفعولين أحدهما بحرف الجر، فيكون بمعنىٰ اختار واصطفىٰ، وهنا سكت عن أحد مفعوليه، وهو الذي دخل عليه حرف الجر، فكأنه قال: لو كنت متخذًا من الناس خليلًا لاتخذت منهم أبا بكر)[١].

والخليل: الحبيب المصطفىٰ بالود، وهو من (الخُلة بالضم، الصداقة والمحبة التي تخللت القلوب، فصارت خلاله أي في باطنه)[٢].

وهي منزلة أعلىٰ من الحب والصداقة، ولذلك لا يكون الخليل إلا واحدًا، بينما يتعدد الأحباء والأصدقاء.

وقد نفىٰ النبي عن نفسه إمكان اتخاذ خليل من أصحابه، وأخبر بأنه لو كان متخذًا خليلًا لاصطفىٰ أبا بكر خليلًا، وفي ذلك تكريم وخصوصية لأبي بكر لم ينلها غيره، فإن قيل: قال أبو هريرة: أوصاني خليلي، يعني النبي ﷺ، فليس في ذلك تناقض إذ (الممتنع أن يتخذ النبي غير ربه خليلًا، ولا يمتنع

(١) عمدة القاري (٤/ ٢٤٤).

(٢) لسان العرب (١١/ ٢١٧).

اتخاذ الصحابي وغيره النبي ﷺ خليلًا)(١).

قوله: «**ألا وإن صاحبكم خليل الله**»: «**ألا**» الاستفتاحية للتنبيه، و«**صاحبكم**» يعني نفسه، «**خليل الله**» أي: المصطفىٰ من قبله، المرضيّ عنه، المجابة دعوته، المذكور عنده بخير.

وَرَدَ عن ابن جندب عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**»(٢).

قال رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن أبي بكر، وقد جاءه آخذًا بطرف ثوبه، حتىٰ أبدىٰ عن ركبته: «**أما صاحبكم فقد غامر**».

والعبارة كناية عن شدة الخصومة، والمراد أنه دخل في غمرة الخصومة أي معظمها.

وقوله: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**»: أسلوب خبري المبنىٰ، إنشائي المعنىٰ، غرضه الدعاء.

أما قوله: «**فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق**»: فبين الجملتين مقابلة أريد بها إبراز المعنىٰ، وبيان فضل الصديق.

وقوله: «**وواساني بماله ونفسه**»: «واساني» من المواساة، (وهي بلفظ المفاعلة من الجانبين، والمراد به أن صاحب المال يجعل يده ويد صاحبه في ماله سواء)(٣).

«**فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟**»: قيل في الحديث: إنه ﷺ كرر هذه الجملة مرتين، وفي ذلك تأكيد علىٰ مكانة أبي بكر وفضله، وحرمة إيذائه.

وقوله: «**تاركو**» ورد هكذا بدون النون دون مسوغ ظاهر؛ إذ ليست الكلمة

---

(١) الديباج علىٰ مسلم (٢/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) فتح الباري (٧/ ٢٥).

مضافة إضافة ظاهرة، ولذلك زعم بعضهم أن حذف النون من خطأ الرواة.

وأوَّله العيني وغيره بأن الإضافة متحققة، ولكن (فصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور عناية بتقديم لفظ الاختصاص، وذلك جائز كقول الشاعر:

فَرُشَّني بخيرٍ لا أكونَنَّ ومدحتي كناحتٍ يومًا صخرةٍ بعسيلِ[1]

والشاهد في الشطر الثاني، إذ فُصل بين المضاف (ناحت)، والمضاف إليه (صخرة) بالظرف (يومًا).

ومثله (في القرآن في قراءة ابن عامر: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ **قتلُ أولادَهم شركائهم**﴾ [الأنعام: ١٣٧] بنصب أولادَهم، وجر شركائهم)[2].

وأفضل الفصل ما كان الفاصل فيه معمولًا للمضاف، كما جاء في الأمثلة السابقة، فهو في الحديث (لي) جار ومجرور متعلق باسم الفاعل **(تاركو)** وفي البيت (يومًا) ظرف متعلق باسم الفاعل (ناحت)، وفي الآية (أولادَهم) مفعول به للمصدر (قَتْل).

قال الرسول ﷺ لصاحبه أبي بكر، حين استأخر وترك الإمامة لرسول الله: «**يا أبا بكر، ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟**».

والنداء للتلطف، والاستفهام غرضه التعجب.

وقوله ﷺ: «**ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيق؟**»: استفهام غرضه الإنكار.

«**من رابه شيء في صلاته فليسبح**»: أسلوب شرط أداته مَنْ، وفيها دلالة علىٰ العموم، و(رابه) من الريبة، وفي رواية: «**من نابه**» أي أصابه، و(شيء)

---

(١) عمدة القاري (١٦/ ١٨٠).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

نكرة دالة علىٰ العموم أيضًا، و(فليسبح) مضارع مقترن بلام الأمر، والمعنىٰ: فليقل: سبحان الله، وقد أشارت إلىٰ ذلك رواية يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم نصًا.

«**فإنه إذا سَبَّح التُفِت إليه، وإنما التصفيق للنساء**»: استخدم الفعل (التُفت) المبني للمجهول، لأن المعنِيَّ بالالتفات قد يكون الإمام، وقد يكون غيره إن كان المصلي فذًّا.

و«**وإنما التصفيق للنساء**»: رُوِيَت: «**وإنما التصفيح للنساء**»، والتصفيق والتصفيح سواء.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي**» وأشار إلىٰ أبي بكر وعمر.

و(ما) استفهامية (قال الطيبي: ما استفهامية، أي لا أدري مدة بقائي فيكم، أقليل أم كثير)[1].

«**فاقتدوا باللذين من بعدي**»: إشارة واضحة إلىٰ خلافتي أبي بكر وعمر من بعد رسول الله ﷺ، والأمر للوجوب.

قال رسول الله ﷺ لأصحابه، وهو في طريقه إلىٰ الحديبية، وقد علم أن قريشًا سوف تصده عن المسجد الحرام: «**أشيروا أيها الناس عليَّ...**»

والأمر للحث، وقوله: «**أيها الناس**» دال علىٰ العموم، و(**أميل إلىٰ عيالهم وذراريِّ هؤلاء**) كناية عن القتل والسبي.

قوله ﷺ: «**قطع عينًا من المشركين**»: وفي رواية «**تكن عنقًا قطعها الله**» وفي كلتيهما كناية عن الهزيمة الموجعة، لمكانة العين أو العنق.

و(**عينًا**) مجاز مرسل علاقته الجزئية.

---

(١) مرقاة المفاتيح (١١/ ٢١٢).

و(**إلا تركناهم محروبين**) كناية عن التأثر بالهزيمة، والانشغال بآثارها.

وقوله: «**امضوا علىٰ اسم الله**» كناية عن طلب الاعتماد علىٰ الله، والتوكل عليه.

قال رسول الله ﷺ لعمر، وهو يرد علىٰ احتجاجه علىٰ بعض بنود صلح الحديبية:

«**يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا**»: وفي النداء بـ (ابن الخطاب) تذكير لعمر بالفارق بين مقامه ومقام النبوة، حتىٰ لا يتمادىٰ في اعتراضه علىٰ ما وافق عليه رسول الله ﷺ، ولذلك عقب علىٰ النداء بقوله ﷺ: «**إني رسول الله**».

وقوله: «**ولن يضيعني الله أبدًا**» يوحي بالثقة الكاملة في نصر الله وتأييده لنبيه، ويؤكد ذلك النفي بلن، ثم استخدام الظرف (أبدًا).

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**بينما رجل راكب علىٰ بقرة**»: استخدام حرف الجر (علىٰ) مع إمكان تعدي اسم الفاعل بنفسه للتأكيد علىٰ الركوب المتمكن.

قوله ﷺ: «**التفتَتْ إليه فقالت: لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة**»: هنا صورة غنية بالمفاجآت المبهرة، وهي ـ مع شدة كثافتها ـ تثير الخيال، وتعمر بالإيحاءات، رجل ركب بقرة، والرجل مجهول الهُوية، مجهول الزمان والمكان، هو مجرد مثل لكل من يخالف الفطرة، ويناقض العرف، فمن غير المألوف أن يركب الناس الأبقار، ولأن هذا أمر غير مألوف، فقد وُوجِهَ بأمر غير مألوف، لقد تكلمت البقرة، التفتت للرجل، وقالت ببساطة: لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة.

وهنا مفاجأتان:

الأولىٰ: كلام البقرة.

والثانية: أنها تَعْلَمُ الحكمة مِن خلقها، وتدرك وظيفتها في الحياة، وتأبىٰ أن تتغير هذه الوظيفة. إن البقرة غير المكلفة تأبىٰ أن تخالف ما هيأها الله له، بينما الإنسان العاقل المكلف لا يبالي بذلك.

إنها دعوة لعدم الخروج علىٰ سنن الفطرة، أو التعدي علىٰ طبائع المخلوقات، وكلاهما مظهر من مظاهر الفساد في الأرض.

ثم يقول رسول الله ﷺ: «**آمنت به أنا وأبو بكر وعمر**»: والضمير في (به) يعود علىٰ هذا الأمر الخارق للعادة (كلام البقرة)، واقتران إيمان أبي بكر وعمر بإيمان النبي، ولم يكونا موجودين حين تحدث النبي بهذا الحديث ـ دليل علىٰ عمق صلتهما بالنبي ﷺ، وثقته العظيمة بصدق إيمانهما.

واستطرد النبي ﷺ فقال: «**وأخذ الذئب شاةً فتبعها الراعي**»: وهو أمر جِبِلِّيٌّ خلق الله هذه الحيوانات المفترسة عليه، وجعله وسيلة رزقها، ومناط حياتها.

ولذلك قال الذئب: من لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري؟

واختُلف في المراد بـ«يوم السبع»، فقيل هو: (عيد كان لأهل الجاهلية، يجتمعون فيه علىٰ اللهو، ويهملون مواشيهم، فيأكلها السبع، وقيل: السَبْع، بسكون الباء: الموضع الذي عنده المحشر، يريد بيومه يوم القيامة)(١).

والمراد بالرعاية في قوله: «**لا راعي لها غيري**»: أنه سيكون الوحيد المعني بها في ذلك اليوم الذي سينشغل فيه الناس عن أغنامهم وماشيتهم، بما أهمهم من عظائم الأمور.

سأل النبي ﷺ أبا بكر وعمر حين رآهما في الطريق في وقت لم تجر فيه العادة بالخروج: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**»، وهو استفهام

---

(١) مرقاة المفاتيح (١١/ ٢٠٨).

غرضه التعجب.

وعندما أجاباه: الجوع، قال ﷺ: «**وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا**»: واللام في (**لأخرجني**) للتوكيد، وقوله: (**الذي**) دون ذكر الجوع يوحي بحياء النبي وأدبه البالغ.

وقوله: «**قوموا**» مع أن المخاطب اثنين جائز (فمن قال بأن أقل الجمع اثنان فظاهر، ومن قال بأن أقله ثلاثة فمجاز، يعني بأن أعطي الأكثر حكم الكل)[1].

قال النبي ﷺ لصاحبيه بعد أن شبعوا ورووا: «**والذي نفسي بيده لتسألُن عن هذا النعيم يوم القيامة**»: والقسم للتوكيد، والإشارة إلىٰ الطعام والشراب بالنعيم تؤكد حق الحمد للمنعم، والمراد بالسؤال هنا (سؤال تعداد النعم، وإعلام بالامتنان بها، وإظهار الكرامة بإسباغها لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة)[2].

وأضاف النبي ﷺ قائلًا: «**أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتىٰ أصابكم هذا النعيم**»: جملة «**أخرجكم**» (جملة مستأنفة بيان لموجب السؤال عن النعيم، يعني: حيث كنتم محتاجين إلىٰ الطعام مضطرين إليه، فنلتم غاية مطلوبكم من الشبع والري، يجب أن تُسألوا، ويقال لكم: هل أديتم شكرها أم لا؟)[3].

٢ ـ عمر رضي الله عنه: «فلم أرَ عبْقَرِيًّا في الناس يَفْرِي فَرِيَّهُ»:

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**لقد كان فِيمَا قَبْلَكُمْ من**

---

(١) السابق (٨/ ١٤٥).

(٢) شرح السيوطي علىٰ مسلم (٥/ ٨٣).

(٣) تحفة الأحوذي (٧/ ٣٠).

الأُمَمِ ناس مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ في أُمَّتِي أَحَدٌ فإنه عُمَرُ»، زَادَ زَكَرِيَّاءُ بن أبي زَائِدَةَ عن سَعْدٍ عن أبي سَلَمَةَ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال النبي ﷺ: **«لقد كان فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ من بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ من غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ من أُمَّتِي منهم أَحَدٌ فَعُمَرُ»**[(١)].

ـ عن سَالِمِ بن عبد اللهِ عن عبد اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: **«رأيت الناس مُجْتَمِعِينَ في صَعِيدٍ، فَقَامَ أبو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أو ذَنُوبَيْنِ، وفي بَعْضِ نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ له، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ بيده غَرْبًا، فلم أَرَ عَبْقَرِيًّا في الناس يَفْرِي فَرِيَّهُ، حتىٰ ضَرَبَ الناس بِعَطَنٍ»**[(٢)].

ـ عن أبي أُمَامَةَ بن سَهْلٍ، أَنَّهُ سمع أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يقول: قال رسول اللهِ ﷺ: **«بَيْنَا أنا نَائِمٌ، رأيت الناس يُعْرَضُونَ عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، منها ما يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا ما دُونَ ذلك، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ»**، قالوا: فما أَوَّلْتَ ذلك يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: **«الدِّينَ»**[(٣)].

ـ عن حَمْزَةَ بن عبد اللهِ بن عُمَرَ، أَنَّ ابن عُمَرَ قال: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: **«بَيْنَا أنا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حتىٰ إني لَأَرَىٰ الرِّيَّ يَخْرُجُ في أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بن الْخَطَّابِ، قالوا: فما أَوَّلْتَهُ يا رَسُولَ اللهِ، قال: الْعِلْمَ»**[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) كتاب فضائل الصحابة، بَاب مَنَاقِبِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ، ومسلم (٢٣٩٨) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، والترمذي (٣٦٩٣) كتاب المناقب، باب في مناقب عمر.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٣) كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم (٣٦٣٣) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣) كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلم (٢٣٩٠) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر.

(٤) أخرجه البخاري (٨٢) كتاب العلم، بَاب فَضْلِ الْعِلْمِ، ومسلم (٢٣٩١) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، والترمذي (٣٦٨٧) كتاب المناقب، باب في مناقب عمر.

- عن سَعِيدِ بنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رسول اللهِ ﷺ إِذْ قال: «**بَيْنَا أنا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي في الْجَنَّةِ، فإذا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إلىٰ جَانِبِ قَصْرٍ، فقلت: لِمَنْ هذا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بن الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا**» فَبَكَىٰ عُمَرُ، وقال: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يا رَسُولَ اللهِ[1].

- عن مُحَمَّدِ بن سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ عن أبيه قال: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ علىٰ رسول اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ من قُرَيْشٍ، يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ علىٰ صَوْتِهِ، فلما اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ له رسول اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، فقال عُمَرُ: أَضْحَكَ الله سِنَّكَ يا رَسُولَ اللهِ، فقال النبي ﷺ: «**عَجِبْتُ من هَؤُلَاءِ اللَّاتي كُنَّ عِنْدِي، فلما سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ**»، فقال عُمَرُ: فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قال عُمَرُ: يا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي ولا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقُلْنَ: نعم أنت أَفَظُّ وَأَغْلَظُ من رسول اللهِ ﷺ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**إِيهًا يا ابن الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بيده، ما لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إلا سَلَكَ فَجًّا غير فَجِّكَ**»[2].

- عن عَبْدِ اللهِ بن هِشَامٍ قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ، فقال له عُمَرُ: يا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ من كل شَيْءٍ إلا من نَفْسِي، فقال النبي ﷺ: «**لا وَالَّذِي نَفْسِي بيده، حتىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ من نَفْسِكَ**»، فقال له عُمَرُ: فإنه الْآنَ والله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ من نَفْسِي، فقال النبي ﷺ: «**الْآنَ يا عُمَرُ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٢) كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، ومسلم (٢٣٩٥) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، وابن ماجة (١٠٧) باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٨) كتاب فضائل الصحابة، بَاب مَنَاقِبِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ، ومسلم (٢٣٩٦) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٣٢) كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين رسول الله ﷺ.

ـ عن زَيْدِ بن أَسْلَمَ عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يَسِيرُ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بن الْخَطَّابِ يَسِيرُ معه لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ عن شَيْءٍ، فلم يُجِبْهُ رسول اللهِ ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ فلم يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فلم يُجِبْهُ، فقال عُمَرُ بن الْخَطَّابِ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا عُمَرُ، نَزَرْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذلك لَا يُجِيبُكَ، قال عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ في قُرْآنٌ، فما نَشِبْتُ أَنْ سمعت صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، قال: فقلت: لقد خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ في قُرْآنٌ، وَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عليه، فقال: **«لقد أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إلي مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ»**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١][1].

ـ عن عبد اللهِ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَأَىٰ حُلَّةَ سِيَرَاءَ تُبَاعُ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ لو ابْتَعْتَهَا، فلبستها لِلْوَفْدِ إذا أَتَوْكَ وَالْجُمُعَةِ، قال: **«إنما يَلْبَسُ هذه من لا خَلَاقَ له»** وَأَنَّ النبي ﷺ بَعَثَ بَعْدَ ذلك إلىٰ عُمَرَ حُلَّةَ سِيَرَاءَ حريرًا، كَسَاهَا إِيَّاهُ، فقال عُمَرُ: كَسَوْتَنِيهَا، وقد سَمِعْتُكَ تَقُولُ فيها ما قُلْتَ، فقال: **«إنما بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِتَبِيعَهَا أو تَكْسُوَهَا»**[2].

ـ عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قال: لَمَّا تُوفي عبد اللهِ بن أُبَيٍّ جاء ابْنُهُ عبد اللهِ بن عبد اللهِ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فيه، ثُمَّ قام يُصَلِّي عليه، فَأَخَذَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ بِثَوْبِهِ، فقال: تُصَلِّي عليه وهو مُنَافِقٌ، وقد نهاكَ الله أَنْ تَسْتَغْفِرَ لهم، قال: **«إنما خَيَّرَني الله ـ أو أخبرني ـ فقال:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٧٧) كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، والترمذي (٣٢٦٢) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الفتح.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٤١) كتاب اللباس، باب الحرير للنساء، ومسلم بنحوه (٢٠٦٨) كتاب اللباس والزينة، باب تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ علىٰ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَخَاتَمِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ علىٰ الرَّجُلِ وَإِبَاحَتِهِ لِلنِّسَاءِ، وأبو داود (٤٠٤٠) كتاب اللباس، باب ما جاء في لُبْسِ الْحَرِيرِ.

لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]» فقال: «**سَأَزِيدُهُ علىٰ سَبْعِينَ**» قال: فَصَلَّىٰ عليه رسول اللهِ ﷺ، وَصَلَّيْنا معه، ثُمَّ أَنْزَلَ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤][1].

- عن سَلَمَةَ رضي الله عنه قال: خَفَّتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ، وَأَمْلَقُوا، فَأَتَوْا النبي ﷺ في نَحْرِ إِبِلِهِمْ، فَأَذِنَ لهم، فَلَقِيَهُمْ عُمَرُ فَأَخْبَرُوهُ، فقال: ما بَقَاؤُكُمْ بَعْدَ إِبِلِكُمْ؟ فَدَخَلَ علىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، ما بَقَاؤُهُمْ بَعْدَ إِبِلِهِمْ؟ فقال رسول اللهِ ﷺ: «**نَادِ في الناس فَيَأْتُونَ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ**» فَبُسِطَ لِذَلِكَ نِطَعٌ، وَجَعَلُوهُ علىٰ النِّطَعِ، فَقَامَ رسول اللهِ ﷺ فَدَعَا، وَبَرَّكَ عليه، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِأَوْعِيَتِهِمْ، فَاحْتَثَىٰ الناس حتىٰ فَرَغُوا، ثُمَّ قال رسول اللهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله، وأني رسول اللهِ**»[2].

- عن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ، حَتَّىٰ وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الْحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّىٰ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «**تَشْهَدُ أني رَسُولُ اللهِ**» فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أني رَسُولُ اللهِ، فَرَفَضَهُ وَقَالَ: «**آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ**» فَقَالَ لَهُ: «**مَاذَا تَرَىٰ؟**» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ**»، ثُمّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إني قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا**» فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ: «**اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**»، فَقَالَ عُمَرُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٢) كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾، ومسلم (٢٧٧٤) كِتَاب صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٨٤) كِتَاب الشَّرِكَةِ، بَاب الشَّرِكَةِ في الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالْعُرُوضِ، ومسلم (٢٧) كتاب الإيمان، باب الدَّلِيلِ علىٰ أَنَّ من مَاتَ علىٰ التَّوْحِيدِ دخل الْجَنَّةَ قَطْعًا.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ**»[(١)].

ـ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: إني لَوَاقِفٌ في قَوْمٍ، فَدَعَوا اللهَ لِعُمَرَ بن الْخَطَّابِ، وقد وُضِعَ علىٰ سَرِيرِهِ، إذا رَجُلٌ من خَلْفِي، قد وَضَعَ مِرْفَقَهُ علىٰ مَنْكِبِي، يقول: رَحِمَكَ الله إن كنت لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ الله مع صَاحِبَيْكَ، لِأني كَثِيرًا مما كنت أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**كنت وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» فَإِنْ كنت لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ الله مَعَهُمَا، فَالْتَفَتُّ، فإذا هو عَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ[(٢)].

❁ ❁ ❁

هو عمر بن الخطاب (بن نفيل بن عبد العزىٰ بن رياح بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي، أبو حفص القرشي العدوي الفاروق، أسلم في السنة السادسة من النبوة، وله سبع وعشرون سنة)[(٣)].

وكان إسلامه فارقًا بين الحق والباطل، إذ عزَّ به الإسلام وظهر.

وهو من السابقين الأولين، ومن العشرة المشهود لهم بالجنة، وثاني الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، وهو من كبار علماء الصحابة، ورواة الحديث عن رسول الله ﷺ.

سئل النبي ﷺ عن أحب الناس إليه بعد عائشة وأبيها، فقال: «**عمر بن الخطاب**». وربما كانت كلمة حب تقصر عن وصف العلاقة بين الرسول ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٤) كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، ومسلم (٢٩٣٠) كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، وأبو داود (٤٣٢٩) كتاب الملاحم، بَاب في خَبَرِ ابن صَائِدٍ، والترمذي (٢٢٤٩) كتاب الفتن، باب ما جاء في ذكر ابن صائد.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٧) كتاب فضائل الصحابة، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا.

(٣) تاريخ الخلفاء (١/ ١٠٨).

وعمر، لقد كان تلاقيًا كاملًا في الرؤىٰ والأهداف والأفكار والمشاعر.

ما كان النبي ﷺ يفكر في أمر إلا وجد عمر يعرض عليه الحل، ويقدم له المشورة، وما كان رسول الله ﷺ يهم بفعل إلا وجد عمر إلىٰ جواره يعينه عليه، ما تخلف عن غزوة ولا سريَّة غزاها رسول الله ﷺ، وكان سيفه المسلط علىٰ رقاب أعداء الدين منذ أعزَّ الله به الإسلام، كما كان صوته الصادع بالحق مذ فرق الله به بين الحق والباطل، وزلزل به أفئدة الكافرين والمنافقين.

وكان عمر أجرأ الناس علىٰ رسول الله، وأكثرهم مراجعة له فيما يراه حقًّا، وأشدهم طاعة وخضوعًا وانصياعًا له فيما سوىٰ ذلك.

وصفه رسول الله ﷺ بأنه (مُحدَّث)، واختُلف في تأويل المحدَّث، فقيل (ملهم، قاله الأكثر، قالوا: المحدَّث بالفتح هو الرجل الصادق الظن، وهو من أُلقي في رُوعه شيء من قبل الملأ الأعلىٰ، فيكون كالذي حدَّثه غيره به، وبهذا جزم أبو أحمد العسكري، وقيل: من يجري الصواب علىٰ لسانه من غير قصد، وقيل: مكلَّم: أي تكلمه الملائكة بغير نبوة)[1].

ورآه النبي في رؤيا يسقي الناس، فتتحول الدلو الصغيرة في يده إلىٰ دلو عظيمة، فيرتوي الناس وينعمون، ويهنؤون. وفي ذلك إشارة إلىٰ خلافته الزاهرة التي استقرت فيها بلاد الإسلام، وامتدت الفتوحات، وكثر الخير، وعمَّ العدل.

وعُرض عمر علىٰ رسول الله ﷺ في رؤيا أخرىٰ يلبس قميصًا يجره، في حين كان الآخرون يُعرضون وعليهم قُمُصٌ قصيرة منها ما يبلغ الثُّدِي، ومنها ما دون ذلك، فأوَّله رسول الله ﷺ بكمال الدين.

وفي رؤيا أخرىٰ أتي النبي ﷺ بقدح لبن فشرب حتىٰ ارتوىٰ، ثم أعطىٰ فضله لعمر، وأوَّله الرسول بالعلم.

---

(١) فتح الباري (٧/ ٥٠).

وبينما النبي نائم رأىٰ نفسه في الجنة، ورأىٰ امرأة تتوضأ إلىٰ جوار قصر، فسأل عن صاحب القصر، فقيل له: عمر، فولَّىٰ مسرعًا لما يعلم من غيرته.

علىٰ أن عمر كان يحب الرسول ﷺ أكثر من نفسه، ولم يكن يخشىٰ شيئًا أشد من غضب رسول الله ﷺ عليه، سار مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ليلًا، فسأله عن شيء فلم يجبه الرسول ﷺ، ثم سأله ثانية فلم يجبه، ثم سأله ثالثة فلم يجبه، فقال عمر: (ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك)، ثم انطلق ببعيره أمام المسلمين، وهو يخشىٰ أن يكون قد أغضب رسول الله ﷺ، فينزل فيه قرآن، وما لبث النبي أن دعاه فقال له: «**لقد أُنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس**» ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح: ١].

وكان عمر شديدًا في الحق مُهابًا، استأذن علىٰ رسول الله ﷺ يومًا، وكان عنده نساء من قريش يكلمنه، ويجادلنه، ويتبسطن معه، فلما سمعن صوت عمر خفضن أصواتهن وأسرعن إلىٰ حجابهن، فضحك النبي ﷺ، وقال له: «**إيهًا يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا قط إلا سلك فجًّا غير فجك**».

وحين مات عبد الله بن أبيٍّ، وقام رسول الله ﷺ يصلي عليه أخذ عمر بثوبه، وقال له: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما خيرني ربي**» يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠]. فقال: «**سأزيده علىٰ السبعين**».

وصلىٰ الرسول علىٰ الرجل، غير أن القرآن وافق عمر، ونزلت الآيات تنهىٰ النبي عن الصلاة علىٰ المنافقين، ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ [التوبة: ٨٤].

وأجدب الناس حينًا وأملقوا، فجاؤوا النبي، واستأذنوه في نحر إبلهم التي يركبونها، ويستقون من ألبانها، فأَذِن لهم، ثم لقيهم عمر فأخبروه، فأسرع إلىٰ النبي ﷺ يقول له: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد إبلهم؟

فأمره الرسول ﷺ أن ينادي في الناس أن يأتوا بما بقي من أزوادهم ـ وهو قليل ـ فأتىٰ الناس بما بقي عندهم، ووضعوه علىٰ نطع، وقام النبي ﷺ فدعا عليه وبرَّك، ثم أمرهم أن يأتوا بأوعيتهم، ويحتثوا فملأ كل منهم وعاءه حتىٰ فرغوا، فقال النبي ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله**».

وخرج عمر مع رسول الله ﷺ يومًا في جماعة يتفقدون ابن صياد، وقد حدَّث البعض أنه الدجال، لما رأوا من تحقق بعض الآيات فيه، فوجدوه يلعب مع الصبيان، وكان قد قارب الحُلُم، فحاوره الرسول ﷺ ليتحقق من أمره، وكان مما اختبره به أن قال له: «**إني قد خبأت لك خبيئًا**»، فقال ابن صياد: هو الدُّخ، أراد سورة الدخان، فهو (لم يهتد من الآية التي أضمرها النبي إلا لهذا اللفظ الناقص علىٰ عادة الكهان)[1]، فصاح به النبي ﷺ: «**اخسأ فلن تعدو قدرك**»، فتضاءل ابن صياد، وقام عمر يستأذن الرسول ﷺ في ضرب عنقه، فأبىٰ عليه الرسول ذلك.

لقد كان عمر نعم الرفيق لصاحبيه في الدنيا، وكان يرجو أن يظل في صحبتهما عند الموت فلم يحرمه الله من هذه الصحبة، ودفن إلىٰ جوارهما.

قال علي بن أبي طالب، وقد وضع عمر بن الخطاب علىٰ سريره: رحمك الله، إن كنت أرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**كنت وأبو بكر وعمر... وفعلت وأبو بكر وعمر... وانطلقت وأبو بكر وعمر...**» فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما.

❁ ❁ ❁

(١) عون المعبود (١١/ ٢٢٣).

قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**»: تقدم الخبر شبه الجملة «**فيما**»، و«**في أمتي**» ليدلا علىٰ التخصيص، وجاء الاسم المتأخر: «**ناس**»، «**أحد**» بصيغة التنكير ليوحي بقلة عدد هؤلاء المحدَّثين.

في الأحاديث الثلاثة التالية ثلاث صور من صور الاستعارة التمثيلية جاءت في رؤىٰ منامية للنبي ﷺ:

الصورة الأولىٰ: شُبهت فيها خلافة أبي بكر، التي لم تدم أكثر من سنتين، وانشغل فيها أبو بكر بحروب الردة، ولم يقبضه الله إليه حتىٰ تم فتح بعض بلاد فارس والشام - بسقيِ الناس ذنوبًا أو ذنوبين، وبنزع ضعيف، وشُبهت خلافة عمر وما أجرىٰ الله علىٰ يديه من خير وفير، وفتح كبير، بسقيِ الناس بدلو عظيمة حتىٰ رووا، وضربوا بأعطانهم، وهي صورة حيّة عامرة بالحركة، مستوحاة من البيئة، موحية بالخير والبركة.

وفي الكلام كنايتان: الأولىٰ قوله: «**فلم أر عبقريًّا يفري فريه**» وهي كناية عن إجادة العمل وإتقانه.

و«**عبقري**» نسبه إلىٰ عبقر، وهو (موضع تزعم العرب بأنه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته وقوته)[1].

و«**يفري**» أي يقطع، و«**فَرِيَّهُ**» يروي بوجهين: (أحدهما (فَرْيَهُ) بإسكان الراء، وتخفيف الياء، والثانية كسر الراء، وتشديد الياء، وهما لغتان صحيحتان)[2].

والكناية الثانية هي قوله: «**ضرب الناس بعطن**» وهي كناية عن الري والراحة، والعطن هو مبرك الإبل حول الماء.

---

(١) مختار الصحاح (١/ ١٧٢).

(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٥/ ١٦٢).

الصورة الثانية: استعارة تمثيلية أخرىٰ شبه فيها النبي ﷺ كمال دين عمر وتمامه بلُبس قميص طويل يجرُّ علىٰ الأرض، كما شبه نقصان الدين بلُبس قميص لا يجاوز الثديين أو دون ذلك، والصورة مناسبة لمجتمع المسلمين الحديث الناشئ الذي كان الحصول فيه علىٰ قميص يستر عورة المرء نعمة يغبطه الناس عليها.

الصورة الثالثة: شُبه فيها العلم بقدح من لبن يشربه رسول الله ﷺ حتىٰ الري، فذلك علمُه المتكامل، ويشرب عمر فضلة رسول الله ﷺ، فيُنقل إليه علم كثير من علم رسول الله ﷺ.

وفي قوله ﷺ: «**حتىٰ إني لأرىٰ الري يخرج من أظفاري**» كناية عن تمام العلم وكماله، وفيه أيضًا استعارة مكنية شبه الري فيها بشيء مادي يُرىٰ، ويخرج من الأظفار، وقوله: «**أرىٰ الري**» من قبيل تراسل الحواس.

قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلىٰ جانب قصر**»: «**رأيتُني في الجنة**» الرؤيا حقيقية لأن رؤيا الأنبياء حق، والنبي لم يشبه، ولم يورِّ، ومباشرة التعبير تدل علىٰ أنه رأىٰ الجنة مرارًا، ويعرفها حق المعرفة «**فإذا امرأة تتوضأ...**» إذا الفجائية، وزعم ابن قتيبة وابن بطال أن كلمة (تتوضأ) بها تصحيف، وأنها في الأصل (شوهاء)، أي: حسنة رائعة؛ (لأن الحور طاهرات، ولا وضوء عليهن، فكذلك كل من دخل الجنة لا يلزمه طهارة ولا عبادة) [١].

ويرد ذلك أنه وإن لم يكن أهل الجنة مكلفين، فإنه (يجوز أن يصدر عن أحد من أهل الجنة عبادة باختياره) [٢].

وفوق ذلك فإن الوضوء قد لا يكون للطهارة، وإنما لزيادة الحسن

(١) عمدة القاري (٢٠/ ٢١٠).
(٢) السابق، الموضع نفسه.

والبهاء، وغني عن البيان أن المرأة إذا كانت تتوضأ فإنها تحتاج للستر، فقد يبدو منها ما لا ينبغي لغير محارمها رؤيته، ولعل ذلك ما دعا رسول الله ﷺ إلىٰ أن يولِّيَ مدبرًا.

وذكر المرأة والقصر من لوازم نعيم الجنة ومتعها.

قال النبي ﷺ: «**إيهًا يا ابن الخطاب**»: و(إيهًا) اسم فعل أمر بمعنىٰ كفَّ، فإذا بنيت علىٰ الكسر أو نونت (إيهِ إيهٍ) فهي بمعنىٰ زد[1].

والمراد منها التعجب من شأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولذلك أتبعها بقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجك**»: وهو كناية عن هيبة الشيطان لعمر، وتجنبه مواجهته.

قال النبي ﷺ لعمر: «**لا، والذي نفسي بيده، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك**».

وفي الكلام حذف معلوم من الكلام السابق، وتقديره: لا يتحقق حبك، ولا يكتمل إيمانك حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك.

فلما قال عمر: فإنه الآن والله، لأنت أحب إلي من نفسي، قال رسول الله ﷺ: «**الآن يا عمر**»: وهنا حذف أيضًا تقديره: الآن يا عمر تم إيمانك.

قال رسول الله ﷺ لعمر: «**لقد أُنزلت علي الليلة سورة، لهي أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس**»: و«**مما طلعت عليه الشمس**» كناية عما فوق الأرض، من متاع الدنيا وزينتها.

وقال النبي ﷺ يصف حلة حريرية: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له**»: و«**من لا خلاق له**» أي من لا حظ ولا نصيب له من الخير في الآخرة.

ثم قال لعمر: «**إنما بعثت إليك لتبيعها أو تكسوها**»

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٧٣).

وهو أسلوب قصر بإنما لإرادة الحصر والتوكيد، وتكرار القصر بإنما لدفع الشبهة والتوهم.

قال ﷺ: «**إنما خيرني الله ـ أو: أخبرني ـ فقال:** ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ **الآية** [التوبة: ٨٠]»

وعلىٰ الروايتين (خيرني) أو (أخبرني)، فإنه أراد أن ينفي وقوع النهي، ولم يكن النهي قد تحقق بعد، ولذا قال: «**سأزيده علىٰ سبعين**»، وفي رواية أخرىٰ للبخاري وغيره: «**لو أعلم إني إن زدت علىٰ السبعين يغفر له، لزدت عليها**»(١).

قال الرسول ﷺ لعمر: «**ناد في الناس، فيأتون بفضل أزوادهم**»: وقوله: «**في الناس**» يعني عموم مَنْ وُجد في ذلك الموقف، والفاء في «**فيأتون**» للسرعة.

و(فضل الأزواد) ما تبقىٰ منها.

ثم قال رسول الله ﷺ عندما حلت البركة في الأزواد القليلة:

«**أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أني رسول الله**»: والنطق بالشهادتين في ذلك الموضع تعبير عن شكر الله وحمده علىٰ النعمة والمعجزة التي أجراها الله علىٰ يدي رسوله.

قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «**تشهد أني رسول الله**»: استفهام محذوف الأداة، وهو يناسب مفاجأة النبي لابن صياد، لمحاولة التعرف علىٰ حقيقة أمره.

وسأل ابن صياد رسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «**آمنت بالله وبرسله**» وتكرار حرف الجر (وبرسله) للتأكيد، ولا سيما أن السؤال كان عن الرسل.

أراد عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه أن يضرب عنق ابن صياد،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٦)، (٤٦٧١).

فقال له الرسول ﷺ: «**إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله**».

وهما جملتان شرطيتان بينهما مقابلة معنوية، والجواب في كلٍ مقترن بالفاء وجوبًا، والضمير في (يكنه)، و(عليه)، عائد على الدجال، وفي (قتله) عائد على ابن صياد.

قال علي بن أبي طالب: كثيرًا مما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**كنت وأبو بكر وعمر... وفعلت وأبو بكر وعمر... وانطلقت وأبو بكر وعمر...**».

والعبارات توحي بمكانة أبي بكر وعمر العظيمة لدى رسول الله ﷺ، إذ يعطفهما مباشرة على نفسه الشريفة في فعل واحد، ولم ينل هذه الحظوة من الصحابة أحد غيرهما.

والقائل هو عليٌّ الذي زعم الرافضة أن الصاحبين سلباه حقه في الخلافة، وكتما ما عهد إليه به رسول الله ﷺ من الوصاية.

وأثيرت في هذه التعابير قضية عطف الاسم الظاهر على الضمير المتصل المرفوع بلا حائل، قال ابن حجر:

(قوله: «**كنت وأبو بكر وعمر**» قال ابن التين: الأحسن عند النحاة أن لا يعطف على الضمير المرفوع إلا بعد تأكيده، حتى قال بعضهم: إنه قبيح، لكن يرد عليهم قوله تعالى: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وأجيب بأنه وقع الحائل، وهو قوله: (لا)، وتُعُقب بأن العطف قد حصل قبل (لا)، قال: ويرد عليهم أيضًا هذا الحديث)[(١)].

قال ابن مالك في ألفيته:

وإن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل

---

(١) فتح الباري (٧/ ٤٠).

أو فاصل ما وبلا فصل ورد   في النظم فاشيًا وضعفه اعتقد

وهو وإن أوجب الفصل، إلا أنه صرح بورود العطف بلا فاصل كثيرًا في الشعر.

وقال ابن عقيل: (وقد ورد ذلك في النثر قليلًا، حكىٰ سيبويه رحمه الله تعالىٰ: مررت برجل سواء والعدمُ، برفع العدم بالعطف علىٰ الضمير المستتر في سواء)[١].

٣ ـ مع عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ألا أَسْتَحِي من رَجُلٍ تَسْتَحِي منه الْمَلائِكَةُ»:

ـ عن يحيىٰ بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ، أَنَّ سَعِيدَ بن الْعَاصِ أخبره أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النبي ﷺ، وَعُثْمَانَ ـ حَدَّثَاهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ علىٰ رسول اللهِ ﷺ وهو مُضْطَجِعٌ علىٰ فِرَاشِهِ، لَابِسٌ مِرْطَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ وهو كَذَلِكَ، فَقَضَىٰ إليه حَاجَتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ له وهو علىٰ تِلْكَ الْحَالِ، فَقَضَىٰ إليه حَاجَتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ، قال عُثْمَانُ: ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عليه فَجَلَسَ، وقال لِعَائِشَةَ: «**اجْمَعِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ**» فَقَضَيْتُ إليه حَاجَتِي، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فقالت عَائِشَةُ: يا رَسُولَ اللهِ، مَالِي لم أَرَكَ فَزِعْتَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، كما فَزِعْتَ لِعُثْمَانَ؟ قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حِيِيٌّ، وَإِني خَشِيتُ إن أَذِنْتُ له علىٰ تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لا يَبْلُغَ إِلَيَّ في حَاجَتِهِ**»[٢].

ـ عن عَطَاءٍ وَسُلَيْمَانَ ابْنَيْ يَسَارٍ، وَأَبِي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن أَنَّ عَائِشَةَ قالت: كان رسول اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا في بَيْتِي، كاشِفًا عن فَخِذَيْهِ أو سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أبو بَكْرٍ، فَأَذِنَ له، وهو علىٰ تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ،

---

(١) شرح ابن عقيل (٣/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٢) كتاب الفضائل، باب من فَضَائِلِ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رضي الله عنه.

فَأَذِنَ له وهو كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رسول اللهِ ﷺ، وَسَوَّىٰ ثِيَابَهُ، قال مُحَمَّدٌ: ولا أَقُولُ ذلك في يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فلما خَرَجَ قالت عَائِشَةُ: دخل أبو بَكْرٍ فلم تَهْتَشَّ له، ولم تُبَالِهِ، ثُمَّ دخل عُمَرُ، فلم تَهْتَشَّ له، ولم تُبَالِهِ، ثُمَّ دخل عُثْمَانُ، فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ، فقال: **«ألا أَسْتَحِي من رَجُلٍ تَسْتَحِي منه الْمَلَائِكَةُ»**[1].

ـ عن قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُمْ أَنَّ النبي ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بهم، فقال: **«اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»**[2].

❁ ❁ ❁

عثمان بن عفان (هو عثمان بن عفان بن العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه: أروىٰ بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي، وأمها: أم حكيم بنت عبد المطلب)[3].

زوَّجه رسول الله ﷺ ابنته رقية، فلما ماتت زوجه أختها أم كلثوم، فحاز بذلك فضلين، ولقب بذي النورين.

ولد في السنة السادسة من الفيل، وكان من السابقين إلىٰ الإسلام، وهاجر الهجرتين إلىٰ الحبشة والمدينة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة (وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن)[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١) كتاب الفضائل، باب من فَضَائِلِ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) كتاب فضائل الصحابة،بَابَ قَوْلِ النبي ﷺ لو كنت مُتَّخِذًا خَلِيلًا، وأبو داود (٤٦٥١) كتاب السنة، باب في الخلفاء، والترمذي (٣٦٩٧) كتاب المناقب، بَاب في مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٦٩٢).

(٤) تاريخ الخلفاء (١/ ١٤٨).

وهو ثالث الخلفاء الراشدين (استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحىٰ سنة خمس وثلاثين، فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة، وعمره ثمانون عامًا، وقيل أكثر، وقيل أقل)[١].

كان عثمان ماضيًا علىٰ سَنَن النبي في الحياء، وصفه النبي بالحييِّ، وكان إذا دخل عليه عثمان تَهيأ لدخوله، وأزال كل ما من شأنه أن يثير حياءه، فيمنعه من تبليغ حاجته إلىٰ النبي ﷺ. قال النبي ﷺ: «**إن عثمان رجل حييٌّ**».

كما كان عثمان ذا وقار وعفاف وهيبة، جلس النبي ﷺ عند عائشة مضجعًا كاشفًا عن ساقيه فاستأذن عليه كلٌ من أبي بكر وعمر، فأذن لهما، وهو علىٰ حاله تلك، ثم استأذن عثمان فجلس النبي ﷺ، وسوَّىٰ من ثيابه، فعجبت السيدة عائشة وسألته عن ذلك فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**».

وكان من أهل السخاء والكرم، اشترَىٰ بئر رومة وجعلها للمسلمين، واشترى موضع خمس سوارٍ (جمع سارية، وهي عمود المسجد)، فزاده في مسجد رسول الله ﷺ، وجهز جيش العسرة في غزوة تبوك.

تنبأ النبي ﷺ له بالشهادة، إذ صعد النبي يومًا علىٰ أحد، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «**اثبت أحد فإنما عليك نبيٌّ وصديق وشهيدان**».

❁ ❁ ❁

* قال النبي ﷺ لعائشة، وهو يأذن لعثمان بالدخول عليه: «**اجمعي عليك ثيابك**» والعبارة كناية عن ستر العورة، واتخاذ أسباب الحشمة والتصون.

وبرر لزوجه هذا الأمر فقال: «**إن عثمان رجل حيي**» وهي جملة اسمية

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٣٨٥).

مثبتة مؤكدة بإن، ثم قال ﷺ: «**وإني خشيت إن أذنت له علىٰ تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته**».

وفي العبارة تأكيد علىٰ فهم النبي ﷺ لنفوس أصحابه، وخِلالهم، ومعاملة كل واحد منهم بما يلائمه، دون أن يميز أحدهم علىٰ الآخر.

وأجاب النبي ﷺ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حين عجبت من حيائه من عثمان: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟**».

والاستفهام غرضه التقرير، وقوله: «**تستحي منه الملائكة**» كناية عن التعظيم والإجلال.

وقال النبي ﷺ لجبل أحد وهو يرتجف به، وبأصحابه الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان): «**اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**».

وعنىٰ بالنبي نفسه، وبالصديق أبا بكر، وبالشهيدين عمر وعثمان.

وقوله: «**اثبت أحد**» أمر حقيقي للجبل، وإن حملناه علىٰ المجاز فغرضه المناشدة، وأحد: منادىٰ محذوف الأداة بغرض التقرب والتحبب.

«**فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»: التعبير عن الواقفين علىٰ الجبل بصفاتهم لا بأسمائهم تكريم لهم، وبيان لمكانتهم، وتعليل لطيف للأمر بالثبوت.

٤ ـ مع الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وإن حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بن الْعَوَّامِ»:

ـ عن جَابِرِ بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: نَدَبَ النبي ﷺ الناس ـ قال صَدَقَةُ: أَظُنُّهُ يوم الْخَنْدَقِ ـ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَ الناس، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَ الناس، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وإن حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بن الْعَوَّامِ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٧) كتاب الجهاد والسير، باب هل يبعث الطليعة وحده؟، =

ـ عن عبد اللهِ بن الزُّبَيْرِ قال: كنت يوم الْأَحْزَابِ جُعِلْتُ أنا وَعُمَرُ بن أبي سَلَمَةَ في النِّسَاءِ، فَنَظَرْتُ، فإذا أنا بِالزُّبَيْرِ علىٰ فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إلىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثًا، فلما رَجَعْتُ، قلت: يا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ، قال: أو هل رَأَيْتَنِي يا بُنَيَّ؟ قلت: نعم، قال: كان رسول اللهِ ﷺ قال: «**من يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ؟**» فَانْطَلَقْتُ، فلما رَجَعْتُ، جَمَعَ لي رسول اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ، فقال: «**فِدَاكَ أبي وَأُمِّي**»[(١)].

✽ ✽ ✽

الزبير بن العوام: هو (الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي بن كلاب الأسدي أبو عبد الله حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة، شهد بدرًا وما بعدها، وهاجر الهجرتين، وهو أول من سلَّ سيفًا في سبيل الله)[(٢)].

كان مقدامًا لا يهاب الردىٰ، ولا يخشىٰ بريق السيوف.

روىٰ أبو نعيم في الحلية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: (إن أول رجل سل سيفه الزبير بن العوام، سمع نفحة نفحها الشيطان: أُخِذَ رسول الله ﷺ، فخرج الزبير يشق الناس بسيفه، والنبي بأعلىٰ مكة، فلقيه فقال: «**مالك يا زبير؟**» قال: أُخبرت أنك أُخذت، قال: فصلىٰ عليه، ودعا له ولسيفه)[(٣)].

انتدب النبي يوم الأحزاب من يأتي بأخبار بني قريظة، فاختلف إليهم الزبير مرتين أو ثلاثة، فأتاه بأخبارهم، فجمع له الرسول أبويه قائلًا: «**فداك أبي وأمي**».

= ومسلم (٢٤١٥) كتاب الفضائل، باب من فضائل طلحة والزبير.

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢٠) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام، ومسلم (٢٤١٦) كتاب الفضائل، باب من فضائل طلحة والزبير.

(٢) تهذيب التهذيب (٣/ ٣٧٤).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٨٩).

وفي يوم الجمل خرج هو وطلحة وعائشة علىٰ عليٍّ، فقتله عمرو بن جرموز، وهو ابن سبع أو ست وستين سنة في جمادىٰ الأولىٰ أو الثانية (سنة ست وثلاثين من الهجرة، وقبره بوادي السباع ناحية البصرة)[١].

أوصىٰ ابنه عبد الله يوم الجمل بدَيْنه، فكان يقول له: (يا بني إن عجزت عن شيء فاستعن عليه بمولاي، قال: فوالله ما دريت ما أراد حتىٰ قلت: يا أبت، من مولاك؟ قال: الله، قال: فوالله ما وقعت في كربة من دَيْنه إلا قلت: يا مولىٰ الزبير، اقض دَيْنه، فيقضيه)[٢].

❁ ❁ ❁

قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل نبي حواريًّا، وإن حواري الزبير بن العوام**».

وتقدم شبه الجملة في الجملة الأولىٰ: (لكل) للتخصيص، وكلمة حواري مفرد حواريين، (وتأويل الحواريين في اللغة الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب، وكذلك الحواري من الدقيق سُمِّيَ به لأنه ينقىٰ من لباب البر، قال: وتأويله في الناس الذي قد روجع مرة بعد مرة فوُجد نقيًّا من العيوب، قال: وأصل التحوير في اللغة من: حار يحور، وهو الرجوع، والتحوير: الترجيع)[٣]، وقد كان يقال لأصحاب عيسىٰ عليه السلام الحواريون؛ (لأنهم كانوا يحورون الثياب ـ أي يبيضونها ـ، هذا هو الأصل، ثم قيل لكل ناصر حواريّ)[٤].

وكلمة «**حواريّ**» مضافة إلىٰ ياء المتكلم (لكنهم لما استثقلوا ثلاث ياءات، حذفوا ياء المتكلم، وأبدلوا من الكسرة فتحة)[٥].

---

(١) السابق، الموضع نفسه.
(٢) حلية الأولياء (١/ ٩١).
(٣) لسان العرب (٤/ ٢٢٠).
(٤) معجم مقاييس اللغة (٢/ ١١٦).
(٥) فيض القدير (٢/ ٥١٥).

وفي وصف الزبير رضي الله تعالىٰ عنه بالحواري تأكيد علىٰ مكانته الرفيعة عند رسول الله ﷺ، فقد انفرد بهذا الوصف بين صحابة رسول الله ﷺ، فلم يوصف به غيره.

انتدب النبي ﷺ أصحابه فقال: «**من يأت بني قريظة، فيأتيني بخبرهم؟**» والاستفهام غرضه الحث والاستنهاض.

ولما ذهب الزبير، فجاء بأخبار القوم قال له الرسول ﷺ: «**فداك أبي وأمي**» أي: أفتديك بأبي وأمي، وهي جملة خبرية إنشائية المعنىٰ غرضها الدعاء، وفي الجملة تقديم للخبر (فداك) علىٰ المبتدأ (أبي) بغرض القصر والحصر.

وفيها من معاني التكريم ما فيها، إذ نادرًا ما جمع الرسول أبويه لأحد علىٰ هذا النحو.

٥ ـ مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»:

ـ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها تَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَهِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: «**لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**» إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ[1].

وزاد في رواية: حتىٰ سمعنا غطيطه[2].

ـ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٥) كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو، ومسلم (٢٤١٠) كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقاص.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٣١) كتاب التمني، باب قول النبي: ليت كذا وكذا.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٠٥) كتاب الجهاد والسير، باب الْمِجَنِّ وَمَنْ يَتَّرِسُ بِتُرْسِ صَاحِبِهِ، ومسلم (٢٤١١) كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، والترمذي =

ـ عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودني وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ: لِي مَالٌ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: «**لَا**»، قُلْتُ: فَالشَّطْرِ؟ قَالَ: «**لَا**»، قُلْتُ: فَالثُّلُثِ؟ قَالَ: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، حَتَّىٰ اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ، وَلَعَلَّ اللهَ يَرْفَعُكَ، يَنْتَفِعُ بِكَ نَاسٌ، وَيُضَرُّ بِكَ آخَرُونَ**»[١].

❁ ❁ ❁

سعد بن أبي وقاص: (واسم أبي وقاص: مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. الأمير أبو إسحاق القرشي المكي أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدرًا والحديبية، وأحد الستة أهل الشورىٰ)[٢].

وكان سعد بن أبي وقاص خال رسول الله ﷺ يحب النبي ﷺ حبه لنفسه، ويبذل في سبيل دينه الغالي والنفيس، كان يحس بحاجات النبي دون أن يُبلَّغ بها، فيأتي ليلبي ما يتمنىٰ رسول الله ﷺ دون أن يستدعيه أحد، وكان رجل المهمات الصعبة الذي يثق فيه النبي ﷺ، ويقدر إمكاناته، ويعظّم قدره.

وهو أول من رمىٰ بسهم في الإسلام، فقد روىٰ ابن حبان وغيره عن إسماعيل بن قيس عن سعد قال: (والله إني لأول رجل من العرب رمىٰ بسهم في سبيل الله، وإن كنا لنغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحُبْلَة، وهذا السَّمُر، حتىٰ إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط، ثم

= (٢٨٢٩) كتاب الأدب، بَاب ما جاء في فِدَاكَ أبي وَأُمِّي.

(١) أخرجه البخاري (٥٣٥٤) كتاب النفقات، باب فضل النفقة علىٰ الأهل، وأبو داود (٢٨٦٤) كِتَاب الْوَصَايَا بَاب ما جاء في ما لَا يَجُوزُ لِلْمُوصِي في مَالِهِ، والنسائي (٣٦٢٧) كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٣).

أصبحت بنو أسد تعزرني على الدين، لقد خبت إذًا وضل عملي)[١].

تمنى النبي ذات ليلة رجلًا من أصحابه يحرسه، ولم يكد يتم قولته حتى سمعوا صوت قعقعة السلاح؛ فقيل: من هذا؟ قال: أنا سعد بن أبي وقاص، جئت أحرسك، وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] إذ لم يحرسه أحد بعدها.

وجمع النبي ﷺ لسعد أبويه يوم أحد، وهو يحثه على الرمي فقال له: «**ارم، فداك أبي وأمي**» وتلك من مناقب سعد ومفاخره العظمى.

ومرض سعد بمكة، فأتاه النبي ﷺ يعوده وظن سعد أنه لن يبرأ من مرضه ذلك، فقال للرسول ﷺ: لي مال، أوصي بمالي كله؟ فلم يأمره رسول الله بالوصية بماله كله، ولا بنصفه وإنما رضي بالثلث على كثرته، وبرر ذلك بقوله: «**أن تدع ورثتك أغنياء، خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس**».

ثم تنبأ الرسول بأن سعدًا سوف يشفى، وسوف ينتفع به ناس، ويضرُّ به آخرون.

وتحققت نبوءة الرسول، وتعافى سعد من مرضه ذاك، وعاش حتى شارك في الفتوحات، وقاد الغزوات، وانتفع به المسلمون، وتضرر منه المشركون.

❁ ❁ ❁

قال رسول الله ﷺ: «**ليت رجلًا من أصحابي صالحًا يحرسني الليلة**»: وقوله: «**رجلًا**» بصيغة التنكير لإرادة العموم، وتقديم شبه الجملة «**من أصحابي**» ليفصل بين المنعوت ونعته، للتخصيص، وجملة «**يحرسني**» جملة نعت في محل نصب، «**الليلة**» ظرف زمان منصوب، وفيه أن الحراسة المطلوبة ليست دائمة، وإنما هي مرتبطة بتلك الليلة فحسب.

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٩٨٩).

وقال النبي لسعد، وهو يأمره بعدم الإيصاء بأكثر من الثلث: «**أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم**».

يجوز أن تكون «**أن تدع**» بفتح الهمزة، وحينئذ فهي المصدرية للتعليل، ويجوز أن تكون «**إن تدع**» بكسر الهمزة، وهي الشرطية، (وقال القرطبي: لا معنىٰ للشرط هنا؛ لأنه يصير لا جواب له، ويبقىٰ (خير) لا رافع له، وقال ابن الجوزي: سمعناه من رواة الحديث بالكسر، وأنكره شيخنا عبد الله بن أحمد ـ يعني ابن الخشاب ـ وقال: لا يجوز الكسر؛ لأنه لا جواب له، لخلو لفظ (خير) من الفاء)[1]، وعلق العيني علىٰ هذا الرأي فقال: (هذا كلام ساقط من رجل ضابط، وقد قلنا: إن الفاء حذفت، وتقديره (فهو خير)، وحذف الفاء من الجزاء سائغ وشائع غير مختص بالضرورة)[2].

و«**عالة**» أي: فقراء، جمع عائل، و«**يتكففون**» أي يسألون الناس بأكفهم.

«**فهو لك صدقة**» كلمة صدقة مجاز مرسل علاقته السببية، فالمراد الثواب.

«**حتىٰ اللقمة**» المراد بـ(حتىٰ) المبالغة.

«**في في**» جناس تام.

قوله ﷺ: «**ينتفع بك ناس، ويُضر بك آخرون**» جملتان فعليتان مثبتتان، بينهما مقابلة توضح المعنىٰ وتؤكده، كما يجمع الجملتين ازدواج يخلع عليهما إيقاعًا، يأسر القارئ، ويدفعه للتأمل.

٦ ـ أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَإِنَّ أَمِينَنَا ـ أَيَّتُهَا الأُمَّةُ ـ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»

ـ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا**

---

(١) عمدة القاري (١٤/ ٣٤).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

ـ **أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ ـ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**»[١].

ـ عن حُذَيْفَةَ أَنَّ النبي ﷺ قال لِأَهْلِ نَجْرَانَ: «**لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**»، فَاسْتَشْرَفَ لها أَصْحَابُ النبي ﷺ، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ[٢].

❁ ❁ ❁

أبو عبيدة بن الجراح، هو (عامر بن عبد الله بن الجراح بن ربيعة بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر)[٣] أحد العشرة المبشرين بالجنة، اصطفاه رسول الله ﷺ من بين أصحابه ليعلق علىٰ صدره وسام الشرف والعز فيجعله أمين هذه الأمة.

قال النبي ﷺ لأهل نجران: «**لأبعثن إليكم رجلًا أمينًا حق أمين**» فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ كلهم يرجو أن يكون هو هذا الرجل، فاختص بها النبي ﷺ أبا عبيدة.

مات النبي ﷺ وهو عنه راضٍ، وخرج في فتوح الشام في خلافة أبي بكر وعمر، وكان أحد القادة المعلِّمين، وتوفي في طاعون عمواس بالشام سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقول الرسول الله ﷺ: «**إن لكل أمة أمينًا**» مقدمة تمهد للنتيجة التالية التي يريد رسول الله ﷺ أن يقررها، وهي قوله: «**وإن أميننا ـ أيتها الأمة ـ أبو عبيدة ابن الجراح**».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٤) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة، ومسلم (٢٤١٩) كتاب الفضائل، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٥٤) كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، ومسلم (٢٤٢٠) كتاب الفضائل، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح.

(٣) مشاهير الأمصار (١/ ٨).

والاعتراض بالنداء «**أيتها الأمة**» قُصد به التنبيه، والاختصاص، والتأكيد علىٰ انفراد أبي عبيدة بهذه المنزلة الرفيعة.

وقوله ﷺ لأهل نجران: «**لأبعثن إليكم رجلًا أمينًا حق أمين**»: جاءت العبارة فيه علىٰ طريقة رسول الله ﷺ في التشويق والإثارة، عندما ذكر الصفة وحجب اسم صاحبها، واستخدم الفعل المضارع المصدر بلام القسم والمختتم بنون التوكيد الثقيلة، ثم أكدَّ الجملة أيضا بنائب المفعول المطلق «**حق**».

ولذلك استشرف أصحاب رسول الله ﷺ لمعرفة صاحب هذه المكانة السامية، فكان أبا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٧ـ أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَإِنَّ هذا لَمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ بَعْدَهُ»:

ـ عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بَعَثَ النبي ﷺ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عليهم أُسَامَةَ ابن زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ الناس في إِمَارَتِهِ، فقال النبي ﷺ: «**إن تَطْعُنُوا في إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ في إِمَارَةِ أبيه من قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ، إن كان لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كان لَمِنْ أَحَبِّ الناس إلي، وَإِنَّ هذا لَمِنْ أَحَبِّ الناس إلي بَعْدَهُ**»[1].

ـ عن أُسَامَةَ بن زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَدَّثَ عن النبي ﷺ أَنَّهُ كان يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ فيقول: «**اللهم أَحِبَّهُمَا فَإِني أُحِبُّهُمَا**»[2].

ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ التي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فيها رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عليه إلا أُسَامَةُ بن زَيْدٍ حِبُّ رسول اللهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**أَتَشْفَعُ في حَدٍّ من حُدُودِ اللهِ؟**» ثُمَّ قام فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قال: «**إنما أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أنهم كَانُوا**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٠) كتاب المناقب، بَاب مَنَاقِبِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٣٥) كتاب المناقب، بَاب ذِكْرِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.

إذا سَرَقَ فيم الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عليه الْحَدَّ، وأيم اللهِ، لو أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[١].

❁ ❁ ❁

أسامة بن زيد بن حارثة، حِبُّ رسول الله ﷺ وابن حبه، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، توفي رسول الله ﷺ وله ثماني عشرة سنة، وكان النبي قد ولاه جيشًا فيه من كبار الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب، فطعن بعض الناس في إمارته، فدافع عنه النبي ﷺ، ولام طاعنيه، وأعلن أن أباه كان خليقًا بالإمارة، وأنه خليق بها، وأن أباه كان من أحب الناس إليه، وأن أسامة كذلك من أحب الناس إليه.

ومرض النبي فظل جيش أسامة رابضًا بالجرف في انتظار أوامره، لكن رسول الله ﷺ توفي، وخلَفَه أبو بكر، فكان من أول أعماله أنه أنفذ بعث أسامة.

ومن أمارات حب النبي ﷺ لأسامة أن قريشًا لما سرقت امرأة من بني مخزوم، وأرادوا أن يستشفعوا فيها إلىٰ رسول الله ﷺ ـ لم يجدوا من يقدموه لهذا الأمر سوىٰ أسامة قالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟

وقد أقسم رسول الله ﷺ وهو يؤكد جدارة زيد بالإمارة، فقال: **«وايم الله،**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) كتاب الأنبياء، حديث الغار، ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، وأبو داود (٤٣٧٣) كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه، والترمذي (١٤٣٠) كتاب الحدود، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود، والنسائي في المجتبىٰ (٤٨٩٩) كتاب قطع السارق، باب ذِكْرُ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِخَبَرِ الزُّهْرِيِّ في الْمَخْزُومِيَّةِ التي سَرَقَتْ، وابن ماجة (٢٥٤٧) كتاب الحدود، باب الشفاعة في الحدود.

إنْ كان لخليقًا للإمارة»: **وقوله: «ايم الله»** (الهمزة فيه للوصل، وهو اسم وضع للقسم، أو هو جمع يمين، وحذف منه النون، وعند الفراء وابن كيسان ألفه ألف القطع، وقال الجوهري: ربما حذفوا الياء فقالوا: أم الله، وربما أبقوا الميم مضمومة، فقالوا: أمُ الله)[(١)].

«**إنْ كان**»: «إنْ» المخففة من الثقيلة: والواضح من القسم، ومن توالي التوكيد بإن «**إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده**» أن رسول الله ﷺ كان غاضبًا مما أثير حول إمارة أسامة، ولذا جاءت لهجته مؤكدة سريعة حاسمة قاطعة.

وقوله ﷺ لأسامة: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟**»: استفهام غرضه الإنكار.

أما قوله: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» فخصَّ الرسول ﷺ فاطمة بالذكر (لأنها أعز أهله عنده، فأراد المبالغة في تثبيت إقامة الحد علىٰ كل مكلف، وترك المحاباة في ذلك)[(٢)].

٨ ـ بلال بن رباح رضي الله عنه: «فَإني سمعت دَفَّ نَعْلَيْكَ بين يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»:

ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَىٰ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا مَا وَارَىٰ إِبْطُ بِلَالٍ**»[(٣)].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النبي ﷺ قال لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: «**يا بِلَالُ**

---

(١) عمدة القاري (٢٣/ ١٦٧).

(٢) عون المعبود (١٢/ ٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٧٢) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجة (١٥١) باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل بلال.

حَدِّثْنِي بِأَرْجَىٰ عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإِسْلَامِ، فَإِني سمعت دَفَّ نَعْلَيْكَ بين يَدَيَّ في الْجَنَّةِ» قال: ما عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَىٰ عِنْدِي، أني لم أَتطَهَّرْ طَهُورًا في سَاعَةِ لَيْلٍ أو نهارٍ، إلا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ، قال أبو عَبْد اللهِ: دَفَّ نَعْلَيْكَ: يَعْنِي تَحْرِيكَ[1].

ـ عن عبد اللهِ الْهَوْزني قال: لَقِيتُ بِلَالًا مُؤَذِّنَ رسول اللهِ ﷺ بِحَلَبَ، فقلت: يا بِلَالُ، حَدِّثْنِي كَيْفَ كانت نَفَقَةُ رسول اللهِ ﷺ، قال: ما كان له شَيْءٌ، كنت أنا الذي أَلِي ذلك منه مُنْذُ بَعَثَهُ الله إلىٰ أَنْ تُوفي، وكان إذا أَتَاهُ الْإِنْسَانُ مُسْلِمًا فَرَآهُ عَارِيًا، يَأْمُرني فَأَنْطَلِقُ، فأستقرض، فَأَشْتَرِي له الْبُرْدَةَ، فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ، حتىٰ اعْتَرَضَنِي رَجُلٌ من الْمُشْرِكِينَ، فقال: يا بِلَالُ إِنَّ عِنْدِي سَعَةً، فلا تَسْتَقْرِضْ من أَحَدٍ إلا مِنِّي، فَفَعَلْتُ، فلما أَنْ كان ذَاتَ يَوْم تَوَضَّأْتُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأُؤَذِّنَ بِالصَّلَاةِ، فإذا الْمُشْرِكُ قد أَقْبَلَ في عِصَابَةٍ من التُّجَّارِ، فلما أَنْ رَآنِي، قال: يا حَبَشِيُّ، قلت: يا لَبَّاهُ، فَتَجَهَّمَنِي، وقال لي قَوْلًا غَلِيظًا، وقال لي: أَتَدْرِي كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّهْرِ؟ قال: قلت قَرِيبٌ، قال: إنما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَرْبَعٌ، فَآخُذُكَ بِالَّذِي عَلَيْكَ، فَأَرُدُّكَ تَرْعَىٰ الْغَنَمَ كما كُنْتَ قبل ذلك، فَأَخَذَ في نَفْسِي ما يَأْخُذُ في أَنْفُسِ الناس، حتىٰ إذا صَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ، رَجَعَ رسول اللهِ ﷺ إلىٰ أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ عليه، فَأَذِنَ لي، فقلت: يا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أنت وَأُمِّي، إِنَّ الْمُشْرِكَ الذي كنت أَتَدَيَّنُ منه قال لي كَذَا وَكَذَا، وَلَيْسَ عِنْدَكَ ما تَقْضِي عَنِّي، ولا عِنْدِي، وهو فَاضِحِي، فَأْذَنْ لي أَنْ آبَقَ إلىٰ بَعْضِ هَؤُلَاءِ الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ قد أَسْلَمُوا، حتىٰ يَرْزُقَ الله رَسُولَهُ ﷺ ما يَقْضِي عَنِّي، فَخَرَجْتُ حتىٰ إذا أَتَيْتُ مَنْزِلِي، فَجَعَلْتُ سَيْفِي وَجِرَابِي وَنَعْلِي وَمِجَنِّي عِنْدَ رَأْسِي، حتىٰ إذا انْشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ أَرَدْتُ أَنْ أَنْطَلِقَ، فإذا إِنْسَانٌ يَسْعَىٰ يَدْعُو: يا بِلَالُ، أَجِبْ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٩) أبواب التهجد، باب فَضْلِ الطُّهُورِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفَضْلِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْوُضُوءِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهار.

رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ حتىٰ أَتَيْتُهُ، فإذا أَرْبَعُ رَكَائِبَ مُنَاخَاتٌ، عَلَيْهِنَّ أَحْمَالُهُنَّ، فَاسْتَأْذَنْتُ، فقال لي رسول اللهِ ﷺ: «**أَبْشِرْ فَقَدْ جَاءَكَ الله بِقَضَائِكَ**» ثُمَّ قال: «**أَلَمْ تَرَ الرَّكَائِبَ الْمُنَاخَاتِ الْأَرْبَعَ؟**» فقلت: بَلَىٰ، فقال: «**إِنَّ لك رِقَابَهُنَّ وما عَلَيْهِنَّ، فإن عَلَيْهِنَّ كِسْوَةً وَطَعَامًا أَهْدَاهُنَّ إلي عَظِيمُ فَدَكَ، فَاقْبِضْهُنَّ، وَاقْضِ دَيْنَكَ**» فَفَعَلْتُ، فذكر الحديث، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إلىٰ الْمَسْجِدِ، فإذا رسول اللهِ ﷺ قَاعِدٌ في الْمَسْجِدِ، فَسَلَّمْتُ عليه، فقال: «**ما فَعَلَ ما قِبَلَكَ**» قلت: قد قَضَىٰ الله كُلَّ شَيْءٍ كان علىٰ رسول اللهِ ﷺ، فلم يَبْقَ شَيْءٌ، قال: «**أَفَضَلَ شَيْءٌ**» قلت: نعم، قال: «**انْظُرْ أَنْ تُرِيحَنِي منه، فَإِني لَسْتُ بِدَاخِلٍ علىٰ أَحَدٍ من أَهْلِي حتىٰ تُرِيحَنِي منه**» فلما صلىٰ رسول اللهِ ﷺ الْعَتَمَةَ دَعَاني فقال: «**ما فَعَلَ الذي قِبَلَكَ؟**» قال: قلت: هو مَعِي، لم يَأْتِنَا أَحَدٌ، فَبَاتَ رسول اللهِ ﷺ في الْمَسْجِدِ، وَقَصَّ الحديث، حتىٰ إذا صلىٰ الْعَتَمَةَ - يَعْنِي من الْغَدِ - دَعَاني، قال: «**ما فَعَلَ الذي قِبَلَكَ؟**» قال: قلت قد أَرَاحَكَ الله منه يا رَسُولَ اللهِ، فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللهَ، شَفَقًا من أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ وَعِنْدَهُ ذلك، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ، حتىٰ إذا جاء أَزْوَاجَهُ فَسَلَّمَ علىٰ امْرَأَةٍ امْرَأَةٍ، حتىٰ أتىٰ مَبِيتَهُ، فَهَذَا الذي سَأَلْتَنِي عنه[1].

❁ ❁ ❁

بلال بن رباح، (القرشي التيمي، مولاهم المؤذن أبو عبد الله، أبو عبد الرحمن، وقيل غير ذلك في كنيته، وهو ابن حمامة، وهي أمه، أسلم قديمًا، وعُذِّب في الله، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وسكن دمشق)[2].

كان من أقرب الناس إلىٰ النبي ﷺ، حتىٰ إن النبي ﷺ قرنه بنفسه وهو يتحدث عن الأذىٰ الذي لحق به، والجوع الذي عانىٰ منه، فقال ﷺ: «**ولقد**

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٥٥) كتاب الخراج والأمارة والفيء، بَاب في الْإِمَامِ يَقْبَلُ هَدَايَا الْمُشْرِكِينَ.

(٢) تهذيب التهذيب (١/ ٤٤١).

أتت عليّ ثالثة، ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما وارىٰ إبط بلال».

كان بلال يقوم علىٰ نفقة النبي ﷺ، فيقترض بأمر النبي لينفق علىٰ المحتاجين من المسلمين فيكسوهم ويطعمهم، واقترض يومًا من مشرك، فلم يمهله، وأتاه يطلب دَيْنه، وهدده وتوعده، فاستأذن بلال رسول الله في أن يفرَّ إلىٰ بعض من أسلم من قبائل العرب حتىٰ يأذن الله بالفرج، وبينما هو يعد العدة لمغادرة المدينة، إذ أتىٰ مالٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقضىٰ الله به هذا الدَيْن، وأمر رسول الله بلالًا بأن يتصدق بما بقي، فلا يبيتن في أبيات رسول الله ﷺ منه شيء.

سمع النبي حركة نعلي بلال في الجنة بين يديه، فسأله عن أفضل عمل عمله في الإسلام استحق به هذا الفضل، فذكر أنه ما تطهر يومًا، إلا صلىٰ من النافلة بذلك الطهور ما شاء الله له أن يصلي.

وقول رسول الله ﷺ: «**لقد أُوذيت في الله، وما يُؤذَىٰ أحد، ولقد أُخفت في الله، وما يُخاف أحد**»: فيه ازدواج يصنع إيقاعًا طريفًا يساهم في توضيح المعنىٰ، واستخدام الأفعال المبنية للمجهول يوحي بكثرة الإيذاء، وشدته، وتواصله.

وقوله ﷺ: «**ولقد أتت عليّ ثالثة، ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما وارىٰ إبط بلال**»: عيَّن فيه بلالًا؛ لأنه هو الذي كان يلي نفقة رسول الله ﷺ، وقوله: «**ذو كبد**» كناية عن كل كائن حي، و«**ما وارىٰ إبط بلال**» كناية عن الشيء اليسير.

وقول الرسول ﷺ لبلال: «**... فإني سمعت دف نعليك في الجنة**»: هو كناية عن سير بلال في الجنة، وكونه من أهلها، والصورة الواقعية الجميلة تحملنا إلىٰ سهول الجنة وهضابها، فنشاهد بلالًا رضي الله عنه، وهو يمشي بين أشجارها وأنهارها، ونسمع خشخشة أوراق الجنة وهي تتكسر تحت قدميه، وصوت

نعليه وهما يدفان بين يدي رسول الله ﷺ.

وقول النبي ﷺ لبلال وهو يطلب منه أن يتصدق بما بقي عنده من مال: **«انظر أن تريحني منه، فإني لست بداخل علىٰ أحد من أهلي حتىٰ تريحني منه»**

فيه ما يشعر بأن للمال ثقلًا علىٰ نفس رسول الله ﷺ، فهو يطلب من بلال أن يريحه منه، ويظل في المسجد لا يقرب بيوته حتىٰ ينبئه بلال بأن الله قد أراحه منه.

٩ ـ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ»:

ـ عن عبد اللهِ قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ إلىٰ آخِرِ الْآيَةِ [المائدة: ٩٣]، قال لي رسول اللهِ ﷺ: **«قِيلَ لي أنت منهم»**(١).

ـ عن عبد اللهِ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: **«اقْرَأْ عَلَيَّ»** قال: قلت أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قال: **«إني أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ من غَيْرِي»** قال: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ، حتىٰ إذا بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [المائدة: ٤١] قال لي: كُفَّ أو أَمْسِكْ، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ(٢).

ـ عن عبد اللهِ قال: قال لي رسول اللهِ ﷺ: **«إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابَ، وَأَنْ تَسْتَمِعَ سوادي حتىٰ أنهاكَ»**(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٩) كتاب فضائل الصحابة، باب من فَضَائِلِ عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ وَأُمِّهِ رضي الله تَعَالَىٰ عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٥) كتاب فضائل القرآن، بَاب الْبُكَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، ومسلم (٨٠٠) باب فضائل القرآن وما يتعلق به، فَضْلِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ وَطَلَبِ الْقِرَاءَةِ من حافظ لِلِاسْتِمَاعِ وَالْبُكَاءِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّدَبُّرِ، وأبو داود (٣٦٦٨) كتاب العلم بَاب في الْقَصَصِ، والترمذي (٣٠٢٥) أبواب تفسير القرآن، سورة النساء، وابن ماجة (٤١٩٤) كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٦٩) كتاب السلام باب جَوَازِ جَعْلِ الْإِذْنِ رَفْعَ حِجَابٍ أَوْ نَحْوَهُ مِنَ =

عبد الله بن مسعود (بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس أبو عبد الرحمن الهذلي، وأمه أم عبد بنت عبد بن سواء من هذيل أيضًا، لها صحبة. أسلم بمكة قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وكان صاحب نعل رسول الله ﷺ) [(١)].

لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٩٣] قال رسول الله ﷺ لابن مسعود: «**قيل لي أنت منهم**» أي: من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومعناه أن النبي ﷺ أُوحِي إليه بذلك.

وطلب رسول الله ﷺ من ابن مسعود أن يقرأ عليه شيئًا من القرآن، فسأله مندهشًا: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ فأجابه النبي ﷺ: «**إني أشتهي أن أسمعه من غيري**»، فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتىٰ إذا بلغ قوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال له النبي ﷺ: «**كفَّ**» أو: «**أمسك**»، فالتفت ابن مسعود إلىٰ النبي ﷺ فوجد عينيه تَهملان بالدمع.

وفي قول النبي ﷺ لابن مسعود: «**إني أشتهي أن أسمعه من غيري**» يبدو الفعل: «**أشتهي**» في العبارة لافتًا للنظر، إذ الشهوة تختلف عن الإرادة والهوىٰ والحب والعشق، لأنها كما يقول أبو هلال العسكري: (تختص بنيل المستلذات)[(٢)]، فالكلمة توحي بأن النبي ﷺ كان يستمتع ويستلذ بسماع

= الْعَلَامَاتِ، وابن ماجة (١٣٩) باب في فضائل أصحاب الرسول، فضل عبد الله بن مسعود.

(١) تهذيب التهذيب (٦/ ٢٥).

(٢) انظر: معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (١/ ٥٦٢).

القرآن.

وكان ابن مسعود وأمه يدخلان على رسول الله كثيرًا حتى ظن بعض الصحابة أنهما من أهل بيت رسول الله، وقد أذن رسول الله لابن مسعود في أن يدخل عليه إذا رفع الحجاب، وأن يسمع كلامه الخفي إلا أن ينهاه عن ذلك، وحَسْبُ ابن مسعود رضي الله عنه بذلك منزلةً ومكانةً عند رسول الله ﷺ.

١٠ ـ عثمان بن مظعون رضي الله عنه: «أَتَعَلَّمُ بها قَبْرَ أَخِي، وَأَدْفِنُ إليه من مَاتَ من أَهْلِي».

ـ عن عَائِشَةَ أَنَّ النبي ﷺ بَعَثَ إلى عُثْمَانَ بن مَظْعُونٍ فَجَاءَهُ، فقال: «**يا عُثْمَانُ، أَرَغِبْتَ عن سُنَّتِي؟**»، قال: لَا والله يا رَسُولَ اللهِ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قال: «**فَإِنِي أَنَامُ وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللهَ يا عُثْمَانُ، فإن لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ**»[(١)].

ـ عن الْمُطَّلِبِ قال: لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بن مَظْعُونٍ أُخْرِجَ بِجَنَازَتِهِ فَدُفِنَ، أمر النبي ﷺ رَجُلًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ، فلم يَسْتَطِعْ حَمْلَهُ، فَقَامَ إِلَيْهَا رسول اللهِ ﷺ، وَحَسَرَ عن ذِرَاعَيْهِ، قال كَثِيرٌ: قال الْمُطَّلِبُ: قال الذي يُخْبِرني ذلك عن رسول اللهِ ﷺ: قال: كَأَنِي أَنْظُرُ إلى بَيَاضِ ذِرَاعَيْ رسول اللهِ ﷺ حين حَسَرَ عنهما، ثُمَّ حَمَلَهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وقال: «**أَتَعَلَّمُ بها قَبْرَ أَخِي، وَأَدْفِنُ إليه من مَاتَ من أَهْلِي**»[(٢)].

ـ عن خَارِجَةَ بن زَيْدِ بن ثَابِتٍ، أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ ـ امْرَأَةً من الْأَنْصَارِ بَايَعَتْ النبي ﷺ ـ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً، فَطَارَ لنا عُثْمَانُ بن مَظْعُونٍ،

---

(١) أبو داود (١٣٦٩) كتاب الصلاة باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٠٦) كتاب الجنائز بَاب في جَمْعِ الْمَوْتَى في قَبْرٍ وَالْقَبْرُ يُعَلَّمُ.

فَأَنْزَلْنَاهُ في أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الذي تُوفي فيه، فلما تُوفي وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ في أَثْوَابِهِ، دخل رسول اللهِ ﷺ، فقلت: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادتي عَلَيْكَ لقد أَكْرَمَكَ الله، فقال النبي ﷺ: «**وما يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟**»، فقلت: بِأَبِي أنت يا رَسُولَ اللهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ الله؟ فقال: «**أَمَّا هو فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، والله إني لَأَرْجُو له الْخَيْرَ، والله ما أَدْرِي ـ وأنا رسول اللهِ ـ ما يُفْعَلُ بِي**»، قالت: فَوَاللهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا[1].

❁ ❁ ❁

عثمان بن مظعون، هو (عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب الجمحي، أبو السائب)[2].

أسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا، وهاجر الهجرتين، وتوفي بعد بدر، وكان من العابدين المجتهدين حتىٰ إنه استأذن رسول الله ﷺ في الخصاء والتبتل؛ ليتفرغ للعبادة والجهاد، فلم يأذن له.

مات ابن مظعون في دار أحد الأنصار بعد مرض قصير، فدخل رسول الله ﷺ عليه، فسمع صاحبة الدار تقول: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فأنكر رسول الله ﷺ تزكيتها له، وقال: «**أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري ـ وأنا رسول الله ـ ما يفعل بي**».

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ أمر رجلًا بعد دفن ابن مظعون أن يأتي بحجر فلم يستطع الرجل حمله، فقام الرسول ﷺ بنفسه، وكشف عن ذراعيه حتىٰ رأىٰ الراوي بياض ذراعي رسول الله، ثم حمل الحجر، ووضعه عند

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٣) كتاب الجنائز، بَاب الدُّخُولِ عَلَىٰ الْمَيِّتِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِذَا أُدْرِجَ في أَكْفَانِهِ.
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ١٥٣).

رأس عثمان بن مظعون ليعلِّم به قبره، ويدفن إلىٰ جواره من شاء من أهله.

(ورُوي من مراسيل عبيد الله بن رافع قال: أول من دفن ببقيع الغرقد عثمان بن مظعون، فوضع رسول الله ﷺ عند رأسه حجرًا، وقال: «**هذا قبر فرطنا**»)[١].

وقول النبي ﷺ لعثمان بن مظعون ـ في الحديث ـ حين رغب في التبتل: «**يا عثمان، أرغبت عن سنتي؟**» النداء فيه للتنبيه، والاستفهام للإنكار.

وقوله ﷺ بعد وفاة عثمان بن مظعون: «**أما هو فقد جاءه اليقين**» اليقين كناية عن الموت، وهي توحي بحتمية الموت وانتفاء الريبة في حدوثه.

ثم أقسم ﷺ قسمين فقال: «**والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري ـ وأنا رسول الله ﷺ ـ ما يُفعل بي**» وتكرار القسم للتأكيد، وفي الجملة الأولىٰ أمنيَّة فيها معاني الدعاء، وفي الثانية تخوُّف يحمل معاني الرجاء.

أما قوله ﷺ حين وضع حجرًا كبيرًا عند رأس عثمان بن مظعون بعد دفنه: «**أتعلَّم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي**».

فالفعل: «**أتعلَّم**» أي: أتعرَّف، وسمَّىٰ ابن مظعون أخًا تشريفًا له وتكريمًا، وفي العبارة نبرة حزن واضحة، يوحي بها حرصه ﷺ علىٰ تعليم القبر، والعزم علىٰ دفن من يموت من الأهل إلىٰ جواره.

١١ ـ أبي بن كعب رضي الله عنه: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ»:

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قال لِأُبَيِّ بن كَعْبٍ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ**»، قال: آللهُ سَمَّانِي لك؟ قال: «**نعم**» قال: وقد ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ قال: «**نعم**»، فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ[٢].

---

(١) السابق (١/ ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦١) كتاب التفسير، باب سورة لم يكن، ومسلم (٧٩٩) باب فضائل القرآن وما يتعلق به، اسْتِحْبَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ علىٰ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْحُذَّاقِ فيه.

أبيُّ بن كعب، هو (أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر، سيد القراء، ويكنىٰ أبا الطفيل أيضًا، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافًا كثيرًا: قيل سنة تسع عشرة، وقيل سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك)[١].

قال له رسول الله ﷺ: «**إن الله قد أمرني أن أقرئك القرآن**» فاندهش أبيٌّ، وتساءل ـ وهو لا يملك نفسه من الفرحة: آلله سمّاني لك؟ وقد ذكرت عند رب العالمين؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فذرفت عيناه.

والتعبير بالفعل «**أمرني**» يشير إلىٰ عظم قدر أُبيٍّ عند ربه الذي وصل إلىٰ حد أن الله جَلَّ وَعَلَا يأمر نبيه ﷺ أن يُقرئ أبيًّا القرآن.

١٢ ـ زيد بن ثابت رضي الله عنه: «إني والله ما آمَنُ يَهُودَ على كِتَابي»:

عن خَارِجَةَ ـ يَعْنِي ابن زَيْدِ بن ثَابِتٍ ـ قال: قال زَيْدُ بن ثَابِتٍ: أَمَرَني رسول اللهِ ﷺ، فَتَعَلَّمْتُ له كِتَابَ يَهُودَ، وقال: «**إني والله ما آمَنُ يَهُودَ علىٰ كِتَابِي**» فَتَعَلَّمْتُهُ، فلم يَمُرَّ بِي إلا نِصْفُ شَهْرٍ حتىٰ حَذَقْتُهُ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ له إذا كَتَبَ، وَأَقْرَأُ له إذا كُتِبَ إليه[٢].

❁ ❁ ❁

زيد بن ثابت، هو (زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو ابن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، أبو سعيد، ويقال: أبو خارجة المدني، قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن إحدىٰ عشرة سنة، وكان يكتب الوحي)[٣].

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤٥)، كتاب العلم بَاب: رِوَايَةِ حديث أَهْلِ الْكِتَابِ، والترمذي (٢٧١٥) كتاب الاستئذان باب تعليم السريانية.

(٣) تهذيب التهذيب (٣/ ٣٤٤).

كان من الراسخين في العلم، وأصحاب الفتوىٰ، والعلم بالفرائض.

وبلغ من فطنته، وحدة ذكائه، أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم له لغة يهود، لأنه لا يأمنهم علىٰ كتبه، فيخاف إن أمر يهوديًّا بكتابة كتاب إلىٰ يهود، أو قراءة كتاب جاء منهم أن يحرِّف فيه، فتعلم زيد لغتهم في خمسة عشر يومًا، وصار يكتب لرسول الله إذا كَتَبَ، ويقرأ له إذا كُتب إليه.

قال رسول الله ﷺ لزيد بن ثابت: «**إني والله ما آمن يهود علىٰ كتابي**».

والجملة الاسمية مؤكدة بإن، وبالقسم، والمراد بالكتاب ما يرسله الرسول، وما يتلقاه من كتب، وفي الجملة ما يشير إلىٰ أخلاق اليهود الذميمة من خيانة وفساد، وتحريف للحق وإعمال للباطل.

١٣ ـ أنس بن مالك رضي الله عنه: «اللهم ارْزُقْهُ مَالاً وَوَلَدًا، وَبَارِكْ له»:

ـ عن أَنَسٍ رضي الله عنه، دخل النبي ﷺ علىٰ أُمِّ سُلَيمٍ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قال: «**أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ في سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ في وِعَائِهِ، فَإِني صَائِمٌ**» ثُمَّ قام إلىٰ نَاحِيَةٍ من الْبَيْتِ، فَصَلَّىٰ غير الْمَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فقالت أُمُّ سُلَيْمٍ: يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لي خُوَيْصَّةً، قال: «**ما هِيَ؟**» قالت: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فما تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ، ولا دُنْيَا، إلا دَعَا لي بِهِ، قال: «**اللهم ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ له**» فَإِني لَمِنْ أَكْثَرِ الْأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ، أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ الْبَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ[1].

ـ عن أَنَسِ بن مَالِكٍ، أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ، فَأَكَلَ منه، ثُمَّ قال: «**قُومُوا فَأُصَلِّيَ لَكُمْ**». قال أَنَسُ بن مَالِكٍ: فَقُمْتُ إلىٰ حَصِيرٍ لنا قد اسْوَدَّ من طُولِ ما لُبِسَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ عليه رسول اللهِ ﷺ، وَصَفَفْتُ أنا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزُ من وَرَائِنَا، فَصَلَّىٰ لنا رسول اللهِ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٢) كتاب الصوم، بَاب مَنْ زَارَ قَوْمًا فَلَمْ يُفْطِرْ عِنْدَهُمْ.

رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ[١].

❁ ❁ ❁

أنس بن مالك، هو (أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري، أبو حمزة المدني، نزيل البصرة، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، وأمه: أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام. خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، مدة مقامه بالمدينة)[٢].

دعا له النبي فقال: «**اللهم ارزقه مالًا وولدًا، وبارك له**» فأصابته دعوة النبي، فكان من أكثر الأنصار مالًا وولدًا.

وكان رسول الله ﷺ يكثر من الدخول علىٰ أمه وجدته، فيصلي لهم من غير المكتوبة ليبارك لهم مكانهم، ويدعو لهم بكل خير.

قال رسول الله ﷺ لأم سليم: «**أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه؛ فإني صائم**».

وفي العبارة سجع طبيعي، وازدواج ذو إيقاع جميل، وتفصيل طريف يشير إلىٰ أن رسول الله ﷺ يحب أن يوضع كل شيء في موضعه، إذ كان يكفيه ﷺ لو أراد أن يقول: أعيدوا سمنكم وتمركم.

١٤ـ معاذ بن جبل رضي الله عنه: «والله إني لأُحِبُّكَ»:

عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بيده، وقال: «**يا مُعَاذُ، والله إني**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠) كتاب الصلاة، بَاب الصَّلَاةِ علىٰ الْحَصِيرِ، ومسلم (٦٥٨) كتاب المساجد، بَاب جَوَازِ الْجَمَاعَةِ في النَّافِلَةِ وَالصَّلَاةِ علىٰ حَصِيرٍ وَخُمْرَةٍ وَثَوْبٍ وَغَيْرِهَا من الطَّاهِرَاتِ، وأبو داود (٦١٢)كتاب الصلاة، بَاب إذا كَانُوا ثَلَاثَةً كَيْفَ يَقُومُونَ، والترمذي (٢٣٤) كتاب أبواب الصلاة، بَاب ما جاء في الرَّجُلِ يُصَلِّي وَمَعَهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، والنسائي في المجتبىٰ (٨٠١) كتاب الإمامة، باب إذا كَانُوا ثَلَاثَةً وَامْرَأَةً.

(٢) تهذيب الكمال (٣/ ٣٥٣).

لَأُحِبُّكَ، والله إني لَأُحِبُّكَ»، فقال: «أُوصِيكَ يا مُعَاذُ، لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كل صَلَاةٍ تَقُولُ: اللهم أَعِنِّي علىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(١).

۞ ۞ ۞

معاذ بن جبل، هو (معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم ابن الخزرج، السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البدري، شهد العقبة شابًّا أمرد، وله عدة أحاديث)(٢).

كان أعلم الناس بالحلال والحرام، ولَّاه النبي اليمن في حياته، وكان يثق به ويحبه، قال له رسول الله ﷺ: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك**».

والنداء للتلطف والتحبب، والقسم والتكرار للتوكيد؛ وهو بيان واضح لمنزلة معاذ عند رسول الله ﷺ، وفيه إشارة إلىٰ قلب النبي ﷺ الكبير الذي يتسع لجميع أصحابه، بل يتسع لأمته وللعالم بأسره.

ثم أوصاه ألا يدع في دُبُر كل صلاة أن يقول: «**اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

١٥ ـ ثوبان رضي الله عنه: «وَأَتَكَفَّلُ له بالْجَنَّةِ»:

عن ثَوْبَانَ قال ـ وكان ثَوْبَانُ مولىٰ رسول اللهِ ﷺ ـ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**من يَكْفُلُ لي أَنْ لا يَسْأَلَ الناس شيئًا، وَأَتَكَفَّلُ له بِالْجَنَّةِ؟**» فقال ثَوْبَانُ: أنا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شيئًا(٣).

۞ ۞ ۞

---

(١) أبو داود (١٥٢٢) كتاب الصلاة، باب الاستغفار.
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤٤).
(٣) أبو داود (١٦٤٣) كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة.

ثوبان، هو (مولىٰ رسول الله ﷺ، صحابي مشهور يقال: إنه من العرب، حكمي من حكم بن سعد حمير، وقيل من السراة، اشتراه ثم أعتقه رسول الله ﷺ، فخدمه إلىٰ أن مات، ثم تحول إلىٰ الرملة، ثم حمص، ومات بها سنة أربع وخمسين)[١].

قال رسول الله ﷺ: «**من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا، وأتكفل له الجنة؟**» فقال ثوبان: أنا، فعاش ثوبان حياته كلها لا يسأل أحدًا شيئًا.

والاستفهام في قول الرسول ﷺ للتشويق والإثارة، و«مَنْ» تفيد العموم، والمراد بالسؤال التعرض للناس بالمسألة، وعظم المكافأة لمن يترك هذا العمل يدل علىٰ استهجانه وقبحه، والتشنيع علىٰ فاعله، وقد وردت أحاديث كثيرة بذلك.

١٦ ـ عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»:

ـ عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في سَفَرٍ، فَكُنْتُ علىٰ بَكْرٍ صَعْبٍ لِعُمَرَ، فكَانَ يَغْلِبُنِي، فيَتَقَدَّمُ أَمَامَ الْقَوْمِ، فيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ، فقال النبي ﷺ لِعُمَرَ: «بِعْنِيهِ»، قال: هو لك يا رَسُولَ اللهِ، قال: «بِعْنِيهِ» فَبَاعَهُ من رسول اللهِ ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**هو لك يا عَبْدَ اللهِ بن عُمَرَ تَصْنَعُ بِهِ ما شِئْتَ**»[٢].

ـ عن قَزَعَةَ قال: قال لي ابن عُمَرَ: هَلُمَّ أُوَدِّعْكَ كما وَدَّعَنِي رسول اللهِ ﷺ: «**أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**»[٣].

---

(١) الإصابة (١/ ٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢١١٥) كتاب البيوع، بَاب إذا اشْتَرَىٰ شيئًا فَوَهَبَ من سَاعَتِهِ قبل أَنْ يَتَفَرَّقَا.

(٣) أبو داود (٢٦٠٠) كتاب الجهاد، باب في الدعاء عند الوداع.

عبد الله بن عمر بن الخطاب (القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني، أسلم قديمًا مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه، وقدمه في ثقله، واستُصغر يوم أحد، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وهو شقيق حفصة أم المؤمنين، أمهما زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون)[1].

كان في سفر مع النبي ﷺ، وكان يركب جملًا فتيًّا صعبًا لعمر، فكان يغلبه، ويتقدم القوم، فيزجره عمر ويرده، ثم يعود فيتقدم تارة أخرىٰ، فيزجره عمر ويرده. فلما رأىٰ النبي ذلك، أراد أن يُسَرِّي عن ابن عمر، ويرفع عنه الحرج، فطلب من عمر أن يبيعه هذا الجمل، فقال عمر: هو لك يا رسول الله، كأنه يهبه إياه، فقال الرسول ﷺ: «**بعنيه**»، فباعه منه، فقال الرسول ﷺ لابن عمر: «**هو لك يا عبد الله بن عمر تصنع به ما شئت**».

وكان رسول الله ﷺ يودع ابن عمر إذا سافر فيقول له: «**أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**».

وقوله: «**أستودع**» هو (طلب حفظ الوديعة، وفيه نوع مشاكلة للتوديع)[2].

وطلب استيداع الدِّين في السفر (لأن السفر؛ لمشقته وخوفه قد يصير سببًا لإهمال بعض أمور الدِّين)[3]، والأمانة فيما يمارسه المرء من أخذ وعطاء ومعاملة في السفر، وخواتيم العمل تعني أنه (إذا انقلب إلىٰ أهله يكون مأمون العاقبة عما يسوؤه في الدين والدنيا)[4].

١٧ ـ أبو هريرة رضي الله عنه: «بَقِيتُ أنا وَأَنْتَ»:

ـ عن مُجَاهِدٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كان يقول: آللهِ الذي لَا إِلَهَ إلا هو، إن كنت

(١) تهذيب الكمال (١٥/ ٣٣٣).

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٨٤).

(٣) مرقاة المفاتيح (٥/ ٣٤٧).

(٤) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٨٤).

لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي علىٰ الأرض من الْجُوعِ، وَإِنْ كنت لَأَشُدُّ الْحَجَرَ علىٰ بَطْنِي من الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا علىٰ طَرِيقِهِمْ الذي يَخْرُجُونَ منه، فَمَرَّ أبو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عن آيَةٍ من كِتَابِ اللهِ، ما سَأَلْتُهُ إلا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ ولم يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عن آيَةٍ من كِتَابِ اللهِ، ما سَأَلْتُهُ إلا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ ولم يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أبو الْقَاسِمِ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حين رَآنِي، وَعَرَفَ ما في نَفْسِي وما في وَجْهِي، ثُمَّ قال: «**يا أَبَا هِرٍّ**»، قلت: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**الْحَقْ**» وَمَضَىٰ، فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فأستأذن، فَأَذِنَ لي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا في قَدَحٍ، فقال: «**من أَيْنَ هذا اللَّبَنُ؟**» قالوا: أَهْدَاهُ لك فُلَانٌ أو فُلَانَةُ، قال: «**أَبَا هِرٍّ**»، قلت: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**الْحَقْ إلىٰ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَادْعُهُمْ لي**»، قال: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ علىٰ أَهْلٍ ولا مَالٍ ولا علىٰ أَحَدٍ، إذا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بها إِلَيْهِمْ، ولم يَتَنَاوَلْ منها شيئًا، وإذا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ منها، وَأَشْرَكَهُمْ فيها، فَسَاءَنِي ذلك، فقلت: وما هذا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كنت أَحَقُّ أنا أَنْ أُصِيبَ من هذا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّىٰ بها، فإذا جاء أَمَرَني، فَكُنْتُ أنا أُعْطِيهِمْ، وما عَسَىٰ أَنْ يَبْلُغَنِي من هذا اللَّبَنِ، ولم يَكُنْ من طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوتهم، فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لهم، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ من الْبَيْتِ، قال: «**يا أَبَا هِرٍّ**»، قلت: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**»، قال: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حتىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حتىٰ يروي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَيَشْرَبُ حتىٰ يروي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حتىٰ انْتَهَيْتُ إلىٰ النبي ﷺ، وقد روىٰ الْقَوْمُ كلهم، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ علىٰ يَدِهِ، فَنَظَرَ إليّ فَتَبَسَّمَ، فقال: «**أَبَا هِرٍّ**»، قلت: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**بَقِيتُ أنا وَأَنْتَ**»، قلت: صَدَقْتَ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**اقْعُدْ فَاشْرَبْ**» فَقَعَدْتُ، فَشَرِبْتُ، فقال: «**اشْرَبْ**» فَشَرِبْتُ، فما زَالَ يقول: «**اشْرَبْ**» حتىٰ قلت: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، ما أَجِدُ له مَسْلَكًا، قال:

«فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّىٰ، وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ[(١)].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحديث، وَاللهُ الْمَوْعِدُ، وَيَقُولُونَ: ما لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ؟ وَإِنَّ إِخْوتي من الْمُهَاجِرِينَ كان يَشْغَلُهُمْ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ أخوتي من الْأَنْصَارِ كان يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا، أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ علىٰ مِلْءِ بَطْنِي، فَأَحْضُرُ حين يَغِيبُونَ، وَأَعِي حين يَنْسَوْنَ، وقال النبي ﷺ يَوْمًا: «**لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حتىٰ أَقْضِيَ مَقَالَتِي هذه، ثُمَّ يَجْمَعَهُ إلىٰ صَدْرِهِ، فَيَنْسَىٰ من مَقَالَتِي شيئًا أَبَدًا**» فَبَسَطْتُ نَمِرَةً ليس عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرُهَا، حتىٰ قَضَىٰ النبي ﷺ مَقَالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إلىٰ صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ما نَسِيتُ من مَقَالَتِهِ تِلْكَ إلىٰ يَوْمِي هذا، والله لَوْلَا آيَتَانِ في كِتَابِ اللهِ ما حَدَّثْتُكُمْ شيئًا أَبَدًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، إلىٰ قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠][(٢)].

❁ ❁ ❁

أبو هريرة، هو (عبد الرحمن بن صخر، وقيل: كان عبد شمس فغيَّر، وغير ذلك قيل، روىٰ عنه ثمانمائة، تأخر منهم المقبري، وهمام، وموسىٰ بن وردان، ومحمد بن زياد الجمحي. كان حافظًا متثبتًا ذكيًّا مفتيًا، صاحب صيام وقيام، قال عكرمة: كان يسبح في اليوم اثني عشر ألف تسبيحة، وليَ إمرة المدينة مرات، توفي سنة سبع وخمسين، وقال جماعة: تسع وخمسين)[(٣)].

وكان أول إسلامه مسكينًا فقيرًا، يروي عن نفسه أنه كان يعتمد بكبده

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢) كتاب الرقاق، بَاب كَيْفَ كان عَيْشُ النبي ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ من الدُّنْيَا، والترمذي (٢٤٧٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٠) كتاب المزارعة، بَاب ما جاء في الْغَرْسِ.

(٣) الكاشف (٢/ ٤٦٩).

علىٰ الأرض، ويشد الحجر علىٰ بطنه من الجوع.

قعد يومًا علىٰ الطريق الذي يمر منه الناس ينتظر من يشبعه، فمر عليه أبو بكر، فسأله عن آية من كتاب الله لعله ينتبه إلىٰ حاله، فيأخذه، فيشبعه، إلا أنه لم يفعل، ثم مر عليه عمر، فلم يفعل، ثم مر عليه رسول الله ﷺ، فتبسم حين رآه، وعرف ما في نفسه، فأمره بأن يتبعه إلىٰ أحد أبياته، فدخل النبي فوجد قدحًا فيه لبن، فسأل عنه، فعلم أنه هدية، فقال لأبي هريرة: «**الحق إلىٰ أهل الصفة، فادعهم لي**».

فساء ذلك أبا هريرة، لظنه أن ذلك اللبن لا يكفي أهل الصفة، وأنه لن يبلغه منه شيء، لكنه أطاع النبي ﷺ، واستدعىٰ أصحاب الصفة، فجلسوا، وجعل أبو هريرة يمر عليهم بقدح اللبن، فيشرب كل واحد منهم حتىٰ يرتوي - ثم يرد إليه القدح، حتىٰ شربوا جميعًا، فقال النبي ﷺ وهو يبتسم: «**أبا هر، بقيت أنا وأنت**»، ثم أمره أن يشرب حتىٰ شبع، ولم يجد لمزيد مسلكًا، فأخذ الرسول ﷺ القدح فشرب الفضلة.

وفي الحديث قصة متكاملة الأركان، محكمة الحبكة، فهو يبدأ بوصف الجوع الذي كاد يفتك به، فيلجئه إلىٰ التعرض للصحابة في طريقهم الذي يمرون به، والتعلل بالسؤال عن بعض آيات القرآن ليطعموه، فلا يفطن له منهم أحد، ثم يمر به النبي ﷺ فيشعر به، فيأمره باللحاق به إلىٰ بيته، فيجد إناء لبن، ويشعر أبو هريرة أن كربه قد فُرِّج، لكن النبي ﷺ يفاجئه بأن يأمره بدعوة أهل الصُّفة، فتتبدد أحلامه في الشبع، ويسرع إلىٰ أهل الصُّفة يدعوهم، وهو يتحسر علىٰ الأمل الضائع.

وتتصاعد الأحداث إلىٰ قمة الإثارة (العقدة) حين يأخذ أهل الصفة مجالسهم في بيت رسول الله، ويُؤمر أبو هريرة نفسه بالمرور عليهم بإناء اللبن ليسقيهم واحدًا واحدًا.

وهنا تأتي المفاجأة (الحل)، وتتحقق المعجزة، فالجمع كله يشرب، ويبقىٰ لأبي هريرة ما يسد رمقه، ويُذهب جوعه، ثم تبقىٰ بعد ذلك فضلة يشربها رسول الله ﷺ بعد أن شبع القوم جميعًا.

ومع الفارق الكبير بين القصة القصيرة الحديثة وبين حديث النبي ﷺ في الشكل والمضمون، إلا إنه يمكن القول بأن الأركان الأساسية للقصة القصيرة من حدث مكثف، وحبكة درامية، وعقدة، ونهاية تتحقق فيها انفراجة العقدة ـ كلها توافرت في هذا الحديث وأمثاله[1]، قبل بزوغ فجر القصة القصيرة الحديثة في أوربا بقرون طويلة.

لقد اتهم أبو هريرة بالإكثار من الحديث، فدفع عن نفسه هذه التهمة بأن إخوته من المهاجرين والأنصار شغلهم الصخب بالأسواق عن مجالس رسول الله ﷺ، وأنه كان امرأً مسكينًا يلزم رسول الله ﷺ علىٰ شبع بطنه، وقد سمع رسول الله ﷺ يقول يومًا: «**لن يبسط أحد منكم ثوبه حتىٰ أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلىٰ صدره، فينسىٰ من مقالتي شيئًا أبدًا**»، فبسط بردة من صوف ليس عليه غيرها، حتىٰ أنهَىٰ النبي حديثه، ثم ضمها إلىٰ صدره، فلم ينس من حديث النبي ﷺ بعد ذلك شيئًا.

١٨ ـ خالد بن الوليد رضي الله عنه: «هل أَنْتُمْ تَارِكُونَ لي أُمَرَائِي؟»:

ـ عن أبي أُمَامَةَ بن سَهْلِ بن حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ ابن عَبَّاسٍ أخبره، أَنَّ خَالِدَ بن الْوَلِيدِ الذي يُقَالُ له سَيْفُ اللهِ أخبره، أَنَّهُ دخل مع رسول اللهِ ﷺ علىٰ مَيْمُونَةَ، وَهِيَ خَالَتُهُ وَخَالَةُ ابن عَبَّاسٍ، فَوَجَدَ عِنْدَهَا ضَبًّا مَحْنُوذًا قَدِمَتْ بِهِ أُخْتُهَا حُفَيْدَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ من نَجْدٍ، فَقَدَّمَتْ الضَّبَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وكان قَلَّمَا يُقَدِّمُ يَدَهُ لِطَعَامٍ حتىٰ يُحَدَّثَ بِهِ، وَيُسَمَّىٰ له، فَأَهْوَىٰ رسول اللهِ ﷺ يَدَهُ

(١) من الأمثلة الواضحة علىٰ ذلك أيضًا حديث المقداد ص ٣١٧.

إلىٰ الضَّبِّ، فقالت امْرَأَةٌ من النِّسْوَةِ الْحُضُورِ: أَخْبِرْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ما قَدَّمْتُنَّ له، هو الضَّبُّ يا رَسُولَ اللهِ، فَرَفَعَ رسول اللهِ ﷺ يَدَهُ عن الضَّبِّ، فقال خَالِدُ ابن الْوَلِيدِ: أَحَرَامٌ الضَّبُّ يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**لا، وَلَكِنْ لم يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدنِي أَعَافُهُ**»، قال خَالِدٌ: فَاجْتَرَرْتُهُ فَأَكَلْتُهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إلي (١).

ـ عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا، وَجَعَلَ خَالِدٌ قَتْلًا وَأَسْرًا، قَالَ: فَدَفَعَ إِلَىٰ كُلِّ رَجُلٍ أَسِيرَهُ، حَتَّىٰ إِذَا أَصْبَحَ يَوْمًا أَمَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ أَحَدٌ،، وَقَالَ بِشْرٌ: مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَذُكِرَ لَهُ صُنْعُ خَالِدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَفَعَ يَدَيْهِ: «**اللهُمَّ إني أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ**» (٢).

ـ عن عَوْفِ بن مَالِكٍ قال: قَتَلَ رَجُلٌ من حِمْيَرَ رَجُلًا من الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بن الْوَلِيدِ، وكان وَالِيًا عليهم، فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَوْفُ بن مَالِكٍ فَأَخْبَرَهُ، فقال لِخَالِدٍ: «**ما مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟**»، قال: اسْتَكْثَرْتُهُ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**ادْفَعْهُ إليه**» فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قال: هل أَنْجَزْتُ لك ما ذَكَرْتُ لك من رسول اللهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رسول اللهِ ﷺ فَاسْتُغْضِبَ، فقال: «**لا تُعْطِهِ يا خَالِدُ، لا تُعْطِهِ يا خَالِدُ، هل أَنْتُمْ تَارِكُونَ لي أُمَرَائِي؟ إنما**

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩١) كتاب الأطعمة، بَاب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَأْكُلُ حَتَّىٰ يُسَمَّىٰ لَهُ فَيَعْلَمُ مَا هُوَ، ومسلم (١٩٤٥) كتاب الصيد، باب إباحة الضب، وأبو داود (٣٧٩٤) كتاب الأطعمة، باب في أكل الضب، والنسائي في المجتبىٰ (٤٢١٧) كتاب الصيد «الضب»، وابن ماجة (٣٢٤١) كتاب الصيد، باب الضب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣٩) كتاب المغازي، بَاب بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ بَنِي جَذِيمَةَ، والنسائي في المجتبىٰ (٥٤٠٥) كتاب آداب القضاة باب الرد علىٰ الحاكم إذا قضىٰ بغير الحق.

مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا أو غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فيه، فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عليهم»[1].

❁ ❁ ❁

خالد بن الوليد، هو (خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، سيف الله، يكنىٰ أبا سليمان، من كبار الصحابة، وكان إسلامه بين الحديبية والفتح، وكان أميرًا علىٰ قتال أهل الردة، وغيرها من الفتوح، إلىٰ أن مات سنة إحدىٰ أو اثنتين وعشرين)[2].

دخل خالد مع النبي ﷺ علىٰ ميمونة ـ وهي خالته ـ فوجد عندها ضبًّا مشويًّا، فقدمته إلىٰ النبي ﷺ، فأبىٰ أن يأكل منه، فسأل خالد: أحرام الضب يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه**»، فجره خالد إليه، فأكله، والرسول ﷺ ينظر إليه.

وأرسل الرسول ﷺ خالدًا إلىٰ بني جذيمة، يدعوهم إلىٰ الإسلام، فخرجوا إليه يقولون: صبأنا، صبأنا، فالتبس الأمر علىٰ خالد، وظنَّ أنهم يرفضون الإسلام، فأعمل فيهم قتلًا وأسرًا، فلما علم النبي ﷺ بما صنع خالد رفع يديه قائلًا: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**».

وفي غزوة مؤتة قتل رجل من حمير رجلًا من المشركين، فأراد أن يأخذ سلبه، لقول النبي ﷺ: «**من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه**»[3]، فمنعه خالد، فلما عاد الجيش أتىٰ عوف بن مالك النبي ﷺ فشكا إليه خالدًا، فسأله النبي ﷺ: «**ما منعك أن تعطيه سلبه؟**»، قال: استكثرته يا رسول الله، قال: «**ادفعه**

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٣) كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل.

(٢) تقريب التهذيب (١/ ١٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١)، وغيرهما.

إليه»، فلما مر خالد بعوف جرَّه عوف من ردائه معنِّفًا، فسمعه الرسول الله عليه وسلم، فغضب، وأمر خالدًا بأن يمنع الرجل سلبه.

قال رسول الله ﷺ وهو يستنكر التعريض بخالد بن الوليد: «**لا تعطه يا خالد، لا تعطه يا خالد**» والنهي غرضه اللوم والتأنيب.

ثم قال ﷺ: «**هل أنتم تاركون لي أمرائي؟**»، وهذا استفهام غرضه البلاغي الحث والتوجيه، وفيه نبرة غضب ولوم شديدين.

ثم مثَّل الرسول ﷺ للأمراء والعامة، برجل استَرعىٰ إبلًا وغنمًا، ثم أوردها حوضًا، فشربت صفوه، وتركت كدره.

وهو تشبيه تمثيلي شبه فيه رسول الله ﷺ حصول العامة علىٰ صفو الأمور دون مقاساة أو معاناة، بإبل وغنم يسقيها راعيها فتحصل علىٰ صفو الماء وتترك كدره، وشبه الأمراء في تحملهم الأعباء، ومقاساة الناس، وتلقي اللوم والتأنيب بمن لا يدرك صفو الماء، ولا يحصِّل إلا كدره.

١٩ ـ أبو ذر رضي الله عنه: «إني أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإني أُحِبُّ لك ما أُحِبُّ لِنَفْسِي»:

ـ عن أبي ذَرٍّ قال: خَرَجْتُ لَيْلَةً من اللَّيَالِي، فإذا رسول اللهِ ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ، ليس معه إِنْسَانٌ، قال: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ معه أَحَدٌ، قال: فَجَعَلْتُ أَمْشِي في ظِلِّ الْقَمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فقال: «**من هذا؟**»، فقلت: أبو ذَرٍّ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قال: «**يا أَبَا ذَرٍّ تَعَالَهْ**»، قال: فَمَشَيْتُ معه سَاعَةً، فقال: «**إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمْ الْمُقِلُّونَ يوم الْقِيَامَةِ، إلا من أَعْطَاهُ الله خَيْرًا، فَنَفَحَ فيه يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فيه خَيْرًا**»، قال: فَمَشَيْتُ معه سَاعَةً، فقال: «**اجْلِسْ هَا هُنَا**» قال: فَأَجْلَسَنِي في قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةٌ، فقال لي: «**اجْلِسْ هَا هُنَا حتىٰ أَرْجِعَ إِلَيْكَ**» قال: فَانْطَلَقَ في الْحَرَّةِ حتىٰ لَا أَرَاهُ، فَلَبِثَ عَنِّي فَأَطَالَ

اللَّبْثَ، ثُمَّ إني سَمِعْتُهُ وهو مُقْبِلٌ، وهو يقول: «وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَىٰ؟» قال: فلما جاء لم أَصْبِرْ، فقلت: يا نَبِيَّ اللهِ، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، من تُكَلِّمُ في جَانِبِ الْحَرَّةِ، ما سمعت أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شيئًا، قال: «**ذَاكَ جِبْرِيلُ عَرَضَ لي في جَانِبِ الْحَرَّةِ، فقال: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ من مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شيئًا دخل الْجَنَّةَ، فقلت: يا جِبْرِيلُ، وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَىٰ؟ قال: نعم، قال: قلت: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَىٰ؟ قال: نعم، قال: قلت: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَىٰ؟ قال: نعم، وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ**»[(١)].

ـ عن الأحنف بن قيس، عن أبي ذر قال:... قال لي خَلِيلِي، قال: قلت: من خَلِيلُكَ؟ قال: النبي ﷺ: «**يا أَبَا ذَرٍّ أَتُبْصِرُ أُحُدًا؟**» قال: فَنَظَرْتُ إلىٰ الشَّمْسِ ما بَقِيَ من النَّهَارِ، وأنا أُرَىٰ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرْسِلُنِي في حَاجَةٍ له، قلت: نعم، قال: «**ما أُحِبُّ أَنَّ لي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ كُلَّهُ إلا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ**» وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ، إنما يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا، لَا والله لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا، ولا أَسْتَفْتِيهِمْ عن دِينٍ حتىٰ أَلْقَىٰ الله[(٢)].

ـ عن أبي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**يا أَبَا ذَرٍّ، إني أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإني أُحِبُّ لك ما أُحِبُّ لِنَفْسِي، لا تَأَمَّرَنَّ علىٰ اثْنَيْنِ، ولا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**»[(٣)].

ـ عن أبي ذر قال...ثم أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقال: «**إنه قد وُجِّهَتْ لي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ، لا أُرَاهَا إلا يَثْرِبَ، فَهَلْ أنت مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ، عَسَىٰ الله أن**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٣) كتاب الرقاق، باب المكثرون هم المقلون، ومسلم (٩٤) كتاب الزكاة، بَاب التَّرْغِيبِ في الصَّدَقَةِ.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٠) كتاب الزكاة، بَاب مَا أُدِّيَ زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، مسلم (٩٩٢) من حديث طويل للأحنف بن قيس، كتاب الزكاة، باب في الْكَنَّازِينَ لِلْأَمْوَالِ وَالتَّغْلِيظِ عليهم.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٦) كتاب الإمارة، باب كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، وأبو داود (٢٨٦٨) كتاب الوصايا، باب ما جاء في الدخول في الوصايا، والنسائي في المجتبىٰ (٣٦٦٧) كتاب الوصايا، النهي عن الولاية علىٰ مال اليتيم.

يَنْفَعَهُمْ بِكَ، وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ؟» فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا، فقال: ما صَنَعْتَ؟ قلت: صَنَعْتُ أني قد أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قال: ما بِي رَغْبَةٌ عن دِينِكَ، فَإِني قد أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا، فقالت: ما بِي رَغْبَةٌ عن دِينِكُمَا، فَإِني قد أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا، حتىٰ أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا، فأسلم نِصْفُهُمْ، وكان يَؤُمُّهُمْ إيماء بن رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ، وكان سَيِّدَهُمْ، وقال نِصْفُهُمْ: إذا قَدِمَ رسول اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أسلمنا، فَقَدِمَ رسول اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فأسلم نِصْفُهُمْ الْبَاقِي، وَجَاءَتْ أسلم، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ أخوتنا نُسْلِمُ علىٰ الذي أَسْلَمُوا عليه، فَأَسْلَمُوا، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**غِفَارُ غَفَرَ الله لها، وأسلم سَالَمَهَا الله**»(١).

❀ ❀ ❀

أبو ذر الغفاري، هو (جندب بن جنادة بن سفيان، وقد قيل: إن اسم أبيه يزيد، ويقال أيضًا: سكن، وكان أبو ذر ممن هاجر إلىٰ النبي ﷺ من بني غفار إلىٰ مكة، واختفىٰ في أستار الكعبة أيامًا كثيرة لا يخرج منها إلا لحاجة الإنسان، من غير أن يطعم أو يشرب شيئًا إلا ماء زمزم، حتىٰ رأىٰ رسول الله ﷺ بالليل، فآمن به)(٢).

ثم طلب منه رسول الله ﷺ أن يعود إلىٰ قومه، وأن يدعوهم إلىٰ الإسلام، وأن ينتظر حتىٰ يهاجر النبي إلىٰ يثرب، فيهاجر إليه، وعاد أبو ذر إلىٰ قومه فدعاهم إلىٰ الإسلام فأسلم نصفهم، وأخَّر النصف الثاني إسلامه حتىٰ هاجر رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة، فأسلمت غفار كلها، وتبعتها أسلم، فقال رسول الله ﷺ: «**غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله**».

تبع أبو ذر ذات ليلة رسول الله ﷺ في بعض أطراف المدينة، فسار معه

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٣) من حديث طويل لأبي ذر في قصة إسلامه،كتاب فضائل الصحابة، باب من فَضَائِلِ أبي ذَرٍّ رضي الله عنه.
(٢) مشاهير الأمصار (١/ ١١).

في ظل القمر، فقال له النبي ﷺ: «**إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيرًا فنفح فيه يمينه وشماله، وبين يديه ووراءه، وعمل فيه خيرًا**».

أراد أن أصحاب الأموال في الدنيا هم المقلون من الثواب في الآخرة إلا من أنفق من ماله، وتصدق، وعمل خيرًا.

ثم وصل النبي ﷺ وأبو ذر وهما سائران إلىٰ أرض واسعة مستوية حولها حجارة، فطلب النبي ﷺ من أبي ذر أن يجلس حتىٰ يعود إليه، وانطلق الرسول حتىٰ غاب عن أنظار أبي ذر، فمكث طويلًا، ثم عاد، فسمعه أبو ذر يقول: «**وإن سرق وإن زنىٰ**»، فسأله: من تُكَلِّم في جانب الحرة؟ ما سمعت أحدًا يرجع إليك شيئًا، فأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فبشره بأن من مات من أمته لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، فقال الرسول ﷺ: «**يا جبريل، وإن سرق وإن زنىٰ؟**» ثلاثًا، وجبريل في كل مرة يقول: «**نعم**» ثم أضاف في الآخرة: «**وإن شرب الخمر**»، وتلك بشرىٰ لكل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وقال النبي لأبي ذر يومًا: «**يا أبا ذر، أتبصر أُحُدًا؟**» فظن أبو ذر أن الرسول ﷺ يريد أن يرسله في حاجة، لكن النبي ﷺ قال: «**ما أحب أن لي مثل أُحُدٍ ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير**».

أي أنه لو كان يملك ذهبًا في حجم جبل أحد لأنفقه كله في سبيل الله، ولم يستبقِ منه سوىٰ ثلاثة دنانير لحاجة بيته أو لدَيْنه.

وقوله ﷺ لأبي ذر: «**أتبصر أُحُدًا؟**» هو استفهام الغرض منه التشويق والتحفيز.

أما قوله ﷺ: «**ما أحب أن لي مثل أحد ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير**»، فكلمة: «**ذهبًا**» تمييز، وقد وقع بعد مثل، وهو قليل في اللغة، ومثاله في القرآن: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، والأسلوب أسلوب قصر طريقه

النفي والاستثناء، وأداته (ما، وإلا) وغرضه الحصر، وهو يؤكد زهد الرسول ﷺ في الدنيا، وانصرافه عن متاعها، واكتفاءه منها بالضرورات الأساسية.

وقوله ﷺ لأبي ذر: «**يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأَمَّرَنَّ علىٰ اثنين، ولا تولَّيَنَّ مال يتيم**»: النداء «**يا أبا ذر**» للتحبب، وقوله: «**إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي**»: جملتان اسميتان مؤكدتان بإن، الخبر في كل منهما مضارع للدلالة علىٰ الحالية والاستمرار.

وقد نَهَىٰ رسول الله ﷺ أبا ذر عن أمرين، الأول: أن يطمع في الإمارة، ولو كانت ـ علىٰ سبيل المبالغة ـ علىٰ اثنين، والثاني: أن يتولىٰ مال يتيم، و(تأمرن) أصله (تتأمرن)، وكذلك (تولين) أصله (تتولين)، وحذفت التاء للتخفيف، وهو مألوف في اللغة، ومنه في القرآن ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي: ولا تتيمموا.

والغرض من النهي في الجملتين هو التحذير والتنبيه علىٰ خطورة الأمرين.

٢٠ ـ سعد بن عبادة رضي الله عنه: «لأَنَا أَغْيَرُ منه، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي»:

عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ عَنْ الْمُغِيرَةِ قَالَ: قال سَعْدُ بن عُبَادَةَ: لو رأيت رَجُلًا مع امْرَأتي، لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غير مُصْفَح، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**أَتَعجَبُونَ من غَيْرَةِ سَعْدٍ، لأَنَا أَغْيَرُ منه، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي**»[1].

❁ ❁ ❁

سعد بن عبادة، هو (سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج)[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤٦) كتاب الحدود، بَاب من رَأَىٰ مع امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَقَتَلَهُ، ومسلم (١٤٩٩) كتاب اللعان.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠).

أحد نقباء العقبة، وكان سيدًا جوادًا، تدور جفنته مع رسول الله أينما دار، مات بحوران بالشام سنة خمس عشرة.

وكان سعد من أغير الناس، حتىٰ حُكي أنه إذا طلق امرأة ما كان أحد من قومه يجرؤ أن يتزوجها من فرط غيرته.

قال سعد: (لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفِّح) أي بحد السيف لا بصفيحته، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «**أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني**».

والاستفهام في قوله ﷺ: «**أتعجبون**» غرضه الإنكار.

وقوله: «**لأنا أغير**» فيه مؤكِّدان، اللام في صدر الجملة، واستخدام القصر بضمير الفصل المتكلم.

«**والله أغير مني**»: والمراد بغيرة الله تعالىٰ: نَهيه عن الفواحش، وتحريمه لها.

٢١ ـ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «قُمْ يا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»:

عن إبراهيم التَّيْمِيِّ، عن أبيه قال: كنا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فقال رَجُلٌ: لو أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلْتُ معه وَأَبْلَيْتُ، فقال حُذَيْفَةُ: أنت كُنْتَ تَفْعَلُ ذلك، لقد رَأَيْتُنَا مع رسول اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**أَلا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ الله مَعِي يوم الْقِيَامَةِ**»، فَسَكَتْنَا فلم يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قال: «**أَلا رَجُلٌ يَأْتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ الله مَعِي يوم الْقِيَامَةِ**» فَسَكَتْنَا فلم يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قال: «**أَلا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ الله مَعِي يوم الْقِيَامَةِ**» فَسَكَتْنَا فلم يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فقال: «**قُمْ يا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**» فلم أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قال: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، ولا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، فلما وَلَّيْتُ من عِنْدِهِ، جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي في حَمَّامٍ حتىٰ

أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا في كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رسول اللهِ ﷺ: «**ولا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**» وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وأنا أَمْشِي في مِثْلِ الْحَمَّامِ، فلما أَتَيْتُهُ ـ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ ـ قُرِرْتُ فَأَلْبَسَنِي رسول اللهِ ﷺ من فَضْلِ عَبَاءَةٍ كانت عليه يُصَلِّي فيها، فلم أَزَلْ نَائِمًا حتىٰ أَصْبَحْتُ، فلما أَصْبَحْتُ قال: «**قُمْ يا نَوْمَانُ**»(١).

❁ ❁ ❁

حذيفة بن اليمان (حسل بن جابر العبسي، ثم الأشهلي حليفهم، صاحب السر، منعه وأباه شهود بدر استحلاف المشركين لهما)(٢).

في ليلة من ليالي وقعة الأحزاب، شديدة البرد والريح، دعا النبي أحد أصحابه أن يأتيه بخبر القوم ويكون جزاؤه رفقة النبي في الجنة، وكرر ذلك ثلاثًا فلم يقم أحد، فقال النبي ﷺ: «**قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم**» ثم حذره قائلًا: «**ولا تذعرهم علي**» أي لا تحركهم، فانطلق حذيفة إلىٰ مهمته، وقد ذهب عنه البرد، ودب في جسده النشاط، فجاس بين القوم، فعرف أخبارهم، ثم عاد إلىٰ النبي ﷺ فأخبره بأمرهم، فلما انتهىٰ رجع إليه البرد، فألبسه رسول الله ﷺ فضلًا من عباءته، فنام حتىٰ أصبح، فأيقظه النبي ﷺ مداعبًا: «**قم يا نومان**».

وقوله ﷺ لأصحابه، وهم معسكرون أمام الخندق: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة**» وكررها ثلاثًا.

الجملة الأولىٰ فيه إنشائية مصدَّرة بـ (ألا) الاستفتاحية، والمراد بها العرض والتحضيض.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٨) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب.

(٢) الكاشف (١/ ٣١٥).

والجملة الثانية خبرية المبنىٰ إنشائية المعنىٰ، والغرض منها الدعاء. والتكرار ثلاثًا لمزيد من الحث والتحضيض.

وقول رسول الله ﷺ لحذيفة: «**اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم علي**».

فيه أمران ونَهْي، أمر بالذهاب، والإتيان بالأخبار، وقد صُدِّر الأمر الثاني بالفاء للدلالة علىٰ طلب العودة السريعة.

والنهي فيه تحذير من تفزيع القوم علىٰ الرسول ﷺ، وهو تأكيد علىٰ حنكة الرسول ﷺ، وحسن قيادته.

وقوله ﷺ: «**قم يا نومان**»، أمر الغرض منه: المداعبة، والنومان هو كثير النوم، (وأكثر ما يستعمل في النداء، كما استعمله هنا)[1].

٢٢ - أبو أيوب رضي الله عنه: «السُّفْلُ أَرْفَقُ»:

عن أبي أَيُّوبَ، أَنَّ النبي ﷺ نَزَلَ عليه، فَنَزَلَ النبي ﷺ في السُّفْلِ، وأبو أَيُّوبَ في الْعِلْوِ، قال: فَانْتَبَهَ أبو أَيُّوبَ لَيْلَةً، فقال: نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رسول اللهِ ﷺ، فَتَنَحَّوْا، فَبَاتُوا في جَانِبٍ، ثُمَّ قال لِلنَّبِيِّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**السُّفْلُ أَرْفَقُ**»، فقال: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أنت تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النبي ﷺ في الْعُلُوِّ، وأبو أَيُّوبَ في السُّفْلِ، فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، فإذا جِيءَ بِهِ إليه سَأَلَ عن مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ، فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ له طَعَامًا فيه ثُومٌ، فلما رُدَّ إليه سَأَلَ عن مَوْضِعِ أَصَابِعِ النبي ﷺ، فَقِيلَ له: لم يَأْكُلْ، فَفَزِعَ وَصَعِدَ إليه، فقال: أَحَرَامٌ هو؟ فقال النبي ﷺ: «**لَا، وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ**»، قال: فَإِني أَكْرَهُ ما تَكْرَهُ، أو ما كَرِهْتَ، قال: وكان النبي ﷺ يُؤْتَىٰ[2].

* * *

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٢/ ١٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٣) كتاب الأشربة، باب إِبَاحَةِ أَكْلِ الثُّومِ.

أبو أيوب (خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، أبو أيوب، من كبار الصحابة، شهد بدرًا، ونزل النبي ﷺ حين قدم المدينة عليه، مات غازيًا الروم سنة خمسين، وقيل بعدها)(١).

لما نزل النبي ﷺ علىٰ أبي أيوب أول مقدمه المدينة، نزل النبي ﷺ في السُّفل، وأبو أيوب في العلو، ثم استشعر أبو أيوب الحرج إذ كيف يمشي فوق رأس رسول الله ﷺ، فلجأ هو وأهله إلىٰ جانب فباتوا فيه، ثم طلب أبو أيوب من النبي أن يتحول إلىٰ العلو ففعل، فكان أبو أيوب يقدم للنبي الطعام، فإذا عاد الطعام من عند الرسول سأل أبو أيوب عن موضع أصابعه، فتتبعها. فقدم له يومًا طعامًا فيه ثوم، فلم يأكل منه النبي ﷺ، ففزع أبو أيوب وسأل النبي: أحرام هو؟ قال: «**لا، ولكني أكرهه**»، فقال: فإني أكره ما كرهت.

٢٣ ـ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «لا أُرَاكَ مَيِّتًا من وَجَعِكَ هذا»:

ـ عن جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ كان يَسِيرُ علىٰ جَمَلٍ له قد أَعْيَا، فَمَرَّ النبي ﷺ فَضَرَبَهُ، فَدَعَا له، فَسَارَ بِسَيْرٍ ليس يَسِيرُ مثله، ثُمَّ قال: «**بِعْنِيهِ بِوَقِيَّةٍ**»، قلت: لَا، ثُمَّ قال: «**بِعْنِيهِ بِوَقِيَّةٍ**» فَبِعْتُهُ، فَاسْتَثْنَيْتُ حُمْلَانَهُ إلىٰ أَهْلِي، فلما قَدِمْنَا أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ، وَنَقَدَنِي ثَمَنَهُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَأَرْسَلَ علىٰ إِثْرِي، قال: «**ما كنت لِآخُذَ جَمَلَكَ فَخُذْ جَمَلَكَ فَهُوَ مَالُكَ**»...(٢).

ـ عن جَابِرٍ قال: اشْتَكَيْتُ وَعِنْدِي سَبْعُ أَخَوَاتٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رسول اللهِ ﷺ، فَنَفَخَ في وَجْهِي فَأَفَقْتُ، فقلت: يا رَسُولَ اللهِ، ألا أُوصِي لِأَخَوَاتي بِالثُّلُثِ؟ قال: «**أَحْسِنْ**»، قلت: الشَّطْرُ؟ قال: «**أَحْسِنْ**» ثُمَّ خَرَجَ وَتَرَكَنِي، فقال:

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧١٨) كتاب الشروط، بَاب إذا اشْتَرَطَ الْبَائِعُ ظَهْرَ الدَّابَّةِ إلىٰ مَكَانٍ مُسَمًّىٰ جَازَ، ومسلم (٧١٥) كتاب البيوع، بَاب بَيْعِ الْبَعِيرِ وَاسْتِثْنَاءِ رُكُوبِهِ، والنسائي في المجتبىٰ (٤٦٣٧) كتاب البيوع، الْبَيْعُ يَكُونُ فيه الشَّرْطُ فَيَصِحُّ الْبَيْعُ وَالشَّرْطُ.

«يا جَابِرُ، لا أُرَاكَ مَيِّتًا من وَجَعِكَ هذا، وَإِنَّ اللهَ قد أَنْزَلَ فَبَيَّنَ الذي لِأَخَوَاتِكَ، فَجَعَلَ لَهُنَّ الثُّلُثَيْنِ»، قال: فَكَانَ جَابِرٌ يقول: أُنْزِلَتْ هذه الْآيَةُ في ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦][(١)].

❁ ❁ ❁

جابر بن عبد الله (بن حرام بن ثعلبة بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو عبد الله، ويقال أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد المدني، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه)[(٢)].

كان في سفر مع النبي ﷺ، وكان معه جمل قد أعيا، فمر به النبي فضربه، ودعا له، فسار سيرًا حسنًا، ثم طلب النبي ﷺ من جابر أن يبيعه إياه، فباعه، واستثنىٰ حملانه إلىٰ أهله، فلما وصل المدينة، جاءه جابر بالجمل، ونقده النبي ثمنه، ثم انصرف، فأرسل إليه النبي، ورد عليه جمله.

وقال النبي ﷺ لجابر بن عبد الله، وهو يرد عليه جَمَلَهُ: **«ما كنت لآخذ جملك، فخذ جملك، فهو لك»**.

واللام في «**لآخذ**» هي لام النفي؛ لأنها مسبوقة بكون منفي، وهي تفيد توكيد النفي.

قال ابن هشام في المغني: (ويسميها أكثرهم لام الجحود؛ لملازمتها للجحد، أي: النفي، قال النحاس: والصواب تسميتها لام النفي، لأن الجحد في اللغة إنكار ما تعرفه، لا مطلق الإنكار)[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٨٧) كتاب الفرائض، بَاب من كان ليس له وَلَدٌ وَلَهُ أَخَوَاتٌ.

(٢) تهذيب الكمال (٤/ ٤٤٤).

(٣) مغني اللبيب (١/ ٢٧٩).

واشتكىٰ جابر، فدخل عليه النبي ﷺ، فنفخ في وجهه فأفاق، واستشار النبي في أن يوصي لأخواته البنات فنصحه بأن يزيد علىٰ النصف، ثم بشره بأنه لن يموت من وجعه ذلك، وأن حق أخواته في تركته هو الثلثان؛ وقد أنزلت في جابر هذه الآية: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦].

٢٤ ـ أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «لو رَأَيْتَنِي وأنا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِك الْبَارِحَةَ»:

ـ عن أبي بُرْدَةَ عن أبيه قال: أَتَيْتُ النبي ﷺ في رَهْطٍ من الْأَشْعَرِيِّينَ أَسْتَحْمِلُهُ فقال: «**والله لا أَحْمِلُكُمْ، وما عِنْدِي ما أَحْمِلُكُمْ عليه**» قال: ثُمَّ لَبِثْنَا ما شَاءَ الله أن نَلْبَثَ، ثُمَّ أتىٰ بِثَلَاثِ ذَوْدٍ غُرِّ الذري، فَحَمَلَنَا عليها، فلما انْطَلَقْنَا قُلْنَا ـ أو قال بَعْضُنَا ـ: والله لَا يُبَارَكُ لنا، أَتَيْنَا النبي ﷺ نَسْتَحْمِلُهُ، فَحَلَفَ أَنْ لَا يَحْمِلَنَا ثُمَّ حَمَلَنَا، فَارْجِعُوا بِنَا إلىٰ النبي ﷺ فَنُذَكِّرُهُ، فَأَتَيْنَاهُ، فقال: «**ما أنا حَمَلْتُكُمْ، بَلْ الله حَمَلَكُمْ، وَإِني والله ـ إن شَاءَ الله ـ لا أَحْلِفُ علىٰ يَمِينٍ، فَأَرَىٰ غَيْرَهَا خَيْرًا منها إلا كَفَّرْتُ عن يَمِينِي، وَأَتَيْتُ الذي هو خَيْرٌ، أو أَتَيْتُ الذي هو خَيْرٌ، وَكَفَّرْتُ عن يَمِينِي**»[1].

ـ عن أبي مُوسَىٰ قال: قال رسول اللهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَىٰ: «**لو رَأَيْتَنِي وأنا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لقد أُوتِيتَ مِزْمَارًا من مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢٣) كتاب الأيمان والنذور، بَاب قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، ومسلم (١٦٤٩) كتاب الأيمان، بَاب نَدْبِ من حَلَفَ يَمِينًا فَرَأَىٰ غَيْرَهَا خَيْرًا منها أَنْ يَأْتِي الذي هو خَيْرٌ وَيُكَفِّرُ عن يَمِينِهِ، والنسائي في المجتبىٰ (٣٧٨٠) كتاب الأيمان والنذور، الْكَفَّارَةُ قبل الْحِنْثِ، وابن ماجة (٢١٠٧) كتاب الكفارات، بَاب من حَلَفَ علىٰ يَمِينٍ فَرَأَىٰ غَيْرَهَا خَيْرًا منها.

(٢) أخرجه مسلم (٧٩٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت =

أبو موسىٰ الأشعري، هو (عبد الله بن قيس ين سليم بن حضار بن حرب، هاجر إلىٰ النبي ﷺ، فقدم مع جعفر زمن فتح خيبر، واستعمله النبي ﷺ مع معاذ علىٰ اليمن، ثم ولي لعمر الكوفة والبصرة، وكان عالماً عاملًا صالحًا تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهىٰ في حسن الصوت بالقرآن)[١].

سمعه النبي ﷺ وهو يتلو القرآن، فأعجبته تلاوته، وقال له: «**لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**».

وقوله ﷺ: «**لو رأيتني**» يُقصد به الرجاء، كأنه أراد: لعلك رأيتني.

وجملة: «**وأنا أستمع**» الواو للحال، والجملة حالية في محل نصب، وتبيِّن قصد النبي للاستماع، وتعمده له.

«**لقد أوتيت مزمارًا**» المراد بالمزمار الصوت، وفيه استعارة تصريحية، وخص آل داود، لاشتهار داود عليه السلام بحسن الصوت.

وقدم أبو موسىٰ في رهط من قومه يطلبون منه إبلًا يركبونها ويحملون عليها، فأقسم أنه لا يحملهم، وأنه ليس عنده ما يحملهم عليه، ثم أتي النبيُّ ﷺ بثلاث من الإبل ذوات السنام الأبيض، فوهبها لهم، فتلاوموا بينهم لأنهم أحرجوا النبي ﷺ، وقد حلف أن لا يحملهم ثم حملهم، فعادوا إليه يعتذرون، فأخبرهم أنه لم يحملهم، ولكن الله حملهم، وأعلمهم أنه لا يحلف علىٰ يمين، ثم يرىٰ خيرًا منها، إلا كفَّر عن يمينه، وفعل ما يراه خيرًا، أو بدأ ففعل ما هو خير، ثم كفَّر عن يمينه.

٢٥ - سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «أَلا تُبَايِعُنِي يا سَلَمَةُ»:

- عن إِيَاسِ بن سَلَمَةَ: حدثني أبي قال: غَزَوْنَا فَزَارَةَ، وَعَلَيْنَا أبو بَكْرٍ، أَمَّرَهُ

= بالقرآن.

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٣).

رسول اللهِ ﷺ عَلَيْنَا، فلما كان بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةٌ، أَمَرَنَا أبو بَكْرٍ فَعَرَّسْنَا، ثُمَّ شَنَّ الْغَارَةَ، فَوَرَدَ الْمَاءَ، فَقَتَلَ من قَتَلَ عليه وَسَبَىٰ، وَأَنْظُرُ إِلىٰ عُنُقٍ من الناس فِيهِمْ الذَّرَارِيُّ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُوني إلىٰ الْجَبَلِ، فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، فلما رَأَوْا السَّهْمَ وَقَفُوا، فَجِئْتُ بهم أَسُوقُهُمْ، وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ من بَنِي فَزَارَةَ، عليها قَشْعٌ من آدم ـ قال: الْقَشْعُ: النِّطَعُ ـ مَعَهَا ابْنَةٌ لها من أَحْسَنِ الْعَرَبِ، فَسُقْتُهُمْ حتىٰ أَتَيْتُ بهم أَبَا بَكْرٍ، فَنَفَّلَنِي أبو بَكْرٍ ابْنَتَهَا، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وما كَشَفْتُ لها ثَوْبًا، فَلَقِيَنِي رسول اللهِ ﷺ في السُّوقِ، فقال: «**يا سَلَمَةُ هَبْ لي الْمَرْأَةَ**» فقلت: يا رَسُولَ اللهِ، والله لقد أَعْجَبَتْنِي، وما كَشَفْتُ لها ثَوْبًا، ثُمَّ لَقِيَنِي رسول اللهِ ﷺ من الْغَدِ في السُّوقِ، فقال لي: «**يا سَلَمَةُ هَبْ لي الْمَرْأَةَ، لِلَّهِ أَبُوكَ**»، فقلت: هِيَ لك يا رَسُولَ اللهِ، فَوَاللهِ ما كَشَفْتُ لها ثَوْبًا، فَبَعَثَ بها رسول اللهِ ﷺ إلىٰ أَهْلِ مَكَّةَ، فَفَدَىٰ بها نَاسًا من الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أُسِرُوا بِمَكَّةَ[1].

ـ عن إِيَاسِ بن سَلَمَةَ، حدثني أبي: قال: قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَةَ مع رسول اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيه، قال: فَقَعَدَ رسول اللهِ ﷺ علىٰ جَبَا الرَّكِيَّةِ، فَإِمَّا دَعَا، وَإِمَّا بسق فيها، قال: فَجَاشَتْ، فَسَقَيْنَا، وَاسْتَقَيْنَا، قال: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ في أَصْلِ الشَّجَرَةِ، قال: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ الناس، ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ، حتىٰ إذا كان في وَسَطٍ من الناس، قال: «**بَايِعْ يا سَلَمَةُ**»، قال: قلت: قد بَايَعْتُكَ يا رَسُولَ اللهِ في أَوَّلِ الناس، قال: «**وَأَيْضًا**» قال: وَرَآنِي رسول اللهِ ﷺ عَزِلًا، يَعْنِي ليس معه سِلَاحٌ، قال: فَأَعْطَانِي رسول اللهِ ﷺ حَجَفَةً أو دَرَقَةً، ثُمَّ بَايَعَ، حتىٰ إذا كان في آخِرِ الناس قال: «**أَلَا تُبَايِعُنِي يا سَلَمَةُ**»، قال: قلت: قد بَايَعْتُكَ يا رَسُولَ اللهِ في أَوَّلِ الناس، وفي أَوْسَطِ الناس، قال: «**وَأَيْضًا**»، قال: فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَةَ، ثُمَّ قال لي: «**يا سَلَمَةُ أَيْنَ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٥) كتاب الجهاد والسير، باب التَّنْفِيلِ وَفِدَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَسَارَىٰ، وأبو داود (٢٦٩٧) كتاب الجهاد، باب الرُّخْصَةِ في الْمُدْرِكِينَ يُفَرَّقُ بَيْنَهُمْ.

حَجَفَتُكَ أو دَرَقَتُكَ التي أَعْطَيْتُكَ؟» قال: قلت: يا رَسُولَ اللهِ لَقِيَنِي عَمِّي عَامِرٌ عَزِلًا، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا، قال: فَضَحِكَ رسول اللهِ ﷺ، وقال: «**إِنَّكَ كَالَّذِي قال الْأَوَّلُ: اللهم أَبْغِنِي حَبِيبًا هو أَحَبُّ إلي من نَفْسِي**» ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ حتىٰ مَشَىٰ بَعْضُنَا في بَعْضٍ، وَاصْطَلَحْنَا، قال: وَكُنْتُ تَبِيعًا لِطَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللهِ، أَسْقِي فَرَسَهُ وَأَحُسُّهُ وَأَخْدِمُهُ، وَآكُلُ من طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إلىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، قال: فلما اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةً، فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا، فَاضْطَجَعْتُ في أَصْلِهَا، قال: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ من الْمُشْرِكِينَ من أَهْلِ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يَقَعُونَ في رسول اللهِ ﷺ، فَأَبْغَضْتُهُمْ، فَتَحَوَّلْتُ إلىٰ شَجَرَةٍ أُخْرَىٰ، وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ، وَاضْطَجَعُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَىٰ مُنَادٍ من أَسْفَلِ الْوَادِي: يا لِلْمُهَاجِرِينَ قُتِلَ ابن زُنَيْمٍ، قال: فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي، ثُمَّ شَدَدْتُ علىٰ أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ، فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا في يَدِي، قال: ثُمَّ قلت: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ، لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إلا ضَرَبْتُ الذي فيه عَيْنَاهُ، قال: ثُمَّ جِئْتُ بهم أَسُوقُهُمْ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ، قال: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ من الْعَبَلَاتِ يُقَالُ له مِكْرَزٌ، يَقُودُهُ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ علىٰ فَرَسٍ مُجَفَّفٍ في سَبْعِينَ من الْمُشْرِكِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رسول اللهِ ﷺ، فقال: «**دَعُوهُمْ يَكُنْ لهم بَدْءُ الْفُجُورِ وَثِنَاهُ**» فَعَفَا عَنْهُمْ رسول اللهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ الله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الْآيَةَ كُلَّهَا [الفتح: ٢٤]، قال: ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إلىٰ الْمَدِينَةِ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ بني لَحْيَانَ جَبَلٌ، وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، فَاسْتَغْفَرَ رسول اللهِ ﷺ لِمَنْ رقىٰ هذا الْجَبَلَ اللَّيْلَةَ، كَأَنَّهُ طَلِيعَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قال سَلَمَةُ: فَرَقِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثًا...(١)

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٧) كتاب الجهاد والسير، باب غَزْوَةِ ذِي قَرَدٍ وَغَيْرِهَا.

سلمة بن الأكوع، هو (سلمة بن الأكوع بن عمرو بن سنان الأنصاري، وهو أحد من بايع تحت الشجرة، وكان من فرسان الصحابة، ومن علمائهم، كان يفتي بالمدينة، وله مشاهد معروفة في حياة النبي وبعده، توفي بالمدينة وقد جاوز السبعين)[1].

شارك سلمة في غزو فزارة تحت إمرة أبي بكر، فلما أعطىٰ بنو فزارة المسلمين أكتافهم، قُتل منهم من قتل وسُبي من سبي، وغنم سلمة فتاة حسناء من بني فزارة، ثم لقي رسول الله ﷺ في السوق، قال له رسول الله ﷺ: «**يا سلمة، هب لي المرأة**»، فقال سلمة: والله لقد أعجبتني، وما كشفت لها ثوبًا، ثم لقيه الرسول من الغد في السوق فقال: «**يا سلمة هب لي المرأة، لله أبوك**»، فوهبها للرسول ﷺ، فافتدىٰ بها رسول الله ﷺ ناسًا من المسلمين كانوا قد أسروا بمكة.

وقوله ﷺ لسلمة بن الأكوع: «**يا سلمة، هب لي المرأة**»: النداء فيه للتحبب، والأمر للرجاء.

وزيادته في الثانية: «**لله أبوك**» دعاء، يُقصد به الإغراء بتلبية طلب رسول الله ﷺ.

وفي الحديبية بايع سلمة رسول الله ﷺ ثلاثًا، في أول الناس، وفي أوسط الناس، وفي آخر الناس، ووهبه النبي ﷺ تُرسًا من جلد، فأعطاه سلمة لعمه عامر، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيبًا هو أحب إليَّ من نفسي**».

وقوله: «**كالذي قال الأول**» المراد: كالذي قال فيمن مضىٰ، أو فيمن سبق، و«**أبغني**» يحتمل أن تكون (بهمزة وصل أمرٌ من البغاء، أي اطلب، وبِهمزة

---

(١) البداية والنهاية (٩/ ٦).

قطع، أمر من الإبغاء، أي أعني على الطلب)[١].

وفي الكلام إشارة إلى أن سلمة آثر عمه على نفسه، وأعطاه ما هو في حاجة إليه.

ثم سرى في الناس أن واحدًا من المهاجرين قتل، فأسرع سلمة فساق أربعة من المشركين بسيفه إلى النبي، فقال النبي ﷺ: «**دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه**»، وعفا عنهم ﷺ.

وهو أمر غرضه التهديد والوعيد، وأراد بالفجور نقض العهد، و«**ثِناه**» أي نقضه ثانية.

وقد ورد في بعض النسخ «**ثُنيّاه**» (بضم الثاء، وبياء مثناة تحت بعد النون، ورواهما جميعًا القاضي، وذكر الثاني عن رواية ابن ماهان، والأول عن غيره، قال: وهو الصواب، أي عودة ثانية)[٢].

وفي طريق العودة إلى المدينة، قدموا على قوم من المشركين يقال لهم: بنو لحيان، وكان بينهم وبين هؤلاء القوم جبل، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة طليعة للمسلمين، فرقيه سلمة مرتين أو ثلاثًا.

٢٦ ـ المقداد بن الأسود رضي الله عنه: «اللهم أَطْعِمْ من أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ من أَسْقَانِي»:

عن الْمِقْدَادِ قال: أَقْبَلْتُ أنا وَصَاحِبَانِ لي، وقد ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا من الْجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا على أَصْحَابِ رسول اللهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ منهم يَقْبَلُنَا، فَأَتَيْنَا النبي ﷺ، فَانْطَلَقَ بِنَا إلى أَهْلِهِ، فإذا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ، فقال النبي ﷺ: «**احْتَلِبُوا هذا اللَّبَنَ بَيْنَنَا**» قال: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ، فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ،

---

(١) فيض القدير (٢/ ٥٥٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٧٧).

وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ، قال: فَيَجِيءُ من اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، قال: ثُمَّ يَأتِي الْمَسْجِدَ، فَيُصَلِّي ثُمَّ يَأتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وقد شَرِبْتُ نَصِيبِي، فقال: مُحَمَّدٌ يَأتِي الْأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ، ما بِهِ حَاجَةٌ إلىٰ هذه الْجُرْعَةِ، فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فلما أَنْ وَغَلَتْ في بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ ليس إِلَيْهَا سَبِيلٌ، قال: نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ، فقال: وَيْحَكَ ما صَنَعْتَ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ فَيَجِيءُ فلا يَجِدُهُ، فَيَدْعُو عَلَيْكَ، فَتَهْلِكُ، فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وأخرتك؟ وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إذا وَضَعْتُهَا علىٰ قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وإذا وَضَعْتُهَا علىٰ رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فنَامَا، ولم يَصْنَعَا ما صَنَعْتُ، قال: فَجَاءَ النبي ﷺ فَسَلَّمَ كما كان يُسَلِّمُ، ثُمَّ أتىٰ الْمَسْجِدَ فَصَلَّىٰ، ثُمَّ أتىٰ شَرَابَهُ فَكَشَفَ عنه فلم يَجِدْ فيه شيئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلىٰ السَّمَاءِ، فقلت: الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ، فقال: «**اللهم أَطْعِمْ من أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ من أَسْقَانِي**»، قال: فَعَمَدْتُ إلىٰ الشَّمْلَةِ فَشَدَدتها عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إلىٰ الْأَعْنُزِ، أَيُّهَا أَسْمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فإذا هِيَ حَافِلَةٌ، وإذا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ، فَعَمَدْتُ إلىٰ إِنَاءٍ لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ما كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فيه، قال: فَحَلَبْتُ فيه حتىٰ عَلَتْهُ رَغْوَةٌ، فَجِئْتُ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ، فقال: «**أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمْ اللَّيْلَةَ؟**» قال: قلت: يا رَسُولَ اللهِ اشْرَبْ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي، فقلت: يا رَسُولَ اللهِ اشْرَبْ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي، فلما عَرَفْتُ أَنَّ النبي ﷺ قد روىٰ، وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حتىٰ أُلْقِيتُ إلىٰ الأرض، قال: فقال النبي ﷺ: «**إِحْدَىٰ سَوْآتِكَ يا مِقْدَادُ**» فقلت: يا رَسُولَ اللهِ، كان من أَمْرِي كَذَا وَكَذَا، وَفَعَلْتُ كَذَا، فقال النبي ﷺ: «**ما هذه إلا رَحْمَةٌ من اللهِ، أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي، فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ منها**» قال: فقلت: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما أُبَالِي إذا أَصَبْتَهَا، وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ، من أَصَابها من الناس[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٥٥) كتاب الأشربة، بَاب إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ، والترمذي =

المقداد بن الأسود، (وليس الأسود أباه، وإنما تبناه الأسود بن عبد يغوث وهو صغير، فعرف به، وإنما اسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندي، كان المقداد أحد السابقين، شهد بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها، ولم يثبت أن أحدًا شهد بدرًا فارسًا سواه)(١).

في أول الهجرة عانىٰ كثيرٌ من الصحابة من الجوع وشظف العيش، يروي المقداد أنه وصاحبان له قد ذهبت أسماعهم وأبصارهم من شدة الجوع، فعرضوا أنفسهم علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ فلم يقبلهم أحد، ثم أتوا النبي ﷺ، فانطلق بهم إلىٰ أهله، فوجد ثلاثة أعنز، فأمرهم أن يحتلبوا لبنها بينهم، فكانوا يحتلبون ويشرب كلٌ نصيبه، ثم يحفظون للنبي نصيبه، فيأتي النبي وقد مضىٰ بعض الليل، فيسلم سلامًا رقيقًا، ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب.

وذات ليلة وسوس الشيطان للمقداد أن يشرب شراب رسول الله المتبقي، فشربه، ثم ندم، وانتابته الهواجس، وظن أن رسول الله إذا أتىٰ فلم يجد شرابه سوف يدعو عليه فيهلك، فلما جاء رسول الله ﷺ وكشف الإناء فألفاه فارغًا، رفع رأسه إلىٰ السماء وقال: «**اللهم أطعم من أطعمني وأسق من أسقاني**» ثم انصرف.

فأسرع المقداد وفي يديه المدية إلىٰ الأعنز ليذبح أيتها أسمن فيقدمها لرسول الله ﷺ حتىٰ ينال دعوته، فوجدها حُفَّلا باللبن، فأحضر إناءً من بيت النبي، فحلب فيه، وقدمه للنبي ﷺ، فشرب حتىٰ روي، وعلم المقداد أن دعوة النبي أصابته فاستلقىٰ علىٰ الأرض ضاحكًا، فقال النبي ﷺ: «**إحدىٰ سوآتك يا مقداد**»، فقصَّ المقداد علىٰ النبي ما كان من أمره، فقال له: «**أفلا**

= (٢٧١٩) كتاب الاستئذان، بَاب كَيْفَ السَّلَامُ.

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ (١/ ١٤٥).

كنت آذنتني، فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها».

٢٧ ـ النعمان بن بشير رضي الله عنه: «فلا تُشْهِدني إذًا، فإني لا أَشْهَدُ على جَوْرٍ»:

عن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ، أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الموهوبة من مَالِهِ لِابْنِهَا، فَالْتَوَىٰ بها سَنَةً، ثُمَّ بَدَا له، فقالت: لَا أَرْضَىٰ حتىٰ تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ علىٰ ما وَهَبْتَ لِابْنِي، فَأَخَذَ أبي بِيَدِي، وأنا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ، فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمَّ هذا بِنْتَ رَوَاحَةَ، أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ علىٰ الذي وَهَبْتُ لِابْنِهَا، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**يا بَشِيرُ، أَلَكَ وَلَدٌ سِوَىٰ هذا؟**» قال: نعم، فقال: «**أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ له مِثْلَ هذا؟**» قال: لَا، قال: «**فلا تُشْهِدني إِذًا، فَإِني لَا أَشْهَدُ علىٰ جَوْرٍ**»[1].

❁ ❁ ❁

النعمان بن بشير (بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، له ولأبويه صحبة، ثم سكن الشام، ثم ولي إمرة الكوفة، ثم قتل بحمص سنة خمس وستين، وله أربع وستون سنة)[2].

جاء به أبوه وهو غلام إلىٰ رسول الله ﷺ ليُشهده علىٰ عطية وهبها له دون سائر أولاده، فسأله رسول الله ﷺ: «**أكلهم وهبت له مثل هذا؟**» فلما أجابه بالنفي، قال: «**فلا تشهدني إذًا، فإني لا أشهد علىٰ جور**».

فكان ذلك حكمًا فقهيًّا عامًّا، لا يُذكر إلا وذكر معه النعمان بن بشير

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٠) كتاب الشهادات، بَاب لَا يَشْهَدُ علىٰ شَهَادَةِ جَوْرٍ إذا أُشْهِدَ، ومسلم (١٦٢٣) كتاب الهبات، بَاب كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَوْلَادِ في الْهِبَةِ، والنسائي في المجتبىٰ (٣٦٨٢) كتاب النحل، باب ذِكْرُ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِخَبَرِ النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ في النُّحْلِ.

(٢) تقريب التهذيب (١/ ٥٦٣).

رضي الله تعالىٰ عنه.

وقوله ﷺ: «فلا تشهدني إذًا، فإني لا أشهد علىٰ جور»: الجملة الأولىٰ نَهْي في باطنة عتاب ولوم لبشير علىٰ هذا التصرف غير العادل، أكده النبي ﷺ في الجملة التالية: «**فإني لا أشهد علىٰ جور**» وهي جملة مؤكدة بإن، يليها مضارع منفي بلا، ووصف للتصرف بمسماه الحقيقي «**جور**».

٢٨ ـ جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «ألا تُرِيحُنِي من ذِي الْخَلَصَةِ؟»:

عن قَيْسٍ قال: قال لي جَرِيرُ بن عبد اللهِ رضي الله عنه: قال لي رسول اللهِ ﷺ: «**ألا تُرِيحُنِي من ذِي الْخَلَصَةِ؟**» وكان بَيْتًا فيه خَثْعَمُ يُسَمَّىٰ كَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ، فَانْطَلَقْتُ في خَمْسِينَ وَمِائَةٍ من أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، فَأَخْبَرْتُ النبي ﷺ أني لَا أَثْبُتُ علىٰ الْخَيْلِ، فَضَرَبَ في صَدْرِي حتىٰ رأيت أَثَرَ أَصَابِعِهِ في صَدْرِي، فقال: «**اللهم ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**» فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا، فَكَسَرَهَا، وَحَرَّقَهَا، فَأَرْسَلَ إلىٰ النبي ﷺ يُبَشِّرُهُ، فقال رسول جَرِيرٍ: يا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما جِئْتُكَ حتىٰ تَرَكْتُهَا كَأنها جَمَلٌ أَجْرَبُ، فَبَارَكَ علىٰ خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ[1].

۞ ۞ ۞

جرير بن عبد الله (بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف الأمير النبيل الجميل أبو عمرو، وقيل أبو عبد الله البجلي القسري، وقسر من قحطان، من أعيان الصحابة)[2].

قال رسول الله ﷺ لجرير يومًا: «**ألا تريحني من ذي الخلصة؟**» وهو بيت صنم كان ببلاد دوس، فشكا إليه أنه لا يثبت علىٰ الخيل، فضرب النبي علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٦) كتاب الجهاد والسير، بَاب الْبِشَارَةِ في الْفُتُوحِ.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣١).

صدره وقال: «**اللهم ثبته، واجعله هاديًا مهديًّا**»، فانطلق إليها في مائة وخمسين من أَحْمس[(١)]، فدمرها وحرقها، ورجع إلىٰ رسول الله ﷺ فبشره بذلك، فبارك رسول الله ﷺ علىٰ خيل أحمس ورجالها خمس مرات.

وقول النبي ﷺ لجرير: «**ألا تريحني من ذي الخَلَصة؟**» استفهام غرضه الحث والتحضيض.

وقوله ﷺ: «**اللهم ثبته، واجعله هاديًا مهديًّا**»: «**هاديًا مهديًّا**» (من باب التقديم والتأخير الذي في كلام العرب؛ لأنه لا يكون هاديًا لغيره إلا بعد أن يهتدي هو، ويكون مهديًّا)[(٢)].

وذهب ابن حجر إلىٰ أن الترتيب ليس مقصودًا لذاته، فقال: (وليست هنا صيغة ترتيب)[(٣)]، وفي موضع آخر قال: (قيل فيه تقديم وتأخير لأنه لا يكون هاديًا حتىٰ يكون مهديًّا، وقيل معناه: كاملًا مكملًا)[(٤)].

ولعل الرسول ﷺ لم يرد الترتيب، بل أراد البدء بأعلىٰ الأمور، وأعظمها ثوابًا، وأكثرها نفعًا لصاحبها وللناس.

٢٩ ـ حسان بن ثابت رضي الله عنه: «أَجِبْ عَنِّي، اللهم أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»:

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النبي ﷺ في هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قال: «**كَيْفَ بِنَسَبِي؟**» فقال حَسَّانُ: لَأَسُلَّنَّكَ منهم، كما تُسَلُّ الشَّعَرَةُ من الْعَجِينِ[(٥)].

---

(١) اسم قبيلة، وهو أحمس بن غوث.

(٢) شرح ابن بطال (٥/ ١٤٥).

(٣) فتح الباري (٦/ ١٦١).

(٤) السابق (٨/ ٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٣١) كتاب المناقب، بَاب مَنْ أَحَبَّ أَنْ لَا يُسَبَّ نَسَبُهُ.

عن سَعِيدِ بن الْمُسَيَّبِ قال: مَرَّ عُمَرُ في الْمَسْجِدِ، وَحَسَّانُ يُنْشِدُ، فقال: كنت أُنْشِدُ فيه، وَفِيهِ من هو خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلىٰ أبي هُرَيْرَةَ، فقال: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: **«أَجِبْ عَنِّي، اللهم أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»** قال: نعم[1].

❁ ❁ ❁

حسان بن ثابت (بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري أبو عبد الرحمن، ويقال أبو الوليد، ويقال أبو الحسام، المدني، شاعر رسول الله ﷺ)[2].

استأذن النبي ﷺ في هجاء المشركين، فقال له النبي ﷺ: **«كيف بنسبي؟»** فقال حسان: لأسلَّنَّك منهم كما تسل الشعرة من العجين.

قيل: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ عليه وهو ينشد في المسجد، فكأنه لم يرض بذلك، فقال حسان: (كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك) ثم استشهد بأبي هريرة، هل سمع رسول الله ﷺ يقول له: **«أجب عني، اللهم أيده بروح القدس»** فأجابه أبو هريرة: نعم.

والأمر **«أجب عني»** غرضه الحث والتحضيض، ودعاء النبي ﷺ لحسان بأن يؤيده روح القدس نحا بالشعر منحًىٰ جديدًا، وانتقل به من عالم الجن إلىٰ عالم الملائكة، وجعله ينطق بالحق وينافح عنه، بعد أن كان الكذب والباطل مصدر إلهامه، ومقياس عذوبته.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٢) كتاب بدء الخلق، بَاب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، ومسلم (٢٤٨٥) كتاب فضائل الصحابة، بَاب فَضَائِلِ حَسَّانَ بن ثَابِتٍ رضي الله عنه، والنسائي في المجتبىٰ (٧١٦) كتاب المساجد، باب الرُّخْصَةُ في إِنْشَادِ الشِّعْرِ الْحَسَنِ في الْمَسْجِدِ.

(٢) تهذيب الكمال (٦/ ١٧).

٣٠ - عمير بن الحُمام رضي الله عنه: «لا يُقدِّمَنَّ أحدٌ منكُمْ إلى شيْءٍ حتى أكُونَ أنا دُونَهُ»:

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: بَعَثَ رسول اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا، يَنْظُرُ ما صَنَعَتْ عِيرُ أبي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وما في الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رسول اللهِ ﷺ، قال: لَا أَدْرِي ما اسْتَثْنَىٰ بَعْضَ نِسَائِهِ، قال: فَحَدَّثَهُ الحديث، قال: فَخَرَجَ رسول اللهِ ﷺ فتكَلَّمَ، فقال: «**إِنَّ لنا طَلِبَةً، فَمَنْ كان ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا**» فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ في ظُهْرَانهم في عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فقال: «**لا إلا من كان ظَهْرُهُ حَاضِرًا**» فَانْطَلَقَ رسول اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حتىٰ سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**لا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ حتىٰ أَكُونَ أنا دُونَهُ**» فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السماوات وَالْأَرْضُ**» قال: يقول عُمَيْرُ بن الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يا رَسُولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السماوات وَالْأَرْضُ، قال: «**نعم**»، قال: بَخٍ بَخٍ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**ما يَحْمِلُكَ علىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ**»، قال: لَا والله يا رَسُولَ اللهِ، إلا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ من أَهْلِهَا، قال: «**فَإِنَّكَ من أَهْلِهَا**» فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ من قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قال: لَئِنْ أنا حَيِيتُ حتىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هذه، إنها لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قال: فَرَمَىٰ بِمَا كان معه من التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حتىٰ قُتِلَ[1].

❁ ❁ ❁

عمير بن الحُمام (بضم المهملة وتخفيف الميم، ابن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، ذكره موسىٰ بن عقبة وغيره فيمن شهد بدرًا)[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١) كتاب الإمارة، بَاب ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ.

(٢) الإصابة (٤/ ٧١٥).

قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوم بدر: «**قوموا إلىٰ جنة عرضها السماوات والأرض**»، وكلمة «**جنة**» مجاز مرسل علاقته المسببية، أو اعتبار ما سيكون، والأمر غرضه الترغيب والتشويق.

قال عمير بن الحمام: بخٍ بخٍ، قال له النبي ﷺ: «**ما يحملك علىٰ قولك: بخ بخ؟**» وهو استفهام يحمل معنىٰ التعجب والدهشة.

قال: رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**»، والفاء للسرعة، والجملة الإسمية مؤكدة بإن، وفيها معاني التبشير والتحفيز.

فأخرج تمرات كانت معه، فأكل منها، ثم قذف بما بقي منها، وقال: لئن أنا حييت حتىٰ آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة وانطلق إلىٰ القتال، فقاتل حتىٰ قتل.

٣١ ـ مخرمة رضي الله عنه: «خَبَأْتُ هذا لك»:

عن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ رضي الله عنهما قال: قَدِمَتْ علىٰ النبي ﷺ أَقْبِيَةٌ، فقال لي أبي مَخْرَمَةُ: انْطَلِقْ بِنَا إليه، عَسَىٰ أَنْ يُعْطِيَنَا منها شيئًا، فَقَامَ أبي علىٰ الْبَابِ فتكَلَّمَ، فَعَرَفَ النبي ﷺ صَوْتَهُ، فَخَرَجَ النبي ﷺ وَمَعَهُ قَبَاءٌ، وهو يُرِيهِ مَحَاسِنَهُ، وهو يقول: «**خَبَأْتُ هذا لك، خَبَأْتُ هذا لك**»[١].

❁ ❁ ❁

مخرمة (بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أبو المسور، القرشي، الزهري، الصحابي، من الطلقاء، وكان كبير بني زهرة)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٧) كتاب الشهادات، بَاب شَهَادَةِ الْأَعْمَىٰ وَأَمْرِهِ، ومسلم (١٠٥٨) كتاب الزكاة، بَاب إِعْطَاءِ من سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ، وأبو داود (٤٠٢٨) كتاب اللباس، بَاب ما جاء في الْأَقْبِيَةِ، والنسائي في المجتبىٰ (٥٣٢٤) كتاب الزينة، لُبْسُ الْأَقْبِيَةِ.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٤٣).

قَدِمَتْ علىٰ النبي أكسية، فأمر مخرمة ابنه المسور أن يصحبه إلىٰ النبي لعله يعطيه شيئًا منها، فلما وصلا بيت رسول الله ﷺ تكلم مخرمة، فعرف رسول الله ﷺ صوته، فخرج إليه بقَبَاء، راح يبين له محاسنه، وهو يقول له: «**خبأتُ لك هذا، خبأتُ لك هذا**».

والتعبير يراد به المسارعة إلىٰ استرضاء مخرمة، وملاطفته ومداراته (لأنه كان في خلقه شدة)[1]، والتكرار للتأكيد.

٣٢ - ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه: «فأعنى على نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ»:

عن رَبِيعَةَ بن كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ قال: كنت أَبِيتُ مع رسول اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فقال لي: «**سَلْ**»، فقلت: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الْجَنَّةِ، قال: «**أو غير ذلك؟**»، قلت: هو ذَاكَ، قال: «**فأعني علىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»[2].

❁ ❁ ❁

ربيعة بن كعب الأسلمي (أسلمَ، وصحب النبي ﷺ قديمًا، وكان محتاجًا من أهل الصفة، وكان يخدم رسول الله ﷺ)[3].

يروي ربيعة أنه كان يبيت مع رسول الله ﷺ، فيأتيه بوضوئه وحاجته، فقال له النبي ﷺ: «**سل**»، فقال: (أسألك مرافقتك في الجنة)، قال النبي ﷺ: «**أو غير ذلك؟**»، فقال ربيعة: هو ذاك، فطلب منه النبي ﷺ إذا أراد هذه المنزلة الرفيعة مع النبي ﷺ أن يعينه علىٰ نفسه بكثرة السجود، وفي ذلك بيان بفضل

---

(١) تحفة الأحوذي (٨/ ٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة، باب فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وأبوداود (١٣٢٠) كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل، والنسائي في المجتبىٰ (١٣٢٧) (كِتَابُ السَّهْوِ) باب (تَسْلِيمُ الْمَأْمُومِ حِينَ يُسَلِّمُ الْإِمَامُ).

(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٣١٣).

السجود، ومكانة المكثرين من السجود.

وقول النبي ﷺ: «**أو غيرَ ذلك؟**» استفهام غرضه الاستعظام.

وفيه إشارة إلىٰ أن مرافقته ﷺ في الجنة من الغايات العالية التي لا تنال إلا بالمواظبة علىٰ الطاعة، والإمعان في القُرَب.

وقوله ﷺ: «**فأعني علىٰ نفسك بكثرة السجود**» الأمر فيه غرضه الحث والتحضيض، وكثرة السجود كناية عن الإكثار من الصلاة، وخصَّ السجود؛ لأنه أعظم أركان الصلاة، وأكثرها ثوابًا، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»[1].

٣٣ـ عتبان بن مالك رضي الله عنه: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ من بَيْتِكَ؟»:

عن مَحْمُودِ بن الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ عِتْبَانَ بن مَالِكٍ ـ وكان من أَصْحَابِ النبي ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا من الْأَنْصَارِ ـ أَنَّهُ أتىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، إني أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وأنا أُصَلِّي لِقَوْمِي، فإذا كانت الْأَمْطَارُ سال الْوَادِي الذي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لم أَسْتَطِعْ أَنْ آتي مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ لهم، فَوَدِدْتُ يا رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ تَأْتي فَتُصَلِّي في بَيْتِي، فَأَتَّخِذُهُ مُصَلًّىٰ، فقال: «**سَأَفْعَلُ إن شَاءَ اللهُ**» قال عِتْبَانُ: فَغَدَا رسول اللهِ ﷺ وأبو بَكْرٍ حين ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ النبي ﷺ فَأَذِنْتُ له، فلم يَجْلِسْ حتىٰ دخل الْبَيْتَ، ثُمَّ قال لي: «**أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ من بَيْتِكَ**» فَأَشَرْتُ إلىٰ نَاحِيَةٍ من الْبَيْتِ، فَقَامَ النبي ﷺ فكَبَّرَ، فَصَفَفْنَا، فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، وَحَبَسْنَاهُ علىٰ خَزِيرٍ صَنَعْنَاهُ، فَثَابَ في الْبَيْتِ رِجَالٌ من أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ، فَاجْتَمَعُوا، فقال قَائِلٌ منهم: أَيْنَ مَالِكُ بن الدُّخْشُنِ؟ فقال بَعْضُهُمْ: ذلك مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قال النبي ﷺ: «**لَا تَقُلْ، أَلا تَرَاهُ قال: لَا إِلَهَ إلا اللَّه، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**» قال: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: قُلْنَا:

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢)، وابن حبان (١٩٢٨).

فَإِنَّا نَرَىٰ وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَىٰ الْمُنَافِقِينَ، فقال: «**فإن الله حَرَّمَ علىٰ النَّارِ من قال لا إِلَهَ إلا الله، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»[1].

❁ ❁ ❁

عتبان بن مالك (بن عمرو بن العجلان الأنصاري المدني الأعمىٰ، وكان إمام قومه علىٰ عهد رسول الله ﷺ)[2].

طلب من النبي ﷺ أن يأتيه في بيته، فيصلي له في موضع منه، حتىٰ يتخذه مصلىٰ، فأتاه النبي ﷺ، فصلىٰ به وبمن معه ركعتين في ناحية من البيت، ثم قدَّم للنبي خزيرًا، وهو الحساء من الدسم والدقيق واللحم المقطع، فطعم الرسول ثم انصرف.

قال النبي ﷺ لعتبان بن مالك: «**أين تحب أن أصلي من بيتك؟**»: والاستفهام للعرض، وقوله: «**من بيتك**»، جاءت (من) بمعنىٰ (في)، والحروف تتناوب المعاني، فيقع بعضها محل بعض، وقد جاءت (من) بمعنىٰ (في) في مواضع كثيرة من القرآن، منها قول الله ﷻ: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠، والأحقاف: ٤]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩].

٣٤ـ جليبيب رضي الله عنه: «هذا مِنِّي، وأنا منه»:

عن أبي بَرْزَةَ أَنَّ النبي ﷺ كان في مَغْزًىٰ له، فَأَفَاءَ الله عليه، فقال لِأَصْحَابِهِ: «**هل تَفْقِدُونَ من أَحَدٍ؟**» قالوا: نعم، فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، ثُمَّ قال: «**هل تَفْقِدُونَ من أَحَدٍ؟**» قالوا: نعم، فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، ثُمَّ قال: «**هل تَفْقِدُونَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٠١) كتاب الأطعمة، بَاب الْخَزِيرَةِ، ومسلم (٣٣) كتاب المساجد، بَاب الرُّخْصَةِ في التَّخَلُّفِ عن الْجَمَاعَةِ بِعُذْرٍ.

(٢) التعديل والتجريح (٣/ ١٠٥٣).

من أَحَدٍ؟» قالوا: لَا، قال: «**لَكِنِّي أفقد جُلَيْبِيبًا، فَاطْلُبُوهُ**» فَطُلِبَ في الْقَتْلَىٰ، فَوَجَدُوهُ إلىٰ جَنْبِ سَبْعَةٍ، قد قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَىٰ النبي ﷺ، فَوَقَفَ عليه، فقال: «**قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ، هذا مِنِّي، وأنا منه، هذا مِنِّي، وأنا منه**» قال: فَوَضَعَهُ علىٰ سَاعِدَيْهِ، ليس له إلا سَاعِدَا النبي ﷺ، قال: فَحُفِرَ له، وَوُضِعَ في قَبْرِهِ، ولم يذكر غَسْلًا[1].

❁ ❁ ❁

جليبيب، وهو غير منسوب، (روىٰ حديثه أبو برزة الأسلمىٰ في إنكاح رسول الله ﷺ إياه إلىٰ رجل من الأنصار، وكانت فيه دمامة وقِصَر، فكأن الأنصاري وامرأته كَرِهَا ذلك، فسمعت ابنتهما بما أراد رسول الله من ذلك، فتلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقالت: رضيت وسلَّمت لما يرضىٰ لي به رسول الله، فدعا لها رسول الله: اللهم اصبب عليها الخير صبًا، ولا تجعل عيشها كدًا)[2].

وكان جليبيب جسورًا مقدامًا، فخرج مع النبي ﷺ في غزاة، فأبلىٰ بلاءً حسنًا،، وافتقده النبي بعد المعركة، فوجده في الشهداء، قَتل سبعة ثم قُتل، فقال النبي ﷺ: «**قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني، وأنا منه**»، ثم رفعه بساعديه، فحفر له، ثم وضعه في قبره.

والجملة الأولىٰ الفعلية (**قتل سبعة**): خبرية إنشائية المعنىٰ، يراد بها التعجب والاستحسان لفعل جليبيب، وقوله: «**هذا مني وأنا منه**» (معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما، واتفاقهما في طاعة الله تعالىٰ)[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٢) كتاب الفضائل، باب من فضائل جليبيب.

(٢) الاستيعاب (١/ ٢٧٢،٢٧١).

(٣) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٦/ ٢٦).

٣٥ـ أسماء بنت عميس رضي الله عنها: «ليس بأحقَّ بي مِنْكُمْ»:

عن أبي مُوسَىٰ رضي الله عنه قال: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النبي ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إليه أنا وَأَخَوَانِ لي، أنا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أبو بُرْدَةَ، وَالْآخَرُ أبو رُهْمٍ، إِمَّا قال: في بِضْعٌ، وَإِمَّا قال: في ثَلَاثَةٍ وَخَمْسِينَ أو اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا من قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إلىٰ النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بن أبي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا معه حتىٰ قَدِمْنَا جميعًا، فَوَافَقْنَا النبي ﷺ حين افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وكان أُنَاسٌ من الناس يَقُولُونَ لنا ـ يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ ـ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، علىٰ حَفْصَةَ زَوْجِ النبي ﷺ زَائِرَةً، وقد كانت هَاجَرَتْ إلىٰ النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ علىٰ حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فقال عُمَرُ حين رَأَىٰ أَسْمَاءَ: من هذه؟ قالت: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قال عُمَرُ: آلحبشية هذه؟ آلبحرية هذه؟ قالت أَسْمَاءُ: نعم، قال: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ: كَلَّا والله كُنْتُمْ مع رسول اللهِ ﷺ، يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا في دَارٍ أو في أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ في اللهِ وفي رَسُولِهِ ﷺ، وَايْمُ اللهِ، لَا أَطْعَمُ طَعَامًا، ولا أَشْرَبُ شَرَابًا حتىٰ أَذْكُرَ ما قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ كنا نُؤْذَىٰ وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذلك لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَسْأَلُهُ، والله لَا أَكْذِبُ ولا أَزِيغُ، ولا أَزِيدُ عليه، فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نَبِيَّ اللهِ إِنَّ عُمَرَ قال كَذَا وَكَذَا، قال: **«فما قُلْتِ له؟»**، قالت: قلت له: كَذَا وَكَذَا، قال: **«ليس بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ»** قالت: فَلَقَدْ رأيت أَبَا مُوسَىٰ، وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يأتونني أَرْسَالًا يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ، ولا أَعْظَمُ في أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قال لهم النبي ﷺ، قال أبو بُرْدَةَ: قالت أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رأيت أَبَا مُوسَىٰ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ

هذا الحديث مِنِّي[(١)].

❁ ❁ ❁

أسماء بنت عميس (بن معد بن تيم بن الحارث بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن أفتل، وهو جماع خثعم)[(٢)].

كانت من السابقات إلىٰ الإسلام، وهاجرت إلىٰ الحبشة مع زوجها جعفر ابن أبي طالب (ثم هاجرت إلىٰ المدينة، فلما قتل جعفر بن أبي طالب تزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له محمد بن أبي بكر، ثم مات عنها، فتزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيىٰ بن علي بن أبي طالب)[(٣)].

دخل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ حفصة وأسماء عندها بعد مقدمها من الحبشة، فقال عمر حين رأىٰ أسماء: (آلحبشية هذه؟ آلبحرية هذه؟)، قالت: نعم، قال: (سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم)، فغضبت أسماء وذهبت تشتكي عمر لرسول الله ﷺ، فقال لها: «**ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم ـ أهل السفينة ـ هجرتان**».

وقوله: «**ليس بأحق**» الضمير عائد علىٰ عمر رضي الله تعالىٰ عنه، والباء زائدة للتوكيد.

وقوله: «**وله ولأصحابه هجرة واحدة**» أراد النبي إرضاء أسماء وتطييب خاطرها، فقلل من نصيب عمر وأصحابه، إذ جمعهم معًا في هجرة واحدة: «**له ولأصحابه**» ثم قال: «**ولكم أنتم ـ أهل السفينة ـ هجرتان**»، وضمير الفصل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٣٠) كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ومسلم (٢٥٠٣) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب.

(٢) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٨٠).

(٣) الاستيعاب (٤/ ١٧٨٥).

«**أنتم**» للتوكيد والتخصيص، و«**أهل السفينة**» (بنصب «**أهل**» علىٰ الاختصاص، أو علىٰ حذف حرف النداء)[1]، فيه تكريم لهم، وبيان لمكانتهم.

٣٦ـ أم سليم رضي الله عنها: «إني أَرْحَمُهَا، قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي»:

ـ عن أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النبي ﷺ لم يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غير بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ، إلا علىٰ أَزْوَاجِهِ، فَقِيلَ له، فقال: «**إني أَرْحَمُهَا، قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي**»[2].

ـ عن أَنَسٍ، عن النبي ﷺ، قال: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فقلت من هذا؟ قالوا: هذه الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بن مَالِكٍ**»[3].

❁ ❁ ❁

أم سليم (بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، وهي الغميصاء، وقيل الرميضاء، واختلفوا في اسمها، فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: أنيفة، تزوجها مالك بن النضر، فولدت له أنس بن مالك، ثم قتل فخطبها أبو طلحة.

عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم، فقالت: أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تُسلم فذلك مهري، لا أسألك غيره، فأسلم أبو طلحة وتزوجها)[4].

لم يكن النبي يدخل بيتًا بالمدينة غير بيت أم سليم، إلا علىٰ أزواجه، فلما سئل عن ذلك قال: «**إني أرحمها، قتل أخوها معي**»، وأخوها هو حرام بن ملحان، وقتل ببئر معونة.

---

(١) عمدة القاري (١٧/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٣) كتاب الجهاد والسير، بَاب فَضْلِ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا أَوْ خَلَفَهُ بِخَيْرٍ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٦) كتاب الفضائل، باب فضائل أم سليم.

(٤) صفة الصفوة (٢/ ٦٤، ٦٥).

وأخبر النبي ﷺ أن أم سليم من أهل الجنة، وأنه دخل الجنة فسمع خشفة (أي حركة وحسًّا) فسأل عنها، فقيل له: «**هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس ابن مالك**».

ينقلنا رسول الله ﷺ معه إلىٰ رحاب الجنة في صورة واقعية فريدة نرىٰ فيها رسول الله ﷺ بين شعاب الجنة يتمشىٰ تحت أشجارها الوارفة، فإذا به يسمع صوت أوراق الشجر تتكسر تحت أقدام شخص ما، فيسأل: «**من هذا؟**» ونتخيل الصحابة جلوسًا حول رسول الله ﷺ، ونفوسهم متشوفة لمعرفة صاحب هذه الخشفة، هذا المحظوظ الساكن في رياض الجنة، وقلوبهم متوفزة في صدورهم شوقًا لتلك المغاني، وأبصارهم متعلقة بشفتي النبي ﷺ تنتظر أن ينطق باسم هذا السعيد، يقول النبي ﷺ: «**قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك**».

وقوله ﷺ: «**أم أنس بن مالك**» بيان لفضل الصحابي الجليل، ومكانته عند ربه، إذ نُسبت إليه أمه، وذكر باسمه في الملأ الأعلىٰ.



الباب الثالث

من شمائل النبوَّة

الفصل الأول

من أخلاق الرسول ﷺ

من أخلاق الرسول ﷺ

١ ـ رحمته وشفقته ﷺ:

* «**إني لأَقُومُ فِي الصَّلاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فيها، فَأَسْمَعُ بُكاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتي؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ على أُمِّهِ**».

ـ عن سُلَيْمَانَ بن بُرَيْدَةَ عن أبيه، أَنَّ النبي ﷺ صلىٰ الصَّلَوَاتِ يوم الْفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، وَمَسَحَ علىٰ خُفَّيْهِ، فقال له عُمَرُ: لقد صَنَعْتَ الْيَوْمَ شيئًا لم تَكُنْ تَصْنَعُهُ، قال: «**عَمْدًا صَنَعْتُهُ يا عُمَرُ**»[(١)].

ـ عن عبد اللهِ بن عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ من الْخَلَاءِ، فَقُدِّمَ إليه طَعَامٌ، فَقَالُوا: ألا نَأْتِيكَ بِوَضُوءٍ؟ فقال: «**إنما أُمِرْتُ بِالْوُضُوءِ إذا قُمْتُ إلىٰ الصَّلَاةِ**»[(٢)].

ـ عن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ قال: تَمَارَوْا في الْغُسْلِ عِنْدَ رسول اللهِ ﷺ، فقال بَعْضُ الْقَوْمِ: أَمَّا أنا، فَإِنِي أَغْسِلُ رَأْسِي كَذَا وَكَذَا، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أنا، فَإِنِي أُفِيضُ علىٰ رَأْسِي ثَلَاثَ أَكُفٍّ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٧) كتاب الطهارة، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، وأبو داود (٦٦٤) كتاب الطهارة، باب جَوَازِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٦٠) كتاب الأطعمة، بَابٌ في غَسْلِ الْيَدَيْنِ عِنْدَ الطَّعَامِ، والترمذي كتاب الأطعمة، بَابٌ في تَرْكِ الْوُضُوءِ قَبْلَ الطَّعَامِ، والنسائي في المجتبىٰ (١٣٢) كتاب الطهارة، باب الْوُضُوءُ لِكُلِّ صَلَاةٍ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٤) كتاب الغسل، بَاب مَنْ أَفَاضَ عَلَىٰ رَأْسِهِ ثَلَاثًا، ومسلم (٣٢٧) كتاب الحيض، باب استحباب إفاضة الماء علىٰ الرأس وغيره ثلاثًا، وأبو داود (٢٣٩) كتاب الطهارة، بَاب الْغُسْلِ من الْجَنَابَةِ، والنسائي في المجتبىٰ (٢٥٠) كتاب الطهارة، باب ذكر ما يكفي الجنب من إفاضة الماء علىٰ رأسه، وابن ماجة (٥٧٥) كتاب الطهارة، =

- عن عَطَاءٍ قال: أَعْتَمَ النبي ﷺ بِالْعِشَاءِ، فَخَرَجَ عُمَرُ فقال: الصَّلَاةَ يا رَسُولَ اللهِ، رَقَدَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، فَخَرَجَ - وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ - يقول: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ علىٰ أُمَّتِي - أو علىٰ الناس، وقال سُفْيَانُ أَيْضًا: علىٰ أُمَّتِي - لَأَمَرتهم بِالصَّلَاةِ هذه السَّاعَةَ**»[١].

- عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ علىٰ أُمَّتِي - أو علىٰ الناس - لَأَمَرتهم بِالسِّوَاكِ عند**[٢] **كل صَلَاةٍ**»[٣].

- عن عبد اللهِ بن أبي قَتَادَةَ، عن أبيه أبي قَتَادَةَ، عن النبي ﷺ قال: «**إني لَأَقُومُ في الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فيها، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ في صَلَاتي؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ علىٰ أُمِّهِ**»[٤].

- عن جَابِرٍ، ذَكَرَ قِصَّةَ مُعَاذٍ، قال: وقال - يَعْنِي النبي ﷺ - لِلْفَتَىٰ: «**كَيْفَ**

= باب في الغسل من الجنابة.

(١) أخرجه البخاري (٧٢٣٩) كتاب التمني، باب ما يجوز من اللَّو، وأبو داود (٤٢٠) كتاب الصلاة، بَاب في وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، والنسائي في المجتبىٰ (٥٣٢) كتاب المواقيت، باب ما يستحب من تأخير العشاء.

(٢) عند البخاري: مع.

(٣) أخرجه البخاري (٨٨٧) كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، ومسلم (٦١٢) كتاب الطهارة، باب السواك، وأبو داود (٤٧) كتاب الطهارة، باب السواك، والترمذي (٢٢) كتاب أبواب الطهارة، باب ما جاء في السواك، والنسائي في المجتبىٰ (٧) كتاب الطهارة، باب الرُّخْصَةُ في السِّوَاكِ بِالْعَشِيِّ لِلصَّائِمِ، وابن ماجة (٢٨٧) كتاب الطهارة، باب السواك.

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٧) كتاب الصلاة، بَاب من أَخَفَّ الصَّلَاةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ، ومسلم (٤٧٠) كتاب الصلاة، بَاب أَمْرِ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ في تَمَامٍ، وأبو داود (٧٨٩) كتاب الصلاة، بَاب تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ لِلْأَمْرِ يَحْدُثُ، والترمذي (٣٧٦) كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء أن النبي ﷺ قال: إني لأسمع بكاء الصبي في الصلاة فأخفف، والنسائي في المجتبىٰ (٨٢٥) كتاب الإمامة، ما علىٰ الإمام من التخفيف، وابن ماجة (٩٨٩) كتاب إقامة الصلاة، باب الإمام يخفف الصلاة إذا حدث أمر.

تَصْنَعُ يا ابن أَخِي إذا صَلَّيْتَ؟» قال: أَقْرَأُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَأَسْأَلُ اللهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ من النَّارِ، وأني لَا أَدْرِي ما دَنْدَنَتُكَ، ولا دَنْدَنَةُ مُعَاذٍ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**إني وَمُعَاذًا حَوْلَ هَاتَيْنِ، أو نحو هذا**»[(١)].

ـ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّىٰ ذَاتَ لَيْلَةٍ في الْمَسْجِدِ، فَصَلَّىٰ بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّىٰ مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «**قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أني خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ**». وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ[(٢)].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نَهَىٰ رسول اللهِ ﷺ عن الْوِصَالِ في الصَّوْمِ، فقال له رَجُلٌ من الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**وَأَيُّكُمْ مِثْلِي؟ إني أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي**» فلما أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عن الْوِصَالِ، وَاصَلَ بهم يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوْا الْهِلَالَ، فقال: «**لو تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ**» كَالتَّنْكِيلِ لهم حين أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا[(٣)].

ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَجُلًا جاء إلىٰ النبي ﷺ يَسْتَفْتِيهِ، وَهِيَ تَسْمَعُ من وَرَاءِ الْبَابِ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وأنا جُنُبٌ، أَفَأَصُومُ؟ فقال رسول اللهِ ﷺ: «**وأنا تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وأنا جُنُبٌ فَأَصُومُ**» فقال: لَسْتَ مِثْلَنَا يا

(١) أخرجه أبو داود (٧٩٢) كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، وابن ماجة (٩١٠) كتاب إقامة الصلاة، باب ما يقال في التشهد والصلاة علىٰ النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٩) أبواب التهجد، باب تَحْرِيضِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ قِيامِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ، ومسلم (٧٦١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابَ التَّرْغِيبِ في قِيَامِ رَمَضَانَ وهو التَّرَاوِيحُ، وأبو داود (١٣٧٣) كتاب الصلاة، بَاب تَفْرِيعِ أَبْوَابِ شَهْرِ رَمَضَانَ، والنسائي في المجتبىٰ (١٦٠٤) كتاب قيام الليل، باب قيام شهر رمضان.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٥) كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال، ومسلم (٢٦٢١) كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم.

رَسُولَ اللهِ، قد غَفَرَ الله لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، فقال: «والله إني لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي»[(١)].

ـ عن عُمَرَ بن أبي سَلَمَةَ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُقَبِّلُ الصَّائِمُ؟ فقال له رسول اللهِ ﷺ: «سَلْ هذه» لِأُمِّ سَلَمَةَ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ ذلك، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، قد غَفَرَ الله لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، فقال له رسول اللهِ ﷺ: «أَمَا والله إني لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ له»[(٢)].

ـ عن مَسْرُوقٍ قال: قالت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: صَنَعَ النبي ﷺ شيئًا تَرَخَّصَ فيه، وَتَنَزَّهَ عنه قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذلك النبي ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ قال: «ما بَالُ أَقْوَامٍ [يَتَنَزَّهُونَ عن الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ][(٣)] فَوَاللهِ إني أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً»[(٤)].

ـ عن أبي قَتَادَةَ: أن رَجُلًا أَتَىٰ النبي ﷺ فقال: كَيْفَ تَصُومُ؟ فَغَضِبَ رسول اللهِ ﷺ، فلما رَأَىٰ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَضَبَهُ قال: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، نَعُوذُ بِاللهِ من غَضَبِ الله، وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَجَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُرَدِّدُ هذا الْكَلَامَ حتىٰ سَكَنَ غَضَبُهُ، فقال عُمَرُ: يا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟ قال: «لا صَامَ ولا أَفْطَرَ» أو قال: «لم يَصُمْ ولم يُفْطِرْ»، قال كَيْفَ من يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قال: «وَيُطِيقُ ذلك أَحَدٌ؟» قال: كَيْفَ من يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قال: «ذَاكَ صَوْمُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، قال: كَيْفَ من يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ؟ قال: «وَدِدْتُ أني طُوِّقْتُ ذلك» ثُمَّ قال رسول اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم (١١١٠) كتاب الصيام، بَاب صِحَّةِ صَوْمِ من طَلَعَ عليه الْفَجْرُ وهو جُنُبٌ، وأبو داود (٢٣٨٩) كتاب الصوم، باب فيمن أصبح جنبًا في شهر رمضان.

(٢) أخرجه مسلم (١١٠٨) كتاب الصوم، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة.

(٣) عند مسلم «يرغبون عما رخص لي فيه».

(٤) أخرجه البخاري (٧٣٠١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَاب ما يُكْرَهُ من التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ في الْعِلْمِ وَالْغُلُوِّ في الدِّينِ وَالْبِدَعِ، ومسلم (٢٣٥٦) كتاب الفضائل، باب عِلْمِهِ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَشِدَّةِ خَشْيَتِهِ.

«ثَلَاثٌ من كل شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلىٰ رَمَضَانَ، فَهٰذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ علىٰ اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ التي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ علىٰ اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قَبْلَهُ»(١).

- عن جَابِرِ بن عبداللهِ قال: شهدتُ مع رسول الله ﷺ الأضحىٰ بالمصلَّىٰ، فلما قَضَىٰ خُطْبَتَهُ نَزَلَ من مِنبَرِهِ، وَأُتِيَ بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ رسول اللهِ ﷺ بيده، وقال: **«بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ، هذا عَنِّي، وَعَمَّنْ لم يُضَحِّ من أُمَّتِي»**(٢).

- عن عبد اللهِ بن وَاقِدٍ قال: نَهَىٰ رسول اللهِ ﷺ عن أَكْلِ لُحُومِ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، قال عبد اللهِ بن أبي بَكْرٍ، فَذَكَرْتُ ذلك لِعَمْرَةَ، فقالت: صَدَقَ، سمعت عَائِشَةَ تَقُولُ: دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ من أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الْأَضْحَىٰ زَمَنَ رسول اللهِ ﷺ، فقال رسول اللهِ ﷺ: **«ادَّخِرُوا ثَلَاثًا، ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ»** فلما كان بَعْدَ ذلك قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الناس يَتَّخِذُونَ الْأَسْقِيَةَ من ضَحَايَاهُمْ، وَيَجْمُلُونَ منها الْوَدَكَ، فقال رسول اللهِ ﷺ: **«وما ذَاكَ؟»** قالوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ شَهِدْتُ مع رسول اللهِ ﷺ الْأَضْحَىٰ بِالْمُصَلَّىٰ لُحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فقال: **«إنما نَهَيْتُكُمْ من أَجْلِ الدَّافَّةِ التي دَفَّتْ، فَكُلُوا، وَادَّخِرُوا، وَتَصَدَّقُوا»**(٣).

عن ابن بُرَيْدَةَ، عن أبيه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: **«نَهَيْتُكُمْ عن ثَلَاثٍ، وأنا آمُرُكُمْ بِهِنَّ، نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فإن في زِيَارتها تَذْكِرَةً، وَنَهَيْتُكُمْ**

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢) كتاب الصيام، بَاب اسْتِحْبَابِ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ من كل شَهْرٍ وَصَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَعَاشُورَاءَ والإثنين وَالْخَمِيسِ، وأبو داود (٢٤٢٥) كتاب الصوم، باب في صوم الدهر تطوعًا.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨١٠) كتاب الضحايا، بَاب في الشَّاةِ يضحي بها عن جَمَاعَةٍ، والترمذي (١٥٢١) كتاب الأضاحي، باب العقيقة بشاة.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧١) كتاب الأضاحي، بَاب بَيَانِ ما كان من النَّهْيِ عن أَكْلِ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثٍ في أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَبَيَانِ نَسْخِهِ وإباحة إلىٰ مَتَىٰ شَاءَ، وأبو داود (٢٨١٢) كتاب الضحايا، بَاب في حَبْسِ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ.

عن الْأَشْرِبَةِ أَنْ تَشْرَبُوا إلا في ظُرُوفِ الْأَدَمِ، فَاشْرَبُوا في كل وِعَاءٍ، غير أَنْ لا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا، وَنَهَيْتُكُمْ عن لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ أَنْ تَأْكُلُوهَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَكُلُوا وَاسْتَمْتِعُوا بها في أَسْفَارِكُمْ»(١).

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: خَطَبَنَا رسول اللهِ ﷺ فقال: «أَيُّهَا الناس، قد فَرَضَ الله عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا» فقال رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حتىٰ قَالَهَا ثَلَاثًا، فقال رسول اللهِ ﷺ: «لو قلت نعم لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ» ثُمَّ قال: «ذَرُونِي ما تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ من كان قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ علىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فإذا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ، وإذا نَهَيْتُكُمْ عن شَيْءٍ فَدَعُوهُ»(٢).

ـ عن جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «نَحَرْتُ ها هنا، وَمِنًىٰ كُلُّهَا مَنْحَرٌ، فَانْحَرُوا في رِحَالِكُمْ، وَوَقَفْتُ ها هنا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، وَوَقَفْتُ ها هنا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»(٣).

ـ عن جَرِيرٍ أَنَّ النبي ﷺ قال له في حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتْ الناس» فقال: «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٩٨) كتاب الأشربة، بَاب في الْأَوْعِيَةِ، والنسائي في المجتبىٰ (٤٤٢٩) كتاب الضحايا، الْإِذْنُ في ذلك (أي الأكل من الضحايا بعد ثلاث).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧) كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف، وأبو داود (١٩٣٦) كتاب المناسك، باب الصلاة بجمع.

(٤) أخرجه البخاري (١٢١) كتاب العلم، بَاب الْإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ، ومسلم (٦٥) كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ مَعْنَىٰ قَوْلِ النبي ﷺ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وابن ماجة (٣٩٤٢) كتاب الفتن، بَاب لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، كلهم عن جرير، وأبو داود (٤٦٨٦) كتاب السنة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، والنسائي في المجتبىٰ (٤١٢٥) كتاب تحريم الدم، باب تَحْرِيمُ الْقَتْلِ، كلاهما عن ابن عمر، والترمذي عن ابن عباس (٢١٩٣) كتاب الفتن، بَاب ما =

ـ عن جُبَيْرِ بن نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيِّ، أَنَّهُ سمع أَبَا الدَّرْدَاءِ يقول: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**»[1].

ـ عن سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْطَىٰ رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فتَرَكَ رسول اللهِ ﷺ رَجُلًا هو أَعْجَبُهُمْ إليَّ، فقلت: يا رَسُولَ اللهِ، مالك عن فُلَانٍ، فَوَاللهِ إني لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فقال: «**أو مُسْلِمًا**» فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي ما أَعْلَمُ منه، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فقلت: مالك عن فُلَانٍ، فَوَاللهِ إني لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فقال: «**أو مُسْلِمًا**» ثُمَّ غَلَبَنِي ما أَعْلَمُ منه، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رسول اللهِ ﷺ، ثُمَّ قال: «**يا سَعْدُ إني لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إلي منه، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ الله في النَّارِ**»[2].

ـ عن أبي مُوسَىٰ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ ما بَعَثَنِي الله كَمَثَلِ رَجُلٍ أتىٰ قَوْمًا، فقال: رأيت الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِني أنا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فالنجاء النَّجَاءَ، فأطاعه طَائِفَةٌ، فَأَدْلَجُوا علىٰ مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ، فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ**»[3].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الناس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فلما أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ التي تَقَعُ في النَّارِ يَقَعْنَ فيها، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ، وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عن النَّارِ، وأنتم تقحمون فيها**»[4].

= جاء لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ.

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٩٤) كتاب الجهاد، بَاب في الِانْتِصَارِ بِرُذُلِ الْخَيْلِ وَالضَّعَفَةِ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧) كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام علىٰ الحقيقة، ومسلم (٦٨) كتاب الإيمان، بَاب تَأَلُّفِ قَلْبِ من يَخَافُ علىٰ إِيمَانِهِ لِضَعْفِهِ، وأبو داود (٤٦٨٥) كتاب السنة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٨٢) كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٨٣) كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ومسلم (٢٢٨٤) كتاب الفضائل، باب شفقته علىٰ أمته، والترمذي (٢٨٧٤) كتاب الأمثال، بَاب ما جاء في مَثَلِ ابن آدَمَ وَأَجَلِهِ وَأَمَلِهِ.

- عن الْمِقْدَامِ الْكِنْدِيِّ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «أنا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ من نَفْسِهِ، فَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أو ضَيْعَةً فَإِلَيَّ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ، وأنا مولىٰ من لا مولىٰ له، أَرِثُ مَالَهُ، وَأَفُكُّ عَانَهُ، وَالْخَالُ مولىٰ من لا مولىٰ له، يَرِثُ مَالَهُ، وَيَفُكُّ عَانَهُ»[1].

- عن عبد اللهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ أَنَّ النبي ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ ﷻ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وقال: «اللهم أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَىٰ، فقال الله ﷻ: «يا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إلىٰ مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ: ما يُبْكِيكَ؟» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رسول اللهِ ﷺ بِمَا قال، وهو أَعْلَمُ، فقال اللهُ: «يا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إلىٰ مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ ولا نَسُوؤُكَ»[2].

- عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، فَأُرِيدُ إن شَاءَ الله أَنْ أختبئ دَعْوتي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يوم الْقِيَامَةِ»[3].

- عن أُبَيِّ بن كَعْبٍ قال: كنت في الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرتها عليه، ثُمَّ دخل آخَرُ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَىٰ قَرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فلما قَضَيْنَا الصَّلَاةَ، دَخَلْنَا جميعًا علىٰ رسول اللهِ ﷺ فقلت: إِنَّ هذا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرتها عليه، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَىٰ قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رسول اللهِ ﷺ فقرآ، فَحَسَّنَ النبي ﷺ شَأْنَهُمَا، فَسَقَطَ في نَفْسِي من التَّكْذِيبِ، ولا إِذْ كنت في الْجَاهِلِيَّةِ، فلما رَأَىٰ رسول اللهِ ﷺ ما قد غَشِيَنِي ضَرَبَ في صَدْرِي، فَفِضْتُ

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٠٠) كتاب الفرائض، باب في ميراث ذوي الأرحام.
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان، باب دعاء النبي لأمته، وبكائه شفقة عليهم.
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٧٤) كتاب التوحيد، بَاب في الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، ومسلم (١٩٨) كتاب الإيمان، بَاب اخْتِبَاءِ النبي ﷺ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ.

عَرَقًا، وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلىٰ اللهِ ﷻ فَرَقًا، فقال لي: «يا أُبَيُّ، أُرْسِلَ إلي أَنْ اقرإ الْقُرْآنَ علىٰ حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إليه أَنْ هَوِّنْ علىٰ أُمَّتِي، فَرَدَّ إلي الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ علىٰ حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إليه أَنْ هَوِّنْ علىٰ أُمَّتِي، فَرَدَّ إلي الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ علىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فقلت: اللهم اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللهم اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كلهم حتىٰ إِبْرَاهِيمُ ﷺ»(١).

ـ عن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «من عَالَ جَارِيَتَيْنِ حتىٰ تَبْلُغَا، جاء يوم الْقِيَامَةِ أنا وهو» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ(٢).

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ له أو لِغَيْرِهِ، أنا وهو كَهَاتَيْنِ في الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ(٣).

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ في سَبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا في سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ في سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو في سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أني أَغْزُو في سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢٠) باب فضائل القرآن وما يتعلق به، بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ علىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَبَيَانِ مَعْنَاهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣١) كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلىٰ البنات، والترمذي (١٩١٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة علىٰ البنات والاخوات.

(٣) أخرجه مسلم (٣٩٨٣) كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، وأبو داود عن سهل (٥١٥٠) كتاب الأدب باب في من ضم اليتيم.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٧٦) كتاب الإمارة، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ في سَبِيلِ اللهِ، وابن =

ـ عبد الرحمن بن عَمْرٍو السُّلَمِيُّ، وَحُجْرُ بن حُجْرٍ قالا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بن سَارِيَةَ، وهو مِمَّنْ نَزَلَ فيه ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٩٢] فَسَلَّمْنَا، وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ، فقال الْعِرْبَاضُ: صلىٰ بِنَا رسول اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ منها الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ منها الْقُلُوبُ، فقال قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فقال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فإنه من يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بها وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فإن كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «**من خَرَجَ من الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أو يَدْعُو إلىٰ عَصَبَةٍ، أو يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ علىٰ أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، ولا يتحاشىٰ من مُؤْمِنِهَا، ولا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ منه**»(٢).

ـ عن عَطَاءِ بن أبي رَبَاحٍ، أَنَّهُ سمع عَائِشَةَ ـ زَوْجَ النبي ﷺ ـ تَقُولُ: كان رسول اللهِ ﷺ إذا كان يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ عُرِفَ ذلك في وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فإذا مَطَرَتْ سُرَّ بِهِ، وَذَهَبَ عنه ذلك، قالت عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ فقال: «**إني خَشِيتُ**

= ماجة (٢٧٥٣) كتاب الجهاد، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ في سَبِيلِ اللهِ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، بَاب في لُزُومِ السُّنَّةِ، والترمذي (٢٦٧٦) كتاب الإيمان، بَاب ما جاء في الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٨) كتاب الإمامة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، والنسائي في المجتبىٰ (٤١١٤) كتاب تحريم الدم، التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية.

أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ علىٰ أُمَّتِي»، وَيَقُولُ إذا رَأَىٰ الْمَطَرَ: «رَحْمَةٌ»[١].

ـ عن ابن عَبَّاسٍ، أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كان عَبْدًا يُقَالُ له مُغِيثٌ، كَأني أَنْظُرُ إليه يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي، وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ علىٰ لِحْيَتِهِ، فقال النبي ﷺ لِعبَّاسٍ: «يا عَبَّاسُ، إلا تَعْجَبُ من حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا؟»، فقال النبي ﷺ: «لو رَاجَعْتِهِ»، قالت: يا رَسُولَ اللهِ تَأْمُرنِي؟ قال: «إنما أنا أَشْفَعُ»، قالت: لَا حَاجَةَ لي فيه[٢].

ـ عن أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ: أتي النبي ﷺ بِثِيَابٍ فيها خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فقال: «من تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هذه؟» فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فقال: «ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ» فَأُتي بها تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بيده فَأَلْبَسَهَا، وقال: «أَبْلِي وأخلقي» وكان فيها عَلَمٌ أَخْضَرُ أو أَصْفَرُ، فقال:

«يا أُمَّ خَالِدٍ هذا سَنَاهْ» وَسَنَاهْ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنٌ[٣].

ـ عن ابن عَبَّاسٍ قال: لَمَّا حُضِرَتْ بِنْتٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ صَغِيرَةٌ، فَأَخَذَهَا رسول اللهِ ﷺ فَضَمَّهَا إلىٰ صَدْرِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عليها، فَقَضَتْ وَهِيَ بين يَدَيْ رسول اللهِ ﷺ، فَبَكَتْ أُمُّ أَيْمَنَ، فقال لها رسول اللهِ ﷺ: «يا أُمَّ أَيْمَنَ، أَتَبْكِينَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَكِ؟»، فقالت: مالي لَا أَبْكِي وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَبْكِي، فقال رسول اللهِ ﷺ: «إني لَسْتُ أَبْكِي، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ». ثُمَّ قال رسول اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم (٨٩٩) كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨٣) كتاب الطلاق، بَاب شَفَاعَةِ النبي ﷺ في زَوْجِ بَرِيرَةَ، وأبو داود (٢٢٣١) كتاب الطلاق، باب في المملوكة تعتق وهي تحت حر أو عبد، والنسائي (٥٤١٧) كتاب آداب القضاة، شفاعة الحاكم للخصوم قبل فصل الحكم، وابن ماجة (٢٠٧٥) كتاب الطلاق، باب خيار الأَمَة إذا أعتقت.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٢٣) كتاب اللباس، بَاب الْخَمِيصَةِ السَّوْدَاءِ، وأبو داود (٤٠٢٤) كتاب اللباس، باب فيما يدعىٰ لمن لبس ثوبًا جديدًا.

«**الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ علىٰ كل حَالٍ، تُنْزَعُ نَفْسُهُ من بَيْنِ جَنْبَيْهِ، وهو يَحْمَدُ الله ﷻ**»[(١)].

ـ عن عبد اللهِ بن جَعْفَرٍ: أَنَّ النبي ﷺ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فقال: «**لا تَبْكُوا علىٰ أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ**»، ثُمَّ قال: «**ادْعُوا لي بَنِي أَخِي**» فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فقال: «**ادْعُوا لي الْحَلَّاقَ**» فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رؤوسنا[(٢)].

ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**» فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ**»[(٣)].

ـ عن جَابِرٍ أَنَّ النبي ﷺ مُرَّ عليه بِحِمَارٍ قد وُسِمَ في وَجْهِهِ، فقال: «**أَمَا بَلَغَكُمْ أني قد لَعَنْتُ من وَسَمَ الْبَهِيمَةَ في وَجْهِهَا، أو ضَرَبها في وَجْهِهَا**» فَنَهَىٰ عن ذلك[(٤)].

❁ ❁ ❁

خلق الرحمة هو أعظم خلق زان رسول الله ﷺ، وصفه به ربه فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (١٨٤٣) كتاب الجنائز، في البكاء علىٰ الميت.

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٩٢) كتاب الترجل، باب في حلق الرأس.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٦) كتاب الجنائز، بَاب إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَىٰ الصَّبِيِّ الْإِسْلَامُ، وأبو داود (٣٠٩٥) كتاب الجنائز، باب في عيادة الذمي.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٦٤) كتاب الجهاد، بَاب النَّهْيِ عن الْوَسْمِ في الْوَجْهِ وَالضَّرْبِ في الْوَجْه.

[آل عمران: ١٥٩]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي صحيح مسلم عن أبي موسىٰ الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «**أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**»[1].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قيل له: يا رسول الله ادع علىٰ المشركين، قال: «**إني لم أبعث لعَّانًا، وإنما بعثت رحمة**»[2].

وكان إذا قام إلىٰ الصلاة سُمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء، فعن مطرف عن أبيه قال: (أتيت النبي ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل) يعني: يبكي[3].

وإذا سمع القرآن من غيره ذرفت عيناه، فقد قرأ عليه ابن مسعود من سورة النساء حتىٰ إذا بلغ قوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال له: «**حسبك**»، فالتفت إليه ابن مسعود فإذا عيناه تذرفان[4].

لقد كان ﷺ بحق رحمة مهداة، ونعمة مسداة إلىٰ الخلق جميعًا: إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، عاقلهم وبَهيمهم.

وتتبدىٰ رحمة النبي ﷺ وشفقته بأمته، وتيسيره عليهم بصورة جلية ـ في كثير من أحاديثه عن نفسه، ففيما يخص الطهارة نجد النبي ﷺ يتعمد أن يصلي يوم فتح مكة الصلوات الخمس بوضوء واحد، ويمسح علىٰ خفيه، فيلفت ذلك نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيسأل النبي ﷺ عن هذا الأمر الذي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

(٣) أخرجه النسائي (١٢١٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٥٠).

لم يره صنعه من قبل، يقول: لقد صنعتَ اليوم شيئًا لم تكن تصنعه، فيجيبه النبي ﷺ: «**عمدًا صنعتُه يا عمر**».

ولا شك أن تجديد الوضوء إذا كان ميسورًا أمر مستحب، وقول عمر (فيه تصريح بأن النبي ﷺ كان يواظب علىٰ الوضوء لكل صلاة عملًا بالأفضل، وصلىٰ الصلوات في هذا اليوم بوضوء واحد بيانًا للجواز)[١].

وقُدِّم للنبي ﷺ طعام، وكان خارجًا من الخلاء لتوه، فقالوا له: ألا نأتيك بوضوء؟ فقال: «**إنما أمرت بالوضوء إذا قمت للصلاة**».

فأوضح أنه لا يجب الوضوء قبل الأكل، وإنما يُكتفىٰ بغسل اليدين؛ لقول عائشة تصف فعل النبي ﷺ: كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ، وإذا أراد أن يأكل غسل يديه[٢]. ولا يقدح في ذلك ما روي عن النبي ﷺ بلفظ: «**بركة الطعام في الوضوء قبله وبعده**»[٣] فهو حديث ضعيف[٤]، ولا يُحمل الكلام فيه علىٰ افتراض صحته ـ إلا علىٰ سبيل الاستحباب.

وتمارىٰ القوم في الغسل عند رسول الله ﷺ أي (تنازعوا فيه، فقال بعضهم صفته كذا، وقال آخرون: كذا)[٥]، فأراد النبي ﷺ أن يبين للناس يسر الأمر وسهولته، وأن يبغضهم في التشديد والتعسير فقال: «**أما أنا فأني أفيض علىٰ رأسي ثلاث أكف**».

---

(١) عون المعبود (١/ ٢٠٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٢٥٤، ٦٧٣٧)، والصغرىٰ (٢٥٦)، وابن حبان (١٢١٨)، وغيرهما.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٧٦١)، والترمذي (١٨٤٦)، وغيرهم. وقال أبو داود: (ليس هذا بالقوي) وهو ضعيف، وقال الترمذي: (لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث قيس بن الربيع، وقيس بن الربيع يضعف في الحديث).

(٤) انظر السلسلة الضعيفة للألباني (١/ ٣٠٩).

(٥) شرح النووي (٤/ ٩).

وأخَّر النبي ﷺ صلاة العشاء ذات ليل حتىٰ رقد الناس، فخرج عمر رضي الله عنه ينادي: الصلاة يا رسول الله، رقد النساء والصبيان.

فخرج عليهم رسول الله ﷺ، مغتسلًا ورأسه يقطر ماءً، وقال: «**لولا أن أشق علىٰ أمتي لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة**».

وهذا يعني أن تأخير العشاء مستحب، وأن وقتها الأفضل هو حصول العتمة، وهي دخول ثلث الليل الأول، لكن النبي ﷺ كان يصليها في أول وقتها من باب الرفق بالناس، ورفع المشقة عنهم.

وعلىٰ نفس النهج يأتي الحديث الذي يؤكد علىٰ فضل السواك، وأنه لولا حصول المشقة لأمر به النبي ﷺ عند كل صلاة، وفي رواية: «**عند كل وضوء**»[١].

ويعطي النبي ﷺ درسًا بليغًا للأئمة الذين لا يراعون مقتضىٰ حال المأمومين، فيخبرهم أنه يقوم في الصلاة يريد إطالتها، فيسمع بكاء الصبي الذي اشتغلت عنه أمه بصلاتها، فيخفف من صلاته حتىٰ لا يشق علىٰ أمه.

وفي ذات السياق تأتي قصة معاذ بن جبل الذي كان يصلي مع رسول الله ﷺ العشاء في مسجده، ثم يأتي مسجد قومه بني سلمة، فيصلي بهم، فيطيل في قراءته، يقرأ بالبقرة أو النساء.

قال جابر بن عبد الله: فتجوَّز رجل، أي: انفلت من الصلاة خلف معاذ، فصلىٰ صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذًا، فقال: إنه منافق، فعلم الرجل بمقالة معاذ، فأتىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي بنواضحنا، وإن معاذًا صلىٰ بنا البارحة، فقرأ البقرة، فتجوزت، فزعم أني منافق، فقال النبي ﷺ: «**يا معاذ، أفتان أنت؟**» ثلاثًا، «**اقرأ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾**

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣١) كتاب الصوم، باب السواك الرطب واليابس للصائم، والنسائي في الكبرىٰ (٣٠٢٤).

[سورة الشمس]، و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلىٰ] **ونحوها**»[١]، وفي رواية: «**فلولا صليت بـ**: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلىٰ]، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [سورة الشمس]، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [سورة الليل]، **فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة**»[٢].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ سأل الرجل: «**كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟**» فأخبر النبي أنه لا يقرأ سوىٰ فاتحة الكتاب، ثم يسأل الله الجنة، ويستعيذ به من النار، وأنه لا يدري ما الكلام الخفي الذي يقوله الرسول ومعاذ في صلاتهما.

فقال له الرسول ﷺ: «**إني ومعاذًا حول هاتين أو نحو هذا**» أي أن مجمل ما أدعو به أنا ومعاذ لا ينفك عن هذين الأمرين: طلب الجنة، والتعوذ من النار.

وقام النبي يصلي في المسجد ذات ليلة ركعات نافلة، فائتم به ناس، وصلوا بصلاته، وخرج في الليلة التالية فصلىٰ، فكثر الناس من خلفه، فلما خرجوا من الثالثة والرابعة لم يخرج إليهم، وفي الصباح قال لهم: «**قد رأيت الذي صنعتم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلَّا أني خشيت أن تفرض عليكم**».

ويفهم من قول الراوي في ختام الحديث: (وذلك في رمضان) أن هذه هي صلاة التراويح، وأن النبي ﷺ أشفق إن هو واظب علىٰ الخروج للقيام، وواظبوا هم علىٰ الائتمام به أن تفرض عليهم هذه الصلاة، فتكون عبئًا عليهم يضاف إلىٰ الصلوات الخمس المفروضات؛ فيعجزوا عن أدائها، فيحاسبوا علىٰ التقصير فيها.

وقد تُوفي رسول الله ﷺ وأبو بكر، والأمر علىٰ ذلك في صلاة التراويح، يخرج الناس فرادىٰ، فيصلي كل منهم ما شاء الله له أن يصلي، أو يجتمع

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٦)، ومسلم (٤٦٥)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥).

بعضهم على قارئ، ويصلي آخرون في بيوتهم، حتى جاء عمر رضي الله عنه فجمعهم في المسجد على قارئ واحد هو أبي بن كعب رضي الله عنه؛ فلما رآهم مجتمعين يصلون بصلاة قارئهم قال: (نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله)[(١)].

وكان رسول الله ﷺ يواصل الصيام، أي يتابع الصيام يومين متتالين، أو أكثر من غير إفطار بالليل، لكنه نَهَىٰ الناس عن ذلك لئلَّا يكلفهم ما لا يطيقون، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل، قال: «**وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**».

فلما رآهم لا ينتهون واصل بهم يومًا ثم يومًا، ثم رأوا هلال شوال، فقال ﷺ: «**لو تأخر لزدتكم**» كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا.

وروى مسلم عن أنس أنه قال: «**أما والله، لو تمادَّ لي الشهر لواصلت وصالًا يدع المتعمقون تعمقهم**»[(٢)].

وجاء رجل يسأل النبي ﷺ عن حكم الإصباح جنبًا في الصيام، فقال النبي ﷺ: «**وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم**»، فقال الرجل: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فغضب الرسول ﷺ، وقال: «**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي**».

وقريب من ذلك هذا الرجل الذي أتى النبي ﷺ يسأله عن حكم القبلة للصائم، فأحاله إلى أم سلمة التي أخبرته أن رسول الله ﷺ يفعل ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «**أما والله إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له**».

وبلغه ﷺ أن ناسًا يتنزهون عما يترخص هو فيه، فلامَهُم على ذلك وقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٠).

(٢) أخرجه مسلم (١١٠٤).

«**فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**».

وأتىٰ رجل يسأل النبي ﷺ: كيف تصوم؟ فغضب الرسول غضبًا شديدًا، وسبب غضبه (أنه كره مسألته؛ لأن حاله لا يناسب حال النبي ﷺ في الصوم، فكان حقه أن يقول: كيف أصوم؟ ليجيبه بما هو مقتضىٰ حاله كما أجاب غيره، وقيل: لأن فيه إظهار عمل السر)[1].

فراح عمر يهدئ من غضب النبي قائلًا: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، نعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسوله، وجعل يردد ذلك حتىٰ سكن غضب النبي ﷺ، فسأله عمر عمن يصوم الدهر كله، فقال ﷺ: «**لا صام ولا أفطر**» أي (أنه لم يحصِّل أجر الصوم لمخالفته، ولم يفطر لأنه أمسك)[2].

ثم سأل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمن يصوم يومين ويفطر يومًا، فقال النبي ﷺ: «**ويطيق ذلك أحد؟**» يستبعد أن يكون ذلك مستطاعًا.

فسأله عمن يصوم يومًا ويفطر يومًا، فقال ﷺ: «**ذلك صوم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ**»، ولم يعلِّق رسول الله ﷺ عليه؛ لأن سبق أن قرر أنه أفضل الصيام[3]، فسأل عمن يصوم يومًا ويفطر يومين، فقال: «**وددت أني طُوِّقتُ ذلك**»، أي وددت أنْ كان ذلك في طاقتي.

ثم بشَّر النبي ﷺ أصحابه بعدد من المنح الإلهية التي يوهبون فيها الثواب والأجر من غير مشقة وبأدنىٰ تكليف، ومنها: صيام ثلاث من كل شهر، وصيام رمضان، فهذا يعدل صوم الدهر. وصيام يوم عرفة الذي يكفر سنة قبله وسنة بعده. وصيام يوم عاشوراء، الذي يكفر سنة قبله.

---

(١) شرح السيوطي علىٰ مسلم (٣/ ٤٤٩).

(٢) فتح الباري (٤/ ٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٣١)، (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، وغيرهما.

ولا ينسىٰ رسول الله ﷺ أمته أبدًا، ولا سيما فقراؤهم وذوو الحاجة منهم، فيصلي صلاة عيد الأضحىٰ في المصلىٰ، ثم يخطب خطبته، وينزل عن منبره، فيؤتىٰ له بكبش يذبحه بيديه، وهو يقول: «**بسم الله والله أكبر، هذا عني، وعمَّنْ لم يضحِّ من أمتي**».

ويَرِد قوم من ضعفاء الأعراب المدينة زمن الأضحىٰ، فيقول النبي لأصحابه: «**ادخروا ثلاثًا ثم تصدقوا**» ينهاهم أن يأكلوا من لحوم الأضاحي بعد ثلاث؛ حتىٰ يتصدقوا بها علىٰ ذوي الحاجة من أولئك الأعراب، ثم شكا له الناس بعد ذلك أنهم كانوا يتخذون الأسقية من ضحاياهم، ويذيبون دهنها فيدخرونه، فأخبرهم ﷺ أنه إنما نهاهم من أجل هذا الحدث العارض، ثم أباح لهم أن يأكلوا ويدخروا ويتصدقوا، ويستمتعوا بها في أسفارهم.

ونَهَىٰ النبي أصحابه عن التشديد علىٰ أنفسهم بكثرة السؤال، فقد أهلك ذلك أقوامًا من قبلهم، ثم قال: «**فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»، وكان النبي قد أمرهم بالحج، فقال رجل: أَكُلَّ عام يا رسول الله؟ فقال: «**لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم**».

وعندما حج رسول الله ﷺ حجته وقف في عرفة عند الصخرات، وأتىٰ المزدلفة فوقف عند قُزَح، ونحر بمنًىٰ عند الجمرة الأولىٰ التي تلي المسجد[1].

وخشي الرسول أن يعتقد الناس أن هذه هي المواضع المشروعة فقط، وأنه لا يجوز النسك في غيرها مع ما في ذلك من تعسير علىٰ جموع الحجيج، فقال: «**نحرت هاهنا، ومنىً كلها منحر، فانحروا في رحالكم، ووقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف، ووقفت هاهنا، وجَمْع كلها موقف**».

وأمر النبي ﷺ جريرًا أن يستنصت الناس، أي يأمرهم بالإنصات ليسمعوا

---

(١) انظر فتح الباري (٣/ ٥٥٢).

خطبته، فلما أنصتوا قال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» (وليس معنىٰ قوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا**» النهي عن الكفر الذي هو ضد الإيمان بالله ورسوله، وإنما المراد بالحديث النهي عن كفر حق المسلم الذي أمر به النبي ﷺ من التناصر والتعاضد)[1].

وكان رسول الله ﷺ ينحاز دائمًا للضعفاء، ويعمل علىٰ رعايتهم، ويتفقد أحوالهم، ويعيل فقيرهم، ويعدُّهم سبب الرزق والنصرة، لا بذواتهم، وإنما بدعائهم وصلاتهم، قال ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[2].

ولم يكن رسول الله ﷺ يتوخىٰ بعطاياه من يحب من المؤمنين، بل ربما حرم بعض هؤلاء، ووكلهم إلىٰ إيمانهم، وقصد بعطائه المؤلفة قلوبهم، ومن يخشىٰ عليهم من حديثي العهد بالإسلام، وهذا هو معنىٰ قوله ﷺ: «**إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إليَّ منه، خشية أن يكبه الله في النار**».

وحذر الرسول ﷺ من مغبة عصيانه، وعدم الاستجابة لما يأمر به، وعدم التجاوب مع محاولاته لإنقاذ الأمة من النار، فإن ذلك أشبه بمن يتغافل عن الخطر المحدق به، وعن اليد التي تمتد إليه، ويلقي بنفسه عامدًا في اللهب المحرق، وأمام ناظريه سبيل النجاة المحقق.

لقد أعلن الرسول ﷺ في وضوح أنه أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم مصداقًا لقول المولىٰ ﷻ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦]، فمن مات وعليه دين مستحق، فعلىٰ النبي قضاؤه، ومن كانت له ذرية ضعفاء

---

(١) شرح ابن بطال (١٠/ ١٨).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (٣١٧٨).

فعلىٰ النبي كفالتهم، ومن ترك مالًا فلورثته، والنبي مولىٰ من لا مولىٰ له، أي حافظ وناصر من لا حافظ ولا ناصر له، ووارث من لا وارث له، يرث ماله، ويخلص أسيره.

فإن لم يوجد للميِّت ورثة إلا الخال فهو وارث من لا وارث له، يرث ماله، ويطلق أسيره.

وكان النبي ﷺ أول الأمر (لا يصلي علىٰ من مات وعليه ديْن لم يخلِّف له وفاءً؛ لئلَّا يتساهل الناس في الاستدانة ويهملوا الوفاء، فزجرهم عن ذلك بترك الصلاة عليهم، فلما فتح الله علىٰ المسلمين مبادئ الفتوح قال ﷺ: «**من ترك دينًا فعليَّ**»)[1].

تلا النبي يومًا قول إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسىٰ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ثم رفع يديه إلىٰ السماء داعيًا: «**اللهم أمتي أمتي**» وبكىٰ، فقال الله لجبريل: «**يا جبريل اذهب إلىٰ محمد، وربك أعلم، فسله: ما يبكيك؟ فجاءه جبريل فسأله فأخبره بما قال، فقال الله ﷻ: يا جبريل اذهب إلىٰ محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**»، ولذلك اختبأ النبي ﷺ دعوته المستجابة عند ربه، لتكون شفاعة لأمته يوم القيامة.

ذلك أن النبي ﷺ تضرع إلىٰ ربه يومًا أن يهوِّن علىٰ أمته قراءة القرآن، وألح علىٰ ربه، وراجعه ثلاث مرات، حتىٰ أوحىٰ إليه أن اقرأه علىٰ سبعة أحرف، وقال له: «**فلك بكل ردة رددتُكها مسألة تسألنيها**» فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي**»، وادخر الثالثة ليشفع بها لأمته يوم القيامة.

وتتوالىٰ المبشرات والرحمات من رسول الله ﷺ، فيبلغنا أن من تكفل ببنتين حتىٰ تبلغا جاء يوم القيامة مرافقًا لرسول الله ﷺ، وأن من كفل يتيمًا

(١) شرح النووي (٦/ ١٥٥).

كان ملاصقًا للنبي في الجنة كإصبعيه السبابة والوسطىٰ، وأن من خرج مجاهدًا في سبيل الله بيقين واستشهد، فله الجنة، ومن رجع سالمًا فله الأجر والغنيمة.

وليعظِّم لنا أجر الجهاد والشهادة أخبرنا ﷺ أنه ما كان يود أن يتخلف عن سرية تغزو في سبيل الله، لولا أن ذلك يشق علىٰ بعض المسلمين الذين يريدون مرافقته ولا يجد هو سعة فيحملهم، ولا يجدون هم سعة فيحملون أنفسهم، ثم أقسم: «**والذي نفسي بيده، لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**».

وفي هؤلاء الفقراء المؤمنين نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

ومن هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية العرباض بن سارية رضي الله تعالىٰ عنه، الذي روىٰ عن رسول الله ما يؤكد حرصه علىٰ اجتماع كلمة المسلمين، وخوفه من أن تمزقهم الفتن، فذكر أنه أوصاهم بتقوىٰ الله، وطاعة الأمراء، وإن وُلِّي عليهم عبد حبشي، وتجنب الخلاف، ومحدثات الأمور، والتمسك بسنة النبي ﷺ، وخلفائه الراشدين.

وهو ما أكدته رواية أبي هريرة عن الرسول ﷺ أن مَنْ خلع الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتةً جاهلية، ومن دعا لعصبية فقتل، قتل قتلة جاهلية، ومن خرج علىٰ الأمة يضرب البر والفاجر، لا يتحاشىٰ المؤمن، ولا يفي بالعهد فليس من سنة النبي في شيء، وليس النبي منه في شيء.

وكان ﷺ شديد الخشية من أن يُسلَّط علىٰ أمته عذاب، فإذا رأىٰ الغيم والريح أصابه القلق، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرِّي عنه، وقال: «**رحمة**».

وبلغ من رفق النبي بأصحابه، وتتبعه لأحوالهم، وتأثره بأحزانهم أنه رثىٰ

لمغيث، وكان عبدًا متزوجًا من بريرة مولاة عائشة، فلما كاتبت بريرة علىٰ حريتها، وصارت حرة، أصبح من حقها أن تختار بين البقاء في عصمة زوجها العبد، أو أن تفارقه، فاختارت مفارقة مغيث، فحزن لذلك حزنًا شديدًا، وصار يتبعها في طرقات المدينة يبكي، ودموعه تسيل علىٰ لحيته، فقال النبي لعمه العباس: «**يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا**» ثم دعا بريرة لمراجعته، فقالت له: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: «**إنما أنا أشفع**»، فقالت: لا حاجة لي فيه.

وأتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة صغيرة، وهي الكساء الأسود المعلَّم، فقال لأصحابه: «**من ترون أن نكسو هذه؟**» فلما سكتوا، قال لهم: «**ائتوني بأم خالد**[1]»، فأتي بها محمولة، فألبسها الكساء وقال: «**أبلي وأخلقي**»[2]، ثم نظر إلىٰ أعلام الخميصة وقال لها: «**يا أم خالد هذا سناه**»، وكلمة (سناه) كلمة حبشية تعني: حسن.

وكان رسول الله ﷺ رحيمًا بالأطفال، ينفطر قلبه إذا رآهم يكابدون ألمًا، فقد رُوي أن رسول الله ﷺ حمل ابنة صغيرة له وهي تحتضر، فقضت بين يديه، فبكىٰ، وكانت أم أيمن حاضنته حاضرة فبكت، فقال لها: «**يا أم أيمن، أتبكين ورسول الله عندك؟**»، قالت: لم لا أبكي ورسول الله يبكي؟! فقال ﷺ: «**إني لست أبكي، ولكنها رحمة**».

وسئل عن بكائه مرة أخرىٰ قال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[3].

---

(١) هي أَمَةُ بنت خالد بن سعيد بن العاص، ولدت بالحبشة، ولم تزل بها حتىٰ قدمت المدينة مع أبويها في السفينتين. انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٢٣٤)، والإصابة (٨/ ٢٠٠).

(٢) هو كلام معروف عند العرب معناه الدعاء بطول البقاء، قال صاحب الأفعال: (يقال: أبلِ وأَخْلقه، أي عش فخرِّق ثيابك وأرِقَّها). شرح ابن بطال (٥/ ٢٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣)، وغيرهما.

وذهب الرسول ﷺ إلىٰ آل جعفر بن أبي طالب بعد ثلاثٍ من وفاته، فقال: «**لا تبكوا علىٰ أخي بعد اليوم**» ثم دعا أولاده، فجيء له بهم كأنهم أفرخ، فأمر باستدعاء الحلاق، فحلق لهم رؤوسهم.

ولم تسع رحمة النبي ﷺ المؤمنين فحسب بل وسعت الكفار، فقد روي أن غلامًا يهوديًا كان يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه يزوره، فقال له: «**أَسْلِم**»، فنظر الغلام إلىٰ أبيه، فأمره أبوه أن يطيع النبي ﷺ، فأسلم الفتىٰ، فخرج النبي من عنده وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

وبلغت رحمته ﷺ البهائم، فقد روىٰ جابر أن النبي ﷺ مر علىٰ حمار وسم في وجهه، فشدد في النهي عن ذلك قائلًا: «**أما بلغكم أني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها، أو ضربها في وجهها**».

❁ ❁ ❁

قال رسول الله ﷺ لعمر وهو يسأله عن أدائه الصلوات جميعًا يوم الفتح بوضوء واحد، ومسحه علىٰ الخفين: «**عمدًا صنعته يا عمر**»

وكلمة «**عمدًا**» تمييز، وقد قدم للتخصيص ولتقرير شرعية هاتين المسألتين: أداء الصلوات الخمس بوضوء واحد، والمسح علىٰ الخفين، والضمير في الفعل عائد عليهما.

وعرض علىٰ النبي الوضوء قبل الطعام فقال: «**إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلىٰ الصلاة**».

والأسلوب أسلوب قصر أداته (إنما) واستخدام الفعل المبني للمجهول للدلالة علىٰ أن النبي ﷺ لا يأتمر بأمر نفسه، ولا يشرِّع من عند نفسه، وإنما يصدر في كل أمر عن ربه.

قال رسول الله ﷺ وقد تمارىٰ الناس عنده في الغسل: «**أما أنا فأني أفيض**

علىٰ رأسي ثلاث أكف».

و(أمَّا) هي التفصيلية الشرطية، وجوابها مقترن بالفاء وجوبًا، وقوله: (أفيض) يشير إلىٰ السهولة واليسر، وقوله: (ثلاث) لإرادة التقليل.

والجملة كلها تفيد الإضراب عن كل الآراء والجدليات بالقول الفصل لرسول الله ﷺ.

صدَّر النبي ﷺ حديثه عن فضيلة تأخير صلاة العشاء، واستخدام السواك عند كل صلاة بعبارة: «**لولا أن أشق علىٰ أمتي لأمرتهم**»، و(قوله: «**لولا**» كلمة لربط امتناع الثانية لوجود الأولىٰ، نحو لولا زيد لأكرمتك، أي لولا زيد موجود)[١].

و«**أن أشق**» مصدر مؤول في محل رفع مبتدأ، وخبره محذوف وجوبًا، والتقدير لولا المشقة موجودة.

واتصال الجواب باللام يفيد التوكيد، وهو الأفضل لأن الفعل ماض مثبت.

وقوله: (لأمرتُهم) توكيد لفضيلة تأخير الصلاة، واستخدام السواك الذي كاد أن يصل للأمر لولا المشقة، ورواية (مع كل صلاة) أقوىٰ من (عند كل صلاة) في إفادة الظرفية الزمانية، لأن (مع) حين تكون مضافة تفيد (ثلاثة معان: أحدها موضع الاجتماع، ولهذا يخبر بها عن الاجتماع، والثاني: زمانه نحو جئتك مع العصر، والثالث: مرادَفةُ عند)[٢].

وقال ﷺ: «**إني لأقوم في الصلاة**»: والمراد بالقيام هنا: الدخول بدليل استخدام حرف الجر في.

«**أريد أن أطوِّل**» جملة حالية.

---

(١) عمدة القاري (٦/ ١٨٠).

(٢) مغني اللبيب (١/ ٤٣٩).

«**فأسمع بكاء الصبي**» أي صوت بكاء الصبي، فالبكاء (إذا مددت أردت به الصوت الذي يكون معه، وإذا قصرت أردت خروج الدمع، وهاهنا ممدود لا محالة بقرينة (فأسمع)، إذ السماع لا يكون إلا في صوت)[١].

«**فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق علىٰ أمه**»: والمراد بالتجوز التخفيف في القراءة، و(كراهية) مفعول لأجله منصوب، مضاف إلىٰ المصدر المؤول.

وهاهنا صورة واقعية بديعة علىٰ اختصارها، إذ نصحب فيها رسول الله ﷺ في مسجده العظيم يؤم أصحابه رجالًا ونساءً، ويقوم إلىٰ الصلاة، فيدخل فيها ونيته التطويل، لموافقة ذلك لمزاج أصحابه، وقد جاء في رواية عن أبي السوداء النهدي، عن ابن سابط أنه ﷺ (قرأ في الركعة الأولىٰ بسورة نحو ستين آية، فسمع بكاء الصبي، فقرأ في الثانية بثلاث آيات)[٢].

سمع النبي بكاء الصبي الذي فجع لانشغال أمه عنه في الصلاة، وأحس النبي بلهفتها عليه، وجزعها لبكائه، فرثىٰ لهما معًا، وخفف من صلاته لكيلا يشق عليهما.

قال رسول الله ﷺ للفتىٰ الذي ترك معاذًا حين أطال في قراءته، وصلىٰ وحده، وانصرف: «**كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟**».

والمراد بالاستفهام التلطف والتحبب، بدليل قوله ﷺ: «**يا ابن أخي**»، أراد التخفيف من الترويع الذي أصابه حين رماه معاذ بالنفاق.

فلما أخبره الفتىٰ أنه لا يقرأ غير فاتحة الكتاب، ويسأل الله الجنة، ويعوذ به من النار ـ قال له رسول الله ﷺ:

«**إني ومعاذًا حول هاتين، أو نحو هذا**»: وخبر إن محذوف جوازًا، والتقدير (إني ومعاذًا ندندن حول هاتين ـ أي: الجنة والنار، و«**حول**» منصوب علىٰ

---

(١) عمدة القاري (٥/ ٢٤٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٦٨٠).

الظرفية، والعامل فيه الخبر المقدر، وقوله: «**أو نحو هذا**»، شك من الراوي)[١].

قال رسول الله ﷺ - حين نَهَىٰ أصحابه عن الوصال، فقالوا له: إنك تواصل -: «**وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**».

والاستفهام غرضه التوبيخ والاستبعاد، وقوله: «**أبيت**» ليس المراد به التوقيت في الليل؛ لأن الإمساك لا يكون إلا نهارًا، وإنما المراد مطلق الكون، أي أكون.

وقوله: «**يطعمني ربي ويسقيني**» يحتمل أنه أريد به الحقيقة، علىٰ سبيل المعجزة، ويحتمل أنه أراد (الكناية عما يخلق الله له من القوة علىٰ الصيام، التي تقوم قيام الطعام والشراب، فلا يتأذىٰ بالوصال)[٢]. وهذا هو الراجح إذ (لو كان طعامه وشرابه من الطعام والشراب المعتادين لما كان مواصلًا، ولكان مفطرًا)[٣]، والله أعلم.

قال النبي ﷺ لمن قالوا له: لست مثلنا: «**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي**»، وقال لمن يتنزهون عما يترخص فيه: «**فوالله إني أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**».

والقسم للتوكيد، واستخدام أفعل التفضيل للدلالة علىٰ بلوغه أعلىٰ الدرجات في هاتين الصفتين، والخشية إشارة إلىٰ القوة العملية، والعلم إشارة إلىٰ القوة العلمية، (أي هم يتوهمون أن رغبتهم عما فعلت أفضل لهم عند الله، وليس كما توهموا، إذ أنا أعلمهم بالأفضل، وأولاهم بالعمل)[٤].

---

(١) شرح أبي داود للعيني (٣/ ١٥٤).
(٢) المنتقىٰ شرح الموطأ (٢/ ٦٠).
(٣) السابق، الموضع نفسه.
(٤) عمدة القاري (٢٥/ ٣٩).

وقال النبي ﷺ في حق من يصوم الدهر: «**لا صام ولا أفطر**» وقد يكون المراد النفي كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، أو يكون المراد الدعاء عليه، كقوله ﷺ لمن لم يأكل بيمينه: «**لا استطعت**».

وقوله ﷺ فيمن يصوم يومين ويفطر يومًا: «**ويطيق ذلك أحد؟**»، هو استفهام غرضه الاستبعاد.

أمَّا قوله فيمن يصوم يومًا ويفطر يومًا: «**ذاك صوم داود** عليه السلام»، فهو كناية عن فضل ذلك النوع من الصوم، وعظم جزاء من يفعله.

قال ﷺ لأصحابه، وهو يبيح لهم الأكل من الضحايا والادخار والتصدق بعد أن كان نهاهم عن الادخار منها فوق ثلاث: «**إنما نهيتكم من أجل الدافَّة التي دفَّت، فكلوا، وادخروا، وتصدقوا**».

والقصر في الجملة الأولىٰ للتوكيد، والأمر: «**كلوا**» و«**ادخروا**» و«**تصدقوا**» للإباحة.

و«**الدافَّة**» هم (القوم يسيرون جماعة سيرًا ليس بالشديد، يقال: هم يدفون دفًّا)[1]، وعنىٰ بذلك قومًا مساكين من الأعراب قدموا المدينة.

(قال الزمخشري: دفت عليهم دافَّةٌ من الأعراب: قدم عليهم جمع يدفون للنجعة وطلب الرزق)[2].

قال رسول الله ﷺ لجرير بن عبد الله في حجة الوداع: «**استنصت الناس**»، وفيه إشارة لأهمية ما سيقوله النبي ﷺ، وتعظيم لحديثه.

وقوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»: المراد: لا ترجعوا بعدي كالكفار، فهو تشبيه محذوف الأداة، والفعل (يضرب): مرفوع

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٤٦٦).

(٢) تاج العروس (٢٣/ ٣٠٣).

علىٰ الأرجح وقيل: إن فيه وجوهًا (أحدها: أن يكون صفة لكفار، أي: لا ترجعوا بعدي كفارًا متصفين بهذه الصفة القبيحة، يعني ضرب بعضكم رقاب آخرين.

والثاني: أن يكون حالًا من ضمير: لا ترجعوا، أي: لا ترجعوا بعدي كفارًا حال ضرب بعضكم رقاب بعض.

والثالث: أن يكون جملة استئنافية، كأنه قيل: كيف يكون الرجوع كفارًا؟ فقال: يضرب بعضكم رقاب بعض)(١).

قال رسول الله ﷺ: «**ابغوني الضعفاء، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**» (ابغوني) بالوصل، أي: اطلبوا إليَّ الضعفاء، وقد تكون بالقطع (أبغوني) أي: أعينوني علىٰ طلب الضعفاء.

«**فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**»: «**فإنما ترزقون**» أسلوب قصر، وبناء الفعلين للمجهول «**تُرزقون وتُنصرون**» دلالة علىٰ التسليم الكامل بأن الرزق والنُصرة بيد الله وحده.

«**بضعفائكم**» الباء للسببية، والمراد بالضعفاء الفقراء، والمعنىٰ: (بسبب كونهم بين أظهركم، أو بسبب رعايتكم ذمامهم، أو ببركة دعائهم، والضعيف إذا رأىٰ عجزه وعدم قوته تبرأ من الحول والقوة بإخلاص، واستعان بالله، فكانت له الغلبة)(٢).

قال رسول الله ﷺ لسعد حين زكَّىٰ أمامه رجلًا بقوله: إني لأراه مؤمنًا، قال: «**أو مسلمًا**» وفي الكلام حذف تأويله: بل قل مسلمًا، وهو نَهْي عن الحكم ببواطن الأمور، ودعوة إلىٰ الاكتفاء بالظاهر، فـ (أو) هنا للإضراب بمعنىٰ: بل.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢/ ١٨٧).
(٢) فيض القدير (١/ ٨٢).

وقيل: إنها (التي للتقسيم والتنويع، أو للشك والتشريك، ومن فَتَحَها أخطأ، وأحال المعنىٰ)[1].

«**إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إليَّ منه**»: «**الرجل**» التعريف دال علىٰ القصد والاختيار، وجملة «**وغيره أحب إليّ منه**» جملة حالية.

وقوله: «**أن يكبه الله في النار**» إشارة إلىٰ من يمتنع عن الإسلام إلا بالعطاء.

قال رسول الله ﷺ: «**مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتىٰ قومًا**»، وقال: «**إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا**»

وكلا القولين تشبيه تمثيلي: شبه النبي ﷺ في الأول نفسه وقد بعثه الله لينذر قومه، فآمن به بعضٌ، وكفر به بعضٌ ـ برجل أتىٰ ينذر قومه من عدو يدهمهم، وأخبرهم أنه رأىٰ الجيش بنفسه، وطلب منهم أن يسارعوا بالنجاة، فصدقه قومٌ فنجوا بأنفسهم، وكذبته طائفةٌ فاجتاحهم الجيش فقضىٰ عليهم.

والتشبيه يلمس واقع البيئة العربية في ذلك الزمان بشدة، ويطرق أسماع المتلقين، ويحشد أذهانهم بصور عاشوها من قبل، وأثرت فيهم وعليهم.

يقول النذير: رأيت الجيش بعيني، وقوله: (بعيني) أراد به تأكيد صدقه، ومعاينته للأمر بنفسه.

وقوله: «**وإني أنا النذير العريان**» جملة اسمية مؤكدة بإن، والأسلوب أسلوب قصر باستخدام ضمير الفصل، وفيه تشبيه شبه فيه النبي نفسه بالنذير العريان.

وهو مثل عربي يضرب (لكل أمر تخاف مفاجأته، ولكل أمر لا شبهة فيه)[2].

والنذير العريان، من العُري (وذلك أن الربيئة للقوم إذا كان علىٰ مكانٍ

---

(١) عمدة القاري (١/ ١٩٤).

(٢) مجمع الأمثال (١/ ٤٩).

عالٍ فبصر بالعدو ـ نزع ثوبه، فألاح به ينذر، فيبقىٰ عريانًا، وقال بعض أهل اللغة: عُري النذير أبلغ في الإنذار؛ لأن الجيش إذا رأوه عريانًا علموا أن الأمر عظيم، وأنشدوا:

ليس النذيرُ الذي يأتيك مؤتزرًا مثلَ النذير الذي يأتيك عُريانًا[(١)]

ورُويت في مورد المثل روايات أخرىٰ لا تخرج عن هذا المعنىٰ.

وقوله ﷺ: «**فالنجاءَ النجاءَ**»: أسلوب إغراء، وفيه مزيد من الإنذار، والتخويف من الهلكة.

قوله: «**فأطاعه طائفة**»، و«**كذبته طائفة**» بين العبارتين مقابلة مؤكدة للمعنىٰ، وازدواج إيقاعي لطيف.

أما التشبيه التمثيلي الثاني، فيشبه النبي ﷺ فيه نفسَه، وهو يحاول أن ينقذ الناس من النار، والناسَ وهم يصرون علىٰ اقتحامها ـ برجل استوقد نارًا، فلما سطع ضوؤها راح الفراش والهوام يقعن فيها، والرجل يحاول أن ينزعهن، فيغلبنه ويقتحمن فيها.

ويُلمح بداية الاقتباس من القرآن الكريم، من قوله تعالىٰ: ﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ [البقرة: ١٧].

ثم يأتي تشبيه المعرضين عن الهدَىٰ بالفراش والهوام التي تنجذب إلىٰ النار مغترة بالضوء، غير عابئة بالهلاك الذي ينتظرها ـ معبرًا بقوة عن حال الكافرين الذين يرفضون ما جاء به النبي، ويصرون علىٰ ضلالهم، غارقين في شهواتهم، غير ملتفتين إلىٰ المصير الأسود الذي ينتظرهم.

ويعلق النبي ﷺ علىٰ ذلك: ملتفتًا من الغيبة إلىٰ الخطاب قائلًا: «**فأنا آخذ بحُجُزكم عن النار، وأنتم تقحِمون فيها**»:

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٤٠٨، ٤٠٩).

كلمة «آخِذٌ» رويت بوجهين:

الأول: اسم فاعل بكسر الخاء وتنوين الذال.

والثاني: فعل مضارع بضم الذال بلا تنوين، والأول أشهر وآكد، وكلاهما صحيحان.

«**بحُجُزكم**» جمع مفردة حُجزة، والحجزة: هي معقد السراويل والإزار.

والجملة كناية عن الإنقاذ والإبعاد.

وكلمة «**النار**» مجاز مرسل علاقته المسببية.

قال ﷺ: «**أنا أولىٰ بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك دينًا أو ضيعة فإلينا، ومن ترك مالًا فلورثته**» وفي العبارة أسلوبا شرط مُصدَّران بـ (مَنْ) الشرطية الدالة علىٰ العموم، والمراد بالضَيْعة العيال، وهو (وصف لورثة الميت بالمصدر، أي: ترك أولادًا أو عيالًا ذوي ضياع، أي: لا شيء لهم)[(١)].

«**أفك عانَه**» أي: (أخلِّص أسيره بالفداء عنه، وأصله: عانِيَهُ، حذف الياء تخفيفًا)[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة**»، وفي رواية: «**لكل نبي دعوة مستجابة**»[(٣)].

وليس المراد من ذلك أن النبي له دعوة واحدة مجابة بل المقصود أن (لكل نبي دعوة، أي: متيقنة الإجابة بخلاف سائر ما يدعون به، فإنه علىٰ الرجاء، وقد لا يجاب بعضه)[(٤)].

«**أختبئ دعوتي**»، وماضيه اختبأ يتعدىٰ بنفسه كما ورد هنا، وكحديث

---

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١١/ ٦١).
(٢) عون المعبود (٨/ ٧٧).
(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩).
(٤) الديباج علىٰ صحيح مسلم (١/ ٢٦٨).

عثمان: «وقد اختبأت عند الله عشرًا إني لرابع الإسلام»[١] أي: ادخرتها.

ويتعدىٰ بحرف، كقولي: اختبأت منه، أي استترت.

وقد مُنح النبي ثلاثًا يسأل بهن ربه، فقال في اثنتين: «**اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي**» ثم قال: «**وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتىٰ إبراهيم**».

وتكرار الدعاء للتوكيد، وقيل: أراد بالأولىٰ الدعاء لأهل الكبائر، وبالثانية الدعاء لأهل الصغائر.

«**وأخرت الثالثة**» والثالثة هي الشفاعة الكبرى.

«**ليوم يرغب إليَّ الخلق**» كناية عن يوم القيامة.

«**حتىٰ إبراهيم**» دليل علىٰ رفعة إبراهيم بين الأنبياء، وتأكيد علىٰ فضل النبي علىٰ سائر الأنبياء، وانفراده بحق الشفاعة الكبرى.

قال النبي ﷺ: «**من عال جاريتين حتىٰ تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو**» وضم أصابعه.

قوله: «**من عال جاريتين**» أي كَفَلَهُما، أفاد العموم، فلم يحدد ما إذا كانت الجاريتان ابنتي العائل، أو أختيه، أو ربيبتيه، فالحديث يشمل كل ذلك.

وقوله: «**جاء يوم القيامة أنا وهو**» وضم أصابعه.

جملة حالية، والمعنىٰ: جاء مصاحبًا لي، وهي كناية عن دخول فاعل ذلك الجنة، ورفعة منزلته بقربه من النبي ﷺ.

وقريب منه قوله عن كافل اليتيم: «**أنا وهو كهاتين في الجنة**» وأشار مالك بالسبابة والوسطىٰ، وهو كناية أيضًا عن القرب الملاصق لرسول الله ﷺ في الجنة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٦٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٠٨).

قال رسول الله ﷺ: «**ما من كَلْمٍ يُكْلَمُ في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلِمَ، لونه لون دم، وريحه مسك**».

ينقل إلينا رسول الله ﷺ في العبارة السابقة صورة للشهداء يوم القيامة حين يحشرون إلىٰ ربهم بجراحاتهم حيّة نديّة كيوم كُلمت، فيُعرفون بين الخلق كلهم بهذه الأوسمة الرفيعة، ويُطوّقون إلىٰ جوار ذلك تكريمًا أعلىٰ، فبينما يظل لون جراحهم لون الدم يكون ريحها ريح المسك. وكل ذلك كناية عن علو منزلة الشهيد عند ربه.

وقوله ﷺ: «**لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**» كناية عن عظم أجر الشهيد، وسموِّ مكانته.

قال رسول الله ﷺ: «**فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين**»

و«**عليكم**» اسم فعل أمر بمعنىٰ: الزموا، والأمر للحث والتحضيض.

وقوله ﷺ: «**عضُّوا عليها بالنواجذ**» كناية عن التمسك الشديد والالتزام الكامل، وهي توحي بأهمية السنة، وضرورة التمسك بها، والعمل بمقتضاها بعد كتاب الله جَلَّ وَعَلَا.

قال رسول الله ﷺ، حين سئل عن سر قلقه حين يرىٰ الريح والغيم: «**إني خشيت أن يكون عذابًا سُلط علىٰ أمتي**»، والجملة مؤكدة بإن، وهي دليل علىٰ عدم علم النبي ﷺ الغيب، إلا ما شاء الله. وجملة «**سُلط علىٰ أمتي**» صفة للعذاب، واستخدام الفعل المبني للمجهول للترهيب من العذاب، والتهويل من شأنه.

وقوله ﷺ حين يرىٰ المطر: «**رحمة**» فيه حذف، فهو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هذا رحمة، والحذف للتركيز علىٰ الخبر، وبيان أهميته.

(وفي رواية: «**ويقول إذا رأىٰ المطر: رحمةً**» بالنصب، أي: اجعله رحمة

لا عذابًا)[١].

وعلىٰ الرواية الثانية تكون «**رحمةً**» جملة طلبية فعلها محذوف تقديره: ارحم، وغرضها الدعاء والرجاء.

قال النبي ﷺ لعمِّه العباس: «**يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا؟**»: والنداء للتنبيه، والاستفهام للتعجب، وكلمتا (حب، وبغض) بينهما طباق، وهما مصدران عاملان عمل الفعل.

وقول النبي ﷺ: «**لو راجعتِه**» فيه حذف، والمعنىٰ: لو راجعتِه لكان خيرًا، والغرض من الجملة الشفاعة.

وقوله ﷺ: «**إنما أنا أشفع**» أسلوب قصر بإنما وضمير الفصل المتكلم، واستخدام المضارع للدلالة علىٰ استمرار الشفاعة وتجددها.

قال النبي ﷺ وقد جاءته خميصة صغيرة: «**ائتوني بأم خالد**» واستخدام الكنية للتدليل والتحبب.

ثم قال حين ألبس الصغيرة الخميصة بيديه الشريفتين: «**أبلي وأخلقي**» وهو أمر غرضه الدعاء.

قال ابن بطال: (من روىٰ: «**أخلقي**» بالقاف، فهو تصحيف، والمعروف من كلام العرب: أخلفي بالفاء، يقال: خلفت الثوب، إذا أخرجت باليه ولفقته، ويقال: أبلِ وأخلف، أي: عشْ فخرق ثيابك وارقعها، هذا كلام العرب، وقد روىٰ داود، عن عمرو بن عون، عن ابن المبارك، عن الجريري، عن أبي نضرة قال: كان أصحاب رسول الله إذا لبس أحدهم ثوبًا جديدًا، قيل له: تبلي ويخلف الله)[٢].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٣/ ٥٦٣).

(٢) شرح ابن بطال (٩/ ١١٧، ١١٨).

ولم يعده العيني تصحيفًا، وإنما اعتبرهما روايتين مقبولتين، وإن رجح الرواية بالفاء، قال العيني: (يُروىٰ بالقاف والفاء، فالقاف من إخلاق الثوب تقطيعه، وقد خلق الثوب وأخلق، وأما الفاء، فبمعنىٰ العوض والبدل، وهو الأشبه)(١).

وقال النبي ﷺ لأم خالد: «**يا أم خالد، هذا سناه**».

والنداء للتحبب، وقوله: «**هذا سناه**» لاستمالة قلبها، والتقرب إليها، لأنها ولدت بالحبشة، وتفهم بعض لغة أهلها.

قال رسول الله ﷺ لأم أيمن حين رآها تبكي ابنته المحتضرة: «**يا أم أيمن، أتبكين ورسول الله عندك؟**»

وفي النداء تنبيه، والاستفهام غرضه التعجب.

وقال رسول الله ﷺ: «**إني لست أبكي، ولكنها رحمة**»

وليس المراد نفي مطلق البكاء، وإنما نفي البكاء للجزع والسخط.

قال النبي ﷺ لآل جعفر بعد ثلاث من وفاته: «**لا تبكوا علىٰ أخي بعد اليوم**»

وهو نَهْيٌ عن البكاء بعد ثلاث، وكلمة: «**أخي**» تعظيم لمكانة جعفر في نفس رسول الله ﷺ.

وقال النبي ﷺ: «**ادعوا لي الحلاق**» فحلق للصبية رؤوسهم.

وحَلْقُ رؤوس الصبية، ضرب من المواساة والتراحم.

قال أبو الحسن القاري: (وإنما حلق رؤوسهم مع أن إبقاء الشعر أفضل إلا بعد فراغ أحد النسكين علىٰ ما هو المعتاد علىٰ الوجه الأكمل ـ لما رأىٰ من اشتغال أمهم أسماء بنت عميس عن ترجيل شعورهم بما أصابها من قتل

---

(١) عمدة القاري (٥/ ٢٢).

زوجها في سبيل الله، فأشفق عليهم من الوسخ والقمل)[١].

رأىٰ النبي ﷺ حمارًا وُسم في وجهه، فقال: «**أما بلغكم أني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها، أو ضربها في وجهها**»

والهمزة للاستفهام، والاستفهام غرضه اللوم والتأنيب.

واستخدم النبي ﷺ المصدر المؤول ليكون آكد من الصريح، «**أني قد لعنت**» والجملة مؤكدة بـ (أنَّ)، والفعل مؤكد بـ(قد)، والمصدر المؤول في محل رفع فاعل.

واقتران النهي باللعن (يدل علىٰ التغليظ، وكونه كبيرة؛ فإنه تعذيب بلا طائل)[٢].

وقد نَهَىٰ عن الوسم أو الضرب في الوجه لأنه قد يؤذي بعض حواس البهيمة، لكن النهي عن ضرب الآدمي في وجهه أشد؛ (لأنه مجمع الحواس، مع أنه لطيف؛ لأنه يظهر فيه أثر الضرب، وربما شانه، وربما آذىٰ بعض الحواس)[٣].

٢ ـ طاعته ﷺ لربه وخشيته منه:

*** «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، «وَلا أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَني اللهُ بِرَحْمَةٍ»:**

عن أبي بُرْدَةَ، عن الْأَغَرِّ الْمُزني ـ وَكَانَتْ له صُحْبَةٌ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنه لَيُغَانُ علىٰ قَلْبِي، وَإِني لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ في الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[٤].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٠٢).
(٢) فيض القدير (٢/ ١٦٤).
(٣) تحفة الأحوذي (٥/ ٣٠٠).
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن، وعلىٰ الذكر، وأبو داود (١٥١٥) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَاللهِ إني لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدني اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، [وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا]**»(٢).

- عن سَهْل بن سَعْدٍ رضي الله عنه قال: ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ امْرَأَةٌ من الْعَرَبِ، فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ السَّاعِدِيَّ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَقَدِمَتْ فَنَزَلَتْ في أُجُم بَنِي سَاعِدَةَ، فَخَرَجَ النبي ﷺ حتىٰ جَاءَهَا، فَدَخَلَ عليها، فإذا امْرَأَةٌ مُنَكِّسَةٌ رَأْسَهَا، فلما كَلَّمَهَا النبي ﷺ قالت: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، فقال: «**قد أَعَذْتُكِ مِنِّي**» فَقَالُوا لها: أَتَدْرِينَ من هذا؟ قالت: لَا، قالوا: هذا رسول اللهِ ﷺ جاء لِيَخْطُبَكِ، قالت: كنت أنا أَشْقَىٰ من ذلك، فَأَقْبَلَ النبي ﷺ يَوْمَئِذٍ حتىٰ جَلَسَ في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ هو وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ قال: «**اسْقِنَا يا سَهْلُ**» فَخَرَجْتُ لهم بهذا الْقَدَحِ، فَأَسْقَيْتُهُمْ فيه، فَأَخْرَجَ لنا سَهْلٌ ذلك الْقَدَحَ، فَشَرِبْنَا منه، قال: ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ عُمَرُ بن عبد الْعَزِيزِ بَعْدَ ذلك، فَوَهَبَهُ له(٣).

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: بَعَثَنَا رسول اللهِ ﷺ في بَعْثٍ، وقال لنا: «**إن لَقِيتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا - لِرَجُلَيْنِ من قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا - فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ**» قال: ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) كتاب الدعوات، بَاب اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وابن ماجة (٣٨١٥) كتاب الأدب، باب الاستغفار.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٢) كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة، بَاب لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وابن ماجة (٤٢٠١) كتاب الزهد، باب التوقي علىٰ العمل. وما بين المعقوفتين زيادة عند البخاري، ليست عند مسلم وابن ماجة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٣٧) كتاب الأشربة، بَاب الشُّرْبِ فِي الْأَقْدَاحِ، ومسلم (٢٠٠٧) كتاب الأشربة، بَاب إِبَاحَةِ النَّبِيذِ الذي لم يَشْتَدَّ ولم يَصِرْ مُسْكِرًا.

أَتَيْنَاهُ نُوَدِّعُهُ حين أَرَدْنَا الْخُرُوجَ، فقال: «**إني كنت أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا بِالنَّارِ، وَإِنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بها إلا الله، فَإِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا**»(١).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَذِلَّةً، فَقَالَ: «**إني أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلَا تُقَاتِلُوا**» فَلَمَّا حَوَّلَنَا اللهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، أَمَرَنَا بِالْقِتَالِ، فَكَفُّوا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧](٢).

عن الْمُهَاجِرِ بن قُنْفُذٍ، أَنَّهُ أتىٰ النبي ﷺ وهو يَبُولُ، فَسَلَّمَ عليه فلم يَرُدَّ عليه حتىٰ تَوَضَّأَ، ثُمَّ اعْتَذَرَ إليه فقال: «**إني كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللهَ ﷻ إلا علىٰ طُهْرٍ**» أو قال: «**علىٰ طَهَارَةٍ**»(٣).

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**لا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غير الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي ولا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ - قال هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قال مُتَعَمِّدًا - فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ**»(٤).

عن حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجِ النبي ﷺ أنها قالت: يا رَسُولَ اللهِ، ما شَأْنُ الناس حَلُّوا بِعُمْرَةٍ، ولم تَحْلِلْ أنت من عُمْرَتِكَ؟ قال: «**إني لَبَّدْتُ رَأْسِي، وَقَلَّدْتُ هَدْيِي، فلا أَحِلُّ حتىٰ أَنْحَرَ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٤) كتاب الجهاد والسير، باب التوديع، والترمذي (١٥٧١) كتاب السير.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (٣٠٨٦) كتاب الجهاد، بَابُ وُجُوبِ الْجِهَادِ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٧) كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَاب أَيَرُدُّ السَّلَامَ وهو يَبُولُ؟.

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٠٤) كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث.

(٥) أخرجه البخاري (١٥٦٦) كتاب الحج، بَاب التَّمَتُّعِ وَالْإِقْرَانِ وَالْإِفْرَادِ بِالْحَجِّ وَفَسْخِ الْحَجِّ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ، ومسلم (١٢٢٩) كتاب الحج، بَاب بَيَانِ أَنَّ الْقَارِنَ لَا يَتَحَلَّلُ إلا في وَقْتِ تَحَلُّلِ الْحَاجِّ الْمُفْرِدِ، وأبو داود (١٨٠٦) كتاب المناسك، باب في الإقران، والنسائي في المجتبىٰ (٢٦٨٢) كتاب مناسك الحج، التلبيد عند الإحرام، =

ما بين الرجاء والخوف تتوازن علاقة المسلم بربه، يرجو رحمته، ويخشىٰ عذابه، وهذا هو ما أشار إليه المولىٰ جَلَّ وَعَلَا وهو يصف حال عباده: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

بل وصف الله آل زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ورسولنا ﷺ هو خاتم رسل الله، وآثرهم عنده، وأقربهم إليه خُلَّة:

ولم تُغْرِ تلك المنزلة السامقة محمدًا ﷺ علىٰ التهاون في طاعة ربه، أو الأمن من مَكْرِه، بل ظل دائم الذكر والاستغفار والتوبة ليطهر قلبه مما قد يعتريه من حديث للنفس، أو فترة عن الذكر.

ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلىٰ في طاعة الله، وإظهار العبودية له، والشكر لما أولاه، فنراه ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ـ يستغفر الله في اليوم مائة مرة، ويتوب إليه أكثر من سبعين مرة.

وهو يطمع في جنة الله، ويخشىٰ ناره، ويذكر لأصحابه أن لا أحد من خلق الله سينجيه عمله، حتىٰ خير خلقه وخاتم رسله محمد ﷺ، فالجميع مرتَهنون برحمة الله جَلَّ وَعَلَا.

دخل الرسول ﷺ علىٰ امرأة ليخطبها، فلما كلمها قالت، وهي لا تعرفه: أعوذ بالله منك، فما لبث حين سمع الاستعاذة بالله أن قال: «**قد أعذتك مني**» وتركها وانصرف.

وأَمَّرَ ﷺ حمزة بن عمرو الأسلمي علىٰ سرية، وأمَره أن يحرق رجلين

= وابن ماجة (٣٠٤٦) كتاب المناسك، باب من لبد رأسه.

من قريش إن وجدهما، وهما: هبَّار بن الأسود، ونافع بن عبد قيس، وكانا قد نخسا بعير زينب بنت رسول الله ﷺ حين خرجت مهاجرة إلىٰ المدينة، فأسقطت جنينها، ومرضت من ذلك.

ثم ما لبث حين أتوه ليودعوه أن رجع عن رأيه، (ونهاهم عن قتلهما حرقًا، لأن الحرق لله وحده)[1]، وقال: «**فإن أخذتموهما فاقتلوهما**».

وظل النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة لا يأمر أصحابه برد أذىً، أو انتقام من معتد، أو نصرة لضعيف؛ لأنه لم يؤمر بذلك.

فلما شكا له أصحابه الذل بعد الإيمان قال لهم: «**إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا**»، فلما تحولوا للمدينة أذن الله لهم في القتال، فأمرهم الرسول بالقتال.

وأتاه المهاجر بن قنفذ وهو يبول، فسلَّم عليه، فَكَرِهَ ﷺ أن يردَّ عليه، فيذكر اسم الله علىٰ غير طهارة، فتمهل حتىٰ توضأ، ثم اعتذر إليه قائلا: «**إني كرهت أن أذكر الله ﷻ إلا علىٰ طهر**».

وكان النبي ﷺ حريصًا علىٰ أن لا يختلط القرآن كلام ربه بغيره من كلام البشر، ولذلك نَهَىٰ عن كتابة حديثه، وأمر من كتب عنه غير القرآن أن يمحوه، ثم عاد فأذن بالكتابة حين أمن اختلاطهما.

قال السيوطي: (هذا منسوخ بالأحاديث الواردة في الإذن في الكتابة، وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن فيها، وقيل: مخصوص بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط، فيشتبه علىٰ القارئ)[2].

وفي حجته الوحيدة التي حجَّها كان ﷺ ملتزمًا بأداء النسك كما أمره به ربه، لا يحِلُّ لنفسه ما لم يحله له الله.

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٤/ ١١١).

(٢) الديباج علىٰ مسلم (٦/ ٣٠٣).

وكان الرسول قارنًا حجته بعمرة، سائقًا معه هديه، فأمر من لم يُسق الهدي معه من أصحابه أن يُحلَّ بعمرة، ويتمتع حتىٰ يحرم بالحج يوم التروية، وظلَّ الرسول ﷺ محرمًا. فسألته السيدة حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله، ما شأن الناس حلُّوا بعمرة، ولم تحلل أنت من عمرتك؟ فقال ﷺ: «**إني لبَّدت رسي**» (وتلبيد الشعر أن يُجعل فيه شيء من صمغ أو نحوه لينضم الشعر، ويلتصق بعضه ببعض احترازًا من تعطنه وتقمله، وإنما يفعل ذلك من يطول مكثه في الإحرام)[1].

«**وقلدت هديي**» (وتقليد البُدن: أن يُجعل في عنقها شعار يُعلم به أنها هدي)[2][3].

«**فلا أحل حتىٰ أنحر**» فدل ذلك علىٰ أن القارن من الحجيج ـ إذا ساق معه الهدي ـ لا يجوز له أن يحل حتىٰ ينحر هديه.

❁ ❁ ❁

قال الرسول ﷺ: «**إنه لَيُغَانُ علىٰ قلبي**» (قال أبو عبيد: يعني أنه يتغشىٰ القلب ما يلبسه، قال: كأنه يعني من السهو، وكذلك كل شيء يغشاه شيء حتىٰ يلبسه فقد غين عليه، يقال: غينت السماء غَيْنًا، وهو إطباق الغيم السماء، وأنشد:

كأني بين خَافيتَيْ عُقاب أصاب حمامةً في يومِ غَيْنِ)[3]

فالغين والغيم بمعنىٰ واحد.

وقال ﷺ: «**وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**».

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٥/ ٣٩).

(٢) لسان العرب (٣/ ٣٦٧).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٣٣١).

وقال: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**».

والجملتان مؤكدتان بـ(إن) واللام، وقد يكون العدد (مائة)مقصودًا لذاته، وقد يكون المراد الكثرة والمبالغة، ودليل ذلك قوله في العبارة الثانية: «**أكثر من سبعين مرة**».

قال ﷺ: «**لن ينجي أحدًا عمله**» النفي بـ(لن) لتوكيد النفي، وقوله: «**ينجي**» يحتمل أن يكون بفتح النون وتشديد الجيم «**يُنَجِّي**» من التنجية،أو بسكون النون وكسر الجيم من الإنجاء.

وقال ﷺ: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة**».

«**ولا أنا**» ينفي النبي عن نفسه نفيًا صريحًا أن يكون مستثنًىٰ من الحكم السابق.

«**يتغمدني**»: يشملني، مأخوذ من غمد السيف؛ (لأنك إذا غمدته فقد ألبسته إياه، وغشَّيته به)[1].

وقال ﷺ: «**سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا**»: «**سددوا**» الزموا السداد، «**قاربوا**» (معناه: لا تبلغوا النهاية بل تقرَّبوا منها، يقال: رجل مقارِب، بكسر الراء: وسط بين الطرفين)[2].

و«**الدُّلجَةُ**» (الدَّلَجُ: محركة، والدُّلجة ـ بالضم والفتح ـ : السير من أول الليل، وقد أَدْلجوا كأخرجوا، فإن ساروا من آخره فادَّلجوا بالتشديد، من باب الافتعال)[3].

«**والقصدَ القصدَ تبلغُوا**» أسلوب إغراء، والقصد: الاعتدال.

وجميع هذه الألفاظ فيها دعوة إلىٰ التوسط في العمل بين الإفراط

---

(١) شرح ابن بطال (١٠/ ١٨١).

(٢) عمدة القاري (١/ ٢٣٧).

(٣) تاج العروس (٥/ ٥٧٠).

والتفريط؛ ليدوم ولا ينقطع.

قال ﷺ للمرأة التي استعاذت بالله منه: «**قد أعذتُكِ منِّي**»: والعبارة كناية عن الترك والمفارقة، وفيها إيحاء باستياء النبي ﷺ من خُلُق المرأة، ومواجهتها له علىٰ هذا النحو.

قال النبي ﷺ لسريَّة أرسلها في بعث: «**فإن أخذتموهما فاقتلوهما**».

والأخذ في قوله: «**أخذتموهما**» كناية عن الأسر والسيطرة.

قال رسول الله ﷺ: «**إني كرهت أن أذكر الله إلا علىٰ طهر**».

وكلمة «**كرهت**» تفيد أن الذكر علىٰ غير طهارة ليس محرمًا، وإنما هو خلاف الأَوْلىٰ، واستخدام المصدر المؤول «**أن أذكر**» لمزيد من التأكيد.

وتسمية السلام ذكرًا مردُّه احتواؤه علىٰ اسم الله صريحًا في قولنا: (ورحمة الله)، وأن رد السلام مأمور به شرعًا في الكتاب والسنة.

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**»: وفي العبارة نَهْي تحذيري عن كتابة الحديث، ويُحمل علىٰ أوجه لسبق الإذن بالكتابة، فقد ورد عند البخاري وغيره أن رجلًا يسمىٰ أبا شاهٍ من أهل اليمن سمع النبي يخطب يوم فتح مكة، فقال: اكتبوا لي يا رسول الله ـ أي خطبة رسول الله ـ فقال رسول الله ﷺ: «**اكتبوا لأبي شاهٍ**»[١]، والجمع بين النهي والإذن؛ (أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك، أو أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد، والإذن في تفريقهما، أو النهي متقدم، والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس، وهو أقربهما مع أنه لا ينافيها، وقيل النهي خاص بمن خُشي منه الاتكال علىٰ الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أُمن منه ذلك)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥)، وغيرهما.

(٢) فتح الباري (١/ ٢٠٨).

قال رسول الله ﷺ: «**إني لبدت رأسي، وقلدت هديي، فلا أحلُّ حتىٰ أنحر**».

قوله ﷺ: «**لبدت رأسي، وقلدت هديي**» كناية عن العزم علىٰ قران الحج بالعمرة؛ لأن من ساق الهدي معه لا يحل حتىٰ ينحر.

وقوله: «**أُحل**» يجوز فتحُ أوله علىٰ أنه ثلاثي من حلَّ (أَحِلُّ)، أو ضمه علىٰ أنه رباعي من أَحَلَّ (أُحِلُّ) (والفتح أوفق لقولها: حَلّوا)[١]، أي لقول السيدة حفصة في بداية الحديث: ما شأن الناس حَلُّوا بعمرة، ولم تحلل أنت من عمرتك؟

٣ ـ نُبل أخلاقه ﷺ:

* «**إني لا أَخِيسُ بالْعَهْدِ، ولا أَحْبسُ الْبُرُدَ**».

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ ادْعُ علىٰ الْمُشْرِكِينَ، قال: «**إني لم أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**»[٢].

ـ عن عبد اللهِ بن عَمْرٍو قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لم يَكُنْ فَاحِشًا ولا مُتَفَحِّشًا، وقال: «**إِنَّ من أَحَبِّكُمْ إليَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**»[٣].

ـ عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا عَدْوَىٰ، ولا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**» قالوا: وما الْفَأْلُ؟ قال: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»[٤].

عن سَلَمَةَ بن الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قال: مَرَّ النبي ﷺ علىٰ نَفَرٍ من أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ،

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٥/ ٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٥٩) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٧٦) كتاب الطب، باب لا عدوىٰ، ومسلم (٢٢٢٤) أبواب الطب والمرض والرقىٰ، باب الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وما يَكُونُ فيه من الشُّؤْمِ، وأبو داود (٣٩١٦) كتاب الطب بَاب في الطِّيَرَةِ.

فقال النبي ﷺ: «**ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فإن أَبَاكُمْ كان رَامِيًا، ارْمُوا وأنا مع بَنِي فُلَانٍ**» قال: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «**ما لَكُمْ لا تَرْمُونَ؟**» قالوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ فقال النبي ﷺ: «**ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ**»[(١)].

عن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ عن بَيْعَةِ النِّسَاءِ، قالت: ما مَسَّ رسول الله ﷺ بيده امْرَأَةً قَطُّ، إلا أَنْ يَأْخُذَ عليها، فإذا أَخَذَ عليها فَأَعْطَتْهُ، قال: «**اذْهَبِي فَقَدْ بَايَعْتُكِ**»[(٢)].

عن ابن الْمُنْكَدِرِ، سمع أُمَيْمَةَ بِنْتَ رُقَيْقَةَ تَقُولُ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في نِسْوَةٍ فقال لنا: «**فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ**» قلت: الله وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنَّا بِأَنْفُسِنَا، قلت: يا رَسُولَ اللهِ بَايِعْنَا، قال سُفْيَانُ: تَعْنِي صَافِحْنَا، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**إنما قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ**»[(٣)].

عن عبد اللَّهِ بن بُرَيْدَةَ قال: سمعت أبي بُرَيْدَةَ يقول: بَيْنَمَا رسول اللهِ ﷺ يمشي جاء رَجُلٌ وَمَعَهُ حِمَارٌ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ ارْكَبْ، وَتَأَخَّرَ الرَّجُلُ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**لا، أنت أَحَقُّ بِصَدْرِ دَابَّتِكَ مِنِّي، إلا أَنْ تَجْعَلَهُ لي**» قال: فَإِنِّي قد جَعَلْتُهُ لك، فَرَكِبَ[(٤)].

عن ابن شِهَابٍ قال: وَزَعَمَ عُرْوَةُ أَنَّ مَرْوَانَ بن الْحَكَمِ وَالْمِسْوَرَ بن مَخْرَمَةَ أَخْبَرَاهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قام حين جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٩) كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٦٦) كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء، وأبو داود (٢٩٤١) كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في البيعة.

(٣) أخرجه الترمذي (١٥٩٧) كتاب السير، بَابُ مَا جَاءَ في بَيْعَةِ النِّسَاءِ، والنسائي في المجتبى (٤١٨١) كتاب البيعة، بَيْعَةُ النِّسَاءِ.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٧٢) كتاب الجهاد، بَاب رَبُّ الدَّابَّةِ أَحَقُّ بِصَدْرِهَا، والترمذي (٢٧٧٣) كتاب الأدب، باب ما جاء أن الرجل أحق بصدر دابته.

أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فقال لهم رسول اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الحديث إليَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ، إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ، وقد كنت اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ**» وقد كان رسول اللهِ ﷺ انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حين قَفَلَ من الطَّائِفِ، فلما تَبَيَّنَ لهم أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إلا إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ، قالوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ رسول اللهِ ﷺ في الْمُسْلِمِينَ، فَأَثْنَىٰ علىٰ اللهِ بِمَا هو أَهْلُهُ، ثُمَّ قال: «**أَمَّا بَعْدُ، فإن إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قد جاؤونا تَائِبِينَ، وَإني قد رأيت أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ علىٰ حَظِّهِ، حتىٰ نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ من أَوَّلِ ما يُفِيءُ الله عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ**» فقال الناس: قد طَيَّبْنَا ذلك لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لهم، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّا لا نَدْرِي من أَذِنَ مِنْكُمْ في ذلك مِمَّنْ لم يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حتىٰ يرفع إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ**» فَرَجَعَ الناس فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إلىٰ رسول اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أنهم قد طَيَّبُوا وَأَذِنُوا[(١)].

عن الْحَسَنِ بن عَلِيٍّ بن أبي رَافِعٍ، أَنَّ أَبَا رَافِعٍ أخبره قال: بَعَثَتْنِي قُرَيْشٌ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ، فلما رأيت رَسُولَ اللهِ ﷺ أُلْقِيَ في قَلْبِي الْإِسْلَامُ، فقلت: يا رَسُولَ اللهِ إني والله لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**إني لا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ، ولا أَحْبِسُ الْبُرُدَ، وَلَكِنْ ارْجِعْ فَإِنْ كان في نَفْسِكَ الذي في نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ**» قال: فَذَهَبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النبي ﷺ فَأَسْلَمْتُ[(٢)].

عن مُحَمَّدِ بن إسحاق قال: كان مُسَيْلِمَةُ كَتَبَ إلىٰ رسول اللهِ ﷺ قال: وقد حدثني محمد بن إسحاق، عن شَيْخٍ من أَشْجَعَ يُقَالُ له: سَعْدُ بن طَارِقٍ، عن سَلَمَةَ بن نُعَيْمِ بن مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ، عن أبيه نُعَيْمٍ قال: سمعت رَسُولَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٠٧) كتاب الوكالة، بَاب إذا وَهَبَ شيئا لِوَكِيلٍ أو شَفِيعِ قَوْمٍ جَازَ، وأبو داود (٢٦٩٣) كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٥٨) كتاب الجهاد، بَاب في الْإِمَامِ يُسْتَجَنُّ بِهِ في الْعُهُودِ.

اللهِ ﷺ يقول لَهُمَا حين قَرَأَ كِتَابَ مُسَيْلِمَةَ: «**ما تَقُولانِ أَنْتُمَا؟**» قالا: نَقُولُ كما قال، قال: «**أَمَا واللهِ، لَوْلا أَنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا**»(١).

عن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قالا: خَرَجَ رسول اللهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ، حتىٰ كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ خَالِدَ بن الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ**» فَوَاللهِ ما شَعَرَ بهم خَالِدٌ، حتىٰ إذا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النبي ﷺ حتىٰ إذا كان بِالثَّنِيَّةِ التي يُهْبَطُ عليهم منها، بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فقال الناس: حَلْ حَلْ، فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، خَلأَتْ الْقَصْوَاءُ، فقال النبي ﷺ: «**ما خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، وما ذَاكَ لها بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ**» ثُمَّ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بيده، لا يسألونني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيها حُرُمَاتِ اللهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**» ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ(٢).

عن السَّائِبِ قال: أَتَيْتُ النبي ﷺ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ وَيَذْكُرُونِي، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**أنا أَعْلَمُكُمْ**» يَعْنِي: بِهِ، قلت: صَدَقْتَ بِأَبِي أنت وَأُمِّي، كُنْتَ شَرِيكِي، فَنِعْمَ الشَّرِيكُ، كُنْتَ لَا تُدَارِي ولا تماري(٣).

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي، [وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ]**»(٤).

هذه جملة من القيم النبيلة التي تحلىٰ بها رسول الله ﷺ، أولها وأجلاها

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٦١) كتاب الجهاد، باب في الرُّسُلِ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧١٣) كتاب الشروط، بَاب الشُّرُوطِ في الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، وأبو داود (٢٧٦٥) كتاب الجهاد، بَاب في صُلْحِ الْعَدُوِّ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٣٦) كتاب الأدب، بَاب في كَرَاهِيَةِ الْمِرَاءِ.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) كتاب المناقب، بَابٌ في فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وابن ماجة (١٩٧٧) كتاب النكاح، بَابُ حُسْنِ مُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ. وما بين المعقوفتين زيادة عند الترمذي

حسن الخلق الذي بعثه الله ليفشيه بين الناس، وعفة اللسان، ورحمة الجنان، والحساسية الفائقة في التعامل مع الآخرين بحيث لا يجرح إحساسًا، ولا يكسر خاطرًا، ولا يدَّعي ما ليس له، ولا ينتزع حقًّا من مستحقيه إلا بإذنهم ورضاهم.

وهو ﷺ أشد الناس تمسكًا بالعهد، وأكثرهم محافظةً علىٰ العرف، وأعظمهم حبًّا للسلم، وإجلالًا لشعائر اللَّه.

وهو الشريك الذي ينعم به شريكه، فلا يرهقه بخلافات ومشاحنات، ولا يعنته بمداراة ومماراة.

وهو ﷺ أحسن الناس خلقًا مع أهله، يوطئ لهم أكنافه، ويذلل لهم أعطافه، ويصبر علىٰ أذاهم، ويتحمل مكارههم، ويستوعب صغائرهم، يشعرهم بحبه ورعايته، ويسبغ عليهم لطفه وعنايته.

ولم يكن حسن خلقه ﷺ مقصورًا علىٰ البشر، وإنما بدا ذلك واضحًا في تعامله مع الحيوان، فكانت تربطه بدوابِّه التي يركبها علاقة فريدة، فيسمي ناقته القصواء، ويتلطف في معاملتها، وينفي عنها سوء الخلق، وشراسة الطبع.

وصفه المولىٰ ﷻ، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ووصف هو نفسه فقال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(١)]، وفي رواية: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[(٢)].

ووصفت السيدة عائشة أم المؤمنين خلقه فقالت: كان خلقه القرآن[(٣)].

أرسل الله إلينا لنتأسىٰ به ونقتدي بخلقه فقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرىٰ (١٠/ ١٩١) (٢٠٥٦٩)، والبزار في مسنده (٨٩٤٩)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وأحمد (١٤/ ٥١٢)، وغيرهما.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١٦٣).

ولذلك صنعه علىٰ عينه، وأدَّبه فأحسن تأديبه، فكان لسانه طيبًا، لا ينطق إلا بكل طيب، حتىٰ إنه لما قيل له: ادع علىٰ المشركين قال: «**إني لم أبعث لعانًا**»، (ولم يكن ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا لعانًا ولا منتقمًا لنفسه، وقد صح أنهم قالوا له: ادع علىٰ دَوْس، فقال: «**اللهم اهد دوسًا**»[١]، وقال: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[٢])[٣].

وكان أحب أصحابه إليه أحسنهم خلقًا، وأطيبهم كَلِمًا، ولذلك كان يعجبه الفأل، فلما سئل: ما الفأل؟ قال: «**كلمة طيبة**».

ومن كريم خلقه أنه لم يكن يُظهر ميله لأحد من أصحابه دون الآخر، أو تشجيعه لفريق دون فريق.

مرّ علىٰ نفر من أسلم يتدربون علىٰ الرمي، وقد قسموا أنفسهم فريقين، فسُرَّ بذلك، وقال لهم: «**ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا**»، ولكي يحفزهم، ويشد علىٰ أيديهم قال: «**ارموا وأنا مع بني فلان**» يعني: فريقًا من الفريقين، فامتنع الفريق الآخر عن الرمي احترامًا لكون رسول الله ﷺ مع المنافسين، فلما أحس حرجهم قال: «**ارموا وأنا معكم كلكم**».

وبايعته النساء علىٰ السمع والطاعة في المنشط والمكره، فاستثنىٰ لهن ما لم يستطعنه ولم يطقنه، لأن الله ﷻ لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فهو أرحم بهن من أنفسهن، وأرادت النساء أن يبايعنه مصافحة باليد، فأبىٰ ذلك.

ففي رواية أكثر تفصيلًا للنسائي وأحمد وابن حبان وغيرهم أن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت النبي في نسوة من الأنصار نبايعه، فقلنا: يا رسول اللَّه نبايعك علىٰ أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق ولا نزني، ولا نأتي ببهتان نفتريه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤)، وغيرهما، وفي آخره: «وأتِ بهم».

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، وأحمد (١/ ٤٤١)، وغيرهما.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ١٣).

بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف، قال: «**فيما استطعتن وأطقتن**»، قالت: قلنا: رسول اللَّه أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول اللَّه، ألا تصافحنا، هلم نبايعك يا رسول اللَّه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة، أو مثل قولي لامرأة واحدة**»[١].

ويأبىٰ الأدب النبوي الرفيع إلا أن يضرب لنا مثالًا ناصعًا في أصول اللياقة، وآداب التعامل مع الناس، فبينما رسول الله ﷺ يمشي لقيه رجل يمتطي حمارًا، فتأخر الرجل ليفسح لرسول الله ﷺ في صدر دابته، فأبىٰ رسول الله ذلك، وقال للرجل: «**لا، أنت أحق بصدر دابتك مني، إلا أن تجعله لي**» فجعله الرجل له، فركب ﷺ.

وجاءه ﷺ وفد من هوازن مسلمين تائبين بعد أن غزاهم رسول الله ﷺ، وغنم منهم مالًا وسبيًا، فطلبوا منه رد أموالهم وسباياهم، غير أن النبي ﷺ خيَّرهم بين أمرين: إما أن يرد لهم أموالهم، وإما أن يرد لهم سبيهم، فاختاروا رد السبي، وكان السبي قد صار إلىٰ أيدي المسلمين، فلم يأمر النبي ﷺ أصحابه برد السبي، وإنما خيرهم بين التنازل عنه لوجه الله، أو تسليمه مع الاحتفاظ بحقهم فيه، حتىٰ يعوضهم النبي عنه من أول فيء يُفيء الله به علىٰ المسلمين.

فتنازلوا جميعًا عما في أيديهم طائعين، وقالوا: قد طيَّبنا ذلك لرسول الله ﷺ لهم، فلم يكتف النبي ﷺ بقولهم، فقد خشي أن يكون بعضهم قد أذن حرجًا منه؛ ولذا أمرهم أن يرجعوا إلىٰ نقبائهم، فيخبر كل واحد منهم نقيبه برأيه، ثم يرجع النقباء بذلك إلىٰ رسول الله ﷺ، حتىٰ يعلم من أذن ممن لم يأذن، ففعلوا ما أمرهم به، ثم عاد النقباء إلىٰ الرسول ﷺ فأخبروه أن الجميع قد أذنوا، وطابت بذلك أنفسهم.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٧٨٠٤)، وأحمد (٦/ ٣٥٧)، وابن حبان (٤٥٥٣)، وغيرهم.

ويقدم الرسول ﷺ نموذجًا فذًّا لاحترام المواثيق والعهود والأعراف احترامًا صارمًا لا تتحكم فيه المصلحة، ولا تغيِّره الظروف، فقد أتىٰ أبو رافع[1] رسولًا من قريش إلىٰ النبي ﷺ، فلما رأىٰ النبي ﷺ، أُلقي في قلبه الإسلام فرفض أن يرجع إلىٰ قريش، لكن الرسول ﷺ طلب منه ألا يفعل؛ لأنه ﷺ ليس من شيمه أن ينقض العهد، أو يحبس الرسل، وأمره أن يرجع إليهم، فإن رأىٰ نفسه مستقرة علىٰ الإسلام، لا ترضىٰ به بديلًا، فليعد حينئذ إلىٰ المسلمين، فأطاع أبو رافع رسول الله ﷺ، فرجع إلىٰ قريش، ثم أتىٰ النبي فأسلم.

وجاء رسولان من مسيلمة إلىٰ رسول الله ﷺ بكتابه الذي خاطب فيه الرسول قائلًا: (أما بعد، فإني قد أُشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشًا قوم يعتدون)[2].

فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب قال للرسولين: «**فما تقولان أنتما؟**» قالا: نقول كما قال، قال: «**أما والله، لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما**».

ولم يكن أحد أرفق من رسول الله ﷺ بقومه، رغم عنادهم وكفرهم، فلما خرج معتمرًا زمن الحديبية، علم أن خالد بن الوليد في خيل لقريش بالغميم، فأمر أصحابه بالانحراف عن طريقه؛ حتىٰ لا تحدث مواجهة بين الفريقين.

حتىٰ إذا كان بالثنية التي يهبط منها علىٰ مكة بركت به راحلته، فكانت إذا

---

(١) قيل: هو أبو رافع مولىٰ النبي ﷺ، (اسمه إبراهيم ويقال: أسلم، ويقال: ثابت، ويقال: هرمز). انظر: عون المعبود (٧/ ٣١١).
وقال صاحب مرقاة المفاتيح: (لم يذكره المؤلف في أسمائه، وإنما ذكر أسلم مولىٰ النبي ﷺ، غلبت عليه كنيته، كان قبطيًا، وكان للعباس فوهبه للنبي، فلما بُشر النبي بإسلام العباس أعتقه، وكان إسلامه قبل بدر، فلعله هو، لكن سياق الحديث يأباه، والله أعلم). مرقاة المفاتيح (٧/ ٤٩١).

(٢) سيرة ابن هشام (٥/ ٣٠٣).

حُولت عن مكة قامت ومشت، وإذا وجهت إلىٰ مكة بركت، فعلم النبي ﷺ أن حابس الفيل حبسها، (ففهمها رسول الله ﷺ من ربه، ولم يتعرض لدخول مكة، وقبل مصالحة المشركين، وحبس جيشه عن انتهاك حرمات الحرم وأهله)[١]، وقال: «**والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**».

وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس رفقة، وألطفهم عشرة، لكنه كان أبعدهم عن المراء والمداراة، وصفه السائب المخزومي[٢] فقال: كنت شريكي فنعم الشريك، كنت لا تداري ولا تماري.

ووصف نفسه فقال: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» (والأهل قد يخص الزوجة وأولادها، وقد يطلق علىٰ جملة الأقارب، فهم أولىٰ من الأجانب)[٣].

وخيريته ﷺ لأهله تعني أنه كان أكثر الناس برًا ونفعًا لأهله، ولا سيما نساؤه، كان يعتني بهن، ويهتم بتفقد أحوالهن، فكان إذا صلىٰ العصر دار علىٰ نسائه، فدنا منهن، واستقرأ أحوالهن، فإذا جاء الليل انقلب إلىٰ صاحبة النوبة، وكان إذا شربت عائشة من الإناء أخذه فوضع فمه علىٰ موضع فمها وشرب، وإذا تعرقت عَرْقًا، وهو العظم الذي عليه اللحم أخذه فوضع فمه علىٰ موضع فمها[٤]، ولما أراد أن يحمل صفية بنت حيي علىٰ بعير نصب لها فخذه لتضع رجلها عليه، فوضعت ساقها عليه.

وفي تذكرة ابن عراق عن الإمام مالك: (يجب علىٰ الرجل أن يتحبب

---

(١) شرح ابن بطال (٨/ ٩٢).

(٢) هو السائب بن أبي السائب صيفي بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي، كان شريك النبي قبل البعثة، ثم أسلم وصحب. [تقريب التهذيب (١/ ٢٢٨)].

(٣) فيض القدير (٣/ ٤٩٦).

(٤) معنىٰ حديث عند مسلم برقم (٣٠٠).

إلىٰ أهل داره حتىٰ يكون أحب الناس إليهم)[١].

۞ ۞ ۞

قال ﷺ: «**إني لم أبعث لعَّانًا، وإنما بعثت رحمة**»

والجملتان بينهما مقابلة مؤكِّدة.

و«**لعانًا**» صيغة مبالغة، تعني: كثير اللعن (وهو الطرد، والمراد به هنا: الدعاء بالبعد عن رحمة الله تعالىٰ، وإنما أتىٰ بصيغة المبالغة؛ لأن الاحتراز عن قليله نادر الوقوع في المؤمنين)[٢].

قال ﷺ: «**إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقًا**» والخبر (من أحبكم) مقدم للتخصيص، و(مِنْ) للتبعيض، ورأىٰ البعض أنها زائدة، والمعنىٰ: (أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقًا)[٣].

وقال ﷺ: «**لا عدوىٰ، ولا طيرة، ويعجبني الفأل**»: و(لا) نافية للجنس، وخبرها محذوف جوازًا، وتقديره: مؤثرة، والمراد كما ذهب إليه أغلب الشراح أنه لا عدوىٰ مؤثرة بنفسها، وفي ذلك رد الأسباب إلىٰ مسببها الأول ﷻ، وهو لا يعارض قوله ﷺ: «**لا يوردن ممرض علىٰ مصح**»[٤]، ولا قوله: «**فر من المجزوم فرارك من الأسد**»[٥].

قال النووي: (قال جمهور العلماء: يجب الجمع بين هذين الحديثين[٦]،

---

(١) فيض القدير (٣/ ٤٩٦).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٥٧).

(٣) السابق (٩/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١)، وغيرهما.

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٣)، والبيهقي في الصغرىٰ (٢٥١٥) (٦/ ٢٠٣)، وغيرهما.

(٦) أراد حديث: «لا عدوىٰ»، وحديث: «لا يوردن ممرض علىٰ مصح».

وهما صحيحان، قالوا: وطريق الجمع أن حديث: «**لا عدوىٰ**» المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن المرض والعاهة تُعدي بطبعها لا بفعل الله تعالىٰ، وأما حديث: «**لا يورد ممرِض علىٰ مُصِحٍ**» فأرشد فيه إلىٰ مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالىٰ وقدره، فنفىٰ في الحديث الأول العدوىٰ بطبعها، ولم ينف حدوث الضرر عند ذلك بقدر الله تعالىٰ وفعله، وأرشد في الثاني إلىٰ الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وإرادته وقدره)[١].

وذهب البعض إلىٰ أن (لا) ناهية، وليست نافية، (قال القاضي: واختلفوا في قوله ﷺ: «**لا عدوىٰ**»، فقيل: هو نَهْي عن أن يُقال ذلك أو يُعتقد، وقيل: هو خبر، أي: لا تقع عدوىٰ بطبعها)[٢].

والطيرة من الطير: ذلك (لأنهم كانوا يعتقدون أن الطير تجلب لهم نفعًا، أو تدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه)[٣]، يشير بذلك إلىٰ عادة زجر الطير التي كانت سائدة في الجاهلية عند العرب.

والفأل: ضد الطيرة، فبين الكلمتين طباق.

قال ﷺ حين سئل عن الفأل: «**كلمة طيبة**»: والكلام فيه حذف، حُذف المبتدأ جوازًا لورود الخبر جوابًا لسؤال، والتقدير: الفأل كلمة طيبة، وحُذف المبتدأ لإرادة التركيز علىٰ الخبر.

قال ﷺ: «**ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا**»: والأمر للحث والاستنهاض، ونداؤهم ببني إسماعيل لاستدعاء نوازع الفخر بالأصل الكريم عندهم، لمزيد من التشجيع والحث.

---

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٤/ ٢١٣، ٢١٤).
(٢) السابق (١٤/ ٢١٨).
(٣) لسان العرب (٤/ ٥١٣).

ثم قال: «**ارموا، وأنا مع بني فلان**»: وجملة: «**وأنا مع بني فلان**» الواو فيها للحال، والجملة بعدها حاليَّة، أراد بها إزكاء روح التنافس والغيرة المحمودة.

وقال ﷺ: «**ما لكم لا ترمون؟**» والاستفهام للتعجب والدهشة.

وتكرار الفعل «**ارموا**» ثلاث مرات، تأكيد علىٰ إرادة النبي ﷺ في تشجيعهم علىٰ الرمي.

ولذلك قال في الأخيرة: «**ارموا فأنا معكم كلكم**».

قال ﷺ للنساء، وقد طلبن منه أن يبايعنه مصافحة باليد: «**إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة**».

والعدد «**مائة امرأة**» غير مقصود بعينه، وإنما المراد المبالغة، والأسلوب أسلوب قصر بـ(إنما)، والتشبيه مقلوب، فالأصل أن قوله: «**لامرأة واحدة**» كقوله: «**لمائة امرأة**»، وهو كقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

قال ﷺ للرجل الذي تأخر عن صدر دابته له: «**لا، أنت أحق بصدر دابتك**»: و«**لا**» تعني: لا أركب وحدي أو في الصدر، فحذف الفعل، وقوله: («**أنت أحق**» تعليل له، أي: لا أركب، وأنت تأخرت؛ لأنك أحق بصدر دابتك)[1].

واختلف في المراد من الضمير في قوله: «**إلا أن تجعله لي**»، و: «**قد جعلته لك**».

فقيل: الحمار، أي أن الرجل نزل عن الحمار، وتركه لرسول الله ﷺ.

وقيل: بل الضمير عائد علىٰ صدر الدابة، («**أن تجعله**» أي الصدر، «**لي**» أي صريحًا، قال: قد جعلته لك، فركب: أي علىٰ صدرها)[2].

وقيل: الضمير عائد علىٰ التصرف في المشي كيف أراد (وهو المعنىٰ

(١) مرقاة المفاتيح (٧/ ٤٢٤).
(٢) تحفة الأحوذي (٨/ ٤٧).

الذي لأجله كان صاحب الدابة أحق بصدرها، فإنه يستشكل قوله: «**أن تجعله لي**» مع كونه تأخر، وأذن له في الركوب علىٰ مقدمه، وهذا هو محله له، وينحل الإشكال بما ذكرته من أن المراد أن يجعل له أمر قيادها، بأن يتصرف في سيرها كيف يريد)[(١)]، والمعنىٰ يحتمل كل ما ذكر.

قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهو يدعوهم إلىٰ التنازل عن سبي هوازن بعد أن جاؤوا تائبين: «**فمن أراد أن يطيِّب بذلك فليفعل**».

وقوله: «**أن يطيِّب**» يجوز أن يكون الفعل فيه من الثلاثي (طَابَ يَطيبُ)، أو الرباعي: (أطاب يُطيب)، أو بالتشديد (طَيَّب يُطَيِّب).

والمعنىٰ علىٰ كونه من الثلاثي (أن تطيب نفسه بذلك، أي: بدفع السبي إليهم، فليفعل، وهو جواب (مَنْ) المتضمنة معنىٰ الشرط، فلذلك حصلت فيه الفاء، والفعل هنا لازم.

وعلىٰ كونه من باب الإفعال أو التفعيل يكون الفعل متعديًا، والمفعول محذوفًا، تقديره: (أن يُطِيبَ نفسه بذلك) بضم الياء وكسر الطاء وسكون الياء، و(أن يُطَيِّبَ) بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الياء)[(٢)].

وقال ﷺ: «**حتىٰ نعطيه إياه من أول ما يُفيء الله علينا**»: والفعل (يُفيء): مضارع، ماضيه الرباعي (أفاء) من الفيء (وهو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد، وأصل الفيء الرجوع، كأنه كان في الأصل لهم فرجع إليهم، ومنه قيل للظل الذي يكون بعد الزوال فيء؛ لأنه يرجع من جانب الغرب إلىٰ جانب الشرق)[(٣)].

قال ﷺ: «**إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُرد**».

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٧/ ٢٤٣).
(٢) عمدة القاري (١٢/ ١٣٨).
(٣) لسان العرب (١/ ١٢٦).

و«**أخيس**» أي: أُخلف، وأصله من (خاس الشيء يخيس خيسًا: تغير وفسد وأنتن)[١].

ولذلك عده أهل اللغة من المجاز، كأنه شبه إخلاف الوعد وإبطاله بفساد الطعام وتغيره. قال الزمخشري: (ومن المجاز: خاس بوعده وبعهده، إذا نكث وأخلف وخاس بما كان عليه، قال ابن الدمينة:

فيا رب إن خاست بما كان بيننا

من الوُدِّ فابعثْ لي بما فَعَلتْ صبرا[٢]

والبُرُد: جمع بريد (والبريد: الرسول، ومنه قول بعض العرب: الحمىٰ بريد الموت، أي: رسوله، ثم استعمل في المسافة التي يقطعها، وهي اثنا عشر ميلًا)[٣].

ولا يخفىٰ ما بين الجملتين، (**لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد**) من ازدواج إيقاعي، وسجع عفوي.

قال النبي ﷺ لرسولَيْ مسيلمة: «**ما تقولان أنتما؟**» والمراد بالقول هنا إبداء الرأي، وفي الجملة حذف، والمعنىٰ: ما تقولان أنتما فيما يدعيه مسيلمة؟ والحذف غرضه الإعراض عن قول مسيلمة، والاستنكاف من ترديده.

ثم يقول النبي ﷺ: «**أَمَا والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربتُ أعناقكما**»: و«**أَمَا**» بالفتح والتخفيف لها في اللغة وجهان: (أحدهما: أن تكون حرف استفتاح بمنزلة ألا، وتكثر قبل القسم كقوله:

أما والذي أبكىٰ وأضحك والذي

أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ

---

(١) السابق (٦/ ٧٤).

(٢) أساس البلاغة (١/ ١٧٩).

(٣) المصباح المنير (١/ ٤٢).

والثاني: أن تكون بمعنىٰ حقًّا أو أحقًّا)[١].

والتي في الحديث هي الأولىٰ التي من مفتتحات القسم، واستخدامها مع القسم للتنبيه والتحذير من فداحة ما يقول الرسولان.

وقوله: «**لضربت أعناقكما**»: إشارة إلىٰ أنهما كانا يستحقان القتل (لأنهما قالا بحضرته: نشهد أن مسيلمة رسول الله)[٢]، فلم يمنعه من ذلك إلا عهد الرسل وأمانهم.

قال رسول الله ﷺ: «**ما خلأت القصواء، وما ذلك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**»: وقوله: «**ما خلأت القصواء**»: (الخلاء بالمعجمة وبالمد للإبل كالحران للخيل، وقال ابن قتيبة: لا يكون الخلاء إلا للنوق خاصة، وقال ابن فارس: لا يقال للجمل: خلأ، لكن: ألحَّ، والقصواء بفتح القاف بعدها مهملة ومد: اسم ناقة رسول الله ﷺ، وقيل: كان طرف أذنها مقطوعًا، والقصو: قطع طرف الأذن، يقال: بعير أقصىٰ، وناقة قصوىٰ، وكان القياس أن يكون بالقصر، وقد وقع ذلك في بعض نسخ أبي ذر، وزعم الداودي أنها كانت لا تسبق، فقيل لها القصواء؛ لأنها بلغت من السبق أقصاه)[٣].

ونَفْيُ النبي ﷺ عن ناقته الخلاء يشير إلىٰ العلاقة الحميمة التي تربطه بناقته، وفهمه لطباعها، وحسن ظنه بها.

وقوله ﷺ: «**حابس الفيل**» كناية عن المولىٰ ﷻ، وفيه إشارة إلىٰ تعظيم حرمات مكة.

قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» كلمة «خيركم» في الجملة الأولىٰ لا يراد بها الخيرية المطلقة، وإنما المعنىٰ أنه من خيركم؛

---

(١) مغني اللبيب (١/ ٧٨).

(٢) مرقاة المفاتيح (٧/ ٤٩٢).

(٣) فتح الباري (٥/ ٣٣٥).

(فحذفت مِنْ، وهي مرادة، كما يقال: فلان أعقل الناس وأفضلهم، ويراد أنه من أعقلهم وأفضلهم)(١).

وقوله: «**وأنا خيركم لأهلي**»: الخيرية مؤكدة باستخدام أسلوب القصر بالضمير المنفصل «**أنا**»، وهي هنا خيرية مطلقة لأنها وصف لسيد الخلق وأفضلهم محمد ﷺ.

وقوله: «**وإذا مات صاحبكم فدعوه**»: المراد بالصاحب هنا: أي واحد من جملة الأهل والأصحاب، و(دعوه) كناية عن ترك ذكر المساوئ والعيوب، وعلاقة الجملة بصدر الكلام، أن التجاوز عن سيئات وعيوب الميت بعد موته يعد من أسباب تحقق الخيرية في الأهل.

٤ـ عدلُه ﷺ:

* «**من يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ؟**».

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: بَيْنَا النبي ﷺ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا، فقال ذُو الْخُوَيْصِرَةِ ـ رَجُلٌ من بَنِي تَمِيمٍ: يا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ، قال: «**وَيْلَكَ، من يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ؟**»(٢).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ: الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ، وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا، قَالَ: «**إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ**» فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «**مَنْ يُطِعِ اللهَ إِذَا عَصَيْتُ؟**

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٧٧، ٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٣) كتاب الأدب، بَاب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ وَيْلَكَ، وبنحوه عند مسلم عن جابر بن عبدالله (١٠٦٣) كتاب الزكاة، بَاب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِم.

أَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، فَلا تَأْمَنُوني؟» فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ، أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ في عَقِبِ هَذَا، قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[1].

عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ، أَنَّ رَجُلًا عَضَّ يَدَ رَجُلٍ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ، فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ أو ثَنَايَاهُ، فَاسْتَعْدَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما تَأْمُرني؟ تَأْمُرني أَنْ آمُرَهُ أَنْ يَدَعَ يَدَهُ في فِيكَ، تَقْضَمُهَا كما يَقْضَمُ الْفَحْلُ، ادْفَعْ يَدَكَ حتىٰ يَعَضَّهَا ثُمَّ انْتَزِعْهَا**»[2].

عن سَهْلِ بن سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتي النبي ﷺ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ منه، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عن يَسَارِهِ، فقال: «**يا غُلَامُ، أَتَأْذَنُ لي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ؟**» قال: ما كنت لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا - يا رَسُولَ اللهِ - ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ[3].

عن ابن عُمَرَ أَنَّ النبي ﷺ قال: «**أَرَاني أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ من الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَىٰ الأَكْبَرِ مِنْهُمَا**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤) كتاب: أحاديث الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾، ومسلم (١٠٦٤) كتاب الزكاة، بَاب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهم، والنسائي في المجتبىٰ (٢٥٧٨) كتاب الزكاة، بَاب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهم.

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٨) كتاب القسامة، باب الصائل علىٰ نفس الإنسان، والنسائي في المجتبىٰ (٤٧٥٨) كتاب القسامة، باب الْقَوَدُ من الْعَضَّةِ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥١) كتاب الشرب والمساقاة، باب في الشرب، ومسلم (٢٠٣٠) كتاب الأشربة، بَاب اسْتِحْبَابِ إِدَارَةِ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَنَحْوِهِمَا عن يَمِينِ الْمُبْتَدِئِ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٦) كتاب الوضوء، باب دفع السواك للأكبر، ومسلم (٣٠٠٣) =

عن ابن شِهَابٍ قال: قال حُمَيْدُ بن عبد الرحمن: سمعت مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، وَإِنَّمَا أنا قَاسِمٌ، وَاللهُ يُعْطِي [وَلَنْ تَزَالَ هذه الْأُمَّةُ قَائِمَةً علىٰ أَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ من خَالَفَهُمْ حتىٰ يَأتي أَمْرُ اللهِ]»(١).

عن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا جاء فقال: يا رَسُولَ اللهِ سَعِّرْ، فقال: «بَلْ أَدْعُو» ثُمَّ جَاءَهُ رَجُلٌ فقال: يا رَسُولَ اللهِ سَعِّرْ، فقال: «بَلْ الله يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَإِني لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدِي مَظْلَمَةٌ»(٢).

عن صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ قال: كنت نَائِمًا في الْمَسْجِدِ علىٰ خَمِيصَةٌ لي ثَمَنُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاخْتَلَسَهَا مِنِّي، فَأُخِذَ الرَّجُلُ، فأتي بِهِ رسول اللهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهِ لِيُقْطَعَ، قال: فَأَتَيْتُهُ، فقلت: أنقطعه من أَجْلِ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا؟ أنا أَبِيعُهُ وَأُنْسِئُهُ ثَمَنَهَا، قال: «فَهَلَّا كان هذا قبل أَنْ تَأْتِيَنِي به»(٣).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ أَبَا جَهْمِ بْنَ حُذَيْفَةَ مُصَدِّقًا، فَلاحَّهُ رَجُلٌ في صَدَقَتِهِ، فَضَرَبَهُ أَبُو جَهْمٍ فَشَجَّهُ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: الْقَوَدُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكُمْ كَذَا وَكَذَا» فَلَمْ يَرْضَوْا، قَالَ: «لَكُمْ كَذَا وَكَذَا» فَلَمْ يَرْضَوْا، فَقَالَ: «لَكُمْ كَذَا وَكَذَا» فَرَضُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِني خَاطِبٌ العشِيَّةَ عَلَىٰ النَّاسِ، وَمُخْبِرُهُمْ بِرِضَاكُمْ» قَالُوا: نَعَمْ، فَخَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ اللَّيْثِيِّينَ أَتَوني يُرِيدُونَ الْقَوَدَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ كَذَا وَكَذَا

= كتاب الزهد والرقائق، بَاب مُنَاوَلَةِ الْأَكْبَرِ.

(١) أخرجه البخاري (٧١) كتاب العلم، باب من يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة، بَاب كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ. وما بين المعقوفتين ليس عند مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٥٠) كتاب الإجارة، بَاب في التَّسْعِيرِ، والترمذي (١٣١٤) كتاب البيوع، بَاب ما جاء في التَّسْعِيرِ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٩٤) كتاب الحدود، بَاب من سَرَقَ من حِرْزٍ، والنسائي في المجتبىٰ (٤٨٨٣) كتاب قطع السارق، ما يَكُونُ حِرْزًا وما لَا يَكُونُ.

فَرَضُوا، أَرَضِيتُمْ؟» قَالُوا: لا، فَهَمَّ الْمُهَاجِرُونَ بهم، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكُفُّوا عنهم فكَفُّوا، ثُمَّ دَعَاهُمْ فَزَادَهُمْ، وَقَالَ: «أَرَضِيتُمْ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «إني خَاطِبٌ عَلَىٰ النَّاسِ، وَمُخْبِرُهُمْ بِرِضَاكُمْ» قَالُوا: نَعَمْ، فَخَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «أَرَضِيتُمْ» قَالُوا: نَعَمْ(١).

- عن أبي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بن خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنهما قالا: جاء أَعْرَابِيٌّ فقال: يا رَسُولَ اللهِ، اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ فقال: صَدَقَ، اقْضِ بَيْنَنا بِكِتَابِ اللهِ، فقال الْأَعْرَابِيُّ: إِنَّ ابْنِي كان عَسِيفًا علىٰ هذا، فَزَنَىٰ بِامْرَأَتِهِ، فَقَالُوا لي: علىٰ ابْنِكَ الرَّجْمُ، فَفَدَيْتُ ابْنِي منه بِمِائَةٍ من الْغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالُوا: إنما علىٰ ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، فقال النبي ﷺ: «لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَىٰ ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَمَّا أنت يا أُنَيْسُ - لِرَجُلٍ - فَاغْدُ علىٰ امْرَأَةِ هذا فَارْجُمْهَا» فَغَدَا عليها أُنَيْسٌ فَرَجَمَهَا(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: ذُكِرَ الْمُتَلَاعِنَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عَاصِمُ ابْنُ عَدِيٍّ في ذَلِكَ قَوْلًا ثُمَّ انْصَرَفَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، فَقَالَ عَاصِمٌ: مَا ابْتُلِيتُ بهذا الأَمْرِ إِلَّا لِقَوْلِي، فَذَهَبَ بِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي وَجَدَ عَلَيْهِ امْرَأَتَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مُصْفَرًّا،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٣٤) كتاب الديات، بَاب الْعَامِلِ يُصَابُ علىٰ يَدَيْهِ خَطَأً، والنسائي في المجتبىٰ (٤٧٧٨) كتاب القسامة، السُّلْطَانُ يُصَابُ علىٰ يَدِهِ، وابن ماجة (٢٦٣٨) كتاب الديات، بَاب الْجَارِحِ يُفْتَدَىٰ بِالْقَوَدِ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٥) كتاب الصلح، بَاب إذا اصْطَلَحُوا علىٰ صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، ومسلم (١٦٩٧) كتاب الحدود، باب مَنِ اعْتَرَفَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالزِّنَىٰ، وأبو داود (٤٤٤٥) كتاب الحدود، باب المرأة التي أمر النبي برجمها من جهينة، والترمذي (١٤٢٣) كتاب الحدود، ما جاء في الرجم علىٰ الثيب، والنسائي في المجتبىٰ (٥٤١٠) كتاب آداب القضاة، باب صون النساء عن مجلس الحكم، وابن ماجة (٢٥٤٩) كتاب الحدود، باب حد الزنىٰ.

قَلِيلَ اللَّحْمِ سَبْطَ الشَّعَرِ، وَكَانَ الَّذِي وَجَدَ عِنْدَ أَهْلِهِ آدَمَ خَدْلًا كَثِيرَ اللَّحْمِ، جَعْدًا قَطَطًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ بَيِّنْ**» فَوَضَعَتْ شَبِيهًا بِالرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرَ زَوْجُهَا أَنَّهُ وَجَدَ عِنْدَهَا، فَلَاعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْمَجْلِسِ: هِيَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ رَجَمْتُ أَحَدًا بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ لَرَجَمْتُ هَذِهِ**»؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا، تِلْكَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تُظْهِرُ السُّوءَ فِي الإِسْلَامِ[(١)].

عن أبي صَخْرٍ الْمَدِينِيِّ، أَنَّ صَفْوَانَ بن سُلَيْمٍ أخبره عن عِدَّةٍ من أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رسول اللهِ ﷺ، عن آبَائِهِمْ، دِنْيَةً عن رسول اللهِ ﷺ قال: «**ألا من ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم الْقِيَامَةِ**»[(٢)].

قال الله ﷻ مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

فأمر رسوله بالعدل بين الناس، وأمره بأن يبلغ الناس أن الله أمره بذلك: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾.

فكان رسول الله ﷺ مثلًا أعلىٰ في العدل في كل الأمور؛ ولذلك قال لذي الخويصرة حين أمره بالعدل: «**ويلك! من يعدل إذا لم أعدل؟!**».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣١٦) كتاب الطلاق، بَابُ قَوْلِ الإِمَامِ: اللهُمَّ بَيِّنْ، ومسلم (١٤٩٧) كتاب اللعان، والنسائي (٣٤٧٠) كتاب الطلاق، بَابُ قَوْلِ الإِمَامِ اللهُمَّ بَيِّنْ، وابن ماجة (٢٥٦٠) كتاب الحدود، بَابُ مَنْ أَظْهَرَ الْفَاحِشَةَ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٥٢) كتاب الخراج والإمارة والفيء، بَاب في تَعْشِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إذا اخْتَلَفُوا بِالتِّجَارَاتِ.

وبعث علي بن أبي طالب، وهو في اليمن إلىٰ النبي ﷺ بذهيبة (تصغير ذهب) فرأىٰ النبي أن يقسمها بين أربعة هم: الأقرع بن حابس المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي النبهاني، وعلقمة بن علاثة العامري، وكان هؤلاء الأربعة من المؤلفة قلوبهم، وكلٌّ منهم رئيس في قومه، فغضبت قريش والأنصار، وأنكروا أن يعطي صناديد نجد أي أسيادها، ويتركهم، فقال النبي ﷺ: «**إنما أتألفهم**» (من التألف وهو المداراة والإيناس ليثبتوا علىٰ الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال)[1].

فأقبل رجل[2] يصفه الحديث بأنه غائر العينين، مشرف الوجنتين أي غليظهما، ناتئ الجبين أي مرتفع الجبين، كث اللحية، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، فقال ﷺ: «**من يطع الله إذا عصيت، أيأمنني الله علىٰ أهل الأرض فلا تأمنوني**» فأراد أحد الصحابة ـ قيل: خالد بن الوليد، وقيل: عمر ابن الخطاب ـ أن يقتل هذا الرجل لسوء أدبه مع رسول الله ﷺ، فأبىٰ النبي عليه ذلك، وأخبر أصحابه أنه سيخرج من نسل هذا الرجل قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فلا يصل إلىٰ قلوبهم، ولا يفهمونه علىٰ حقيقته، ولا يعملون به، يخرجون من الدين بسرعة وسهولة كما ينفذ السهم من رميته، يقتلون المسلمين، ويتركون الكافرين.

ثم قال النبي ﷺ يتوعد: «**لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»: أي قتل استئصال وإبادة كما استؤصلت عاد.

لقد شعر بالحزن الشديد، وهو يسمع واحدًا من المنتسبين للإسلام يتهمه ﷺ بالجور، وعدم القسمة بالعدل، ومع ذلك أبىٰ عليه سمو أخلاقه، وجميل عفوه أن يسمح لخالد بن الوليد بقتل ذلك الرجل.

---

(١) عمدة القاري (٢٥/ ١٢٠).

(٢) هو ذو الخويصرة.

وقد حدث ما أخبر به النبي ﷺ، وخرج الخوارج علىٰ تلك الصفات في زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد بين النبي في حديث آخر أنه قاسم، وأن الله هو الذي يعطي، ومعنىٰ أنه قاسم أنه لم يستأثر بشيء من مال الله، (وإنما أنا قاسم أقسم بينكم ما أمرني الله بقسمته، وأُعطي كل إنسان ما يناسبه، والله يعطي من يشاء ما شاء، فليست قسمتي كقسمة الملوك بالتشهي، فلا تنكروا التفاضل، فإنه بأمر الله)[1].

وعضَّ رجل يد رجل، فانتزع المعضوض يده من فم العاض، فسقطت ثنيته أو ثناياه، والثنايا من الأسنان في الإنسان هي (الأربع التي في مقدم فيه: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل)[2].

فاستعدىٰ العاضُّ رسول الله علىٰ خصمه يبغي القصاص، فأنكر الرسول ﷺ عليه ذلك، وأفهمه أنه هو المعتدي، وأنه ليس من العدل أن يعتدي علىٰ صاحبه، ويعض يده، فينزع المعتدَىٰ عليه يده، فتسقط ثنايا المعتدِي فيجأر إلىٰ رسول الله ﷺ بالشكوىٰ، كأنه يطلب منه أن يأمر الرجل بأن لا ينزع يده من فم صاحبه، ويتركه يقضمها كما يقضم الفحل، ثم قال له: «**ادفع يدك حتىٰ يعضها ثم انتزعها**».

وبلغ من عدله ﷺ أنه كان لا يتجاوز صاحب حق أبدًا، وإن كان طفلًا حدثًا؛ فقد روىٰ سهل بن سعد أن النبي ﷺ أتي بقدح فشرب منه، وكان عن يمينه غلام هو أصغر القوم؛ قيل: هو الفضل بن عباس، وقيل: عبد الله أخوه وعن يساره أشياخ من كبار الصحابة، ولما كان التيامن سنة نبوية، وكان الأيمن أحق بالقدح من الأيسر، فقد استأذن النبي الغلام أن يسقي الأشياخ قبله احترامًا لسنهم ومكانتهم، لكن الغلام النبيه كان يريد أن يستأثر بالشرب

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٣٦٢).
(٢) لسان العرب (١٤/ ١٢٣).

خلف النبي لينال بركة سؤره، فقال للنبي ﷺ: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحدًا يا رسول الله، فأعطاه إياه.

والنبي ﷺ حتىٰ في رؤيا منامه لا يرىٰ إلا عدلًا وحقًّا، رأىٰ نفسه يتسوك بسواك، فجاءه رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناول النبي ﷺ السواك لأصغرهما، فقيل له: كبِّر، أي: أعطِ الأكبر، فأعطاه للأكبر منهما، (قال المهلب: تقديم ذي السن أولىٰ في كل شيء، ما لم يترتب القوم في الجلوس فالسنة تقديم الأيمن فالأيمن)[1].

والرسول ﷺ يقول: «**من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا**»[2].

ولأنه ﷺ يحب العدل، ويخشىٰ الظلم فقد رفض التسعير، جاءه رجل فطلب منه أن يسعر، والتسعير: (هو أن يأمر السلطان أو نوابه، أو كل من ولي من أمور المسلمين أمرًا ـ أهل السوق أن لا يبيعوا أمتعتهم إلا بسعر كذا، فيمنع من الزيادة عليه أو النقصان لمصلحة)[3]، فقال النبي ﷺ: «**بل أدعو**» أي: أدعو الله ليوسع عليكم الأرزاق فلا تحتاجون للتسعير، ثم جاءه رجل آخر فقال: يا رسول الله سعِّر، فقال معللًا لرفضه: «**بل الله يخفض ويرفع، وإني لأرجو أن ألقىٰ الله وليس لأحد عندي مظلمة**».

ومن أعظم أركان إقامة العدل إنفاذ حدود الله، وعدم التهاون فيها إذا بلغت الحاكم، وقد كان رسول الله ﷺ صارمًا في هذا الأمر، لا يقبل فيه مهادنة، وقد سبق إيراد حديث المرأة المخزومية التي سرقت فتشفع فيها أسامة بن زيد، فلم يقبل رسول الله ﷺ ذلك.

---

(١) عمدة القاري (٣/ ١٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩١٩)، وغيرهما.

(٣) عون المعبود (٩/ ٢٢٩).

جاء صفوان بن أمية إلىٰ الرسول ﷺ، وقد قبض علىٰ رجل سرق منه خميصة ثمنها ثلاثون درهمًا، فأمر به النبي ليقطع، فاستكثر صفوان أن يقطع الرجل في ثلاثين درهمًا، وعرض علىٰ الرسول ﷺ أن يبيع الخميصة للسارق، ويؤخر قبض ثمنها منه، لكن النبي ﷺ رفض هذا العرض قائلًا: «**فهلَّا كان هذا قبل أن تأتيني به**».

وبعث الرسول ﷺ أبا جهم مُصدِّقًا، أي جامعًا للصدقات، فنازعه رجل في صدقته، فضربه أبو جهم فجرحه في رأسه ووجهه، فأتىٰ قومه من بني ليث يطلبون القصاص، فعرض عليهم النبي عوضًا من المال، فأبوا، فزادهم مرتين حتىٰ رضُوا ثم أخبرهم أنه سيخطب في الناس ليعلمهم برضاهم، فقالوا: نعم. فلما خطب النبي أصحابه: «**إن هؤلاء الليثيين أتوني يريدون القود، فعرضت عليهم كذا وكذا فرضوا**» ثم خاطب الليثيين قائلًا: «**أرضيتم؟**» ففاجؤوا النبي قائلين: لا، فهم أصحاب النبي ﷺ أن يبطشوا بهم، فأمرهم النبي أن لا يفعلوا، ثم دعا بني ليث فزادهم عطاء حتىٰ رضوا، فخطب الناس ثانية، وقال للخصوم: «**أرضيتم؟**» قالوا: نعم.

ويظهر هنا حرص الرسول علىٰ إقامة العدل، وإرضاء أصحاب الحق، ونزع الإحن والعداوات.

وفي موقف آخر يحمل ذات الدلالة أتاه خصمان كان ابن أحدهما أجيرًا عند الآخر فزنىٰ بزوجته، فقال الناس لوالد الزاني: إن علىٰ ابنك الرجم، فافتدىٰ ابنه منه بمائة من الغنم وجارية، ثم سأل أهل العلم فقالوا له: إنما علىٰ ابنك جلد مائة وتغريب عام، فجاء ومعه خصمه يطلب من الرسول ﷺ أن يقضي بينهما بكتاب الله.

فرد النبي ﷺ الجارية والغنم علىٰ صاحبهما، وأخبره أن علىٰ ابنه الزاني غير المحصن جلد مائة، وتغريب عام، وأن علىٰ الزوجة المحصنة الرجم،

ثم أمر أحد أصحابه أن يأتي المرأة فيسألها، فإن اعترفت رجمها، فأتاها فاعترفت، فرجمها.

وجاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ يشكو إليه أنه وجد مع امرأته رجلًا، فلاعن الرسول ﷺ بينهما[١]، وقال: «**اللهم بيِّن**».

فوضعت المرأة شبيهًا بالرجل الذي ذكر زوجها أنه وجده عندها، فقال الرسول ﷺ: «**لو رجمت أحدًا بغير بينة لرجمت هذه**»، وقيل: إنما قال هذا القول (لامرأة رميت بالزنىٰ، ظهرت الريبة في منطقها وهيئتها، ولم تقر، ولم تقم عليها بينة، فأفاد أن الحد لا يثبت بالاستفاضة)[٢].

وقد ترجم البخاري لهذا الحديث وأمثاله في باب ما يجوز من اللو، أي متىٰ يجوز استخدام (لو)، و(لولا)؟

وذلك لورود حديث ينهىٰ عن قول: (لو)، وهو قوله ﷺ: «... **وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[٣].

والذي يُفهم من هذا أنه لا يجوز استخدام (لو) فيما فيه اعتراض علىٰ القدر السابق، بينما يجوز استخدامها فيما هو للاستقبال، أو فيما كان حقًّا متيقنًا.

ويبلغ تمسك النبي بقواعد العدل وقيمه أنه حرَّم ظلم أحد من أهل الذمة المعاهَدين، أو انتقاص شيء من حقوقهم، أو تكليفهم بما لا يطيقون، أو أخذ شيء منهم بغير رضا نفس، وبكل حزم وحسم أعلن أنه سيكون خصمًا مغالبًا لمن يفعل ذلك يوم القيامة.

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٠٩).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجة (٧٩)، وغيرهما.

ذلك هو العدل النبوي في أسمىٰ صوره، وأنصع آياته.

❁ ❁ ❁

يقول النبي ﷺ للرجل الذي قال له: يا رسول الله، اعدل: «**ويلك! من يعدل إذا لم أعدل؟!**» والويل: كلمة عذاب، منصوبةٌ بفعل مضمر تقديره: ألزمك الله ويلًا، أي عذابًا، وهي في الحديث مضافة إلىٰ كاف الخطاب. (وقال عطاء بن يسار: الويل واد في جهنم، لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حرِّه)[(١)].

«**من يعدل إذا لم أعدل؟**» استفهام غرضه النفي والإنكار.

وإطلاق العدل دون تحديد مجاله يدلُّ علىٰ أن المراد هو عموم العدل، الذي هو أمر الله لنبيه ﷺ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورىٰ: ١٥].

وقال النبي ﷺ: «**من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله علىٰ أهل الأرض فلا تأمنوني؟**» استفهامان: الأول للنفي والإنكار، والثاني للتعجب والدهشة.

وقال النبي ﷺ يصف الخوارج: «**يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**» وهذه كناية عن عدم تغلغل الإيمان في قلوبهم.

«**يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**»: تشبيه تمثيلي: شبه الخروج السريع لهؤلاء من ربقة الدين بمروق السهم من هدفه الذي أصابه، فالخروج سريع ومباغت، ولا سبيل إلىٰ العودة عنه.

قال الشريف الرضي: (وفي هذا القول مجاز؛ لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا بعقدته، أو يعيقوا[(٢)] بطينته - بالسهم الذي أصاب الرمية، وهي الطريدة المرمية، ثم خرج مسرعًا من جسمها، ولم يعلق بشيء من فرثها ودمها، وذلك من صفات السهم الصائب؛

---

(١) مختار الصحاح (١/ ٣٠٧).

(٢) يلصقوا.

لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوي النزعة)[١].

«**يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان**»: مقابلة تبين التناقض الذي يعيشة هؤلاء المارقون الذين يزعمون أنهم أشد تمسكًا بالإسلام من غيرهم.

«**لأقتلنهم قتل عاد**» كناية عن الاستئصال والإبادة.

وقال النبي ﷺ للرجل الذي عض يد صاحبه: «**ما تأمرني؟ تأمرني أن آمره...**» استفهامان للتعجب.

وقوله: «**تقضمها كما يقضم الفحل**»: القضم هو الأكل بأطراف الأسنان، وشبهه بالفحل أي الجمل لأن عضته شديدة مؤثرة.

«**ادفع يدك حتىٰ يعضها ثم انتزعها**»: أمران غرضهما الإنكار علىٰ الشاكي (أي: إنك لا تدع يدك في فيه يعضها، فكيف تنكر عليه أن ينتزع يده من فيك، وتطالبه بما جنىٰ في جذبه)[٢].

قال النبي ﷺ للغلام الذي كان علىٰ يمينه: «**يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟**»: «**يا غلام**» النداء للتنبيه.

«**أتأذن لي...؟**» استفهام غرضه العرض والتخيير.

قال ﷺ: «**أراني أتسوك بسواك**»: «**أراني**» فعل من أفعال القلوب، أي: (أرىٰ نفسي، فالفاعل والمفعول عبارتان عن معبر واحد، وهذا من خصائص أفعال القلوب)[٣].

وأفعال القلوب، سميت بذلك لأنها في الغالب تتعلق بالقلب، وتنقسم إلىٰ قسمين هما: أفعال اليقين مثل: رأىٰ وعلم ووجد ودرىٰ وتعلم.

وأفعال الرجحان، وهي: خال وظن وحسب، وزعم وعدَّ وحجا وجعل

---

(١) المجازات النبوية (٣٣).
(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١١/ ١٦١).
(٣) عمدة القاري (٣/ ١٨٦).

وهَبْ.

وكلا القسمين ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، ومن خصائصها: (جواز وقوع فاعلها ومفعولها ضميرين معينين وذلك بأن يكونا ضميرين متصلين متحدين في المعنىٰ، مختلفين في النوع؛ نحو: عَلِمتُني راغباً في مودة الأصدقاء، ورَأيتُني حريصاً عليها، فالتاء والياء في المثالين ضميران متصلان، ومدلولهما شيء واحد؛ فهما للمتكلم، مع اختلاف نوعهما: فالتاء ضمير رفع فاعل، والياء ضمير نصب، مفعول به)[1]. ويجوز أن يكون الضمير الثاني مستترًا كالمثال.

واستخدم المضارع (أَراني) لاستحضار الصورة، وورد الفعل في بعض النسخ بضم الهمزة، وفُسِّر بأن المعنىٰ أظن نفسي، ونفي آخرون هذا المعنىٰ وقالوا: (ولكن هذا من بعض الظنِّ، إذ رؤيا الأنبياء حق، فإن ثبت بضم الهمزة، فإن الصواب أن يحمل علىٰ أنه مجهول من باب الإراءة بمعنىٰ الإعلام)[2].

قال النبي ﷺ: «**وإنما أنا قاسم، والله يعطي**»: والجملة الأولىٰ مؤكدة بأسلوب القصر بإنما وضمير الفصل.

وجملة: «**والله يعطي**» تثبت العطاء لله وحده، وتنفيه عن رسول الله ﷺ، إذ المثبت له ﷺ هو مجرد القسمة التي لا يعمل فيها إلا بأمر الله.

وصَدْرُ الحديث: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» يوحي بأن المراد بالقسمة هنا قسمة العلم، بينما كان مورد الحديث وقت قسمة المال، والقسمة حقيقة تكون في الأموال، فما وجه المناسبة إذًا بين الأمرين؟

لقد استاء البعض من تخصيص بعض الناس بالعطاء ومنع آخرين، (فرد

---

(١) النحو الوافي (٢/ ٤٤).

(٢) مرقاة المفاتيح (٢/ ٩٠).

عليهم النبي عليه السلام بقوله: «**من يرد الله به...**» إلىٰ آخره، يعني: من أراد الله به خيرًا يوفقه، ويزيد له في فهمه في أمور الشرع، ولا يتعرض لأمر ليس علىٰ وفق خاطره، إذِ الأمر كله لله، وهو الذي يعطي ويمنع، وهو الذي يزيد وينقص، والنبي ﷺ قاسم، وليس بمعطٍ؛ حتىٰ ينسب إليه الزيادة والنقصان)[١].

قال النبي ﷺ لما قيل له: يا رسول الله، سعِّر: «**بل أدعو**»: وفي الكلام حذف إذ المراد: لا أسعر بل أدعو لكم، ليوسع عليكم الأرزاق فلا تحتاجون للتسعير.

وقال ﷺ: «**بل الله يخفض ويرفع**»: و: «**بل**» للإضراب، و«**يخفض ويرفع**» طباق، والجملة جواب علىٰ سبيل تعليل الرفض، وقدَّم لفظ الجلالة ليؤكد أن الأمر كله لله، وأن (من حاول التسعير فقد عارض الله، ونازعه فيما يريده، ويمنع العباد حقوقهم مما أولاهم الله تعالىٰ في الغلاء والرخص)[٢].

قال رسول الله ﷺ: «**لأقضين بينكما بكتاب الله**»: والجملة جواب لقسم، الفعل فيها مؤكد باللام ونون التوكيد الثقيلة وأداة القسم والمقسم به مقدران.

و«**كتاب الله**» أي: حكمه وقضاؤه، واستعماله بهذا المعنىٰ شائع في القرآن وفي غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ٢٤].

وقال: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١] أي: يقضون.

قال رسول الله ﷺ: «**ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلَّفه فوق طاقته، أو**

---

(١) عمدة القاري (٢/ ٥١).

(٢) مرقاة المفاتيح (٦/ ٩٩).

أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس...»: و«**ألا**» الاستفتاحية للتنبيه، والعبارات التالية لها فيها تعداد لألوان الجور والتعدي: الظلم، انتقاص الحقوق، التكليف فوق الطاقة في الجزية أو الخراج، أخذ أي شيء بغير رضا نفس، والأخيرة تحوي تعميمًا بعد تخصيص.

وقوله ﷺ: «**فأنا حجيجه يوم القيامة**» يأتي فيه استخدام ضمير الفصل المتكلم «**أنا**» لبيان فداحة جرم من يظلم المعاهِد، والتلويح بالإنذار والتهديد لمن يفعل ذلك إذ يتجرد له النبي ﷺ بذاته خصمًا.

وإضافة يوم القيامة لمزيد من الترهيب من ذلك الإثم، وبيان ضلال سعي مرتكبه، وسوء عاقبته.

٥ ـ حكمته ﷺ وبعد نظره:

* «لَوْلا حَدَاثَةُ قَوْمِكِ بالْكُفْرِ؛ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ»:

ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول اللهِ ﷺ: «**لَوْلَا حَدَاثَةُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ؛ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ، ثُمَّ لَبَنَيْتُهُ علىٰ أَسَاسِ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن قُرَيْشًا اسْتَقْصَرَتْ بِنَاءَهُ، وَجَعَلْتُ له خَلْفًا**»[(١)].

قال أبو سفيان: ثُمَّ دَعَا[(٢)] بِكِتَابِ رسول اللهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، فإذا فيه: «**بِسْمِ اللهِ الرحمن الرَّحِيمِ، من مُحَمَّدٍ رسول اللهِ إلىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ علىٰ من اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فإن عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، إلىٰ قَوْلِهِ: ﴿ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا**

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٥) كتاب الحج، بَاب فَضْلِ مَكَّةَ وَبُنْيَانِها، ومسلم (١٣٣٣) كتاب الحج، بَاب نَقْضِ الْكَعْبَةِ وَبِنَائِهَا، والنسائي في المجتبىٰ (٢٩٠١) كتاب مناسك الحج، باب بناء الكعبة.

(٢) أي: هرقل عظيم الروم.

مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]»[(١)].

❁ ❁ ❁

كان النبي ﷺ أكثر الناس تدبرًا في الأمور كلها، ولم يكن يصدر إلا عن رويَّة، ولا يقرر أمرًا إلا بعد مشورة، وكان يحسب لكل شيء حسابًا، ويتأمل قبل أن يخطو، حتىٰ إذا عزم توكل علىٰ الله، فلم يتردد، ولم يتراجع.

ومع أنه ﷺ كان مؤيدًا من ربه، واثقًا من نصره؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من الأخذ بالأسباب، والتحوط والحذر قبل اتخاذ القرار، وقياس قوىٰ الخصوم وردود الأفعال.

لما أرادت قريش إعادة بناء الكعبة التي تفتحت عينا النبي ﷺ علىٰ بهائها، ودرجت رجلاه وهو ما يزال صبيًا في صحنها، وشارك وهو فتًىٰ في بنائها، وصلىٰ وطاف لله الواحد في فنائها ـ قررتْ أن تجعل كل نفقة تنفقها فيها من مال طيب، وأن لا تدخل فيها مالًا حرامًا من مهر بغي، أو بيع ربًا، أو مظلمة من أحد من الناس. فلم تكفِ أموالهم الحلال لاستكمال البناء علىٰ قواعد إبراهيم، وقَصُرتْ بهم النفقة عن ذلك، فأخرجوا منها حجر إسماعيل، ورفعوا بابها عن الأرض.

وفكر الرسول ﷺ بعد فتح مكة واستقرار الأمور، في أن يهدم البيت، ويعيد بناءه علىٰ أساس إبراهيم، ويدخل ما أخرج منه، ويلزقه بالأرض، ويجعل له بابين شرقيًّا وغربيًّا.

لكنه ببعيد نظره رأىٰ أن القوم حديثو عهد بكفر، وأنه إن فعل هذا قد يثيرهم، ويوغر صدورهم، ويؤجج بواعث الفتنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٣) كتاب التفسير، بَاب ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير، باب كِتَابِ النبي ﷺ إِلىٰ هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلىٰ الْإِسْلَامِ.

ونفهم من ذلك أمورًا:

(**الأول**: قال ابن بطال: فيه أنه قد يُترك يسير من الأمر المعروف إذا خشي منه أن يكون سببًا لفتنة قوم ينكرونه.

الثاني: فيه أن النفوس تحب أن تساس كلها لما تأنس إليه في دين الله من غير الفرائض.

الثالث: قال النووي: فيه أنه إذا تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بُدئ بالأهم؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن رد الكعبة إلىٰ قواعد إبراهيم عليه السلام مصلحة، ولكن يعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبًا، لما كانوا يرون تغييرها عظيمًا، فتركها النبي ﷺ.

الرابع: فيه فِكْرُ ولي الأمر في مصالح رعيته، واجتناب ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا، إلا أمور الشريعة، كأخذ الزكاة، وإقامة الحد.

الخامس: فيه تأليف قلوبهم وحسن حياطتهم، وأن لا ينفروا، ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه، ما لم يكن فيه أمر شرعي)[(١)].

ومن دلائل حكمة النبي ﷺ رسائله التي أرسلها للملوك والقياصرة والأمراء يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام، لقد كان يقدر لهم منازلهم رغم كفرهم، فيلقب هرقل بعظيم الروم، ثم لا يمنعه ذلك من أن يدعوه إلىٰ الإسلام بحزم، ويحمِّله إثم مَنْ خلفه من قومه إن لم يفعل.

إن رسالته ﷺ إلىٰ هرقل، وإلىٰ سائر الملوك والأمراء هي رسائل الحكمة البالغة، والعزة المقتدرة، رسائل الدعوة الصادقة، والإنذار القاطع، رسائل الحب الغامر للإنسانية كلها، والرغبة الملحة في هداية الناس جميعًا،

---

(١) عمدة القاري (٢/ ٢٠٣).

وإنقاذهم من وهاد الشرك، وغياهب الضلال.

لم يستثن رسول الله أحدًا من الممالك المحيطة بالدولة الإسلامية الفتية آنذاك؛ فقد أرسل إلىٰ النجاشي في الحبشة، والمقوقس في مصر، وكسرىٰ فارس، وهرقل الروم، والمنذر بن ساوي حاكم البحرين، وهَوْذَة بن علي صاحب اليمامة، والحارث بن أبي شمر في دمشق، وجيفر ملك عمان، واختلفت ردود أفعال هؤلاء الملوك والأمراء تجاه هذه الدعوة: فأمَّا النجاشي فقد استقبل الكتاب بحفاوة، وأسلم علىٰ يد جعفر بن أبي طالب الذي كان مهاجرًا في الحبشة في ذلك الوقت.

وأما المقوقس، فقد أكرم وفادة رسول رسول الله ﷺ، ووعد بأن ينظر في الأمر، وبعث إلىٰ النبي ﷺ بجاريتين وكسوة وبغلة كهدية.

واستقبل كسرىٰ كتاب رسول الله بغطرسة شديدة، ولم يلبث حين قرأه أن قام بتمزيقه، فدعا النبي عليه بأن يمزق الله ملكه.

وقرأ المنذر بن ساوي ـ حاكم البحرين ـ كتاب الرسول ﷺ علىٰ أهل البحرين فأسلم بعضهم، وأقام بعضهم علىٰ دينه من مجوسية أو يهودية، وأرسل إلىٰ النبي بذلك.

وطلب هَوْذَة بن علي صاحب اليمامة من النبي ﷺ أن يجعل له شيئًا من الأمر حتىٰ يتبعه. وأجاب جيفر وأخوه عبدُ حاكما عمان رسولَ الله ﷺ إلىٰ الإسلام.

ورمىٰ الحارث بن أبي شمر كتاب رسول الله ﷺ، وعزم أن يسير إليه ليحاربه، واستأذن سادته الروم في حرب الرسول ﷺ، فمنعوه من ذلك.

أما هرقل عظيم الروم، فقد وصله رسول رسول الله ﷺ وهو ببيت المقدس، فقرأ كتاب النبي ﷺ أمام عظماء قومه، وكان الكتاب مفتتحًا بالتسمية، ثم الدعوة إلىٰ الإسلام «أسلم تسلم»، ووعد من النبي ﷺ له إن

أسلم بمضاعفة أجره عند الله، وتوعد إن أعرض بأن عليه إثم من لا يسلم من قومه، ثم اختُتِم الكتاب بقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ الآية [آل عمران: ٦٤].

فلما سمع قومه ذلك هاجوا وغضبوا، وارتفعت أصواتهم، وكثر لغطهم، فهدَّأهم، وأرسل يستدعي نفرًا من قريش كانوا تجارًا بالشام وقتها ليسألهم عن أمر رسول الله ﷺ، وكان من بينهم أبو سفيان، فقربه وسأله عن نسب النبي، وطبيعة أتباعه، وهل يزيدون أو ينقصون، وصدقه من كذبه، وقتال قومه له، وبماذا يأمرهم، واضطر أبو سفيان ـ ولم يكن قد أسلم بعد ـ أن يَصْدُق القيصر؛ لأنه أقام فوق رأسه بعض رفاقه، وأمرهم إن كذب أن يكذبوه.

ولما انتهىٰ هرقل من سماع أبي سفيان قال: (... فإن كان ما تقول حقًّا، فسيملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه)[1].

ثم صرف من كان عنده من العرب، وأجاز حامل كتاب رسول الله ﷺ بمال وكسوة.

لقد (كان طبيعيًّا أن تُحدث مثل هذه الدعوة دويًّا عظيمًا في بلاط قيصر، بل إنها أحدثت ارتباكًا شديدًا وحيرة مصحوبتين بتفكير عميق من لدن قيصر وبطانته، خاصة وأنهم خارجون من حرب طاحنة جرت بينهم وبين كسرىٰ، وكان النصر حليفهم فيها)[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، وغيرهما.

(٢) البيان المحمدي للأستاذ الدكتور/ مصطفىٰ الشكعة (١١٦).

قال رسول الله ﷺ، وهو يعلل لرغبته في إعادة بناء البيت: «... **لبنيته علىٰ أساس إبراهيم** عليه السلام**، فإن قريشًا استقصرت بناءه، وجعلتُ له خَلْفًا**»: وقوله ﷺ: «**علىٰ أساس إبراهيم**» إشارة إلىٰ البناء الذي أقامه إبراهيم عليه السلام علىٰ قواعد البيت التي كانت قائمة من قبل تنفيذًا لأمر الله جَلَّ وَعَلَا، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقوله ﷺ: «**استقصرتْ بناءه**» الفعل بتاء التأنيث الساكنة، والضمير عائد علىٰ قريش، وهو كناية عن عجزهم عن استكمال البناء علىٰ قواعد إبراهيم.

وقوله: «**وجعلتُ له خلْفًا**» التاء في الفعل للفاعل، ويعني ذلك أن الفعل معطوف علىٰ «**لبنيتُه**»، والضمير عائد علىٰ رسول الله ﷺ، وخلفًا أي: بابًا؛ والمراد بابًا خلفيًّا، لوجود باب أمامي، ولدلالة رواية أخرىٰ للبخاري جاء فيها أن النبي ﷺ قال لعائشة: «**يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية؛ لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا...**»[1].

وضبط بعضهم الفعل «**جعلت**» بفتح اللام وسكون التاء، قال ابن حجر: (وضبطها القابسي بفتح اللام وسكون المثناة عطفًا علىٰ استقصرت، وهو وهم؛ فإن قريشًا لم تجعل له بابًا من خلف، وإنما همَّ النبي بجعله)[2].

قال رسول الله ﷺ: «**من محمد رسول الله إلىٰ هرقل عظيم الروم، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ**»: وصف الرسول ﷺ هرقل بعظيم الروم: وليس بملك الروم، ولا قيصر الروم؛ (لأنه لا مُلك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولا سلطان لأحد إلا لمن ولَّاه رسول الله ﷺ، أو ولَّاه من أذن له رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٦)، والنسائي في المجتبىٰ (٢٩٠٣).

(٢) فتح الباري (٣/ ٤٤٤).

ﷺ بشرط)[١].

وقوله: «**سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ**» مناسب للموقف؛ لأن الخطاب موجه لكافر لا يجوز الدعاء له بالرحمة والبركة.

وقال ﷺ: **لهرقل**: «**أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين**»: وقوله: «**بدعاية الإسلام**» أي (بالكلمة الداعية إلىٰ الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، والباء موضع إلىٰ)[٢].

وقوله ﷺ: «**أسلم تسلم**»: (في نهاية من الاختصار، وغاية من الإيجاز والبلاغة مع ما فيه من بديع التجنيس، وشموله لسلامته من خزي الدنيا بالحرب والسبي والقتل وأخذ الديار والأموال، ومن عذاب الآخرة)[٣].

وقوله: «**يؤتك الله أجرك مرتين**» المراد (بإيمانك بعيسىٰ ﷺ، وإيمانك بي بعده)[٤] والجملة خبرية يراد بها الترغيب والتحبيب.

قال ﷺ: «**فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**»: وهي جملة خبرية غرضها التحذير والإنذار، والأريسيين جمع أريس، (وهو منسوب إلىٰ أريس بوزن فعيل، وقد تقلب همزته ياء، كما جاءت رواية أبي ذر والأصيلي وغيرهما هنا.

قال ابن سيده: الأريس: الأكار أي الفلاح)[٥].

والمعنىٰ: أنَّ عليك إثم رعاياك وجنودك وأتباعك ما لم تؤمن وتتب،

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٢/ ١٠٨).

(٢) فتح الباري (١/ ٣٨).

(٣) شرح النووي (١٢/ ١٠٨).

(٤) شرح ابن بطال (١/ ٤٨).

(٥) فتح الباري (١/ ٤٩).

وتُبلِّغ وتُنْذر.

٦ ـ شدته ﷺ في الحق:

* «**أنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حلَقَ وَسلَقَ وَخرَقَ**».

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بيده، لقد هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ يُحْتَطَبُ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لها، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ الناس، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلىٰ رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عليهم بُيُوتهم، وَالَّذِي نَفْسِي بيده لو يَعْلَمُ أحدهم أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أو مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ**»[(١)].

ـ عن قَيْسِ بن أبي حَازِمٍ أَنَّ عَمْرَو بن الْعَاصِ قال: سمعت النبي ﷺ جِهَارًا غير سِرٍّ يقول: «**إِنَّ آلَ أَبِي ـ قال عَمْرٌو: في كِتَابِ مُحَمَّدِ بن جَعْفَرٍ بَيَاضٌ ـ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إنما وَلِيِّيَ الله وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**». زَادَ عَنْبَسَةُ بن عبد الْوَاحِدِ عن بَيَانٍ عن قَيْسٍ عن عَمْرِو بن الْعَاصِ قال: سمعت النبي ﷺ: «**وَلَكِنْ لهم رَحِمٌ أَبُلُّهَا ببلالها**» يَعْنِي أَصِلُهَا بِصِلَتِهَا[(٢)].

ـ عن جَابِرِ بن عبد اللهِ قال: أخبرني عُمَرُ بن الْخَطَّابِ: أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ من جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حتىٰ لَا أَدَعَ إلا مُسْلِمًا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤) كتاب الْجَمَاعَةِ وَالْإِمَامَةِ، بَاب وُجُوبِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وبنحوه عند مسلم (٦٥١) كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة، وأبو داود (٥٤٨) كتاب الصلاة، بَاب في التَّشْدِيدِ في تَرْكِ الْجَمَاعَةِ، والترمذي (٢١٧) كتاب أبواب الصلاة، بَاب ما جاء فِيمَنْ يَسْمَعُ النِّدَاءَ فلا يُجِيبُ، والنسائي في المجتبىٰ (٨٤٨) كتاب الإمامة، التَّشْدِيدُ في التَّخَلُّفِ عن الْجَمَاعَةِ، وابن ماجة (٧٩١) كتاب المساجد والجماعات، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٠) كتاب الأدب، بَاب تُبَلُّ الرَّحِمُ بِبَلَالِهَا، ومسلم (٢١٥) كتاب الإيمان، بَاب مُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُقَاطَعَةِ غَيْرِهِمْ وَالْبَرَاءَةِ منهم.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦٧) كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، وأبو داود =

ـ عن ابن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس، حتىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فإذا فَعَلُوا ذلك عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّ الْإِسْلَام، وَحِسَابهم علىٰ اللهِ**»(١).

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ علىٰ صُبْرَةِ طَعَام، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فيها، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فقال: «**ما هذا يا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**» قال: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ كَيْ يَرَاهُ الناس، من غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

ـ عن أبي الزِّنَادِ، أن عَبْدَ الرحمن بن هُرْمُزَ الْأَعْرَجَ حدثه: أَنَّهُ سمع أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: قال النبي ﷺ: «**تَأْتِي الْإِبِلُ علىٰ صَاحِبِهَا علىٰ خَيْرِ ما كانت إذا هو لم يُعْطِ فيها حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَأْتِي الْغَنَمُ علىٰ صَاحِبِهَا علىٰ خَيْرِ ما كانت إذا لم يُعْطِ فيها حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونها**» وقال: «**وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحْلَبَ علىٰ الْمَاءِ**» قال: «**ولا يَأْتِي أحدكم يوم الْقِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا**

= (٣٠٣٠) كتاب الخراج والإمارة والفيئ، باب بَاب في إِخْرَاجِ الْيَهُودِ من جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، والترمذي (١٦٠٧) كتاب السير، باب ما جاء في إخراج اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب.

(١) أخرجه البخاري (٢٥) كتاب الإيمان، بَاب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾، ومسلم (٢٢) كتاب الإيمان، باب الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّىٰ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، كلاهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كما أخرجه أبو داود (٢٦٤٠) كتاب الجهاد، باب علام يقاتل المشركون؟، والترمذي (٢٦٠٦) كتاب الإيمان، باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله، والنسائي في المجتبىٰ (٣٠٩٠) كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، وابن ماجة (٣٩٢٧) كتاب الفتن، باب الكف عمن قال لاإله إلا الله،كلهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢) كتاب الإيمان، بَاب قَوْلِ النبي ﷺ من غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وأبو داود (٣٤٥٢) كتاب الإجارة، باب النهي عن الغش، والترمذي (١٣١٥) كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، وابن ماجة كتاب التجارات، باب النهي عن الغش.

علىٰ رَقَبَتِهِ لها يُعَارٌ، فيقول: يا محمد، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لك شيئًا، قد بَلَّغْتُ، ولا يَأتي بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ علىٰ رَقَبَتِهِ له رُغَاءٌ، فيقول: يا محمد، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لك من اللهِ شيئًا، قد بَلَّغْتُ»[(١)].

- عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: أَتَانِي نَاسٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ فَقَالُوا: اذْهَبْ مَعَنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنَّ لَنَا حَاجَةً، فَذَهَبْتُ مَعَهُمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَعِنْ بِنَا في عَمَلِكَ؟ قَالَ أَبُو مُوسَىٰ: فَاعْتَذَرْتُ مِمَّا قَالُوا، وَأَخْبَرْتُ أني لَا أَدْرِي مَا حَاجَتُهُمْ، فَصَدَّقَنِي، وَعَذَرني، فَقَالَ: «**إِنَّا لا نَسْتَعِينُ في عَمَلِنَا بِمَنْ سَأَلَنا**»[(٢)].

- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، وَأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَىٰ قَالَا: أُغْمِيَ عَلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ وَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ عَبْدِ اللهِ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ، قَالَا: ثُمَّ أَفَاقَ، قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي؟ وَكَانَ يُحَدِّثُهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ**»[(٣)].

* * *

كان النبي ﷺ أحلم الناس علىٰ قومه، وأشد الناس شفقة علىٰ أصحابه، إلا حين يُمَسُّ الحق، فإنه يغضب غضبًا شديدًا، ويحتد احتدادًا عظيمًا.

وصفه ربيبه هند بن أبي هالة فقال: (لا يذم ذَوَاقًا[(٤)] ولا يمدحه، ولا

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٢) كتاب الزكاة، بَاب إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ، ومسلم (١٨٣١) كتاب الإمارة، بَاب إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ، والنسائي في المجتبىٰ (٢٤٤٨) كتاب الزكاة، بَاب مَانِعِ زَكَاةِ الْإِبِلِ.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (٥٣٨٢) كتاب آداب القضاة، بَابُ تَرْكِ اسْتِعْمَالِ مَنْ يَحْرِصُ عَلَىٰ الْقَضَاءِ.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٤) كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ ضَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالدُّعَاءِ بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ، والنسائي في المجتبىٰ (١٨٦٣) كتاب الجنائز، الْحَلْقُ، وابن ماجة (١٥٨٦) كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ في النَّهْيِ عَنْ ضَرْبِ الْخُدُودِ، وَشَقِّ الْجُيُوبِ.

(٤) ذَوَاقًا: مأكولًا أو مشروبًا.

تُغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتىٰ ينتصر له، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها)[1].

ولا تتناقض الشدة في الحق مع الرحمة والرفق، فإن لكل موضعًا، ولقد وصف القرآن النبي وأصحابه فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وكان النبي ﷺ ألين الناس عريكة، وأكثرهم رفقًا، وهو الذي يقول: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[2].

عن عائشة قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله، فينتقم لله ﷻ)[3].

ذاك هو النبي ﷺ: رفق ورحمة ولين وتسامح في حق نفسه ما لم تنتهك محارم الله، أو يُنتقص دين الله، فإن حدث ذلك تحول إلىٰ بركان غضب يقذف حممًا، ولا يهدأ حتىٰ ينتقم لله، ويحق الحق.

لقد علم الرسول ﷺ أن بعض المسلمين يتخلفون أحيانًا عن صلاة الجماعة في المسجد معه، فأعلن غضبه عليهم، وأقسم أنه أوشك أن يأمر بجلب حطب فيُجلب، ثم يأمر بالصلاة فيُؤذن لها، ثم يأمر رجلًا فيؤم الناس، ثم ينصرف هو إلىٰ هؤلاء المتخلفين عن الجماعة فيُحرِّق عليهم بيوتهم.

وأقسم رسول الله ﷺ أن هؤلاء المتخلفين لو علم أحدهم أنه لو شهد العشاء مع الجماعة لظفر بنفع دنيوي خسيس كأكلة لحم طيب، أو متعة اشتراك في سباق رمي ـ لكان أشد الناس حرصًا علىٰ عدم التخلف عنها.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٤) (١٥٦/٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٤)، وأبو داود (٢٤٧٨)، وغيرهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٢٨)، والنسائي في الكبرى (٩١٦٤)، وغيرهما.

ولم يكن الرسول ﷺ يوالي أحدًا في غير الله، وإن كان من ألصق قرابته، ولقد أعلن في وضوح: «**إن آل أبي فلان - يكنِّي ولا يصرح، من عشيرته - ليسوا من أوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين**» لكنه مع ذلك يصلهم لحق الرحم، فما كان ليقطع رحمًا وصلها الله جَلَّ وَعَلَا.

وفي غير مهادنة أو مداراة صرح رسول الله ﷺ في أكثر من حديث أن جزيرة العرب سوف تتطهر من الشرك والمشركين، وتصبح أرضًا مسلمة خالصة، وأنه سيجلي منها اليهود والنصارىٰ حتىٰ لا يدع فيها إلا مسلمًا.

لقد أعلن بوضوح أنه أُمر بالقتال في سبيل إعلاء دين الله، ورفع راية التوحيد، وأن من أراد أن يعصم دمه وماله فعليه أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة - أما ما سوىٰ ذلك من عمل فحسابه علىٰ الله.

إن غش المسلمين ليس مقبولًا، وإن كان في أدنىٰ صوره، والرسول ﷺ يتبرأ من ذلك، ويقرر أن هذا الفعل خروج عن نَهجه، وتجافٍ عن سنته. لقد مرَّ علىٰ رجل يبيع طعامًا أصابه المطر، فجعل ما ابتل منه أسفل، فلما أدخل الرسول ﷺ يده فيه نالت بللًا، فقال: «**أفلا جعلته فوق الطعام؛ كي يراه الناس؟ من غش فليس مني**».

أمَّا مانعو الزكاة، ولا سيما زكاة الماشية، فإنهم عرضة لسخط رسول الله ﷺ، وسوف ينالون يوم القيامة حقهم من العذاب المكافئ لجرمهم، ومن ألوان العذاب التي تصيبهم أن ما منعوه من إبل أو غنم تأتي علىٰ أعظم ما تكون من السمن فتطؤهم وتُهينهم وتنطحهم، ويجبر أحدهم علىٰ حمل ما منع من إبل أو غنم فوق رقبته، فإذا ما أسرع ليستنجد بالنبي ﷺ، ويطلب شفاعته، يقول له النبي ﷺ: «**لا أملك لك من الله شيئًا، قد بلغت**».

ولم يستح رسول الله ﷺ رغم حبه للأشعريين من رفض طلب بعضهم

للولاية، بل قال لهم في صرامة واضحة: «**إنا لا نستعين في عملنا بمن سألنا**»، إذ لا يكون الطالب في تلك الحالة محصنًا من شبهة السعي لمآرب خاصة، أو مكاسب دنيوية.

وتبرأ النبي ﷺ ممن حلق، أي: حلقت شعرها حزنًا علىٰ ميتها، وممن سلق: أي رفع صوته بالنواح عند المصيبة، وممن خرق: أي شق ثيابه تأثرًا بفقد حبيب.

إن هؤلاء جميعًا يعترضون علىٰ قدر الله، ولا ينتهون عما نَهَىٰ عنه رسول الله ﷺ ويحرمون أنفسهم من فضل الصبر ومنزلة الصابرين.

❁ ❁ ❁

قال رسول الله ﷺ: «**لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلًا فيؤم الناس**»: «**لقد هممت**» جواب للقسم مؤكد باللام وقد، وقوله: «**هممت**» أي عزمت أو قصدت، وهو (دليل علىٰ تأكيد الجماعة وعظيم أمرها، وقد أمر الله تعالىٰ بالمحافظة علىٰ الصلوات بقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ومن تمام محافظتها صلاتها في جماعة)[١].

وذِكْرُ رسولِ الله ﷺ لتفاصيل ما كاد يهم بفعله يوحي باهتمامه الشديد بالأمر، وترتيبه لخطواته، وانتداب نفسه للقيام به، دون أن يكلف أحدًا غيره يؤكد خطورة التخلف عن الصلاة في المسجد، وإثم فاعله.

قال رسول الله ﷺ: «**ثم أخالف إلىٰ رجال، فأحرِّق عليهم بيوتهم**»: قوله: «**أخالف**» أي: آتيهم من خلفهم، وفي التعبير إرادة معنىٰ المفاجأة.

وقوله: «**فأحرِّق عليهم بيوتهم**» الفعل «**أحرَّق**» بالتشديد يفيد المبالغة في الحرق، وفيه: (بيان أنه همَّ أن يؤدب بإتلاف الأموال علىٰ سبيل الإبلاغ في

---

(١) شرح ابن بطال (٢/ ٢٦٩).

النكاية، ويحتمل أن يريد بذلك تشبيه عقوبتهم بعقوبة أهل الكفر في تحريق بيوتهم وتخريب ديارهم)[(١)].

قال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم أحدهم أنه يجد عرْقًا سمينًا، أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء**»: العَرْق بفتح العين وإسكان الراء هو (العظم إذا كان عليه لحم، فإن كان العظم لا لحم عليه فهو عُراق بضم العين)[(٢)].

ولحم العرق من أطيب اللحوم وألذها.

والمرماتان (تثنية مِرماة بكسر الميم، وهي ما بين ظلفي الشاة من اللحم، وقيل: هي الظِلف، وقيل: هي سهم يُتعلم عليه الرمي، وهو أرذل السهام)[(٣)].

وضرب المثل بالعرق والمرماة لبيان أن هؤلاء لا يلتفتون لما في صلاة الجماعة من الأجر والمثوبة، وأنهم لو علموا أن بها أهون نفع دنيوي لتسابقوا إليها.

قال رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن قرابته من غير المؤمنين: «**ولكن لهم رحمٌ أبلُّها ببلالها**»: وقوله: «**أبلُّها**» يعني: أَصِلُها بالمعروف، (والبل هو الترطيب والتندية بالمعروف)[(٤)]، وفي التعبير مجاز هو استعارة تصريحية إذ شبه الرسول ﷺ صلة الرحم بالمعروف، بترطيب الشيء اليابس حتىٰ يلين (وذلك أن العرب تصف الرجل إذا وصفته باللؤم بجمود الكف، فتقول: ما تندىٰ كفه بخير، وإنه لحجر صلد، يعني: لا يرجىٰ نائله، ولا يطمع في معروفه، كما لا يرجىٰ من الحجر الصلد ما يشرب، فإذا وصل رحمه بمعروفه قالوا: بلَّ رحمه بلًا، وبلالًا)[(٥)].

---

(١) المنتقىٰ شرح الموطأ (١/ ٢٣٠).
(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٢/ ٣١١).
(٣) عمدة القاري (٢٤/ ٢٨٣).
(٤) شرح ابن بطال (٩/ ٢٠٧).
(٥) شرح ابن بطال (٩/ ٢٠٧).

قال النبي ﷺ حين وضع يده في طعام فأصابت بللًا: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**»: والاستفهام إنكاري توبيخي.

ثم قال: «**من غش فليس مني**»، وقوله: «**من غش**» دون أن يحدد أنواع الغش أو المغشوش فيه ـ دال علىٰ العموم.

ونَفْيُ أن يكون الغاشُّ من رسول الله فيه أبلغ التنفير من الغش، إذ حسب هذا الصنف من الناس أن لا يكونوا منتسبين إلىٰ منهج رسول الله ﷺ وطريقته.

وليس المراد بقوله: «**فليس مني**» نفي الإسلام عنه، وإنما معناه (أنه ليس ممن اهتدىٰ بهدينا، واقتدىٰ بعلمنا وعملنا وحسن طريقتنا، كما يقول الرجل لولده إذا لم يرض فعله: لست مني، وهكذا القول في كل الأحاديث الواردة بنحو هذا القول)[١].

فصَّل رسول الله ﷺ موقف مانعي الزكاة يوم القيامة في مشاهد واقعية معبرة.

فمانع حق الإبل تأتيه إبله علىٰ أسمن ما كانت في الدنيا فتدوسه بأقدامها، ومانع حق الغنم تأتيه غنمه أيضًا علىٰ أسمن ما تكون في الدنيا فتدوسه وتنطحه، وكلاهما مستلق لا يملك لها دفعًا، وفي صورة أخرىٰ يأتي مانع زكاة الغنم والإبل وهو يحمل فوق رقبته ما منع، فيسرع إلىٰ النبي ﷺ يستصرخه، فيجيبه النبي ﷺ: «**لا أملك لك من الله شيئًا، قد بلغت**».

صورة مخيفة منفرة مهينة تُروِّع بواقعيتها كل نفس كريمة تخشىٰ يوم الحساب، وتردع كل نفس لئيمة تبخل بحق الله في مال الله.

قال النبي ﷺ وهو يتبرأ من الحالقة والصالقة والشاقة: «**أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق**». يقال: سلق وصلق وهي سالقة، وهي صالقة، وكلاهما لغتان صحيحتان.

---

(١) شرح النووي (١/ ١٠٩).

وإعلان براءة النبي ﷺ ممن يفعل هذه الأمور يؤكد حرمتها وبشاعتها وتناقضها مع منهج النبي ﷺ.

والكلمات الثلاث: (حلق وسلق وخرق) يجمعها جناس ناقص، يتدفق بالإيقاع، وحرف القاف الذي تنتهي به جميعًا يطرق الأسماع بقوة كأنه جرس إنذار وتنبيه لمن يرتكب هذه الموبقات.

٧ ـ حرصه ﷺ على العلم والتعليم:

* «إنما أنا لَكُمْ بمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ».

ـ عن أبي مُوسَىٰ، عن النبي ﷺ قال: **«مَثَلُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ من الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ منها أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ، فَنَفَعَ الله بها الناس فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ منها طَائِفَةً أُخْرَىٰ إنما هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ من فَقُهَ في دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ ما بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ من لم يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، ولم يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ»**[(١)].

عن حُمْرَانَ بن أَبَانَ، مولىٰ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ قال: رأيت عُثْمَانَ بن عَفَّانَ تَوَضَّأَ، فأفرغ علىٰ يَدَيْهِ ثَلَاثًا فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَغَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ إلىٰ الْمِرْفَقِ ثَلَاثًا، ثُمَّ الْيُسْرَىٰ مِثْلَ ذلك، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ قَدَمَهُ الْيُمْنَىٰ ثَلَاثًا، ثُمَّ الْيُسْرَىٰ مِثْلَ ذلك، ثُمَّ قال: رأيت رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هذا، ثُمَّ قال: **«من تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هذا، ثُمَّ صلىٰ رَكْعَتَيْنِ لا يحدث فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ»**[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩) كتاب العلم، باب فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، ومسلم (٢٢٨٢) كتاب الفضائل، بَاب بَيَانِ مَثَلِ ما بُعِثَ بِهِ النبي ﷺ من الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٦) كتاب الطهارة، باب صفة وضوء النبي ﷺ، والنسائي المجتبىٰ (٨٥) كتاب الطهارة، بأي اليدين يتمضمض، وابن ماجة (٢٨٥) كتاب الطهارة، باب =

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - رَأَىٰ فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «**تَقَدَّمُوا فَائْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّىٰ يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**»[1].

عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ من صَلَاةٍ جَهَرَ فيها بِالْقِرَاءَةِ، فقال: «**هل قَرَأَ مَعِيَ أَحَدٌ مِنْكُمْ آنِفًا؟**» فقال رَجُلٌ: نعم يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**إني أَقُولُ ما لي أُنَازَعُ الْقُرْآنَ**» قال فَانْتَهَىٰ الناس عن الْقِرَاءَةِ مع رسول اللهِ ﷺ، فِيمَا جَهَرَ فيه النبي ﷺ بِالْقِرَاءَةِ من الصَّلَوَاتِ، حين سَمِعُوا ذلك من رسول اللهِ ﷺ[2].

عن ابن عَبَّاسٍ عن النبي ﷺ قال: «**الشِّفَاءُ في ثَلَاثَةٍ: في شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أو شَرْبَةِ عَسَلٍ، أو كَيَّةٍ بِنَارٍ، وأنا أَنْهَىٰ أُمَّتِي عن الْكَيِّ**»[3].

عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حتىٰ تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ علىٰ شَيْءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[4].

= ثواب الطهور.

(١) أخرجه مسلم (٤٣٨) كتاب الصلاة، بَاب تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ وَإِقَامَتِهَا وَفَضْلِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ منها وَالِازْدِحَامِ علىٰ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا وَتَقْدِيمِ أُولِي الْفَضْلِ وَتَقْرِيبِهِمْ من الْإِمَامِ، وأبو داود (٦٨٠) كتاب الصلاة، باب صف النساء وكراهية التأخر عن الصف الأول.

(٢) أخرجه أبو داود (٨٢٦) كتاب الصلاة، بَاب من كَرِهَ الْقِرَاءَةَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ إذا جَهَرَ الْإِمَامُ والترمذي (٣١٢) كتاب أبواب الصلاة، بَاب ما جاء في تَرْكِ الْقِرَاءَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ إذا جَهَرَ الْإِمَامُ بِالْقِرَاءَةِ والنسائي في المجتبىٰ (٩١٩) كتاب الإمامة، تَرْكُ الْقِرَاءَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ فِيمَا جَهَرَ بِهِ، وابن ماجة (٨٤٨) كتاب إقامة الصلاة، بَاب إذا قَرَأَ الْإِمَامُ فَأَنْصِتُوا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨١) كتاب الطب، بَاب الشِّفَاءُ في ثَلَاثٍ، وابن ماجة (٣٤٩١) كتاب الطب، باب الكي.

(٤) أخرجه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلا الْمُؤْمِنُونَ وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ من الْإِيمَانِ وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سبب لِحُصُولِهَا، وأبو داود (٥١٩٣) كتاب =

عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**احْشُدُوا، فَإني سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» فَحَشَدَ من حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فقرَأَ: «**قُلْ هو الله أَحَدٌ**» ثُمَّ دخل، فقال بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إني أُرَىٰ هذا خَبَرٌ جَاءَهُ من السَّمَاءِ، فَذَاكَ الذي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فقال: «**إني قلت لكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، ألا إنها تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(١)].

ـ عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ قال: كنت أَقُودُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ نَاقَتَهُ في السَّفَرِ، فقال لي: «**يا عُقْبَةُ، ألا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا فَعَلَّمَنِي** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [سورة الفَلَق]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس] **قال: فلم يَرني سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا، فلما نَزَلَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، صلىٰ بِهِمَا صَلَاةَ الصُّبْحِ لِلنَّاسِ، فلما فَرَغَ رسول اللهِ ﷺ من الصَّلَاةِ الْتَفَتَ إليَّ، فقال: «يا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ؟»**[(٢)].

عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ قال: قال لي رسول اللهِ ﷺ: «**أُنْزِلَ أو أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لم يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، الْمُعَوِّذَتَيْنِ**»[(٣)].

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّىٰ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إني كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «**أَلَمْ يَقُلْ اللهُ** ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]» ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ**» فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ

= الأدب، باب في إفشاء السلام، والترمذي (٢٦٨٨) كتاب العلم، بَاب ما جاء في إِفْشَاءِ السَّلَامِ، وابن ماجة (٦٨) كتاب الإيمان، باب في الإيمان.

(١) أخرجه مسلم (٨١٢) كتاب صلاة المسافرين، باب فَضْلِ قِرَاءَةِ قُلْ هو الله أَحَدٌ، والترمذي (٢٩٠٠) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٢) كتاب سجود القرآن بَاب في الْمُعَوِّذَتَيْنِ، والنسائي في المجتبىٰ (٥٤٣٦) كِتَاب الِاسْتِعَاذَةِ.

(٣) أخرجه مسلم (٨١٤) كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين، والترمذي (٣٣٦٧) كتاب: تفسير القرآن، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، والنسائي في المجتبىٰ (٥٤٤٠) كتاب الاستعاذة.

اللهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ، قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة] **هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[1].

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا من أَصْحَابِ رسول اللهِ ﷺ كَانُوا في سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ من أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فلم يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لهم: هل فِيكُمْ رَاقٍ؟ فإن سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أو مُصَابٌ، فقال رَجُلٌ منهم: نعم، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا من غَنَمٍ، فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهَا، وقال: حتىٰ أَذْكُرَ ذلك لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَىٰ النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، والله ما رَقَيْتُ إلا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَتَبَسَّمَ وقال: «**وما أَدْرَاكَ أنها رُقْيَةٌ**» ثُمَّ قال: «**خُذُوا منهم وَاضْرِبُوا لي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ**»[2].

عن قَيْسٍ قال: قلت لِعَمَّارٍ أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ هذا الذي صَنَعْتُمْ في أَمْرِ عَلِيٍّ؟ أَرَأْيًا رَأَيْتُمُوهُ أو شيئًا عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رسول اللهِ ﷺ؟ فقال: ما عَهِدَ إِلَيْنَا رسول اللهِ ﷺ شيئًا لم يَعْهَدْهُ إِلىٰ الناس كَافَّةً، وَلَكِنْ حُذَيْفَةُ أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**في أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾** [الأعراف: ٤٠] **ثَمَانِيَةٌ منهم تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ، وَأَرْبَعَةٌ**» لم أَحْفَظْ ما قال شُعْبَةُ فِيهِمْ[3].

- عن عَائِشَةَ زَوْجِ النبي ﷺ قالت: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن الرَّجُلِ يُجَامِعُ أَهْلَهُ، ثُمَّ يُكْسِلُ، هل عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ؟ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ، فقال

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٦) كتاب فضائل القرآن بَاب فَضْلِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وأبو داود (١٤٥٨) كتاب سجود القرآن باب فاتحة الكتاب، والنسائي في المجتبىٰ (٩١٣) كتاب الإمامة، تَأْوِيلُ قَوْلِ اللهِ ﷻ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾، وابن ماجة (٣٧٨٥) كتاب الأدب، بَابُ ثَوَابِ الْقُرْآنِ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠١) كتاب السلام، باب لا بأس بالرقىٰ ما لم يكن فيه شرك.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٧٩) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

رسول اللهِ ﷺ: **«إني لأَفْعَلُ ذلك أنا وَهَذِهِ، ثُمَّ نَغْتَسِلُ»**(١).

- عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: **«إنما أنا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ، فإذا أتىٰ أحدكم الْغَائِطَ، فلا يَسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ ولا يَسْتَدْبِرْهَا، ولا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ»** وكان يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَىٰ عن الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ(٢).

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِغُلَامٍ يَسْلُخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ: **«تَنَحَّ حَتَّىٰ أُرِيَكَ، فَإِنِّي لا أَرَاكَ تُحْسِنُ تَسْلُخُ»** قَالَ: فَأَدْخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، فَدَحَسَ بها، حَتَّىٰ تَوَارَتْ إِلَىٰ الإِبْطِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **«هَكَذَا يَا غُلَامُ فَاسْلُخْ»** ثُمَّ انْطَلَقَ فَصَلَّىٰ، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ وَلَمْ يَمَسَّ مَاءً(٣).

- عن عَمْرِو بن الشَّرِيدِ عن أبيه قال: رَدِفْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فقال: **«هل مَعَكَ من شِعْرِ أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ شيئًا؟»** قلت: نعم، قال:**«هِيهِ»**، فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فقال: **«هِيهِ»** ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فقال: **«هِيهِ»** حتىٰ أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ(٤).

- عن مُعَاوِيَةَ بن أبي سُفْيَانَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: **«لا تُبَادِرُونِي بِرُكُوعٍ ولا بِسُجُودٍ، فإنه مَهْمَا أَسْبِقْكُمْ بِهِ إذا رَكَعْتُ تُدْرِكُونِي بِهِ إذا رَفَعْتُ، إني قد بَدَّنْتُ»**(٥).

- عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: بَيْنَمَا رسول اللهِ ﷺ **يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ، إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عن يَسَارِهِ، فلما رَأَىٰ ذلك الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ، فلما** قَضَىٰ رسول اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ، قال: **«ما حَمَلَكُمْ علىٰ إلقائكم نِعَالِكُمْ؟»** قالوا:

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥٠) كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء.

(٢) أخرجه أبو داود (٨) كِتَاب الطَّهَارَةِ بَاب كَرَاهِيَةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٨٥) كِتَاب الطَّهَارَةِ بَاب الْوُضُوءِ من مَسِّ اللَّحْمِ النيء وَغَسْلِهِ، وابن ماجة (٣١٧٩) كتاب الذبائح، باب السلخ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٥٥) كتاب الشعر.

(٥) أخرجه أبو داود (٦١٩) كتاب الصلاة، بَاب ما يُؤْمَرُ بِهِ الْمَأْمُومُ من أتباع الإِمَامِ.

رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ، فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أَتَانِي، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا» وقال: «إذا جاء أحدكم إلىٰ الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ، فَإِنْ رَأَىٰ في نَعْلَيْهِ قَذَرًا أو أَذًىٰ فَلْيَمْسَحْهُ، وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا»[(١)].

- عن أَيُّوبَ عن نَافِعٍ عن ابن عُمَرَ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ، فَإِنِي لا آمَنُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ» قال أَيُّوبُ: فَقَدْ نَالَهُ الْعَدُوّ، وَخَاصَمُوكُمْ بِهِ[(٢)].

-... فَخَطَبَ الناس وقال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، ألا كُلُّ شَيْءٍ من أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَم أَضَعُ من دِمَائِنَا: دَمُ ابن رَبِيعَةَ بن الْحَارِثِ، كان مُسْتَرْضِعًا في بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ: رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بن عبد الْمُطَّلِبِ، فإنه مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللهَ في النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذلك، فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غير مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وقد تَرَكْتُ فِيكُمْ ما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إن اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فما أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قد بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فقال بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إلىٰ السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا إلىٰ الناس: «اللهم اشْهَدْ، اللهم اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٦٥٠) كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٦٩) كتاب الإمارة، بَاب النَّهْيِ أَنْ يُسَافَرَ بِالْمُصْحَفِ إلىٰ أَرْضِ الْكُفَّارِ إذا خِيفَ وُقُوعُهُ بِأَيْدِيهِمْ.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، وأبو داود (١٩٠٥) كتاب المناسك، بَاب صِفَةِ حَجَّةِ النبي ﷺ، جزء من حديث طويل رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

- عن مَعْقِلِ بن يَسَارٍ قال: جاء رَجُلٌ إلىٰ النبي ﷺ، فقال: إني أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإنها لَا تَلِدُ، أَفَأَتزَوَّجُهَا؟ قال: «**لا**» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فقال: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإني مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**»[١].

- عن جَابِرِ بن عبد اللهِ قال: سَأَلَ رَجُلٌ النبي ﷺ فقال: إِنَّ عِنْدِي جَارِيَةً لي، وأنا أَعْزِلُ عنها، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّ ذلك لَنْ يَمْنَعَ شيئًا أَرَادَهُ الله**» قال: فَجَاءَ الرَّجُلُ فقال: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْجَارِيَةَ التي كنت ذَكَرتها لك حَمَلَتْ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**أنا عبد اللهِ وَرَسُولُهُ**»[٢].

- عن أبي جُرَيٍّ، جَابِرِ بن سُلَيْمٍ قال: رأيت رَجُلًا يَصْدُرُ الناس عن رَأْيِه، لَا يقول شيئًا إلا صَدَرُوا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول اللهِ ﷺ، قلت: عَلَيْكَ السَّلَامُ يا رَسُولَ اللهِ مَرَّتَيْنِ، قال: «**لا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فإن عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ**» قال: قلت: أنت رسول اللهِ ﷺ؟ قال: «**أنا رسول اللهِ، الذي إذا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لك، وإذا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ أو فَلَاةٍ، فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ**» قلت: اعْهَدْ إلي، قال: «**لا تَسُبَّنَّ أَحَدًا**» قال: فما سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا ولا عَبْدًا، ولا بَعِيرًا ولا شَاةً، قال: «**ولا تَحْقِرَنَّ شيئًا من الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إليه وَجْهُكَ، إِنَّ ذلك من الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إلىٰ نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَىٰ الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإنها من الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فلا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فيه، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذلك عليه**»[٣].

- عن عبد الرحمن بن عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ، يحدث عن أبيه، عن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠) كتاب النكاح، بَاب النَّهْيِ عن تَزْوِيجِ من لم يَلِدْ من النِّسَاءِ، والنسائي في المجتبىٰ (٣٢٢٧) كتاب النكاح، كراهية تزويج العقيم.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٣٩) كتاب النكاح، بَاب حُكْمِ الْعَزْلِ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤) كتاب اللباس، بَاب ما جاء في إِسْبَالِ الْإِزَارِ.

قال: «نَضَّرَ الله امْرَأً سمع مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلىٰ من هو أَفْقَهُ منه، ثَلَاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فإن الدَّعْوَةَ تُحِيطُ من وَرَائِهِمْ»(١).

ـ عن عبد اللهِ بن عَمْرٍو، أَنَّ النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ»(٢).

❁ ❁ ❁

أعلىٰ الله جَلَّ وَعَلَا من شأن العلم فكان أول نداء للإنسان عبر الوحي هو الدعوة إلىٰ القراءة والتعلم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]، وجعل الله العلماء الطائفة المختارة التي تعرف ربها وتخشاه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، ودعا المؤمنين إلىٰ اصطفاء طائفة منهم ليتعلموا العلم، ثم ينقلوه إلىٰ أقوامهم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والطريق إلىٰ طلب العلم يؤدي بصاحبه إلىٰ الجنة والمنزلة العالية، قال ﷺ: **«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) كتاب العلم، بَاب ما جاء في الْحَثِّ علىٰ تَبْلِيغِ السَّمَاعِ، وابن ماجة (٢٣٢) باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، بَاب مَنْ بَلَّغَ عِلْمًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١) كتاب الأنبياء، بَاب ما ذُكِرَ عن بَنِي إِسْرَائِيلَ، والترمذي (٢٦٦٩) كتاب العلم، بَاب ما جاء في الحديث عن بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وافر»[١].

ولم تكن العلاقة التي تربط النبي بأصحابه مجرد علاقة نبيٍّ بمتبعيه، أو قائد بأنصاره، أو حاكم بشعبه، أو معلم بتلاميذه، وإنما كانت إلىٰ جوار ذلك كله علاقة والد بأبنائه، يحنو عليهم، ويقوم بشؤونهم، ويقيل عثراتهم، ويوجههم إلىٰ ما ينفعهم، ولذلك قال: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم**».

لقد كان حريصًا علىٰ تعليمهم أدق تفاصيل دينهم ودنياهم، بدءًا من عقائدهم وعباداتهم، بمعاملاتهم.

ولم يكن يضن علىٰ أحد بنصح، ولا يخفي عن أحد علمًا، ولا يمنعه حياؤه من ذكر حكم شرعي.

عن سلمان قال: قال لنا المشركون: إني أرىٰ صاحبكم يعلمكم حتىٰ يعلمكم الخراءة، فقال: أجل إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه، أو يستقبل القبلة، ونَهَىٰ عن الروث والعظام، وقال: «**لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار**»[٢].

يوضح النبي لأصحابه ﷺ أن الناس في تلقي العلم ثلاثة أصناف:

صنف يتلقىٰ العلم فينتفع به وينفع الناس.

وصنف يتلقىٰ العلم فيحفظه ولا ينتفع به، ولكنه يلقنه للناس، فينفعهم به.

وصنف لم ينتفعوا بالعلم، ولم يحفظوه ولم ينفعوا أحدًا.

(فالتي قبلت العلم والهدىٰ كالأرض المتعطشة إليه، فهي تنتفع به فتحيا فتنبت، فكذلك هذه القلوب البريئة من الشك والشرك، المتعطشة إلىٰ معالم الهدىٰ والدين، إذا وعت العلم حَيَتْ به، فعملت وأنبتت بما تحيا به أرماق الناس المحتاجين إلىٰ مثل ما كانت القلوب الواعية تحتاج إليه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢)، وأبو داود (٧)، والترمذي (١٦)، وغيرهم.

ومن الناس من قلوبهم متهيئة لقبول العلم، لكنها ليس لها رسوخ، فهي تقبل وتمسك حتىٰ يأتي متعطش فيروي منها، ويرد علىٰ منهل يحيا به، وتُسقىٰ به أرض نقية فتنبت وتثمر، وهذه حال من ينقل العلم ولا يعرفه ولا يفهمه.

ومنها قيعان، يعني قلوبًا تسمع الكلام، فلا تحفظه ولا تفهمه، فهي لا تنتفع به، ولا تنبت شيئًا، كالسباخ المالحة التي لا تمسك الماء، ولا تنبت كلأً)[1].

وكان الرسول ﷺ يعطي أصحابه دروسًا عملية في العلم كأن يتوضأ أمامهم ويدعوهم إلىٰ أن يفعلوا مثله، أو يصلي علىٰ المنبر ليقتدوا به، ويتعلموا العبادة علىٰ يديه كأكمل ما تكون.

وقد رأىٰ في أصحابه يومًا تأخرًا عن الصف الأول، فأمرهم أن يتقدموا، حتىٰ يقتدي بهم من بعدهم، ونصحهم أن لا يتأخروا حتىٰ لا يؤخرهم الله.

وجهر يومًا بالقراءة، فقرأ معه أحد الصحابة، فنهىٰ عن فعل ذلك، حتىٰ لا يُشغل الإمام عن قراءته بقراءة المأمومين.

وعلَّم أصحابه أن الشفاء في ثلاثة: الحجامة، والعسل، والكي بالنار، ولكنه عقب بالنهي عن الكي بالنار، (وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم، ولهذا كانت العرب تقول في أمثالها: آخر الدواء الكي)[2].

وليس المراد حصر الشفاء في هذه الثلاثة، وإنما أراد أنها أعظم ما يُتداوىٰ به.

ودعا ﷺ أصحابه إلىٰ إفشاء السلام لأنه سبيل التحاب، والتحاب سبيل الإيمان، والإيمان سبيل الجنة.

وخرج عليهم يومًا فأمرهم بأن يحتشدوا لأنه سيقرأ عليهم ثلث القرآن،

---

(١) شرح ابن بطال (١/ ١٦٤).

(٢) فتح الباري (١٠/ ١٣٨).

فاحتشد جمع كبير، فجاءهم فقرأ عليهم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] وأخبرهم أنها تعدل ثلث القرآن.

وعلَّم صاحبه عقبةَ بن عامر، وكان يقود ناقته في سفر، أن خير سورتين نزلتا عليه هما: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس]، فلم يُسَرَّ عقبة بذلك كثيرًا لفشوهما بين الناس، وحفظ أكثرهم لهما، فلما نزل الرسول لصلاة الصبح أراد أن يؤكد لعقبة فضل السورتين، فصلىٰ بهما صلاة الصبح للناس.

ودعا الرسول أبا سعيد بن المعلىٰ وهو يصلي فلم يجبه، فلما فرغ من صلاته ذهب إليه فقال: إني كنت أصلي، فقال الرسول ﷺ: «**ألم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟**» ثم عرض عليه الرسول أن يعلمه أعظم سورة في القرآن قبل خروجه من المسجد، فلما أراد الخروج سأله أبو سعيد عن تلك السورة، فقال: «**﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**».

وخرج بعض أصحاب النبي ﷺ في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب، فطلبوا منهم أن يضيِّفوهم، فأبوا عليهم، فأقام الصحابة ببعض أطراف الحين، فأتوهم يطلبون راقيًا لسيد الحي اللديغ، فذهب معهم أحد الصحابة فرقاه بفاتحة الكتاب، فشفاه الله، فأعطوا الصحابي قطيعًا من الغنم، فأبىٰ أن يقبله حتىٰ يذكر ذلك للنبي، فلما جاءه، وقص عليه الأمر، وأخبره أنه لم يرقِ المريض إلا بفاتحة الكتاب، أثنىٰ النبي علىٰ فعله، وأباح لهم أخذ الأجر علىٰ الرقية، بل وطلب منهم أن يعطوه نصيبًا مما أصابوا.

وكان النبي ﷺ يخبر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأمر المنافقين، ويعلمه أماراتهم، ومن ذلك أنه ذكر له اثنىٰ عشر رجلًا من المنافقين ممن ينسبون لأصحابه، هم من أهل النار، ثمانية منهم تدفع شرهم عن المؤمنين الدبيلة، وهي ورم حار

(يحدث في أكتافهم، بحيث يظهر أثر تلك الحرارة وشدة لهبها في صدورهم ممثلة بسراج من نار، وهو شعلة المصباح، وقد روي حذيفة أنه عرَّفه إياهم، وأنهم هلكوا كما أخبره الرسول صلوات الله وسلامه عليه)[١].

وقيل: الدبيلة: (خراج ودمل كبير تظهر في الجوف، فتقتل صاحبها غالبًا، وهي تصغير دبلة)[٢].

وسأل رجل النبي ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم ينصرف عن ذلك ولا ينزل، هل عليهما غسل؟ فأخبره النبي أنه يفعل ذلك وعائشة، ثم يغتسلان.

وعلَّم النبي أصحابه ـ كما يعلم الوالد أبناءه ـ إذا جاء أحدهم الغائط أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، وأن لا يستنجي بيمينه، وكان يأمرهم أن يستجمروا بثلاثة أحجار، وينهاهم عن استخدام روث الماشية، والعظم البالي.

ولم يكن تعليم رسول الله ﷺ لأصحابه مقصورًا علىٰ أمور الدين، بل ربما كان يدربهم أحيانًا علىٰ بعض المهارات التي لا يحسنونها.

فقد مر رسول الله ﷺ بغلام يسلخ شاة، فرآه لا يحسن ذلك، فأمره أن يتنحىٰ، ثم أدخل يده بين الجلد واللحم بشدة وقوة، حتىٰ توارت ذراعه إلىٰ الإبط ثم قال للغلام: «**هكذا يا غلام فاسلخ**».

وكان ﷺ يسمع الشعر الجيد ويستحسنه، فقد روي عن عمرو بن الشريد عن أبيه أنه كان رديف رسول الله ﷺ يومًا، فطلب منه أن يسمعه شيئًا من شعر أمية بن الصلت، فأنشده بيتًا فبيتًا فبيتًا، وهو يستزيده حتىٰ أنشده مائة بيت.

وأمر أصحابه أن لا يسارعوا بالركوع والسجود خلفه، وأن يتمهلوا حتىٰ يتم ركوعه فيركعوا، وحتىٰ يتم سجوده فيسجدوا.

---

(١) مرقاة المفاتيح (١١/ ٦٣).

(٢) لسان العرب (١١/ ٢٣٥).

وصلىٰ بأصحابه يومًا، فخلع نعليه فوضعهما عن يساره، فخلع أصحابه نعالهم، فلما أتم صلاته سألهم: «**ما حملكم علىٰ إلقائكم نعالكم؟**» فقالوا له: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ، فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فأخبرهم أن جبريل أتاه فأخبره أن فيهما قذرًا فخلعهما، وعلمَّهم أنه يجب علىٰ من أتىٰ المسجد أن يتأكد من طهارة نعليه، فإن وجد فيهما قذرًا فليمسحهما، ثم ليصل فيهما.

وكان ﷺ يخشىٰ علىٰ القرآن من بعده، فأمر أصحابه أن لا يسافروا به خارج ديار المسلمين حتىٰ لا يناله العدو.

وهذا النهي (ليس علىٰ العموم، ولا علىٰ كل الأحوال، وإنما هو في العساكر والسرايا التي ليست مأمونة، وأما إذا كان في العساكر العظام، فيجوز حمل القرآن إلىٰ أرض العدو)[1].

وخطب رسول الله ﷺ الناس في حجة الوداع، فحرَّم دماء المسلمين وأموالهم، ووضع دماء الجاهلية ورباها، وأمرهم بأن يتقوا الله في النساء، وبيَّن أن علىٰ النساء ألا يأذنَّ لأحد من الرجال في بيوت أزواجهن، وأن لهن الرزق والكسوة بالمعروف، ثم أخبر بأن النجاة من الضلال مرهونة بالتمسك بكتاب الله، وسنة النبي ﷺ.

وحث النبي ﷺ علىٰ الزواج من الودود الولود، لكون هذا أدعىٰ إلىٰ إعمار الأرض، وتحقيق معنىٰ الخلافة، وزيادة عدد المسلمين الذين يباهي بهم رسول الله ﷺ الأمم يوم القيامة.

وعلَّم النبي أصحابه أن كل شيء يقع إنما يقع بقدر الله وإرادته، وأن الله الذي خلق الأسباب قد يعطل الأسباب لحكمة يعلمها هو وحده. جاءه رجل يخبره أن عنده جارية، وأنه يعزل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن ذلك لن يمنع شيئًا أراده الله**»، ثم ما لبث الرجل أن جاءه فأخبره أن الجارية حملت، فقال

(١) شرح ابن بطال (٥/ ١٥٠).

رسول الله ﷺ: «**أنا عبد الله ورسوله**»، أي (أن ما أقول لكم حق فاعتمدوه واستيقنوه، فإنه يأتي مثل فلق الصبح)[١].

وسلَّم أبو جُرَيّ على النبي ﷺ فقال: عليكم السلام يا رسول الله، فنهاه النبي عن هذه الصيغة من السلام؛ لأنها تحية الأموات، وعلَّمه أن تحية الأحياء هي: السلام عليك، وأن التوجه إلىٰ الله بالدعاء يكشف الضر، ويجلب الغيث، ويرد الضالَّ.

وأوصاه أن لا يسب أحدًا، ولا يحقر شيئًا من المعروف، وأن يكلم الناس بوجه طلق، ونهاه عن إسبال الإزار، وعن تعيير الناس بما يعلمه فيهم.

لقد حثَّ النبي علىٰ تبليغ العلم، ودعا بالنضرة لمن سمع قوله فوعاه وحفظه وبلَّغه، فقد يحمل الفقه امرؤ إلىٰ من هو أفقه منه، ولا يدخل قلبَ المسلم غل أو حقد ما التزم بثلاث خصال: إخلاص العمل لله، وبذل النصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم الجماعة.

وحث النبي ﷺ في حديث آخر علىٰ التبليغ عنه، ولو آية من كتاب الله، وأباح الحديث عن بني إسرائيل بلا حرج؛ (لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار)[٢].

ثم حذر النبي أخيرًا من الكذب عليه عمدًا، لأن فاعل ذلك مصيره إلىٰ النار، وبئس القرار.

❁ ❁ ❁

---

(١) شرح النووي (١٠/ ١٣).
(٢) فتح الباري (٦/ ٤٩٨).

قال رسول الله ﷺ: **«مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا...»**.

وهذا تشبيه تمثيلي بديع، شبَّه فيه الرسول ﷺ ما بعثه الله به من الهدىٰ والعلم، وتأثير ذلك في الناس بغيث عظيم أصاب أرضًا، فكان منها أرض خصبة نقية أنعشها الماء وأحياها، فازدهرت بالكلأ والعشب الكثير، فهذا مثل الذي تلقىٰ العلم فانتفع به، ونفع به الناس.

وكان من هذه الأرض أرض جرداء صلبة تحفظ الماء ولا تدعه يتسرب، فينتفع الناس به، ولا تنتفع هي بشيء منه، فهذا مثل الذي تلقىٰ العلم فلم ينتفع به، ولم يعمل به، لكنه نفع به الناس.

وكان من هذه الأرض قيعان، وهي ما استوىٰ من الأرض وصلب، ولم يكن فيه نبات، وهذه لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فهذا مثل الذي لم ينتفع بالعلم، ولم ينفع به أحدًا.

وروعة هذا التشبيه تأتي من أنه علىٰ كثرة تفاصيله، وتفريعاته، جاء مطابقًا لمقتضىٰ الحال، كما يقول البلاغيون القدامىٰ، وناسب كل مشبه به فيه المشبه، وبدا الأثر النفسي للمشبه به متوافقًا مع المشبه، ومع الغرض من التشبيه.

وتشبيه العلم بالغيث يخاطب البيئة العربية التي ترىٰ الغيث حياتها وبقاءها، والقحط موتها وفناءها.

والأرض النقية أي الطيبة، إشارة إلىٰ خلوصها من كل شائبة، وهي صفة للبياض الخالص.

والكلأ والعشب اسمان للنبات يختصان بالرطب، والحشيش يختص باليابس، وقيل: (العشب والكلا مقصورًا مختصان بالرطب، والكلأ بالهمز يقع علىٰ اليابس والرطب)[1].

---

(١) شرح النووي (١٥/ ٤٦).

والأجادب جمع جدب أو جديب وهي (صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا يسرع إليه النضوب، وقال الأصمعي: الأجادب من الأرض ما لم تنبت الكلأ فهي جرداء بارزة لا يسترها النبات)[١].

وقال قوم: (إنما هي: (أجارد)، وهي المواضع المتجردة من النبات، وقد رواه أبو سليمان البستي من طريق أبي كريب فقال: (أحارب) بالحاء والراء، وليس بشيء، وقال بعضهم: إنما هي (إخاذات) سقطت منها الألف، واحدتها إخاذة وهي التي تمسك الماء، والرواية هي الأولىٰ)[٢].

وما سبق مثال للاختلاف في الرواية، في الكلمات التي تحتمل التأويل، وتوجيه المعنىٰ تبعًا لذلك.

وأخيرًا فمما يلفت النظر في هذا الحديث ذلك العلم الدقيق بأنواع التربة وطبائعها، ودرجة امتصاصها للماء، ومدىٰ انتفاعها به أو عدم انتفاعها، مما هو داخل الآن فيما يسمىٰ علم الجيولوجيا، وهو علم لم يكن للعرب منه نصيب، فمن علمه للنبي الأمي ﷺ غير ربه؟

قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلىٰ ركعتين لا يحدث فيهما نفسه**».

قوله: «**نحو وضوئي**» ورد هكذا في روايات البخاري الثلاث، وروايتين لمسلم، وروايتين للنسائي، وورد: «**مثل وضوئي**» في رواية لمسلم، ورواية أبي داود، ورواية للنسائي، ورواية ابن ماجة.

ويرىٰ النووي أن الرواية الأولىٰ: «**نحو وضوئي**» أوفق للمعنىٰ من: «**مثل وضوئي**» (لأن حقيقة مماثلته لا يقدر عليها غيره)[٣]، وردَّ عليه العيني بأن

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢٨٨).

(٢) كشف المشكل (١/ ٤١٠).

(٣) شرح النووي (٣/ ١٠٨).

«**نحو**» و«**مثل**» من أدوات التشبيه، (والتشبيه لا عموم له، سواء قال: «**نحو وضوئي هذا**»، أو: «**مثل وضوئي**» فلا يلزم ما ذكره النووي)[١].

وفي رأي النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجاهة، إذ إن الغالب في قول القائل: (هذا نحو ذلك) أنه قريب منه، وليس مماثلًا له، والله أعلم.

وقوله: «**لا يحدث فيها نفسه**» (جملة نافية في محل نصب، علىٰ أنها صفة لركعتين)[٢].

والمراد أنه لا يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا لا تتعلق بالصلاة، (ولو عرض له حديث، فأعرض عنه لمجرد عروضه عُفي عنه ذلك، وحصلت له هذه الفضيلة ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ لأن هذا ليس من فعله، وقد عفي لهذه الأمة عن الخواطر التي تعرض ولا تستقر)[٣].

وقال ﷺ وقد قرأ بعضهم معه في الصلاة: «**هل قرأ معي أحد منكم آنفًا؟**»

والاستفهام غرضه الإنكار، وقوله: «**آنفًا**» أي: (قريبًا، وقيل: أول وقت كنَّا فيه، وقيل: الساعة، وكله بمعنًىٰ)[٤].

قال ﷺ: «**إني أقول ما لي أُنَازَع القرآن؟**»، والاستفهام غرضه التعجب، و«**أنازع**» أي: أجاذب في القراءة، (كأنْ أجذبه إليَّ مِنْ غيري، وغيري يجذبه إليه مني، والظاهر أنه أخبرهم بهذا المعنىٰ نَهيًا لهم عن ذلك، وإنكارًا لفعلهم)[٥].

قال ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا**»، وقوله: «**ولا تؤمنوا**» بحذف النون لا مسوغ له في الإعراب، لكنها لغة، قال النووي:

---

(١) عمدة القاري (٣/ ٧).
(٢) السابق (٣/ ٦).
(٣) عون المعبود (٣/ ١٢٢).
(٤) فتح الباري لابن رجب (٧/ ١٧٦).
(٥) حاشية السندي علىٰ سنن النسائي (٢/ ١٤٠).

(هكذا هو في جميع الأصول والروايات: «**ولا تؤمنوا**» بحذف النون من آخره، وهو لغة معروفة صحيحة)(١).

وليس المراد نفي الإيمان، بل المراد نفي كمال الإيمان.

وقال ﷺ: «**أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»، والاستفهام في الجملة الأولىٰ غرضه العرض والتشويق، و«**أفشوا السلام**» أمر غرضه الحث، و«**أفشوا**» (بقطع الهمزة المفتوحة من الإفشاء، وهو الإظهار، وفيه الحث العظيم علىٰ إفشاء السلام، وبذله للمسلمين كلهم، من عَرفت ومن لم تعرف)(٢).

وسياق الحديث متوازن، وترتيبه منطقي، فرغم أنه يهدف إلىٰ بيان فضل إفشاء السلام إلا أنه لم يبدأ بذلك بل بدأ بالحديث عن دخول الجنة؛ لأنها غاية كل مسلم، ثم بين أن دخولها مرهون بالإيمان، ثم ذكر أن من دلالات الإيمان الحب، وانتهىٰ بأن الطريق إلىٰ الحب يمر عبر إفشاء السلام.

قال رسول الله ﷺ: «**احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن**»، والأمر للحث والتحضيض، والجملة الثانية أريد بها التشويق والإثارة التي تنتهي بخروج النبي ﷺ، وقراءته ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

ثم يعود النبي ﷺ فيقول: «**ألا إنها تعدل ثلث القرآن**»، و«**ألا**» للاستفتاح والتنبيه، والضمير في «**إنها**» يرجع إلىٰ سورة الإخلاص، وهي تعدل ثلث القرآن في ثواب قارئها وحافظها لما تحويه من معاني التوحيد، وتلك منحة ربانية أكرم الله بها عباده المؤمنين، وقال بعضهم: (معنىٰ قوله: «**إنها تعدل ثلث القرآن**» أن الله جعل القرآن ثلاثة أجزاء:

أحدها: القصص والعبر والأمثال.

---

(١) شرح النووي (٢/ ٣٦).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٣٨٣).

والثاني: الأمر والنهي، والثواب والعقاب.

والثالث: التوحيد والإخلاص.

وتضمنت هذه السورة صفة توحيده وتنزيهه عن الصاحبة والوالد والولد، فجعل لقارئها من الثواب كثواب من قرأ ثلث القرآن)(١).

قال رسول الله ﷺ لعقبة بن عامر يعلمه: «**يا عقبة، ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾** [سورة الفلق]، **و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾** [سورة الناس]».

والنداء للإيناس، و«**ألا**» الاستفتاحية للتنبيه والتحضيض.

وجملة «**قرئتا**» جملة فعلية في محل جر صفة لسورتين.

قال رسول الله ﷺ لعقبة بعد أن فرغ من ركعتي الصبح، وكان قد قرأ فيهما المعوذتين: «**يا عقبة، كيف رأيت؟**»

وقوله: «**كيف رأيت؟**» استفهام غرضه التنبيه والترغيب.

ووَصْفُ سور معينة أو آيات معينة بالخيرية، أو بأنها أعظم أو أفضل محل خلاف بين العلماء؛ (لأن تفضيل بعضه يقتضي نقص المفضول، وليس في كلام الله نقص، وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق أعظم وأفضل في بعض الآيات والسور بمعنىٰ عظيم وفاضل، وأجاز ذلك إسحاق بن راهويه وغيره، وقالوا: وهو راجع إلىٰ عظم أجر قارئ ذلك وجزيل ثوابه)(٢).

قال رسول الله ﷺ لحذيفة: «**في أصحابي اثنا عشر منافقًا منهم ثمانية ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾** [الأعراف: ٤٠]»

وقوله: «**في أصحابي**» وليس: من أصحابي؛ لأنه لا يعدهم من أصحابه، بل ينسبون إليهم (وذلك مثل قولنا: إبليس كان في الملائكة، أي في زمرتهم،

(١) شرح ابن بطال (١٠/ ٢٥١).
(٢) عون المعبود (٤/ ٢٣٦).

ولا يصح أن يقال: كان من الملائكة، فإن الله ﷻ يقول: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠])[١].

وقوله: «**فيهم ثمانية** ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]» إشارة إلىٰ أن هؤلاء الثمانية مقطوع بكفرهم ودخولهم النار.

وقوله: «**ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة**» نبوءة أخبر بها رسول الله، وتحققت كما أشار حذيفة، فهلك هؤلاء جميعًا بهذا المرض.

قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم**»، «**إنما أنا لكم**» توكيد وحصر بالقصر بإنما، وبضمير الفصل المتكلم.

«**بمنزلة الوالد**» أي: (في الشفقة والحنو، لا في الرتبة والعلو، وفي تعليم ما لا بد منه، فكما يعلم الأب ولده الأدب، فأنا أعلمكم ما لكم وعليكم)[٢].

وقوله: «**ولا يستطب بيمينه**»: أي لا يستنجي بيمينه، (وسمي الاستنجاء الاستطابة؛ لما فيه من إزالة النجاسة، وتطهير موضعها من البدن، يقال: استطاب الرجل إذا استنجىٰ، فهو مستطيب، وأطاب فهو مطيب، ومعنىٰ الطيب هاهنا الطهارة)[٣].

وفي هذا المعنىٰ إشارة إلىٰ اهتمام الإسلام بالطهارة، وجعلها من أولويات المسلم.

قال النبي ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»، وتشبيه حرمة الدماء والأموال بحرمة اليوم والشهر والبلد تأكيد للتحريم وتشديد عليه.

وقوله ﷺ: «**ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع**»، (في هذه

---

(١) مرقاة المفاتيح (١١/ ٦٢).
(٢) فيض القدير (٢/ ٥٧٠).
(٣) عون المعبود (١/ ١٦).

الجملة إبطال أفعال الجاهلية وبيوعها التي لم يتصل بها قبض، وأنه لا قصاص في قتلها، وأن الإمام وغيره ممن يأمر بمعروف، أو ينهىٰ عن منكر، ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله، فهو أقرب إلىٰ قبول قوله، وإلىٰ طيب نفس مَنْ قَرُبَ عهده بالإسلام)[(١)].

قال ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود**»، ذكر النبي ﷺ هنا أعظم صفتين يتحقق بهما الهدف من الزواج، فالود: هو الذي يؤدي إلىٰ حسن العشرة ودوام السكن، وهو ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

والولادة هي التي تحقق التناسل والتكاثر الذي تقوم به الحياة علىٰ وجه الأرض، وهو المشار إليه في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

وقوله ﷺ: «**فإني مكاثر بكم الأمم**» (تعليل للترغيب في نكاح الولود، وإن لم تكن جميلة، وتجنب العقيم، وإن كانت في نهاية الجمال)[(٢)].

حيا أبو جُرَيّ رسول الله ﷺ قائلًا: عليك السلام، فأجابه الرسول ﷺ قائلًا: «**لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك**»، ونَهيه ﷺ عن قوله: عليك السلام، نَهْي تنزيه، وقد قيل في الغرض من البدء بالسلام كثير، منه (أن إحدىٰ فوائد السلام أن يُسْمِع المُسَلِّم المُسَلَّمَ عليه ابتداء لفظ السلام؛ ليحصل الأمن من قبل قلبه، فإذا بدأ بعليك لم يأمن حتىٰ يُلحق به السلام، بل يستوحش ويتوهم أنه يدعو عليه، فأُمر بالمسارعة إلىٰ إيناس الأخ المسلم بتقديم السلام، وهذا المعنىٰ غير مطلوب في الميت)[(٣)].

---

(١) شرح النووي (٨/ ١٢٨).

(٢) فيض القدير (٢/ ١٨٧).

(٣) مرقاة الفاتيح (٤/ ٣٥٨).

وعندما سأل أبو جُرَيٍّ رسول الله ﷺ: أنت رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «**أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سَنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة، فضلَّت راحلتك فدعوته ردَّها عليك**».

وقوله: «**أنا رسول الله**» أسلوب قصر باستخدام ضمير الفصل، واسم الموصول: «**الذي**» صفة للفظ الجلالة «**الله**»، وليس صفة للرسول ﷺ؛ لأن كل ما جاء بعد ذلك من أمور هي بيد الله وحده، لا بيد أحد من البشر فهو ﷻ الذي يكشف الضر، وينزل الغيث، ويرد الضالة.

قال رسول الله ﷺ: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه**»، وقوله ﷺ: «**نضَّر الله امرأً**» جملة خبرية إنشائية المعنىٰ، والغرض منها الدعاء، والمراد: (ألبسه الله النضرة، وهي الحُسن وخلوص اللون، أي: جمَّله وزيَّنه، وأوصله الله إلىٰ نضرة الجنة، أي نعيمها ونضارتها، قال ابن عيينة: ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لهذا الحديث)[١].

قوله: «**فرب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه**»، و«رُبَّ» للتقليل، (لكنه كَثُر في الاستعمال للتكثير بحيث غلب حتىٰ صارت كأنها حقيقة فيه، وهي حرف؛ خلافًا للكوفيين في دعوىٰ اسميته)[٢].

وحامل فقه: أي علم، واستخدام كلمة حامل تعني أنه قد لا يكون ناقل الحديث عالمًا، بل ربما يكون فاهمًا فحسب، أو حافظًا فحسب، وفي ذلك دلالة علىٰ أن حامل السنة (يجوز أن يؤخذ عنه، وإن كان جاهلًا بمعناها، فهو مأجور علىٰ نقلها وإن لم يفهمها)[٣].

---

(١) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجة (١/ ١٠٢).

(٢) عمدة القاري (٢/ ٣٥).

(٣) فيض القدير (٦/ ٢٨٤).

وفي الحديث حث علىٰ نقل السنة وتبليغها ونشرها بين الناس.

وفي ذات السياق يأتي قوله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»، والأمر فيه للوجوب، وقوله: «**ولو آية**» المراد: التقليل، والآية في اللغة لها ثلاثة معان: (العلامة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة)[١].

والمراد بالآية في الحديث (آية واحدة من القرآن، وخصها؛ لأنها أقل ما يفيد في التبليغ، ولم يقل ولو حديثًا؛ لأن حاجة القرآن إلىٰ التبليغ أشد)[٢].

وفي الأمر بالتبليغ ما يفيد (إباحة الكتبة والتقييد؛ لأن النسيان من طبع أكثر البشر، ومن اعتمد علىٰ حفظه لا يؤمن عنه الغلط، فترك التقييد يؤدي إلىٰ سقوط أكثر الحديث، وتعذر التبليغ، وحرمان آخر الأمة من معظم العلم. روي عن عمر أنه قال: قيدوا العلم بالكتابة)[٣].

٨ـ حبه ﷺ للعبادة والذكر:

* «وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ»:

عن الْمُغِيرَةِ قال: قام النبي ﷺ حتىٰ تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ له: غَفَرَ الله لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، قال: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[٤].

عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ**

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٩٨).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٤٣٥).

(٣) شرح السنة (١/ ٢٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٣٦) كتاب التفسير، بَاب قوله ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَاب إِكْثَارِ الْأَعْمَالِ وَالِاجْتِهَادِ في الْعِبَادَةِ، والترمذي (٤١٢) كتاب أبواب الصلاة، بَاب ما جاء في الِاجْتِهَادِ في الصَّلَاةِ، والنسائي في المجتبىٰ (١٦٤٤) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، الِاخْتِلَافُ علىٰ عَائِشَةَ في إحياء اللَّيْلِ وابن ماجة (١٤١٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، بَاب ما جاء في طُولِ الْقِيَامِ في الصلوات.

لِلَّهِ، ولا إِلَهَ إلا الله، وَاللهُ أَكْبَرُ - أَحَبُّ إلي مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ»[١].

عن عَائِشَةَ، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال في شَأْنِ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ: **«لَهُمَا أَحَبُّ إلي من الدُّنْيَا جميعًا»**[٢].

عن أبي زِيَادَةَ عُبَيْدِ اللهِ بن زياد الْكِنْدِيِّ، عن بِلَالٍ أَنَّهُ حدثه: أَنَّهُ أتىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيُؤْذِنَهُ بِصَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَشَغَلَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِلَالًا بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عنه، حتىٰ فَضَحَهُ الصُّبْحُ، فَأَصْبَحَ جِدًّا، قال فَقَامَ بِلَالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ، وَتَابَعَ أَذَانَهُ، فلم يَخْرُجْ رسول اللهِ ﷺ، فلما خَرَجَ صلىٰ بِالنَّاسِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ شَغَلَتْهُ بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عنه حتىٰ أَصْبَحَ جِدًّا، وَأَنَّهُ أَبْطَأَ عليه بِالْخُرُوجِ، فقال: **«إني كنت رَكَعْتُ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ»** فقال: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ أَصْبَحْتَ جِدًّا، قال: **«لو أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أَصْبَحْتُ، لَرَكَعْتُهُمَا، وَأَحْسَنْتُهُمَا، وَأَجْمَلْتُهُمَا»**[٣].

عن كُرَيْبٍ، أَنَّ ابن عَبَّاسٍ وَالْمِسْوَرَ بن مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرحمن بن أَزْهَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَرْسَلُوهُ إلىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالُوا: اقْرَأْ عليها السَّلَامَ مِنَّا جميعًا، وَسَلْهَا عن الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَقُلْ لها: إِنَّا أُخْبِرْنَا أَنَّكِ تُصَلِّينَهُمَا، وقد بَلَغَنَا أَنَّ النبي ﷺ نَهَىٰ عنها، وقال ابن عَبَّاسٍ: وَكُنْتُ أَضْرِبُ الناس مع عُمَرَ بن الخَطَّابِ عنها، فقال كُرَيْبٌ: فَدَخَلْتُ علىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَبَلَّغْتُهَا ما أَرْسَلُونِي، فقالت: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ، فَأَخْبَرتهم بِقَوْلِهَا، فَرَدُّونِي إلىٰ أُمِّ سَلَمَةَ بِمِثْلِ ما أَرْسَلُونِي بِهِ إلىٰ عَائِشَةَ، فقالت أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سمعت النبي ﷺ يَنْهَىٰ عنها، ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حين صلىٰ الْعَصْرَ، ثُمَّ دخل وَعِنْدِي نِسْوَةٌ من بَنِي حَرَامٍ من الْأَنْصَارِ، فَأَرْسَلْتُ إليه الْجَارِيَةَ، فقلت قُومِي بِجَنْبِهِ، قولي له: تَقُولُ لك أُمُّ سَلَمَةَ: يا رَسُولَ اللهِ، سَمِعْتُكَ تَنْهَىٰ عن هَاتَيْنِ، وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٥) كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، والترمذي (٣٥٩٧) كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية.

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر.

(٣) أخرجه أبو داود (١٢٥٧) كتاب الصلاة، باب في تخفيفهما (أي ركعتي الفجر).

فَإِنْ أَشَارَ بيده، فَاسْتَأْخِرِي عنه، ففَعَلَتْ الْجَارِيَةُ، فَأَشَارَ بيده، فَاسْتَأْخَرَتْ عنه، فلما انْصَرَفَ قال: «يا بِنْتَ أبي أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عن الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ من عبد الْقَيْسِ، فَشَغَلُونِي عن الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، فَهُمَا هَاتَانِ»(١).

عن شُعْبَةَ عن عَمْرِو بن مُرَّةَ، سمعت بن أبي لَيْلَىٰ قال: أُحِيلَتْ الصَّلَاةُ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ، قال: وَحَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لقد أَعْجَبَنِي أَنْ تَكُونَ صَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ ـ أو قال الْمُؤْمِنِينَ ـ وَاحِدَةً، حتىٰ لقد هَمَمْتُ أَنْ أَبُثَّ رِجَالًا في الدُّورِ يُنَادُونَ الناس بِحِينِ الصَّلَاةِ، وَحَتَّىٰ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رِجَالًا يَقُومُونَ علىٰ الْآطَامِ، يُنَادُونَ الْمُسْلِمِينَ بِحِينِ الصَّلَاةِ، حتىٰ نَقَسُوا، أو كَادُوا أَنْ يَنْقُسُوا...»(٢).

عن عبد اللهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ، أَنَّهُ سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يقول، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فإنه من صلىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صلىٰ الله عليه بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لي الْوَسِيلَةَ، فَإِنها مَنْزِلَةٌ في الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ من عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أنا هو، فَمَنْ سَأَلَ لي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ»(٣).

عن عبد اللهِ بن السَّائِبِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قبل الظُّهْرِ، وقال: «أنها سَاعَةٌ تُفْتَحُ فيها أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأُحِبُّ أَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٣) كتاب الصلاة، بَاب إذا كُلِّمَ وهو يُصَلِّي فَأَشَارَ بيده وَاسْتَمَعَ، ومسلم (٨٣٤) كتاب الصلاة، بَاب مَعْرِفَةِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كان يُصَلِّيهِمَا النبي ﷺ بَعْدَ الْعَصْرِ، أبو داود (١٢٧٣) كتاب الصلاة، بَاب الصَّلَاةِ بَعْدَ الْعَصْرِ.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦) جزء من حديث كتاب الصلاة، باب كيف الأذان.

(٣) أخرجه مسلم (٣٨٤)كتاب الصلاة، بَاب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلِ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي علىٰ النبي ﷺ، ثُمَّ يَسْأَلُ اللهَ له الْوَسِيلَةَ، وأبو داود (٥٢٣) كتاب الصلاة بَاب ما يقول إذا سمع الْمُؤَذِّنَ، والترمذي (٣٦١٤) كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، والنسائي في المجتبىٰ (٦٧٨) كتاب الأذان، الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد الأذان.

يَصْعَدَ لي فيها عَمَلٌ صَالِحٌ»[(١)].

عن أَنَسٍ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**حُبِّبَ إلي من الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلَاةِ**»[(٢)].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَزِيدُ بِهِ في الْحَسَنَاتِ؟**» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ**»[(٣)].

❁ ❁ ❁

أي حب غامر لله ملأ هذه النفس العظيمة، نفس محمد ﷺ؟

أي عشق للطاعة، وإغراق في العبادة، وتفانٍ في الذكر شغلها عن الدنيا وما فيها؟

لقد كانت حياة محمد ﷺ كلها ذكرًا.

كل حركة أو سكنة كانت مشفوعة بتسبيحة أو تَهليلة أو تحميدة أو تكبيرة.

في النوم واليقظة، في البيت والمسجد، في الخلوة والملأ، في الراحة والشغل، في السر والعلن، كان ذكر الله يملأ قلبه، وينساب علىٰ لسانه.

ولأنه كان يحب أمته، ويخشىٰ عليها من الانجراف وراء متاع الدنيا الزائل، ونسيان حق الله علىٰ عباده ـ فقد علمنا كيف نذكر الله، وكيف نتبتل إليه، وكيف نخلص العبادة له وحده جَلَّ وَعَلَا، وكيف يكون الله ماثلًا في وجداننا، ورقيبًا علىٰ حركاتنا وسكناتنا.

علَّمنا أن لكل عمل ذكرًا يسبقه وذكرًا يتلوه، سواء أكان عملًا خالصًا لله،

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٧٨) كتاب أبواب الصلاة بَاب ما جاء في الصَّلَاةِ عِنْدَ الزَّوَالِ.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (٣٩٣٩) كِتَاب عِشْرَةِ النِّسَاءِ، بَاب حُبِّ النِّسَاءِ.

(٣) أخرجه ابن ماجة (٤٢٧) كتاب الطهارة وسننها، بَابُ مَا جَاءَ في إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ.

أم عملًا دنيويًا يحقق به العبد مراد الله في الأرض؟

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسُه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»(١).

ذُكر أن رسول الله ﷺ كان يقوم الليل حتىٰ تتورم قدماه، فلما قيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**».

وبلغ من حبه لركعتي الفجر أنه قال في شأنُهما: «**لهما أحبُّ إلي من الدنيا جميعًا**».

وأبطأ يومًا علىٰ أصحابه في الخروج لصلاة الفجر حتىٰ أصبح جدًّا، فلما خرج أخبر بلالًا أنه كان يؤدي ركعتي الفجر ويحسنهما ويجملهما.

وشغله ناس من عبد القيس عن صلاة الركعتين اللتين بعد الظهر، فصلَّاهما بعد العصر، رغم أنه نَهَىٰ عن النافلة بعد العصر.

واهتم بأمر دعوة الناس إلىٰ الصلاة، فقد أحب أن يجتمع المسلمون للصلاة في وقت واحد، وبلغ من اهتمامه بهذا الأمر أنه كاد أن ينشر رجالًا في دور المسلمين ينادونهم بوقت الصلاة، وهمَّ أن يأمر رجالًا يقومون علىٰ المباني المرتفعات لينبهوا الناس للصلاة، بل كاد الناس أن يدقوا ناقوس النصارىٰ للدعوة إلىٰ الصلاة، حتىٰ أراد الله بالمسلمين خيرًا، ورأىٰ بعضهم في منامه رجلًا يردد كلمات الأذان فوق المسجد، فوعاها حتىٰ أصبح، فأخبر رسول الله ﷺ بها، فقال: «**لقد أراد الله خيرًا، فمر بلالًا فليؤذن**».

وأمرنا الرسول ﷺ إذا سمعنا المؤذن أن نقول مثلما يقول، ثم نختم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، وغيرهما.

بالصلاة علىٰ النبي، ونسأل الله له الوسيلة حتىٰ ننال شفاعته يوم القيامة.

وكان ﷺ يكثر من أداء النوافل في كل وقت، ولا سيما قبل الصلوات المفروضة، وفي أدبارها، ومن ذلك أنه كان يصلي قبل الظهر أربعًا، ويقول: «**إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، وأحبُّ أن يصعد لي فيها عمل صالح**».

ولم يحب النبي ﷺ من الدنيا إلا قليلًا: حُبِّبَ إليه منها النساء والطيب، لكن قرة عينه، وطمأنينة نفسه جعلت في الصلاة.

ولقد دلَّنا منقذُنا من الضلال إلىٰ النور ﷺ علىٰ سبيل النجاة من النار ومحو الخطايا ورفع الدرجات فأخبر أنها في ثلاثة:

أولها: إسباغ الوضوء بتطويل الغرة، والتثليث والدلك رغم المشقة (كبرد الماء، وألم الجسم، والاشتغال بالوضوء مع ترك أمر الدنيا، وقيل: منها الجد في طلب الماء، وشراؤها بالثمن الغالي)[١].

وثانيها: كثرة الخطا إلىٰ المساجد ببعد الدار، وكثرة التردد.

وثالثها: انتظار الصلاة بعد الصلاة (بالجلوس لها في المسجد أو تعلق القلب بها، والتأهب لها)[٢].

فذلك كله هو الرباط، أي: ربط النفس والجسم بالطاعات.

* * *

قال النبي ﷺ: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»، والهمزة للاستفهام والغرض منه التعجب. وقيل: إن بالعبارة حذفًا، والتقدير: (أأترك صلاتي لأجل مغفرته فلا أكون عبدًا شكورًا، فالفاء عاطفة علىٰ مقدر بعد الهمزة)[٣].

---

(١) حاشية السندي علىٰ سنن النسائي (١/ ٩٠).

(٢) السابق الموضع نفسه.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٦/ ٦٣١).

وقال ﷺ: «**لأن أقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر - أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس**»

«**لأن أقول**»: اللام لام الابتداء، واستخدام المصدر المؤول للتوكيد.

و«**سبحان**» مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبًا.

وقوله: «**أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**» قيل فيه: إن أفعل ليست للمفاضلة، لأن من شرط المفاضلة (استواء الشيئين في أصل المعنىٰ، ثم يزيد أحدهما علىٰ الآخر)[1].

وهو غير متحقق في الحديث إذ لا مفاضلة بين قول هذه الكلمات، وبين ما طلعت عليه الشمس.

ولذا ذهب الكثيرون إلىٰ أن المراد بأفعل أصل الفعل لا المفاضلة.

وقال رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن فضل ركعتي الفجر: «**لو أصبحت أكثر مما أصبحت، لركعتهما، وأحسنتهما، وأكملتهما**».وقوله: («**لركعتهما**» يدل علىٰ أنها لا تترك، وأنها سنة مؤكدة. وقوله: «**وأحسنتهما**»: إحسانهما كناية عن تكميل أركانها وفروضها. وإجمالهما: كناية عن ترتيب أفعالها وأقوالها)[2].

وقد قال ﷺ: «**أحسنتهما**» ولم يقل: حسّنتهما، والإحسان نُشدان الكمال في الحسن.

قال ﷺ: «**لقد هممت أن أبث رجالًا في الدور ينادون الناس بحين الصلاة**» والعبارة مؤكدة باللام وقد، والمصدر المؤول.

و«**هممت**» (أي: لقد أردت؛ من هممت بالشيء أهتم همًّا، إذا أردته.

---

(١) مرقاة المفاتيح (٥/ ٢٠٩).

(٢) شرح أبي داود للعيني (٥/ ١٤٥).

ومعنىٰ أبث: أُفرّق؛ من البث وهو النشر، وأن: مصدرية، والتقدير: لقد هممت ببث رجال، في الدور: أي: القبائل)[١].

وقوله: «**هممت أن أبث رجالًا**» كناية عن شدة الاهتمام بأمر الدعوة إلىٰ الصلاة.

قال ﷺ: «**ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**».

طلب النبي ﷺ من أمته الدعاء له بنيل الوسيلة (افتقارًا إلىٰ الله تعالىٰ، وهضمًا لنفسه، أو لينفع أمته، ويثاب به، أو يكون إرشادًا لهم في أن يطلب كل منهم من صاحبه الدعاء له)[٢].

والوسيلة كما وصفها النبي ﷺ أعلىٰ منازل الجنة وأرفعها، وأقربها إلىٰ العرش.

وقوله: «**لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله**» أراد بالعبد نفسه الشريفة، وفي ذلك من التواضع ما فيه.

وقوله: «**وأرجو أن أكون أنا هو**» (أي أنا ذلك العبد، وذكره علىٰ طريق الترجي تأدبًا وتشريعًا؛ لأنه إذا كان أفضل الأنام، فلمن يكون ذلك المقام)[٣].

وقيل في جملة: «**أنا هو**»: (هو خبر أكون، وُضع بدل إياه، ويحتمل أن لا يكون (أنا) للتأكيد، بل مبتدأ، و(هو) خبر، والجملة خبر (أكون)، ويمكن أن هذا الضمير وضع موضع اسم الإشارة، أي: أكون أنا ذلك العبد)[٤].

وقوله: «**حلَّت عليه الشفاعة**»، المراد غشيته الشفاعة فاستحقها، (ولا

---

(١) السابق (٢/ ٤٣٩).
(٢) تحفة الأحوذي (١٠/ ٥٨).
(٣) فيض القدير (١/ ٣٨٤).
(٤) السابق، الموضع نفسه.

يجوز أن تكون حلت من الحِل؛ لأنها لم تكن من قبل محرمة)[١].

قال ﷺ: «**حُبب إليَّ من الدنيا: النساء، والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة**»، قدم حبَّ النساء ليؤكد علىٰ موافقة طبيعة النبي البشرية للفطرة التي خلق الله الناس عليها، وفيه دلالة علىٰ رقة قلب النبي ﷺ، وانحيازه للضعفاء، فهو الذي كان يوصي دائمًا: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوان عندكم**»[٢].

وحُبِّب إليه الطيب (لكونه يناجي الملائكة، وهم يحبون الطيب، وأيضًا هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج، وكمال الخلقة، وهو ﷺ أشد اعتدالًا من حيث المزاج، وأكمل خلقةً)[٣].

وخص الصلاة دون النساء والطيب بأنها جعلت قرة عينه لما فيها من مناجاة لله تعالىٰ، وأَخَّر ذكرها (للتدرج التعليمي من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، وقدم الطيب علىٰ النساء لتقدم حظ النفس علىٰ حظ البدن في الشرف)[٤].

قال النبي ﷺ لأصحابه: «**ألا أدلكم علىٰ ما يكفر الله به الخطايا، ويزيد به في الحسنات؟**»

والاستفهام للإثارة والتشويق، وبين قوله: «**يكفر الله به الخطايا**»، وقوله: «**ويزيد به في الحسنات**» مقابلة مؤكدة للمعنىٰ تزيد من الترغيب والتحبيب فيما سيعرض.

فلما قالوا: بلىٰ، قال ﷺ: «**إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وكثرة الخطا إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة**».

وكون هذه الثلاثة تخص عبادة الصلاة، يدل علىٰ سمو مكانتها بين أركان

---

(١) عون المعبود (٢/ ١٥٩).
(٢) أخرجه الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجة (١٨٥١)، وغيرهما.
(٣) حاشية السندي علىٰ سنن النسائي (٧/ ٦١).
(٤) شرح السيوطي لسنن النسائي (٧/ ٦٣).

الإسلام، وعظيم ثوابها.

و«**إسباغ الوضوء على المكاره**» كناية عن إبلاغه مواضعه، وإيفاء كل عضو حقه.

و«**كثرة الخطا إلى المساجد**» كناية عن كثرة التردد على المسجد لأداء الصلاة في جماعة، أو كناية عن بعد الدار عن المسجد.

و«**انتظار الصلاة بعد الصلاة**» كناية عن تعلق القلب بالمسجد وحب المكوث فيه.

٩ـ شجاعته ﷺ وإقدامه:

* «أنا النبي لا كَذِبْ، أنا ابن عبد الْمُطَّلِبْ»:

ـ عن جَابِرٍ قال: أَقْبَلْنَا مع رسول اللهِ ﷺ، حتى إذا كنا بِذَاتِ الرِّقَاعِ، قال: كنا إذا أَتَيْنَا على شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قال: فَجَاءَ رَجُلٌ من الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رسول اللهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِشَجَرَةٍ، فَأَخَذَ سَيْفَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَاخْتَرَطَهُ، فقال لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَتَخَافُنِي، قال: «**لا**» قال: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قال: «**الله يَمْنَعُنِي مِنْكَ**»، قال: فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ رسول اللهِ ﷺ، فَأَغْمَدَ السَّيْفَ وَعَلَّقَهُ، قال: فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الأخرى رَكْعَتَيْنِ، قال: فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ[١].

ـ عن أبي إِسْحَاقَ، قال رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنهما: أَفَرَرْتُمْ عن رسول اللهِ ﷺ يوم حُنَيْنٍ، قال: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ لم يَفِرّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عليهم فَانْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ على الْغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رسول اللهِ ﷺ فلم يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ، وَإِنَّهُ لعلي بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يقول: «**أنا النبي**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف.

لا كَذِبْ، أنا ابن عبد الْمُطَّلِبْ»[١].

هذا القلب الذي غُسل بماء الحكمة، وتجرد من الزيف والبهتان، وخلا من الضعف والخور، وامتلأ عزمًا وإيمانًا ـ لم يعرف الخوف قط، ولم تستطع جحافل الكفر أن توهن من صلابته.

لم يكن أحد يتوقع أن هذا الطفل اليتيم، ثم الشاب الفقير، ثم الكهل المتواضع ـ يمكن أن يواجه بتلك البسالة أساطين الكفر من سادة قريش وفرسانها، أولئك الذين كانت تخشىٰ بأسهم العرب جميعًا.

لم يفت في عضده انصراف الناس عنه، وسخريتهم منه، وتكذيبهم له، وإيذاؤهم إياه.

واجههم في شجاعة، وأنذرهم في صلابة، وعدهم وتوعدهم، لم يأبه لتهديداتهم، ولم يُعِرْ أذنًا لعروضهم الكاسدة، ظل ثابتًا وشامخًا حتىٰ اجتمع حوله الأصفياء، ولاذ بجنابه الضعفاء.

خاض معاركه دائمًا في قلة قليلة، لكنه كان يتقدمهم في بسالة، ويضرب لهم المثل في الجسارة، فيلوذون به إذا حميٰ الوطيس، ويتترسون وراءه إذا دهمهم الخطر، فيكتب الله لهم النصر، ويكبت أعداءهم، ويمكن لهم في الأرض.

لم يكن النبي ﷺ يومًا خوارًا أو مترددًا، ولا يصلح أن يكون ذلك من أخلاق الأنبياء، لأن الدعوة الفريدة تواجه دائمًا من أعدائها بشتىٰ صنوف الإيذاء، وتُشهر في وجهها جميع أسلحة البطش، فتحتم أن يكون النبي شجاعًا مقدامًا، غير هياب ولا متردد.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦٤) كتاب الجهاد والسير، بَاب الرُّكُوبِ علىٰ الدَّابَّةِ الصَّعْبَةِ وَالْفُحُولَةِ من الْخَيْلِ، ومسلم (١٧٦٦) كتاب الجهاد والسير، بَاب في غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، والترمذي (١٦٨٨) كتاب الجهاد، بَاب ما جاء في الثَّبَاتِ عِنْدَ الْقِتَالِ.

وهكذا كان محمد ﷺ، كان يتقدم حين يتراجع الأبطال، ويثبت حين يتزعزع الأطواد، ويكر حين يفر الشجعان.

عَلِم النبي ﷺ أن أنمارًا وثعلبة قد جمعوا للمسلمين الجموع، فاستخلف علىٰ المدينة عثمان بن عفان، ومضىٰ إلىٰ ديارهم بجبل يسمىٰ ذات الرقاع، فلم يجد في محالِّهم أحدًا إلا النسوة فأخذهن، وكانت الأعراب قد هربت إلىٰ رؤوس الجبال، فعسكر المسلمون بسفح الجبل، وأوىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ شجرة ظليلة، فعلق سيفه واضطجع، فجاء رجل من المشركين في غفلة من أصحاب النبي ﷺ، فانتزع سيف رسول الله ﷺ، وسله من غمده، وتهدد به رسول الله ﷺ، قال له: أتخافني؟ قال النبي ﷺ: «لا»، قال: فمن يمنعك مني؟ قال ﷺ: «**الله يمنعني منك**» ودهش الأعرابي من جسارة النبي فشلت حركته، حتىٰ فطن الصحابة إلىٰ ما يحدث فأسرعوا إلىٰ الأعرابي، وقبضوا عليه، وصلىٰ رسول الله بالمسلمين حينئذ صلاة الخوف.

وفي غزوة حنين انهزم المشركون أمام المسلمين في الكرة الأولىٰ، فظن المسلمون أن المعركة انتهت، وانفضوا من حول النبي ﷺ إلا قليلًا منهم، وانشغلوا بجمع الغنائم والأسلاب.

لكن هوازن وغطفان سرعان ما أعادوا تنظيم صفوفهم، وهجموا علىٰ صفوف المسلمين المختلة، ورشقوهم بنبال لا تخطئ، فانكشف المسلمون، وتركوا النبي في نفر قليل من أصحابه، وكان النبي راكبًا بغلته، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها، فراح النبي ﷺ يُركض البغلة نحو الكفار وهو يرتجز.

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وأثار إقدام النبي ﷺ جموع المنهزمين من أصحابه، فعادوا إلىٰ الميدان، وتجمعوا حول نبيهم واستعادوا زمام المبادرة، فمنحهم القوم أكتافهم، وكان نصر الله.

قال النبي ﷺ للأعرابي الذي هدده بسيفه: «الله يمنعني منك»، وفي ذلك إشارة إلىٰ ثقة النبي ﷺ في ربه، الذي خاطبه في القرآن قائلًا: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وفيه أيضًا ذلك الثبات المذهل، والشجاعة الفائقة، والتوازن النفسي في تلقي المفاجأة، والتعامل معها بهدوء كامل، ينعكس سلبًا علىٰ الخصم فيربكه، ويفقده اتزانه.

وقال النبي ﷺ، وهو يندفع نحو الأعداء في حنين:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

وهو بإسكان الباء، ورواه بعضهم بفتح الباء في قوله: «**كذب**» وبكسرها في «**عبد المطلبِ**» ليسقط به الروي، فيخرج بالنبي ﷺ عن قول الشعر.

وقد سبق أن نوقشت هذه القضية في الباب الأول، فليرجع إليه هناك.

وارتجاز النبي ﷺ علىٰ هذا النحو دليل علىٰ إقدامه وبسالته، وهو من الاختيال المحمود، (فاختيال الرجل عند القتال، أي المقاتلة مع أعداء الله، بأن يتقدم فيها بنشاط وجرأة، وإظهار شجاعة، وتبختر في المعركة، واستهانة بالعدو وجلادة)[1].

وقوله: «**لا كذب**». يعني: حقًّا، فلا ينبغي أن أفرَّ؛ لأني متيقن من نصر الله.

ونسبته نفسه لعبد المطلب لأنه الأشهر بين الناس لموت عبد الله شابًا.

١٠ ـ تواضعه ﷺ وزهده:

*** «اذْهَبُوا بخَمِيصَتِي هذه إلى أبي جَهْمٍ، وَأْتُوني بأَنْبجَانِيَّةِ أبي جَهْمٍ».**

ـ عن ابن عَبَّاسٍ، سمع عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول علىٰ الْمِنْبَرِ: سمعت النبي ﷺ

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٤٤٠).

يقول: «**لا تُطْرُوني، كما أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابن مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أنا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عبد اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١).

ـ عن ابن عَبَّاسٍ قال: بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بن بَكْرٍ ضِمَامَ بن ثَعْلَبَةَ إِلَىٰ رسول اللهِ ﷺ، فَقَدِمَ عليه، فَأَنَاخَ بَعِيرَهُ علىٰ بَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دخل الْمَسْجِدَ، فذكر نَحْوَهُ، قال: فقال: أَيُّكُمْ ابن عبد الْمُطَّلِبِ؟ فقال رسول اللهِ ﷺ: «**أنا ابن عبد الْمُطَّلِبِ**» قال: يا بن عبد الْمُطَّلِبِ، وَسَاقَ الحديث(٢).

ـ قال أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول اللهِ ﷺ: «**لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ أَجْرَانِ**» وَالَّذِي نَفْسِي بيده، لَوْلَا الْجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ، وَالْحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وأنا مَمْلُوكٌ(٣).

ـ عن عَلِيِّ بن الْأَقْمَرِ قال: سمعت أَبَا جُحَيْفَةَ يقول: قال رسول اللهِ ﷺ: «**لا آكُلُ مُتَّكِئًا**»(٤).

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لو دُعِيتُ إِلَىٰ ذِرَاعٍ أو كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلي ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**»(٥).

ـ عن عبد اللهِ بن بُسْرٍ قال: كان لِلنَّبِيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لها الْغَرَّاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، فلما أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضحىٰ، أتي بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ، يَعْنِي وقد ثُرِدَ فيها، فَالْتَفُّوا عليها، فلما كَثُرُوا جثا رسول اللهِ ﷺ، فقال أَعْرَابِيٌّ: ما هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) أحاديث الأنبياء، بَاب ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٧) كتاب الصلاة بَاب ما جاء في الْمُشْرِكِ يَدْخُلُ الْمَسْجِد.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٤٨) كتاب العتق، بَاب الْعَبْدِ إذا أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ سَيِّدَهُ، ومسلم (١٦٦٥) كتاب الأيمان، بَاب ثَوَابِ الْعَبْدِ وَأَجْرِهِ إذا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ.

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٩٨) كتاب النفقات، باب الأكل متكئًا، وأبو داود (٣٧٦٩) كتاب الأطعمة، بَاب ما جاء في الْأَكْلِ مُتَّكِئًا، والترمذي (١٨٣٠) كتاب الأطعمة، بَاب ما جاء في كَرَاهِيَةِ الْأَكْلِ مُتَّكِئًا، وابن ماجة (٣٢٦٢) كتاب الأطعمة، بَاب الْأَكْلُ مُتَّكِئًا.

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٦٨) كتاب الهبة، بَاب الْقَلِيلِ من الْهِبَةِ.

الْجِلْسَةُ؟ قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، ولم يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا» ثُمَّ قال رسول اللهِ ﷺ: «كُلُوا من حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوتها يُبَارَكْ فيها»(١).

ـ عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قال: «لَا أَرْكَبُ الْأُرْجُوَانَ، ولا أَلْبَسُ الْمُعَصْفَرَ، ولا أَلْبَسُ الْقَمِيصَ الْمُكَفَّفَ بِالْحَرِيرِ» قال: وَأَوْمَأَ الْحَسَنُ إِلَىٰ جَيْبِ قَمِيصِهِ، قال: وقال: «أَلا وَطِيبُ الرِّجَالِ رِيحٌ لَا لَوْنَ له، أَلا وَطِيبُ النِّسَاءِ لَوْنٌ لَا رِيحَ له»(٢).

ـ عن عِيَاضِ بن حِمَارٍ أَنَّهُ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حتىٰ لا يَبْغِيَ أَحَدٌ علىٰ أَحَدٍ، ولا يَفْخَرَ أَحَدٌ علىٰ أَحَدٍ»(٣).

ـ عن عُقْبَةَ قال: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النبي ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قام مُسْرِعًا، فَتَخَطَّىٰ رِقَابَ الناس إِلَىٰ بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ الناس من سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عليهم، فَرَأَىٰ أنهم عَجِبُوا من سُرْعَتِهِ، فقال: «ذَكَرْتُ شيئًا من تِبْرٍ عِنْدَنَا، فكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ»(٤).

ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان رسول اللهِ ﷺ إذا دخل عَلَيَّ قال: «هل عِنْدَكُمْ طَعَامٌ؟» فإذا قُلْنَا: لَا، قال: «إني صَائِمٌ» زَادَ وَكِيعٌ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ أُهْدِيَ لنا حَيْسٌ، فَحَبَسْنَاهُ لك، فقال: «أَدْنِيهِ» قال طَلْحَةُ: فَأَصْبَحَ صَائِمًا وَأَفْطَرَ(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٧٣) كتاب الأطعمة، بَاب ما جاء في الْأَكْلِ من أَعْلَىٰ الصَّحْفَةِ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٤٨) كتاب اللباس، بَاب من كَرِهَهُ (أي الحرير).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٩٥) كتاب الأدب، بَاب في التَّوَاضُعِ، وابن ماجة (٤١٧٩) كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع.

(٤) أخرجه البخاري (٨٥١) كتاب الأذان، بَاب من صلىٰ بِالنَّاسِ فذكر حَاجَةً فَتَخَطَّاهُمْ، والنسائي في المجتبىٰ (١٣٦٥) كتاب الإمامة، بَاب الرُّخْصَةِ للأمام في تَخَطِّي رِقَابِ الناس.

(٥) أخرجه أبو داود (٢٤٥٥) كتاب الصوم، بَاب النِّيَّةِ في الصِّيَامِ والنسائي في المجتبىٰ (٢٣٢٨) كتاب الصيام، النية في الصيام.

ـ عن عَائِشَةَ أَنَّ النبي ﷺ صلىٰ في خَمِيصَةٍ لها أَعْلَامٌ، فَنظَرَ إلىٰ أَعْلَامِهَا نَظْرَةً، فلما انْصَرَفَ قال: «**اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هذه إلىٰ أبي جَهْمٍ، وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أبي جَهْمٍ، فَإنها أَلْهَتْنِي آنِفًا عن صَلَاتِي**» وقال هِشَامُ بن عُرْوَةَ عن أبيه عن عَائِشَةَ: قال النبي ﷺ: «**كنت أَنْظُرُ إلىٰ عَلَمِهَا، وأنا في الصَّلَاةِ فَأَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي**»(١).

ـ عن أَنَسٍ: كان قِرَامٌ لِعَائِشَةَ سَتَرَتْ بِهِ جَانِبَ بَيْتِهَا، فقال النبي ﷺ: «**أَمِيطِي عَنَّا قِرَامَكِ هذا، فإنه لا تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَعْرِضُ في صَلَاتِي**»(٢).

ـ عن عَائِشَةَ قالت: كان علىٰ رسول اللهِ ﷺ ثَوْبَانِ قِطْرِيَّانِ غَلِيظَانِ، فَكَانَ إذا قَعَدَ فَعَرِقَ ثَقُلَا عليه، فَقَدِمَ بَزٌّ من الشَّامِ لِفُلَانٍ الْيَهُودِيِّ فقلت: لو بَعَثْتَ إليه فَاشْتَرَيْتَ منه ثَوْبَيْنِ إلىٰ الْمَيْسَرَةِ، فَأَرْسَلَ إليه فقال: قد عَلِمْتُ ما يُرِيدُ، إنما يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِمَالِي أو بِدَرَاهِمِي، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**كَذَبَ، قد عَلِمَ أني من أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ وَآدَاهُمْ لِلْأَمَانَةِ**»(٣).

ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا في الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»(٤).

❀ ❀ ❀

كان النبي ﷺ علىٰ سمو منزلته أعظم الناس تواضعًا وإخباتًا، وقد نَهَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣) كتاب الصلاة، بَاب إذا صلىٰ في ثَوْبٍ له أَعْلَامٌ وَنَظَرَ إلىٰ عَلَمِهَا، ومسلم (٥٥٦) كتاب المساجد، بَاب كَرَاهَةِ الصَّلَاةِ في ثَوْبٍ له أَعْلَامٌ، وأبو داود (٤٠٥٢) كتاب اللباس، باب من كره لبس الحرير.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤) كتاب الصلاة، بَاب إن صلىٰ في ثَوْبٍ مُصَلَّبٍ أو تَصَاوِيرَ هل تَفْسُدُ صَلَاتُهُ وما يُنْهَىٰ عن ذلك.

(٣) أخرجه الترمذي (١٢١٣) كتاب البيوع بَاب ما جاء في الرُّخْصَةِ في الشِّرَاءِ إلىٰ أَجَلٍ، والنسائي في المجتبىٰ (٤٦٢٨) كتاب البيوع، البيع إلىٰ الأجل المعلوم.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧) كتاب الزهد.

بنفسه الناس عن إطرائه، حتىٰ لا يقعوا فيما وقع فيه النصارىٰ، حين غالوا في المسيح فنسبوه إلىٰ الله، ثم زعموا أنه هو الله.

ولم يكن تواضعه ﷺ تكلفًا يتكلفه، وإنما كان طبعًا يصدر عن نفس عظيمة لا تعرف التعالي والغرور، نفس صنعها الله الذي وصف صاحبها فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ [ق: ٤٥].

وعن أبي مسعود قال: أتي النبي ﷺ رجل، فكلمه، فجعل ترعد فرائصه، فقال له: «**هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد**»(١).

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصًا علىٰ أن يثبت لنفسه صفة العبودية لله قبل صفة الرسالة، فقال:

«**فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**».

«**من محمد عبد الله ورسوله إلىٰ هرقل عظيم الروم**»(٢).

«**الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله**»(٣).

«**أنا عبد الله ورسوله**»(٤)، وهذا الإلحاح علىٰ تقرير تلك الصفة كان سمةً غالبةً ليس في كلام النبي ﷺ فحسب، وإنما في أفعاله أيضًا.

إن تاريخ البشر لم يعرف رجلًا مثل محمد ﷺ تأتيه الدنيا راغمة فيعرض عنها، وتعرض علىٰ قلبه الشهوات فينفر منها، وتدين له الجزيرة العربية وما حولها، فلا يغير من طبيعة حياته، ولا من هيئة ثيابه، ولا من أثاث بيوته؟

تصاغرت أمام هذه النفس العالية الهمة كل مغريات الدنيا، بل بعض

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٣٣١٢)، والحاكم في المستدرك (٣٧٣٣)، وغيرهما.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١)، وغيرهما.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٣٧)، ومسلم (١٠٥٩)، وغيرهما.

ضروراتها حتىٰ صار اتخاذُ ثوب جيد يتطلب قرضًا إلىٰ ميسرة، ووضعُ فراش فوق الحصير لونًا من الترف، واستخدامُ قرام فيه تصاوير مدعاةً للفتنة.

أرسل بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة إلىٰ رسول الله ﷺ، ولم يكن يعرفه، فدخل المسجد يسأل عنه قائلًا: أيكم ابن عبد المطلب؟ فلم يشعر النبي بالاستياء، ولم يغضبه ذلك النداء علىٰ فجاجته، وإنما أجاب قائلًا: «**أنا ابن عبد المطلب**».

وروىٰ أبو جحيفة أن النبي ﷺ قال: «**لا آكل متكئًا**» ولم يفعل ذلك إلا تواضعًا وتذللًا لله، (وقد بين ذلك أبو أيوب في حديثه عن الزهري، أن النبي عليه السلام أتاه ملك لم يأته قبل تلك المرة ولا بعدها، فقال: إن ربك يخيرك بين أن تكون عبدًا نبيًا، أو ملكًا نبيًّا، قال: فنظر إلىٰ جبريل كالمستشير له، فأومأ إليه أن يتواضع، فقال: «**بل عبدًا نبيًّا**»، فما أكل متكئًا[(١)])[(٢)].

وكان ربما جثا علىٰ ركبتيه عند الطعام إذا ضاق المكان توسعة علىٰ الإخوان، فقد أتي بقصعته الغراء يومًا بعد صلاة الضحىٰ يحملها أربعة رجال، مملوءة ثريدًا، فالتف النبي ﷺ ومن معه حولها، فلما كثر عددهم جثا الرسول ﷺ علىٰ ركبتيه، فتعجب أعرابي من الحاضرين قائلًا: ما هذه الجلسة؟ كأنه استحقرها، فقال النبي ﷺ: «**إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا**».

ومن تواضعه لأصحابه أنه كان يقبل الدعوة إلىٰ الطعام، ويقبل الهدية ولو كانت أقل القليل؛ (لأن القصد من قبول الهدية، وإجابة الدعوة تأليف الداعي، وإحكام التحابب، وبالرد يحدث النفور والعداوة)[(٣)].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦٧٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٨)، وغيرهما.

(٢) شرح ابن بطال (٩/ ٤٧٤).

(٣) فيض القدير (٥/ ٣١٤).

وتَنزَّهَ ﷺ عن الجلوس على الحرير، ولو كان وسادة توضع على السرج، وعن لبس الثوب المعصفر: أي المصبوغ بالعصفر، وعن لبس القميص المكفف بالحرير (أي الذي على ذيله وأكمامه وجيبه كفاف من حرير)[١].

وكل ذلك من باب التواضع والزهد في متاع الدنيا.

ولقد أوحى الله إليه آمرًا إياه وأمته بالتواضع حتى لا يطغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد.

ولم يكن لزهده يبقي في بيته شيئًا من مال دون أن يقسمه، وقد صلى وراءه الناس بالمدينة يومًا العصر، فسلم ثم أسرع يتخطى رقاب الناس إلى حجرة من حجرات نسائه، حتى فزع الناس من سرعته، فلما عاد إليهم، ورأى أنهم قد عجبوا من سرعته أخبرهم أنه تذكر شيئًا من تبر ـ وهو قطع الذهب قبل أن يضرب ـ في بعض حجر نسائه، فكره أن يبقيه عنده، فأمر بقسمته.

وكان إذا دخل على نسائه سأل: «**هل عندكم طعام؟**» فإن قالوا: لا، قال: «**إني صائم**».

وصلى يومًا في ثوب معلَّم، فنظر إلى أعلامه نظرة فأسرع عقب الصلاة يخلعه، ويرسل به إلى أبي جهم[٢]، ويأمره أن يرسل إليه بإنبجانيته[٣].

ودخل على السيدة عائشة فوجد عندها سترًا فيه تصاوير ونقوش، فأمرها بأن تزيله؛ لأن تصاويره تعرض له في صلاته.

وحكت السيدة عائشة أنه ﷺ كان له ثوبان غليظان من صوف، وكان إذا أطال الجلوس فيهما عرق فثقلا عليه، فأتى أحد اليهود بثياب كتان وقطن من

---

(١) عون المعبود (١١/ ٦٥).

(٢) أبو جهم: هو عامر بن حذيفة العدوي القرشي المدني الصحابي، وقيل: اسمه عبيد، أسلم يوم الفتح، وكان معظَّمًا في قريش، وعالمًا بالنسب. عمدة القاري (٤/ ٩٣).

(٣) الأنبجانية: كساء غليظ من صوف وقطن.

الشام، فعرضت عليه أن يشتري منه ثوبين إلىٰ ميسرة، فأبىٰ اليهودي زاعمًا أن النبي يريد أكل ماله، فقال ﷺ: «**كذب، قد علم أني من أتقاهم لله، وآداهم للأمانة**».

ونام رسول الله علىٰ حصير فأثَّر في جنبه، فقال له أصحابه: لو اتخذنا لك وطاء؛ أي فراشًا.

فأخبرهم أنه ليس له أرب في الدنيا، وأن حاله مع الدنيا كمسافر لجأ إلىٰ شجرة، فاستظل بها من عناء السفر سويعات، ثم راح وتركها.

❁ ❁ ❁

قال ﷺ: «**لا تطروني، كما أطرت النصارىٰ ابن مريم**»، والإطراء: (المدح بالباطل، تقول: أطريت فلانًا: مدحته، فأفرطت في مدحه)(١).

والمراد بإطراء النصارىٰ ابن مريم ادعاؤهم أنه ولد الله، واتخاذه إلهًا، وقوله ﷺ: «**ابن مريم**» إشارة إلىٰ كونه بشرًا مولودًا.

قال ﷺ: «**للعبد المملوك الصالح أجران**»، ووصف العبد بالمملوك؛ هو من باب ذكر الخاص بعد العام لعموم كلمة العبد إذ تشمل من هو مملوك، ومن ليس بمملوك، فالناس كلهم عبيد الله، وأراد بوصفه بالصالح صلاحَه بعبادة ربه وخدمة سيده.

وله أجران (لقيامه بالحَقَّيْن، ولانكساره بالرق، قال بعضهم: وليس الأجران متساويين؛ لأن طاعة الله أوجب من طاعة المخلوقين، قلت: طاعة المخلوق المأمور بها هي من طاعة الله، وذلك كطاعة أولي الأمر، وطاعة الزوج والمالك والوالد، وقال ابن عبدالبر: فيه أن العبد المؤدي لحق الله وحق سيده أفضل من الحر، ويعضد هذا ما روي عن المسيح عليه السلام أنه قال:

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٩٠).

مُرُّ الدنيا حُلو الآخرة، وحُلو الدنيا مُرُّ الآخرة)[١].

وبقية الحديث من «**والذي نفسي بيده...**» إلىٰ آخره، هو من كلام أبي هريرة، وليس من كلام النبي؛ (لأنه قال فيه: «**وبرُّ أمي**»، ولم يكن للنبي ﷺ حينئذ أم يَبَرُّها)[٢].

فهو من قبيل الحديث المدرج، وهو (ما كان فيه زيادة ليست منه في الإسناد أو المتون)[٣].

ودليل ذلك أيضًا رواية مسلم وغيره للحديث الذي قال فيها: «**للعبد المملوك الصالح أجران**» والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد... إلخ[٤].

وقال ﷺ: «**لو دعيت إلىٰ ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلىٰ ذراع أو كراع لقبلت**».

ضرب المثل في قبول الدعوة والهدية بأقل القليل صغيرًا كان أو حقيرًا، والذراع معروف، والكراع من البقر والغنم (بمنزلة الوظيف من الخيل والإبل والحمر، وهو مستدق الساق العاري من اللحم، يذكر ويؤنث، والجمع أكرع ثم أكارع، وفي المثل: أُعطِيَ العبد كراعًا فطلب ذراعًا؛ لأن الذراع في اليد، وهو أفضل من الكراع في الرجل)[٥].

واللام في أجبت وقبلت للتوكيد.

قال رسول الله ﷺ: «**لا أركب الأرجوان، ولا ألبس المعصفر، ولا ألبس القميص المكفف بالحرير**»، وقوله: «**لا أركب الأُرْجُوان**» (بضم الهمزة

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٦/ ٢٢٥).

(٢) عمدة القاري (١٣/ ١٠٩).

(٣) الفصل للوصل المدرج في النقل (١/ ٢٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٦٥)، وأحمد (٢/ ٤٠٢)، وغيرهما.

(٥) لسان العرب (٨/ ٣٠٧).

والجيم بينهما راء ساكنة: وسادة صغيرة حمراء تتخذ من حرير، توضع علىٰ السرج، والمعنىٰ: لا أركب دابة علىٰ سرجها الأرجوان)[١].

والجمل الثلاث كل منها كناية عن الزهد في متاع الدنيا، والأرجوان مجاز مرسل علاقته المحلية.

قال ﷺ: «**ذكرت شيئًا من تبر عندنا، فكرهت أن يحبسني، فأمرت بقسمته**»، وقوله: «**شيئًا من تبر**» التنكير في (شيئًا وتبر) إشارة إلىٰ قلة التبر؛ وانشغال النبي ﷺ بهذا الأمر، وهو في الصلاة، وإسراعه في الخروج عقب التسليم، وتخطي الرقاب دليل علىٰ شدة الرغبة في التخلص من هذا المال، وعدم حبسه عنده، بما يحمله من معاني النزاهة والزهد والعدل.

قال ﷺ: «**اذهبوا بخميصتي هذه إلىٰ أبي جهم، وأتوني بأنبجانية أبي جهم**»: الأمر «**اذهبوا**» و«**أتوني**» يشير إلىٰ انزعاج النبي ﷺ الشديد مما أصابه من بعض الانشغال حين نظر إلىٰ أعلام الخميصة التي أهداها إليه أبو جهم، وحرصه علىٰ الخشوع الكامل في الصلاة.

وطلب أنبجانية أبي جهم درس في الأدب النبوي إذ لم يشأ النبي ﷺ أن يتأذىٰ أبو جهم من رد الخميصة، فطلب بدلًا منها أنبجانيته حتىٰ لا يظن أنه يستخف به أو بهديته.

قال ﷺ: «**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**»، «**ما لي وللدنيا**»، «**ما**» قد تكون نافية، أي (ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا، ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتىٰ أرغب إليها، وأنبسط عليها، وأجمع ما فيها ولذتها)[٢].

وقد تكون «**ما**» استفهامية بمعنىٰ (أيُّ ألفة ومحبة لي مع الدنيا، أو أي

---

(١) مرقاة المفاتيح (٨/ ٢٢٦).
(٢) مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٨٣).

شيء لي مع الميل إلىٰ الدنيا، أو ميلها إليّ، فإني طالب الآخرة، وهي ضرتها المضادة لها)[١].

وقوله: «**ما أنا في الدنيا إلا كراكب**»: في العبارة تشبيه تمثيلي شبه النبي ﷺ حاله مع الدنيا بحال راكب مسافر في رحلة طويلة استظل تحت شجرة لسويعات، ثم تركها ورحل، فالدنيا هي هذه السويعات القليلة، ووجه الشبه سرعة الرحيل وقلة المكث.

وفيه بيان لحقيقة الدنيا، وأنها عرض زائل، وزينة خادعة، وأنها ليست الأصل، ولا الجوهر، وإنما هي مجرد ممر للدار الآخرة الباقية التي ينبغي أن يطمح إليها كل عاقل فطن.

١١ ـ كرمه ﷺ:

* «إِنَّ الله قال لي: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»:

ـ عن مُحَمَّدِ بن جُبَيْرٍ قال: أخبرني جُبَيْرُ بن مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا يَسِيرُ هو مع رسول اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ الناس مَقْفَلَهُ من حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ الناس يَسْأَلُونَهُ حتىٰ اضْطَرُّوهُ إلىٰ سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النبي ﷺ فقال: «**أَعْطُوني رِدَائِي، لو كان لي عَدَدُ هذه الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُوني بَخِيلًا ولا كَذُوبًا ولا جَبَانًا**»[٢].

عن سَلْمَانَ بن رَبِيعَةَ قال: قال عُمَرُ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه: قَسَمَ رسول اللهِ ﷺ قَسْمًا، فقلت: واللَّه يا رَسُولَ اللهِ، لَغَيْرُ هَؤُلَاءِ كان أَحَقَّ بِهِ منهم، قال: «**إنهم خَيَّرُوني أَنْ يَسْأَلُوني بِالْفُحْشِ، أو يُبَخِّلُوني فَلَسْتُ بِبَاخِلٍ**»[٣].

---

(١) السابق الموضع نفسه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٢١) كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٥٦) كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

- عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا من الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حتىٰ نَفِدَ ما عِنْدَهُ، فقال: «**ما يَكُونُ عِنْدِي من خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ من الصَّبْرِ**»[1].

- عن هَمَّامِ بن مُنَبِّهٍ، أَخِي وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ قال: هذا ما حدثنا أبو هُرَيْرَةَ عن رسول اللهِ ﷺ، فذكر أَحَادِيثَ منها: وقال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قال لي أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[2].

❁ ❁ ❁

لم يَحُلْ زهد النبي ﷺ في متاع الدنيا دون كونه أكرم الناس جميعًا، وأسرع المبادرين بالعطاء، والمانحين بسخاء، بل لعلَّ هذا الزهد كان أحد الأسباب التي جعلته لا يدخر لنفسه، ولا لآل بيته شيئًا، ولا يستعظم عطاءً ولا يخشىٰ فقرًا.

وهو المعنىٰ الذي ذكره رجل أتىٰ النبي ﷺ فسأله غنمًا بين جبلين، فأعطاها إياه، فعاد إلىٰ قومه يقول لهم: أي قوم، أسلموا؛ فواللَّه إن محمدًا ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر[3].

إن نفس رسول الله ﷺ - أعلىٰ نفوس البشر همةً - تستنكف من البخل، وفطرته التي جبلت علىٰ العطاء والمنح تتسق مع الكرم والبذل، فما من مرة سُئل فيها إلا أعطىٰ، وإن كان قميصه الذي علىٰ بدنه، ولا استعين إلا أعان،

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩) كتاب الزكاة، بَاب الِاسْتِعْفَافِ عَنْ الْمَسْأَلَةِ، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة، بَاب فَضْلِ التَّعَفُّفِ وَالصَّبْرِ، والترمذي (٢٠٢٤) كتاب ما جاء في الصبر، والنسائي في المجتبىٰ (٢٥٨٨) كتاب الزكاة، الاستعفاف عن المسألة.

(٢) أخرجه مسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة، بَاب الْحَثِّ علىٰ النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢)، وأحمد (٣/ ٢٨٤)، وغيرهما.

وإن كان بأخص حاجات بيته.

تتحقق سعادته الغامرة حين يرىٰ أمارات الرضا والسرور في عيون أصحابه، وهو يعطيهم مما أعطاه الله، ويتفجر حزنه النبيل حين يرىٰ أعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون، وهو لا يملك ما يعينهم به.

روىٰ مسلم وغيره عن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ صدر النهار فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أو الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ من مُضَرَ بَلْ كلهم من مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رسول اللهِ ﷺ لِمَا رَأَىٰ بهم من الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّىٰ ثُمَّ خَطَبَ فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ إلىٰ آخِرِ الْآيَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، وَالْآيَةَ التي في الْحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]، تَصَدَّقَ رَجُلٌ من دِينَارِهِ، من دِرْهَمِهِ، من ثَوْبِهِ، من صَاعِ بُرِّهِ، من صَاعِ تَمْرِهِ»، حتىٰ قال: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، قال: فَجَاءَ رَجُلٌ من الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عنها بَلْ قد عَجَزَتْ، قال: ثُمَّ تَتَابَعَ الناسُ حتىٰ رأيت كَوْمَيْنِ من طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حتىٰ رأيت وَجْهَ رسول اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «من سَنَّ في الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ من عَمِلَ بها بَعْدَهُ من غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ من أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ في الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كان عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ من عَمِلَ بها من بَعْدِهِ من غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ من أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(١).

حين قفل النبي من حنين بعد أن أفاء الله علىٰ المسلمين مغانم كثيرة، تزاحم الناس عليه يسألونه العطاء حتىٰ ألجؤوه إلىٰ سَمُرَة، فَعلِق رداؤه بها، فطلب منهم النبي ﷺ أن يعطوه رداءه، وأخبرهم أنه لو كان عنده عدد شوك هذه الشجرة أنعامًا لقسمه فيهم، فهو لا يطمع لنفسه في شيء، فما هو

---

(١) مجتابي النمار: يلبسون ثيابا مقطعة من صوف.

بالبخيل ولا بالكذوب ولا بالجبان.

وأعطىٰ النبي ﷺ ناسًا من المؤلفة قلوبهم فرأىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن غير هؤلاء كانوا أحق بالعطاء، فأخبره النبي ﷺ أنه كان بين أمرين إما أن يعطيهم فيتجنب إلحاحهم وفحشهم، وإما أن يمنعهم فيتهموه بالبخل، وهو من البخل براء.

وسأله ناس من الأنصار عطاءً فأعطاهم، ثم سألوه ثانية فأعطاهم، حتىٰ لم يعد عنده شيء فواساهم بأنه لن يدخر عنهم خيرًا أبدًا، ثم دعاهم إلىٰ الاستعفاف والاستغناء والتصبر حتىٰ يعفهم الله ويغنيهم ويصبرهم، فما أُعْطِيَ أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**إن الله قال لي: أَنْفِق أُنْفِق عليك**»، وهو (معنىٰ قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]، فيتضمن الحث علىٰ الإنفاق في وجود الخير، والتبشير بالخلف)[١].

ولذلك ما خشي ﷺ الإنفاق أبدًا؛ لإيمانه بأن ما عند الله لا ينفد، وأن ما في يمينه ﷻ لا يغيض أبدًا، ولا ينقصه كرُّ الليل والنهار، أو سعة الأرض والسماء.

قال النبي ﷺ لأصحابه الذين تجمعوا حوله يسألون العطاء حتىٰ نُزِع عنه رداؤه: «**أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاه نَعَمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا**».

وقوله: «**أعطوني ردائي**» يشعر باستياء النبي لتزاحم الناس حوله، وعلوق ردائه بالسمرة، مع كونه لم يرد أن يمنعهم شيئًا أفاءه الله عليه.

وقوله: «**لو كان لي عدد هذه العضاة نعمًا**»، كناية عن الكثرة التي يصعب

---

(١) شرح النووي (٧/ ٧٩).

إحصاؤها، والعضاة من الشجر (كل شجر عَظُم له شوك، الواحدة: عَضَة بالتاء، وأصلها عضهة)[(١)].

والنَّعَم: (الإبل، لما فيه من الخير والنعمة، قال الفراء: النعم ذكر لا يؤنث، فيقولون: هذا نعم وارد، وتجمع أنعامًا)[(٢)].

و(نعمًا) منصوبة علىٰ التمييز.

«**ثم لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا**»، أي: إذا رأيتم كيف أعطيكم بسخاء فستعلمون إنني لست ذا بخل، ولا كذب، ولا جبن.

و(بخيل) و(كذوب) صيغتا مبالغة، و(جبان) صفة مشبهة. وليس المراد بالطبع نفي المبالغة، وإنما المراد نفي الوصف من أصله[(٣)].

قال رسول الله ﷺ عن الذين ألحوا في مسألته:

«**إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش، أو يبخلوني فلست بباخل**»، وقوله: «**يسألوني بالفحش**» أراد السؤال بغلظة وجفاء.

و«**يبخلوني**» أي ينسبوني للبخل.

«**فلست بباخل**» الباء للتوكيد، واستخدام اسم الفاعل، للدلالة علىٰ نفي أقل البخل عن نفسه الشريفة.

قال ﷺ: «**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم**» أي: لن أحبسه عنكم ولن أمنعكموه.

و«**من يستعفف يعفُّه الله، ومن يستغن يغنِه الله، ومن يتصبر يصبرْه الله**»، قوله: «**يستعفف**»، و«**يستغن**» أي يطلب العفة، ويطلب الاستغناء، و«**يتصبر**»

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٥١٧).
(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٤٦).
(٣) انظر شرح الزرقاني (٣/ ٣٨).

يعالج الصبر، أي يتكلفه.

والجواب في كل جملة بفعل من جنس فعل الشرط يوحي بالتحقق السريع للجزاء، وهو أيضًا من باب التجانس اللغوي الذي يبدو فيه الإيقاع مبهرًا للسامع.

وقوله: «**وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**» فيه تشبيه للصبر بالعطاء المادي المغني عن السؤال، وهو تأكيد علىٰ أن الصبر رزق يعطاه العبد من ربه إذا ارتفعت منزلته عنده، ورضي عنه واصطفاه.

قال ﷺ: «**إن الله قال لي: أَنفق أُنفق عليك**»، وقوله: «**أَنفق أُنفق**» الأولىٰ بفتح أوله وسكون القاف بصيغة الأمر، والثانية بضم أوله وسكون القاف علىٰ أنه جواب للأمر بصيغة المضارع، وفي استخدام الصيغتين متتاليتين علىٰ هذا النحو إيحاء بسرعة تحقق الجواب، مع جرس إيقاعي ملفت.

١٢ـ غيرته ﷺ:

* «لو عَلِمْتُ أنَّكَ تَنْظُرُ لطَعَنْتُ بها في عَيْنِكَ»:

ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، ما أَحَدٌ أَغْيَرَ من اللهِ أَنْ يَرَىٰ عَبْدَهُ أو أَمَتَهُ تزني، يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»[(١)].

ـ عن سَهْلِ بن سَعْدٍ، أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ من جُحْرٍ في دَارِ النبي ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَحُكُّ رَأْسَهُ بالمدرىٰ، فقال: «**لو عَلِمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بها في عَيْنِكَ، إنما جُعِلَ الْإِذْنُ من قِبَلِ الْأَبْصَارِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢١) كتاب النكاح، باب الغيرة، والنسائي في المجتبىٰ (١٥٠٠) في جزء من حديث من كتاب الكسوف، بَاب كَيْفَ الْخُطْبَةِ في الْكُسُوفِ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٢٤) كتاب اللباس، باب الامتشاط، ومسلم (٢١٥٦) كتاب =

ـ عن فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا عَمْرِو بن حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وهو غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ فَسَخِطَتْهُ، فقال: واللَّه ما لَكِ عَلَيْنَا من شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذلك له، فقال: «**ليس لَكِ عليه نَفَقَةٌ**» فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ في بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ، ثُمَّ قال: «**تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي، اعتدي عِنْدَ بن أُمِّ مَكْتُوم، فإنه رَجُلٌ أَعْمَىٰ، تَضَعِينَ ثِيَابَكِ، فإذا حَلَلْتِ فآذنيني**» قالت: فلما حَلَلْتُ ذَكَرْتُ له أَنَّ مُعَاوِيَةَ بن أبي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فقال رسول اللهِ ﷺ «**أَمَّا أبو جَهْمٍ، فلا يَضَعُ عَصَاهُ عن عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ، فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ له، أنكحي أُسَامَةَ بن زَيْدٍ**» فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قال: «**انْكِحِي أُسَامَةَ**» فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ الله فيه خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ[1].

❁ ❁ ❁

الغيرة خلق محمود، وغريزة فطرية، وضعها الله في خلقه كي تصان الأعراض، ولا تختلط الأنساب، وكان خير خلق الله محمد أغير الناس، لا علىٰ حريمه فحسب، بل علىٰ حرمات أمته جميعًا.

ولذلك أمر بغض البصر فقال لابن عمه علي: «**يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولىٰ وليست لك الآخرة**»[2].

ورأىٰ ابن عمه الفضل بن العباس ينظر إلىٰ شابة كانت قد أتت رسول الله ﷺ تستفتيه في أمر، فراح يلوي عنقه كي لا ينظر، فلما قال له عمه العباس: يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك، قال: «**رأيت شابًا وشابة، فلم آمن**

= الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، والترمذي (٢٧٠٩) كتاب الاستئذان، بَاب من اطَّلَعَ في دَارِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذنهم.

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠) كتاب الطلاق، باب الْمُطَلَّقَةُ ثَلاثًا لاَ نَفَقَةَ لَهَا، وأبو داود (٢٢٨٤) كتاب الطلاق، باب في نفقة المبتوتة، والنسائي في المجتبىٰ (٣٢٤٥) كتاب النكاح، باب إذا استشارت المرأة رجلًا فيمن يخطبها هل يخبرها بما يعلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وغيرهما.

الشيطان عليهما»[(١)].

جلس صحابة النبي ﷺ يومًا فذكروا الغيرة فقال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، واللَّه أغير منا**».

لقد أخبر النبي أصحابه أنه ما من أحد أغير من الله حين يرىٰ محارمه تنتهك «**ما أحد أغير من الله أن يرىٰ عبده أو أمته تزني**».

واطلع رجل من فتحة في دار النبي ﷺ، وكان النبي ساعتها يحك رأسه بالمدرىٰ، (وهي شيء يعمل من حديد أو خشب علىٰ شكل سن من أسنان المشط، وأطول منه، يسرح به الشعر المتلبد، ويستعمله من لا مشط له)[(٢)].

فقال له النبي ﷺ: «**لو علمت أنك تنظر لطعنت بها في عينيك**».

وحين جاءته فاطمة بنت قيس، وقد طلقها زوجها طلاقًا بائنًا، أمرها النبي ﷺ أن تعتد في بيت أم شريك، ثم تذكر أن أصحابه يكثرون من زيارة أم شريك والتردد عليها لصلاحها، فأمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم؛ لأنه رجل أعمىٰ، فلا يراها حين تضع بعض ثيابها.

قال ﷺ: «**يا أمة محمد، ما أحد أغير من الله أن يرىٰ عبده أو أَمَته تزني**»، النداء بقوله: «**يا أمة محمد**» للتنبيه، ونسبة الأمة إلىٰ نفسه دليل علىٰ حبه لها، واعتزازه بها.

و«**ما أحد أغير**» ما النافية التي تعمل عمل ليس، واسمها وخبرها نكرتين، وهما دالان علىٰ عموم النفي.

«**أن يرىٰ عبده أو أمته تزني**» والتعبير بالعبد والأمة مع نسبتهما لله يشير

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٨٥)، وأحمد (١/ ٧٥)، وغيرهما.

(٢) النهاية في غريب الأثر (٢/ ١١٥).

إلىٰ استهجان الذنب واستهواله، إذ كيف يليق بعبد أو أمة لله وهما خاضعان لملكوت الله أن يقعا فيما حرمه الله.

قال ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا**»، وقوله: «**لو تعلمون ما أعلم**»: (أي: من شؤم الزنىٰ ووخامة عاقبته، أو ما أعلم من أحوال الآخرة وأهوالها)[1].

و(ما) الموصولة تفيد التضخيم والتهويل.

وقوله: «**لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا**» مقابلة مؤكدة للمعنىٰ، و(قليلًا)، و(كثيرًا) نائبان عن المفعول المطلق، أي: ضحكًا قليلًا، وضحكًا كثيرًا، ويحتمل أن تكون كل منهما نائبًا عن الظرف بمعنىٰ: زمانًا قليلًا أو كثيرًا.

والعبارة كناية عن الخشية والخوف من سوء العاقبة.

قال ﷺ للرجل الذي اطلع من جحر في داره: «**لو علمت أنك تنظر لطعنت بها في عينك**»، وفيه تشديد علىٰ حرمة النظر في بيوت الآخرين، أو تتبع عوراتهم، وأن من فعل ذلك متعمدًا ففقأ صاحب البيت عينه فعينه هدر.

وقال رسول الله ﷺ لفاطمة بنت قيس: «**تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمىٰ، تضعين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني**».

والإشارة (تلك) لأم شريك، و«**يغشاها أصحابي**» كناية عن كثرة التردد.

وقوله: «**اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمىٰ، تضعين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني**»

قوله: «**اعتدي**» أي: اقضي عدتك، وفيه سعي النبي لرفع الحرج عن فاطمة، وابن أم مكتوم هو عبدالله بن قيس القرشي العامري، (وإنما خص ابن أم مكتوم بذلك؛ لأنه لا يدري ما ينكشف منها، ألا ترىٰ قوله: «**تضعين ثيابك**»)[2].

---

(١) عمدة القاري (٢٠/ ٢٠٦).

(٢) شرح الزرقاني (٣/ ٢٦٨).

وقوله: «**فإذا حللت فآذنيني**»: «**فإذا حللت**» انقضت عدة طلاقك من زوجك السابق.

«**فآذنيني**» أي أخبريني. وفيه تعريض بالخطبة، وهو جائز، والمنهي عنه هو التصريح بها قبل انتهاء العدة، وكان النبي يعرِّض بالخطبة لأسامة بن زيد، لا لنفسه.

١٣ ـ تأليفه ﷺ للقلوب:

* «إني أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ وَجَزَعَهُمْ»:

ـ عن عبدالله بن زَيْدِ بن عَاصِمٍ قال: لَمَّا أَفَاءَ الله علىٰ رَسُولِهِ ﷺ يوم حُنَيْنٍ قَسَمَ في الناس في الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبهم، ولم يُعْطِ الْأَنْصَارَ شيئًا، فَكَأَنهم وَجَدُوا إِذْ لم يُصِبْهُمْ ما أَصَابَ الناس، فَخَطَبَهُمْ فقال: «**يا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ الله بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ الله بِي، وكنتم عالة فَأَغْنَاكُمْ الله بِي**» كُلَّمَا قال شيئًا قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قال: «**ما يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ الله ﷺ؟**» قال كُلَّمَا قال شيئًا قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قال: «**لو شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ الناس بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إلىٰ رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ أمرءًا من الْأَنْصَار، وَلَوْ سَلَكَ الناس وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حتىٰ تَلْقَوني علىٰ الْحَوْض**»(١).

ـ عن عَمْرُو بن تَغْلِبَ رضي الله عنه قال: أَعْطَىٰ رسول اللهِ ﷺ قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَكَأَنهم عَتَبُوا عليه، فقال: «**إني أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ وَجَزَعَهُمْ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إلىٰ ما جَعَلَ الله في قُلُوبهم من الْخَيْرِ والغناء، منهم عَمْرُو بن تَغْلِبَ**»،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠) كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الطَّائِفِ في شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ، ومسلم (١٠٦١) كتاب الزكاة، باب إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبهم عَلَىٰ الإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ.

فقال عَمْرُو بن تَغْلِبَ: ما أُحِبُّ أَنَّ لي بِكَلِمَةِ رسول اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ[1].

❁ ❁ ❁

لم تكن تستعصي على النبي ﷺ إلا النفوس التي كتب الله شقاءها، وطبع على مغاليقها، وقضى عليها بسوء الخاتمة وبؤس العاقبة، أما النفوس التي بها أثارة من خير فقد أدرك النبي ﷺ أسرارها، وملك مفاتحها، فكان يعالج كل نفس بما يناسبها، ويطببها بالدواء الذي يجتث داءها، ولم يكن يستعجل الثمرة قبل أوان قطافها، وإنما يمهل ويتمهل، ويسمح ويسامح، حتى تأتيه القلوب النافرة راضية مطمئنة، وتسلس له قيادها، وتعلن له ولاءها وحبها، وتخلص لدعوته وتنافح عنها، وتبذل في سبيلها النفس والنفيس.

لما فتح النبي ﷺ مكة، هرب صفوان بن أمية وآخرون خوفًا من النبي ﷺ، ثم رجع صفوان بعد أن استأمن له عمير بن وهب، وشهد مع النبي ﷺ الطائف وحنين وهو كافر، (واستعاره رسول الله ﷺ سلاحًا، فقال: طوعًا أو كرهًا؟ فقال: «**بل طوعًا، عارية مضمونة**»، فأعاره، وأعطاه رسول الله من الغنائم فأكثر، فقال صفوان: أشهد بالله ما طابت بهذا إلا نفس نبي)[2].

وروى ابن سعد في طبقاته عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال: (لقد أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين، وإنه لمن أبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لمن أحب الناس إلي)[3].

قسم رسول الله ﷺ يوم حنين في الناس من المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئًا، فوجد بعضهم في نفسه فأرسل إليهم، وذكرهم بفضل الله

---

(1) أخرجه البخاري (٣١٤٥) كتاب فرض الخمس، بَاب ما كان النبي ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبهم وَغَيْرَهُمْ من الْخُمُسِ.

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٢٠).

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٤٩).

ورسوله عليهم، ثم قال لهم: «**أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلىٰ رحالكم؟**».

ثم مدحهم وأثنىٰ عليهم ودعاهم إلىٰ الصبر من بعده حتىٰ يلقوه علىٰ الحوض، فبكوا حتىٰ أخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًا.

وأخبر رسول الله ﷺ أنه يعطي أقوامًا يخاف انحرافهم، وضعف يقينهم، ومرض قلوبهم، ويترك آخرين لما وهبهم الله من الإيمان والعفاف، ذكر منهم بالاسم عمرو بن تغلب. يقول عمرو بن تغلب متحدثًا عن أثر تعيين رسول الله له بالاسم، وعدِّه من أهل الإيمان والغناء، وكيف أنه لا يعدل بهذه الكلمة أفضل أموال الدنيا: (ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم).

❁ ❁ ❁

قال رسول الله ﷺ للأنصار: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلَّالًا، فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟**»، قوله: «**ضُلَّالًا**» بضم أوله وتشديد اللام جمع ضالٍّ، وعالة جمع عائل وهو الفقير، (وقد رتب رسول الله ﷺ ما مَنَّ الله به علىٰ يديه من النعم ترتيبًا بالغًا، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنَّىٰ بنعمة الألفة، وهي أعظم من نعمة المال، لأن الأموال تبذل في تحصيلها، وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بعاث وغيرها)[1]، ثم ختم بنعمة المال والغنىٰ، وهي أدنىٰ الثلاثة.

والاستفهام غرضه التقرير.

قال رسول الله ﷺ: «**أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون**

---

(١) فتح الباري (٨/ ٥٠).

بالنبي ﷺ إلىٰ رحالكم؟»، الاستفهام للإثارة والتنبيه، والشاة والبعير اسما جنس، وهما إشارة إلىٰ الأموال ومتاع الدنيا، وبين العبارتين مقابلة هدفها توكيد ربحهم وعظيم فوزهم بالنسبة لما حصَّله غيرهم من عرض الدنيا.

قال رسول الله ﷺ: «**لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها**»، وفي الكلام كناية عن حبه للأنصار، وتقديره لفضلهم، وأنه (لا فضيلة أعلىٰ من النصرة بعد الهجرة، وبيان أنهم بلغوا من الكرامة مبلغًا لولا أنه من المهاجرين لعدَّ نفسه من الأنصار)(١).

وقال ﷺ: «**الأنصار شعار، والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتىٰ تلقوني علىٰ الحوض**»، وقوله: «**الأنصار شعار، والناس دثار**» الشعار هو الثوب الذي يلي الجلد من الجسد، والدثار هو الثوب الذي فوق الشعار، والجملتان تشبيه بليغ، وأراد بتشبيه الأنصار بالشعار (أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم)(٢).

وقوله: «**أثرة**» بضم الهمزة وسكون الثاء، وبفتحها أيضًا، هو الاستئثار، أي: يُستأثر عليكم بأمور الدنيا، ويفضل عليكم غيركم.

أراد ﷺ أن يبين لهم أن الابتلاء الحقيقي لهم لم يقع بعد، وإنما سوف يقع بعده، ودعاهم إلىٰ الصبر حتىٰ لقائه علىٰ الحوض، وفي ذلك إشارة إلىٰ أنهم ناجون وشاربون من حوض رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: «**إني أعطي قومًا أخاف ظلعهم وجزعهم، وأكل أقوامًا إلىٰ ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغناء، منهم عمرو بن تغلب**»

وقوله: «**أخاف ظلعهم وجزعهم**» الظلع: (بفتح الظاء المعجمة واللام

---

(١) عمدة القاري (١٦/ ٢٥٥).
(٢) السابق (١٧/ ٣٠٧).

وبالعين المهملة، وهو الاعوجاج، وأصل الظلع: الميل)[١].

والعبارة كناية عن ضعف الإيمان ونقص اليقين. وبين العبارتين: «**إني أعطي أقوامًا**»، و«**وأكل أقوامًا**» مقابلة.

وقوله: «**منهم عمرو بن تغلب**» إشارة إلىٰ حسن تقدير الرسول لأصحابه، وفهمه لمعادن الرجال، وتمييزه بين طوائفهم، ومعالجته لكل طائفة بما يصلحهم.

١٤ ـ بشريته ﷺ:

* «إنما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كما تَنْسَوْنَ»:

عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ أُمَّهَا أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النبي ﷺ أَخْبَرتها عن رسول اللهِ ﷺ: أَنَّهُ سمع خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فقال: «**إنما أنا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ من بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ فَأَقْضِيَ له بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ له بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ من النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أو فَلْيَتْرُكْهَا**»[٢].

ـ عن عَائِشَةَ قالت: سمع رسول اللهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ في سُورَةٍ بِاللَّيْلِ، فقال: «**يرحمه اللَّه لقد أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً كنت أُنْسِيتُهَا من سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**»[٣].

---

(١) عمدة القاري (١٥/ ٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٨) كتاب المظالم، بَاب إِثْمِ من خَاصَمَ في بَاطِلٍ وهو يَعْلَمُهُ، ومسلم (١٧١٣) كتاب الأقضية، بَاب الْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ وَاللَّحْنِ بِالْحُجَّةِ، وأبو داود (٣٥٨٣) كتاب الأقضية، باب في قضاء القاضي إذا أخطأ، والترمذي (١٣٣٩) كتاب الأحكام، باب ما جاء في التشديد علىٰ من يقضىٰ له بشيء ليس له أن يأخذه، والنسائي في المجتبىٰ (٥٤٠١) كتاب آداب القضاء، الحكم بالظاهر، وابن ماجة (٢٣١٧) كتاب الأحكام، باب قضية الحاكم لا تحل حرامًا ولا تحرم حلالًا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٣٨) كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن، ومسلم (٧٨٨) =

ـ عن الْمُسَوَّرِ بن يَزِيدَ الْمَالِكِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ـ قال يحيىٰ وَرُبَّمَا قال ـ شَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ في الصَّلَاةِ، فتَرَكَ شيئًا لم يَقْرَأْهُ، فقال له رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللهِ، تَرَكْتَ آيَةَ كَذَا وَكَذَا، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**هَلَّا أَذْكَرْتَنِيهَا**»[١].

ـ عن عَلْقَمَةَ قال: قال عبد اللهِ: صلىٰ النبي ﷺ ـ قال إِبْرَاهِيمُ لَا أَدْرِي زَادَ أو نَقَصَ ـ فلما سَلَّمَ، قِيلَ له: يا رَسُولَ اللهِ، أَحَدَثَ في الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قال: «**وما ذَاكَ؟**» قالوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَثَنَىٰ رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فلما أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قال: «**إنه لو حَدَثَ في الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إنما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَىٰ كما تَنْسَوْنَ، فإذا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وإذا شَكَّ أحدكم في صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيُتِمَّ عليه، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ**»[٢].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلىٰ النبي ﷺ إِحْدَىٰ صَلَاتَي الْعَشِيِّ ـ قال مُحَمَّدٌ: وَأَكْثَرُ ظَنِّي الْعَصْرَ ـ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ قام إلىٰ خَشَبَةٍ في مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ فَوَضَعَ يَدَهُ عليها، وَفِيهِمْ أبو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَخَرَجَ سَرَعَانُ الناس فَقَالُوا: أَقَصُرَتْ الصَّلَاةُ؟ وَرَجُلٌ يَدْعُوهُ النبي ﷺ ذُو الْيَدَيْنِ، فقال: أَنَسِيتَ أَمْ قَصُرَتْ؟ فقال: «**لم أَنْسَ، ولم تُقْصَرْ**» قال: بَلَىٰ، قد نَسِيتَ، فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أو أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أو أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ

= كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضائل القرآن، وأبو داود (١٣٣١) كتاب الصلاة، بَاب في رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ في صَلَاةِ اللَّيْلِ.

(١) أخرجه أبو داود (٩٠٧) كتاب الصلاة، بَاب الْفَتْحِ علىٰ الْإِمَامِ في الصَّلَاةِ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠١) كتاب الصلاة، بَاب التَّوَجُّهِ نحو الْقِبْلَةِ، ومسلم (٥٧٢) كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة، وأبو داود (١٠٢٠) كتاب الصلاة، باب إذا صلىٰ خمسًا، والنسائي (١٤٤٢) كتاب الإمامة، باب التحري، وابن ماجة (١٢١٢) كتاب الصلاة، بَاب ما جاء فِيمَنْ شَكَّ في صَلَاتِهِ فَتَحَرَّىٰ الصَّوَابَ.

وَكَبَّرَ[(١)].

ـ عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: كان رسول اللهِ ﷺ يُجَاوِرُ في رَمَضَانَ الْعَشْرَ التي في وَسَطِ الشَّهْرِ، فإذا كان حين يُمْسِي من عِشْرِينَ لَيْلَةً تَمْضِ، وَيَسْتَقْبِلُ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ رَجَعَ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ، وَرَجَعَ من كان يُجَاوِرُ معه، وَأَنَّهُ أَقَامَ في شَهْرٍ جَاوَرَ فيه اللَّيْلَةَ التي كان يَرْجِعُ فيها، فَخَطَبَ الناس، فَأَمَرَهُمْ ما شَاءَ الله، ثُمَّ قال: «**كنت أُجَاوِرُ هذه الْعَشْرَ، ثُمَّ قد بَدَا لي أَنْ أُجَاوِرَ هذه الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ، فَمَنْ كان اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَثْبُتْ في مُعْتَكَفِهِ، وقد أُرِيتُ هذه اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، فَابْتَغُوهَا في الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَابْتَغُوهَا في كل وِتْرٍ، وقد رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ في مَاءٍ وَطِينٍ**» فَاسْتَهَلَّتْ السَّمَاءُ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَأَمْطَرَتْ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ في مُصَلَّىٰ النبي ﷺ لَيْلَةَ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ، فَبَصُرَتْ عَيْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَنَظَرْتُ إليه انْصَرَفَ من الصُّبْحِ وَوَجْهُهُ مُمْتَلِئٌ طِينًا وَمَاءً[(٢)].

ـ عن يزيد بن هارون، أخبرنا حَمَّادُ بن سَلَمَةَ بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَاهُ قال في أَوَّلِهِ: فَكَبَّرَ، وقال في آخِرِهِ: فلما قَضَىٰ الصَّلَاةَ، قال: «**إنما أنا بَشَرٌ وَإِني كنت جُنُبًا**»[(٣)].

ـ عن عمرو بن أبي قرة أن سلمان قال:... ولقد علمت أن رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ فقال: «**أَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً، أو لَعَنْتُهُ لَعْنَةً في غَضَبِي، فَإِنَّمَا أنا من وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كما يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عليهم**

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢٩) كتاب الصلاة، بَاب من يُكَبِّرُ في سَجْدَتَي السَّهْوِ، وأبو داود (١٠٠٨) كتاب الصلاة، بَاب السَّهْوِ في السَّجْدَتَيْنِ، والنسائي في المجتبىٰ (١٢٢٤) كتاب الإمامة، ما يفعل من سلم من ركعتين ناسيًا وتكلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠١٨) كتاب صلاة التراويح، بَاب تَحَرِّي لَيْلَةِ الْقَدْرِ في الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِيهِ عَنْ عُبَادَةَ، ومسلم (١١٦٦) كتاب الصيام، بَاب فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَالْحَثِّ علىٰ طَلَبِهَا وَبَيَانِ مَحَلِّهَا وَأَرْجَىٰ أَوْقَاتِ طَلَبِهَا، وأبو داود (١٣٨٢) كتاب الصلاة، باب فيمن قال ليلة إحدىٰ وعشرين، والنسائي في المجتبىٰ (١٣٥٦) كتاب الإمامة، باب ترك مسح الجبهة بعد التسليم.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٣٤) كتاب الطهارة، بَاب في الْجُنُبِ يصلي بِالْقَوْمِ وهو نَاسٍ.

صَلاَةً يوم الْقِيَامَةِ»[١].

ـ عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأنهم تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإني أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إني لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[٢].

كانت بشرية النبي ﷺ، ومن قبله أنبياء الله جميعًا ـ أحد الأسباب التي جعلت كثيرًا من الجاهلين لا يؤمنون، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٤ ـ ٩٥].

لكن الله ﷻ أمر نبيه أن يؤكد للناس بشريته، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ذلك لأن هذه البشرية هي إحدىٰ دلائل الإعجاز النبوي، فهو ﷺ بشر مثل سائر الناس يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، ويتزوج ويُرزق بالولد، ويمشي في الأسواق، ويفرح ويحزن، ويرضىٰ ويغضب، ويتذكر

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٤٦٥٩) كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) كِتَاب النِّكَاحِ، بَاب التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، ومسلم (١٤٠١) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، والنسائي في المجتبىٰ (٣٢١٧) كتاب النكاح، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّبَتُّلِ.

وينسىٰ، لٰكنه مع كل ذلك قد اختص بالرسالة، وأُكرم بالوحي، وأُيِّد بالمعجزات، واتصلت بسببه الأرض بالسماء، فلو كان ملكًا لا بشرًا، لما كان للمعجزات معنًىٰ، ولما وقع الابتلاء، ولما تحققت الأسوة.

ولو لم يكن رسول الله ﷺ بشرًا، فمن أين كنا نستقي المثل العليا للنماذج الإنسانية السامية التي تحققت في شخص الرسول ﷺ؟

أين كنا نجد المثل الأعلىٰ للأب الرحيم الحاني علىٰ أولاده، الرفيق بهم، القائم علىٰ شؤونهم، الذي يسر لسرورهم، ويستدر دمعُه أدنىٰ أذىٰ يصيبهم.

وأين كنا نلتمس المثل الأعلىٰ للزوج الشفيق البار المحب لأزواجه، الذي يؤدي حقوقهن، ويعدل بينهن، ويتحمل هَنَاتهن، ويعاشرهن بالمعروف، يمزح معهن إن كان الوقت ملائمًا للمزاح، ويحزم معهن إن استدعىٰ الأمر الحزم، يتحمل معهن شظف العيش في أوقات العسر، ويوسع عليهن بما يتيسر له في أوقات اليسر.

وكيف كان يتحقق المثل الأعلىٰ للحاكم المسلم الذي يتحرىٰ العدل في رعيته، ويسوسهم بالحب لا بالبطش، وبالحق لا بالحيف، يحوطهم برعايته، فيعتني بشاهدهم، ويسأل عن غائبهم، ويعود مريضهم، ويشهد جنائزهم، يقود المعارك معهم فيكون في أول الصفوف، فإذا حمي الوطيس لاذوا به، وتمترسوا خلفه. إذا كانت له الكرة لا ينتقم، ولا يجحف بالخصوم، وإذا كانت عليه لا ييأس، ولا يفقد المبادرة.

لو لم يكن رسول الله ﷺ بشرًا، فبشخص من كنا نتأسىٰ ونقتدي؟ وبسيرة من كنا نتعلم ونهتدي؟

ولأنه بشر، فقد يأتيه الخصمان للاقتضاء، ويكون أحدهما ألسن وأبلغ من الآخر، فيحسب النبي أنه صادق فيقضي له، فمن رضي أن يأخذ حق أخيه، فكأنما أخذ قطعة من النار.

وربما أُنسِيَ بعض آيات من القرآن فيسمعها من قارئ في سبحات الليل الآخر، فيتذكرها، ويدعو له: «**يرحمه اللَّه، لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا**».

وربما أُنسِيَ بعض آيات في الصلاة فتركها، فلما انصرف من الصلاة، قال له رجل: يا رسول الله، تركت آية كذا وكذا، فقال: «**هلا أذكرتنيها**».

وصلىٰ بالناس يومًا فزاد في الصلاة أو نقص، فظن الناس أنه قد تغيَّر في الصلاة شيء، فلما نبهوه استقبل القبلة، وسجد سجدتين ثم سلم، ثم أقبل علىٰ أصحابه فأخبرهم أنه بشر مثلهم، وأنه ينسىٰ كما ينسون، ودعاهم إذا نسي أن يذكروه.

ويُنبأ بليلة القدر، ثم يُنَسَّاها، فيأمرنا أن نلتمسها في العشر الأواخر في الوتر منها.

ويصلي بالناس ذات يوم، ثم يتذكر أنه كان جنبًا، فيستمهل أصحابه حتىٰ يغتسل ثم يعود، فيقول لأصحابه: «**إنما أنا بشر، وإني كنت جنبًا**».

ويخطب يومًا فينبه أصحابه إلىٰ أنه من ولد آدم يغضب كما يغضبون، فربما سب أحدًا أو لعنه في غضبه فمن ناله شيء من ذلك فهو رحمة له وطهور يوم القيامة.

وسأل نفر في بيوت رسول الله ﷺ عن عبادته، فأُخبروا بها، فظنوا أنها قليلة، وزعموا أن النبي لا يحتاج إلىٰ كثير عبادة؛ لأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقرر أحدهم أن يقوم الليل كله، وعزم آخر أن يصوم الدهر فلا يفطر، ونوىٰ الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدًا.

فلما علم الرسول ﷺ بأمرهم أنكر ذلك، وأقسم أنه أخشىٰ الناس لله وأتقاهم له، وأنه مع ذلك يصوم ويفطر، ويصلي وينام، ويتزوج النساء، ثم قال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

قال رسول الله ﷺ: «**فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها**»

قوله: «**قطعة من النار**»: (تمثيل يفهم منه شدة التعذيب، وهو من مجاز التشبيه، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠])(١).

وقوله: «**فليأخذها أو فليتركها**»: أمر غرضه التهديد والوعيد.

وقال رسول الله ﷺ: «**يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا**».

قوله: «**يرحمه الله**» خبر إنشائي غرضه الدعاء.

وقوله: «**أذكرني**» و: «**أنسيتها**» تأكيد علىٰ بشرية الرسول، وأنه يجري عليه ما يجري علىٰ البشر من نسيان وتذكر (قال العلماء: ويجوز النسيان علىٰ رسول الله ﷺ فيما ليس طريقه البلاغ والتعليم)(٢).

ومن الأدب النبوي هنا أن المرء يجوز له أن يقول: «**أُنسيتُ الآيات**» أو نُسِّيتها، ويكره له أن يقول: نَسِيتها، لما في هذا القول من التساهل والتغافل، وقد قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦].

عن عبدالله قال: قال النبي ﷺ: «**بئس ما لأحدهم يقول نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسِّي**»(٣).

وقال ﷺ: «**إنما أنا بشر مثلكم، أنسىٰ كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني**».

وقوله: «**إنما أنا بشر مثلكم، أنسىٰ كما تنسون**».

(أثبت العلة قبل الحكم، وقيَّد الحكم بقوله: «**إنما أنا بشر**»، ولم يكتف

---

(١) عمدة القاري (٢٤/ ٢٥٧).

(٢) عون المعبود (١١/ ٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٣٩)، ومسلم (٧٩٠)، وغيرهما.

بإثبات وصف النسيان، حتىٰ دفع قول من عساه يقول: ليس نسيانه كنسياننا، فقال: «**كما تنسون**»[١].

وقوله: «**فإذا نسيت فذكروني**» يحمل إشكالًا، إذ كيف يقول: «**نَسِيت**» وقد نهىٰ قبل ذلك عن قول (نسيت).

والجواب: (أن النهي في الحديث عن إضافة (نسِيت) إلىٰ الآية الكريمة؛ لأنه يقبح بالمؤمن أن يضيف إلىٰ نفسه نسيان كلام الله تعالىٰ، ولا يلزم من هذا النهي الخاص النهي عن إضافته إلىٰ كل شيء)[٢].

وقوله: «**فذكروني**» تأكيد آخر علىٰ طبيعته البشرية ﷺ في أنه ينسىٰ فيُذَكَّر.

قال ﷺ يتحدث عن ليلة القدر: «**وقد أُريتُ هذه الليلة، ثم أُنسيتها، فابتغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين**».

قوله: «**وقد أُريت هذه الليلة**» وكذلك قوله: «**ثم أُنسيتها**» بالبناء للمجهول، إشارة إلىٰ أن أمر الإراءة والإنساء موكول لله جَلَّ وَعَلَا.

وقوله: «**فابتغوها**»، «**وابتغوها**» أمر للحث والتحضيض.

وقوله: «**وقد رأيتُني أسجد في ماء وطين**»: «**رأيتُني**»: اجتمع فيه الفاعل والمفعول، وهما ضميران لشيء واحد، وهذا من خصائص أفعال القلوب، كما قدمتُ من قبل، والرؤية رؤيا منام، و«**أسجد في ماء وطين**» كناية عن سقوط المطر وامتلاء أرض المسجد به، وقد تحققت الرؤيا في ذات الليلة، وانهمر المطر، فسجد النبي ﷺ في ماء وطين.

قال ﷺ: «**أيُّما رجلٍ من أمتي سببته سبة، أو لعنته لعنة في غضب**»: وقوله: «**أيُّما رجل**» دال علىٰ العموم، وخُصص بقوله: «**من أمتي**».

وفي قوله: «**سببته سبة، أو لعنته لعنة**» دلالة علىٰ القلة، فلم يكن السب أو

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٠١).
(٢) عمدة القاري (٤/ ٢٦٦).

اللعن من خلق النبي ﷺ، وشبه الجملة: «**في غضبي**» يؤكد علىٰ بشرية النبي ﷺ.

قال ﷺ: «**فإنما أنا من ولد آدم، أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة**».

وقوله: «**فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون**» اجتمع فيه القصر بإنما وضمير الفصل للحصر والتوكيد، والعبارة تنضح بالتواضع ولين الجانب ودماثة الخلق.

وقوله: «**وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة**».

«**إنما بعثني رحمة للعالمين**» اقتباس من القرآن الكريم، من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقوله: «**فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة**»: يحتمل أن يكون الفعل «**فاجعلها**» فعل أمر، أي: فاجعلها يارب، ويكون المراد منه الدعاء، أو يكون فعلًا مضارعًا «**فأجعلها**» أنا، «**عليهم**» أي: علىٰ هؤلاء الذين سببتهم، «**صلاة**» أي: رحمة.

قال ﷺ للنفر الذين تقالُّوا عبادته: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا**» والعبارة فيها نبرة لوم عالية، وإنكار واضح لأقوال هؤلاء النفر.

وقوله: «**لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد**» طباق مؤكد للمعنىٰ، وقوله: «**وأتزوج النساء**» مع الجملتين السابقتين تقرير لمنهج الوسطية الذي جاء به الإسلام، ووضع لبناته نبي الإسلام محمد ﷺ، وقوامه أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وأنه لن يشادَّ هذا الدين أحدٌ إلا غلبه، وأنه لا إفراط ولا تفريط ولكن مقاربة وتسديد.

قوله: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»

تهديد ووعيد لكل من يحيد عن سنة النبي ﷺ، ويتبع غير سبيل المؤمنين.

وقوله: «**فليس مني**» لا يعني أنه خارج عن الملة، بل يعني أنه ليس على نهجي وطريقتي.



الفصل الثاني

من خصوصيات الرسول ﷺ

من خصوصيات الرسول ﷺ

١ـ وجوب محبته ﷺ وطاعته والتاسي به:

«من أطَاعَنِي دخل الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»:

ـ عن أَنَسٍ قال: قال النبي ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أحدكم حتىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إليه من وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[(١)].

ـ عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «من أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَىٰ أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»[(٢)].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا من أَبَىٰ»، قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قال: «من أَطَاعَنِي دخل الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»[(٣)].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال: «دَعُونِي ما تَرَكْتُكُمْ، إنما أهلك من كان قَبْلَكُمْ سؤالهم وَاخْتِلَافُهِمْ علىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فإذا نَهَيْتُكُمْ عن شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وإذا

---

(١) أخرجه البخاري (١٥) كتاب الإيمان، بَاب حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ الْإِيمَانِ، ومسلم (٤٤) كتاب الإيمان، بَاب وُجُوبِ مَحَبَّةِ رسول اللهِ ﷺ أَكْثَرَ من الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَإِطْلَاقِ عَدَمِ الْإِيمَانِ علىٰ من لم يُحِبَّهُ هذه المحبة.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٧) كتاب الأحكام، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، ومسلم (١٨٣٥) كتاب الإمارة باب وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ في غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا في الْمَعْصِيَةِ، والنسائي في المجتبىٰ (٤١٩٣) كتاب البيعة، التَّرْغِيبُ في طَاعَةِ الْإِمَامِ، وابن ماجة (٣) بَاب اتِّبَاعِ سُنَّةِ رسول اللهِ ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَاب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رسول اللهِ ﷺ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ»[(١)].

ـ عن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رضي الله عنه قال: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في رَهْطٍ، فقال: أُبَايِعُكُمْ علىٰ أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شيئًا، ولا تَسْرِقُوا، ولا تَزْنُوا، ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ، ولا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بين أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، ولا تَعْصُونِي في مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وفي مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ علىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ من ذلك شيئًا فَأُخِذَ بِهِ في الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ له وَطَهُورٌ، وَمَنْ سَتَرَهُ الله فَذَلِكَ إلىٰ اللهِ، إن شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ له»[(٢)].

ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ لأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ أَوْ خَمْسٍ، فَدَخَلَ عليَّ وَهُوَ غَضْبَانُ، فَقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ؟ قَالَ: «أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ، قَالَ الْحَكَمُ: كَأنهم يَتَرَدَّدُونَ أَحْسِبُ ـ وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ مَعِي حَتَّىٰ أَشْتَرِيَهُ ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا»[(٣)].

ـ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[(٤)].

ـ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَاب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رسول الله ﷺ وَقَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٠١) كتاب الحدود، باب توبة السارق، والنسائي في المجتبىٰ (٤١٧٨) كتاب البيعة، الْبَيْعَةُ علىٰ فِرَاقِ الْمُشْرِكِ.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١١) كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٠٨) كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم.

مِنْ هَذَا الْحَيِّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَلَسْنَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا في الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذْهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، فَقَالَ: «آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأنهاكُم عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ بِاللهِ» ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ: «شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَني رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا إِلَيَّ خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَىٰ عَنْ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُقَيَّرِ، وَالنَّقِيرِ»[1].

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ، عن رسول اللهِ ﷺ أَنَّهُ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ من هذه الْأُمَّةِ: يَهُودِيٌّ ولا نَصْرَاني ثُمَّ يَمُوتُ ولم يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلا كان من أَصْحَابِ النَّارِ»[2].

ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِىٰ سَبْعَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ». فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ». فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ لِصَاحِبَيْهِ: «مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا»[3].

❁ ❁ ❁

حبُّ النبي ﷺ طاقة خلاقة تقهر الصعاب، وتذلل العقبات، وتحقق

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٣) كتاب مواقيت الصلاة، بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ومسلم (١٧) كتاب الإيمان، بَاب الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ﷺ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالدُّعَاءِ إليه وَالسُّؤَالِ عنه وَحِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ من لم يَبْلُغْهُ، وأبو داود (٣٦٩٢) كتاب الأشربة، بَاب في الْأَوْعِيَةِ، والنسائي في المجتبىٰ (٥٠٣١) كتاب الإيمان وشرائعه،أَدَاءُ الْخُمُسِ.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣) كتاب الإيمان، بَاب وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إلىٰ جَمِيعِ الناس وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨٩) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد.

الغايات، وقد تبين هذا واضحًا في سلوك أصحاب النبي ﷺ.

أخرج البخاري وغيره عن عروة بن الزبير والمسور بن مخرمة يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه من حديث طويل حول صلح الحديبية، أنه لما رجع عروة بن مسعود إلىٰ قريش بعد أن فاوض النبي ﷺ قال: (أي قوم، واللَّه لقد وفدت علىٰ الملوك، ووفدت علىٰ قيصر وكسرىٰ والنجاشي، واللَّه إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، واللَّه إن تَنَخَّم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون علىٰ وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له)[(١)].

وكان أصحابه ﷺ لا يحبونه فحسب، وإنما يحبون ما يحب، ويكرهون ما يكره.

فهذا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحب الدُّباء لا لشيء إلا لحب رسول الله ﷺ له.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (إن خيَّاطًا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس بن مالك: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلىٰ ذلك الطعام، فقرب علىٰ رسول الله ﷺ خبزًا ومرقًا فيه دُبَّاء وقديد، فرأيت النبي ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة، قال: فلم أزل أحب الدُّباء من يومئذ)[(٢)].

وهذا أبو أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكره الثوم، لا لشيء إلا لكراهية رسول الله ﷺ له.

بهذا الحب تحول هؤلاء الصحابة من أعراب غلاظ جفاة إلىٰ رجال تسيل قلوبهم رقة ورحمة، ومن تابعين خانعين إلىٰ سادة ملكوا البلاد وقهروا الأمم، ونشروا دين الله في ربوع العالم بأخلاقهم لا بسيوفهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢)، والطبراني في الكبير (١٣) (٢٠/ ٩)، وغيرهما.
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١)، وغيرهما.

ولم يقتصر حب النبي علىٰ صحابته، وإنما أحبته كل المخلوقات، فهذا جمل يحنُّ إليه ويشكو إليه سوء خلق صاحبه، وذلك حجر يسلم عليه بمكة قبل أن يبعث، وهاتان شجرتان تنقادان إليه طائعتين بإذن الله، لقد أحبه ربُّه فأحبته الملائكة، وأحبه الكون كله.

ومن أعظم خصوصيات الرسول ﷺ أن الله جَلَّ وَعَلَا جعل حبه أمرًا واجبًا لا يكمل إيمان المسلم إلا به، بل وصم من يقدم شيئًا من متاع الدنيا علىٰ حبه ﷺ وحب رسوله بالفسق الموجب لغضب الله ونقمته. قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

ونفىٰ النبي ﷺ الإيمان الكامل عمَّن قدم محبة الناس علىٰ محبة رسول الله، فروىٰ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

واستخدام المضارع المنفي (**لا يؤمن**)، والمضارع المثبت (**أكون**) ليفيد الاستمرار في كلٍّ، فالإيمان يظل منفيًّا حتىٰ يكون الحب.

وقدم الوالد علىٰ الولد لمكانة الوالد وعظيم حقه، وقد قدم القرآن الوالد علىٰ الولد في الحب، فقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ الآية [التوبة: ٢٤].

وأمر المولىٰ ﷻ بطاعة الرسول ﷺ، وقرن ذلك في أكثر من موضع في كتاب الله بطاعته جَلَّ وَعَلَا قال تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢] إلخ.

ودعانا ﷻ إلىٰ اتباع سنته والتأسي بهديه، فقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وحذر النبي ﷺ من عصيانه أو عصيان أمرائه وذكر أن من فعل ذلك عصىٰ الله ﷻ.

وبشَّرنا ﷺ بأن كل أمته يدخلون الجنة إلا من يأبىٰ، فلما تعجب الصحابة وسألوا: يا رسول الله، ومن يأبىٰ؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»، فكأنه بعصيانه أعرض عن الجنة ورفض دخولها.

وقوله: «**إلا من أبىٰ**» ذكر للخاص بعد العام، (وظاهره أن العموم مستمر لأن كلًّا منهم لا يمتنع من دخول الجنة، ولذلك قالوا: ومن يأبىٰ؟ فبيَّن لهم أن إسناد الامتناع إليهم عن الدخول مجاز عن الامتناع عن سنته، وهو عصيان الرسول)[١].

وفصّل أبو الحسن الهروي في المرقاة المسألة فقال: («**إلا من أبىٰ**»: أي امتنع عن قبول ما جئت به، قال ابن الملك: إن أريد من الأمة أمة الإجابة فالاستثناء منقطع، وإن أريد أمة الدعوة فالاستثناء متصل، وقال الطيبي: المراد إما أمة الدعوة، فالآبي هو الكافر، أو أمة الإجابة، فالآبي هو العاصي استثناه زجرًا وتغليظًا)[٢].

وقوله: «**أبىٰ**» كناية عن معصية الرسول.

وفي التعبير استخدام لعنصر المفاجأة الذي يصدم السامع بما لا يتوقعه، فيسارع إلىٰ الاستفهام، إذ لا يُتصور أن يأبىٰ أحد دخول الجنة، ولذلك بادر الصحابة إلىٰ الاستفهام الإنكاري: ومن يأبىٰ؟!

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٥٤).

(٢) مرقاة المفاتيح (١/ ٣٣٩).

والإجابة فيها إطناب وتفصيل، (وحق الجواب اختصارًا أن يقول: من عصاني، فعدل عنه إلىٰ ما سيأتي لإرادة التفصيل، قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**» تنبيهًا علىٰ أنهم ما عرفوا هذا ولا ذاك)[1].

وأمر ﷺ أصحابه أن لا يلحوا عليه في السؤال عمَّا لم يبينه لهم حتىٰ لا يهلكوا كما هلك من كان قبلهم بكثرة السؤال والاختلاف علىٰ أنبيائهم، وأوجب عليهم أن يكتفوا بالانتهاء عمَّا نهاهم عنه، والائتمار بما أمرهم به في حدود استطاعتهم.

وروىٰ عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ بايعه ورهط معه من الأنصار علىٰ أن لا يشركوا بالله شيئًا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، كما بايعهم علىٰ أن لا يعصوه في معروف، وبشرهم أن من وفىٰ ببيعته منهم فإن أجره علىٰ الله يكافئه وحده بوفائه، ومن ارتكب موبقة من هذه فأقيم عليه الحد في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله وُكل أمره إلىٰ الله إن شاء عذبه به، وإن شاء غفر له.

قال رسول الله ﷺ: «**أبايعكم علىٰ أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم**»

وقوله: «**ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم**» إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢]، والبهتان: الكذب الذي يدهش سامعه لفظاعته، ويقال: بهته يبهته إذا رماه في وجهه أو من ورائه بما لم يكن.

(قال الخطابي: بهت الرجل صاحبه يبهت بهتًا وبهتانًا، وهو أن يكذب عليه الكذب يُبهت من شدة نكره، ويتحير فيه فيبقىٰ مبهوتًا، والمراد منه

---

(١) مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٣٩).

قذف أهل الإحصان، ويدخل فيه رمي الناس بالعظائم، وما يلحق به العار والفضيحة)[١].

وقد ورد هذا في بيعة النساء لرسول الله، ومعناه: أن لا يُلحقن بأزواجهن غير أولادهم، (قالوا: كانت المرأة يكون لها الزوج ذا المال، وليس له ولد، فتخاف علىٰ ماله بعد موته، فتلتقط ولدًا، وتقول ولدته، فقوله: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ إشارة إلىٰ الولادة)[٢].

وورود ذلك في بيعة الرجال عجيب؛ لأن ذلك لا يكون في حق الرجال (والجواب: أن هذا من باب نسبة الفعل إذا صدر من الواحد إلىٰ الجماعة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢] فإن الرجال لا يلبسون الحلية)[٣].

وقيل: إن معنىٰ هذه العبارة في الحديث يحتمل وجهين اثنين:

الأول ـ (لا تبهتوا الناس افتراءً واختلافًا بما لم تعلموه منهم فتجنوا عليهم من قبل أيديكم وأرجلكم ـ أي: قبل أنفسكم ـ جناية تفضحونهم بها، وهم برءاء، واليد والرجل كناية عن الذات.

والوجه الآخر ـ أن لا تبهتوا الناس بالعيوب كفاحًا يشاهد بعضكم بعضًا كما يقال: فعلت هذا بين يديك، أي: بحضرتك، وهذا النوع أشد ما يكون من البهت)[٤].

وفي حجة الوداع أمر النبي ﷺ من لم يسق الهدي معه من أصحابه أن يحل، وأن يجعلها عمرة، فكأن بعضهم تردد في طاعة رسول الله ﷺ، فساء

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٦٢).
(٢) شرح السيوطي علىٰ سنن النسائي (٧/ ١٤٢).
(٣) السابق، الموضع نفسه.
(٤) شرح السنة (١/ ٦٠).

ذلك رسول الله ﷺ، فدخل علىٰ السيدة عائشة غضبان، وأخبرها بأنه لو استقبل من أمره ما استدبر ما ساق معه الهدي، حتىٰ يحل كما أحلوا.

وأقام مالك بن الحويرث مع عدد من رفاقه الشباب المتقاربين في السن عند رسول الله ﷺ عشرين ليلة يفقههم في أمور دينهم، ثم أحس الرسول ﷺ أنهم اشتاقوا أهلهم فأمرهم بأن يرجعوا إلىٰ أهليهم، ويعلموهم، وأمرهم بأن يتأسوا برسول الله ﷺ فيصلوا كما رأوه يصلي، فإذا حضرت الصلاة أذّن واحد منهم، وأمّهم أكبرهم، والمراد بأكبرهم: أفضلهم، أو أسنهم لأنهم كانوا متقاربين في السن كما صرح بذلك مالك، وكانوا في العلم الذي تلقوّه عن رسول الله ﷺ سواء.

وقدم إلىٰ رسول الله ﷺ وفد عبد القيس فأمرهم بأربع:

أولها: الإيمان بالله؛ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وثانيها: إقام الصلاة.

وثالثها: إيتاء الزكاة.

ورابعها: أداء خمس الغنائم إلىٰ رسول الله ﷺ.

ونهاهم عن أربع: الدُّباء (وهو اليقطين اليابس)، والحنتَم (وهي الجرار الخضراء المائلة إلىٰ الإحمرار)، والمُقَيَّر (وهو الإناء المطلي بالقار)، والنَّقير (وهو جذع يُنقر وسطه، وينبذ فيه).

والنهي عن هذه الأربع ليس نهيًا عنها بذواتها وإنما هو (نهي عن الانتباذ فيها، وهو أن يجعل في الماء حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلو ويُشرب، وإنما خصت هذه بالنهي؛ لأنه يسرع إليه الإسكار فيها، فيصير حرامًا نجسًا، وتبطل ماليته، فنهىٰ عنه لما فيه من إتلاف المال، ولأنه ربما شربه بعد إسكاره من لم يطلع عليه، ولم ينه عن الانتباذ في أسقية الأدم، بل

أذن فيها؛ لأنها لرقتها لا يخفىٰ فيها المسكر، بل إذا صار مسكرًا شقَّها غالبًا، ثم إن هذا النهي كان في أول الأمر، ثم نسخ بحديث بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «**كنت نهيتكم عن الانتباذ إلا في الأسقية، فانتبذوا في كل وعاء، ولا تشربوا مسكرًا**»[1] رواه مسلم في الصحيح)[2].

إن اتباع محمد ﷺ، والإيمان بما جاء به فرض واجب علىٰ كل من سمع به من الأمة، وبلغته الدعوة، سواء كان يهوديًا أو نصرانيًا، فإن أعرض بعضهم ولم يؤمن، ومات علىٰ ذلك كان من أصحاب النار بنص حديث رسول الله ﷺ.

ومن بلغ به الإعراض عن محمد ﷺ، والكيد لدعوته أن يعاديه ويحاربه ويؤذيه ـ كما فعل كفار قريش في أُحد ـ فإن الله جَلَّ وَعَلَا يغضب عليه غضبًا شديدًا، ويرزقه بخاتمة سيئة يكون فيها عبرة لغيره من السفهاء.

حدّث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر (أن الذي رمىٰ رسول الله ﷺ بأحد فجرحه في وجهه قال: خذها مني وأنا ابن قمئة، فقال: «**أقمأك الله**»، قال: فانصرف إلىٰ أهله، فخرج إلىٰ غنمه فوافاها علىٰ ذروة جبل، فدخل فيها، فشد عليه تيسها، فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع)[3].

واشتد غضب الله أيضًا في الدنيا والآخرة علىٰ رجل تمادىٰ في العداء لرسول الله ﷺ، وتعرض له بالأذىٰ القولي والفعلي، وحاول قتله، حتىٰ اضطر رسول الله ﷺ إلىٰ أن يقتله بيده، كما حدث من أبي بن خلف الجمحي، (وقد حلف ليقتلن محمدًا، فقال ﷺ: «**بل أنا أقتله**»، فقال: «**يا كذاب، أين**

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٧) ونصه: «**نهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكرًا**»، وأبو داود (٣٦٩٨) وغيرهما.

(٢) شرح النووي (١/ ١٨٥).

(٣) فتح الباري (٧/ ٣٧٣).

تفر؟» فحمل عليه فطعنه في جيب الدرع، فوقع يخور خوار الثور، فاحتملوه، فلم يلبث إلا بعض يوم حتىٰ راحت روحه إلىٰ الهاوية)[1].

وعلىٰ الجانب الآخر يَعِدُ رسول الله ﷺ من دافع عنه، وردَّ عدوه بالجنة، أو برفقته في الجنة، وعد بذلك يوم أحد أصحابه حين أُفرِد في سبعة من الأنصار ورجل من قريش ـ كما روىٰ أنس ـ فتقدم رجل من الأنصار السبعة فقاتل الفئة الباغية حتىٰ قتل، ثم تقدم الثاني فقتل، فما زالوا يتقدمون حتىٰ قتلوا جميعًا في سبيل الله ورسوله.

وكان رسول الله ﷺ ينادي في كل مرة: «**من يردهم عنا وله الجنة ـ أو: هو رفيقي في الجنة؟**»

وهواستفهام غرضه التشويق والترغيب.

وقوله: «**رفيقي في الجنة**» إشارة إلىٰ جزيل المكافأة، وعظيم المنزلة.

وبعد أن قُتل بين يدي رسول الله ﷺ سبعة من الأنصار قال: «**ما أَنْصَفْنَا أصحابَنَا**».

وعلىٰ كون الرواية بسكون الفاء «**أَنْصَفْنَا**»، و«**أصحابَنَا**» مفعول به منصوب، يكون المراد أن قريشًا لم تنصف الأنصار، إذ خرج الأنصار السبعة واحدًا تلو الآخر حتىٰ قُتلوا كلهم، ولم يخرج القرشيان الآخران اللذان كانا في صحبة النبي في ذلك الموقف.

وروىٰ البعض «**أَنْصَفَنَا**» بفتح الفاء، و«**أصحابُنَا**» بضم الباء، فاعل مرفوع، أي: الذين فروا من القتال، وتركوا رفاقهم فرادىٰ حول النبي ﷺ حين أفرد يوم أحد في تسعة من أصحابه.

(فربما أشكل هذا علىٰ بعض الناس، فقال: كيف يأمرهم بالقتال، ثم

---

(١) عمدة القاري (١٧/ ١٦٠).

يقول: «**ما أنصفنا أصحابنا**»؟ وهل عنده غير الإنصاف؟!

فالجواب: أنه يجب علىٰ الناس أن يقوا رسول الله بأنفسهم، فلما قال: «**من يردهم عنا؟**» كان ينبغي للكل أن يبادر، فتأخُّر بعضهم ليس بإنصاف)[(١)].

٢ ـ رؤيته ﷺ ربه:

«**نورٌ أنَّى أراهُ**».

ـ عن أبي ذَرٍّ قال سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ هل رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**»[(٢)].

ـ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، ـ قَالَ: أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ ـ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَىٰ؟ قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّىٰ وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ ـ أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي ـ فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَىٰ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الكَفَّارَاتِ، وَالكَفَّارَاتُ المُكْثُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَالْمَشْيُ عَلَىٰ الأَقْدَامِ إِلَىٰ الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللهُمَّ إني أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالدَّرَجَاتُ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[(٣)].

❁ ❁ ❁

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨) كتاب الإيمان، بَاب فِي قَوْلِهِ ﷺ نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ وفِي قَوْلِهِ رأيت نُورًا، والترمذي (٣٢٨٢) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة والنجم.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣) أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ ص.

دار جدل كبير وخلاف طويل حول قول النبي ﷺ حين سئل عن رؤية ربه: «**نور أنىٰ أراه**»، هل رأىٰ النبي ربه حقًّا، أو أن هذه الرؤية مستحيلة علىٰ البشر في الدنيا؟

والراجح أنه ﷺ حين عُرج به إلىٰ السماوات العلىٰ، ورقي إلىٰ سدرة المنتهىٰ اختصه ربه بما لم يُتح لغيره، وكلَّم ربَّه، وكلَّمه ربُّه، ورأىٰ نورًا، والنور هو حجاب ربنا ﷻ، وهو ما أشار إليه الحديث الذي أخرجه مسلم وغيره عن أبي موسىٰ رضي الله عنه أنه قال: قام فينا رسول الله بخمس كلمات، فقال: «**إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور**»[(١)].

وعلىٰ هٰذا يكون معنىٰ «**نور أنىٰ أراه**»: حجابه النور فكيف أراه؟ أو أنه حيثما رأىٰ رأىٰ نورًا، وهو ما تؤكده الرواية الأخرىٰ لمسلم: «**رأيت نورًا**»[(٢)].

واختلف في ضبط «**نور أنىٰ أراه**» **فقيل**: هي بفتح الهمزة وتشديد النون في «**أَنَّىٰ**»، وبفتح الهمزة في «**أَراه**»، والضمير فيه عائد علىٰ الله ﷻ، (ومعناه: أن النور منعني من الرؤية، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه)[(٣)]، والاستفهام غرضه الإنكار والنفي.

وفي رواية ـ شكك فيها القاضي عياض ـ: «**نُورَانِيٌّ أَراه**» بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء، فيكون من صفات الأفعال، أي خالق النور المانع من رؤيته.

ورأىٰ الطيبي أن «**أَنَّىٰ**» بمعنىٰ حيث لا بمعنىٰ كيف، قال: (أراد ليس الاستفهام علىٰ معنىٰ الإنكار المستفيد للنفي، بل للتقرير المستلزم للإيجاب،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩)، وابن حبان (٢٦٦)، وغيرهما.
(٢) أخرجه مسلم (١٧٨)، وابن حبان (٥٨)، وغيرهما.
(٣) شرح النووي (٣/ ١٢).

أي: نور حيث أراه)[١].

وفي حديث اختصام الملأ الأعلىٰ قال ﷺ: «**أتاني الليلة ربي تبارك وتعالىٰ في أحسن صورة**».

وقوله: «**الليلة**» يشير إلىٰ أن ذلك كان في رؤيا، ويؤكده قول الراوي: «**أحسبه في المنام**».

قال المباركفوري: (ويدل علىٰ ذلك أيضًا حديث معاذ بن جبل الآتي في الفصل الثالث، فإن فيه: «**فنعست في صلاتي حتىٰ استثقلت، فإذا أنا بربي في أحسن صورة**»[٢]، قال الحافظ ابن كثير بعد نقله عن مسند أحمد: وهو حديث المنام المشهور، ومن جعله يقظة غلط)[٣].

وكونه رؤيا ينفي الإشكال (إذ الرائي قد يرىٰ غير المتشكل متشكلًا، والمتشكل بغير شكله، ثم لم يعد ذلك بخلل في الرؤيا، ولا في خلد الرائي، بل له أسباب أخر تذكر في علم المنام، أي التعبير، ولولا تلك الأسباب لم تفتقر رؤيا الأنبياء عليهم السلام إلىٰ تعبير)[٤].

وفي هذا الحديث وهب الله ﷻ رسوله علم ما في السماوات والأرض، ثم سأله: هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟ فأجاب النبي ﷺ: «**نعم في الكفارات**»، وأراد بالكفارات: كفارات الذنوب كالمكث في المسجد، والمشي للجماعات، وإسباغ الوضوء، ثم أمره ربه ﷻ إذا صلىٰ أن يدعو فيقول: «**اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**».

---

(١) مرقاة المفاتيح (١٠/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٣٥)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٤٣).

(٣) مرعاة المفاتيح (٢/ ٤٣٤).

(٤) مرقاة المفاتيح (٢/ ٣٩٩).

٣ـ النبي ﷺ لا يورث:

***«إنا معشر الأنبياء لا نورث»:**

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَؤُونَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ**»[١].

* * *

ويشارك النبي ﷺ في هذه الخصيصة الأنبياء جميعًا لقوله ﷺ فيما رواه عمر رضي الله عنه: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة**»[٢].

وذُكر في الحكمة من ذلك كلام كثير أَنْفَسُه أنهم (لعظم شأنهم لا تكون نعم الله عليهم إلا عائدة علىٰ أخراهم، ولا يُسلبون منفعة ما أنعم به عليهم، ولو وُرِثوا لسُلبوا منفعة ما ورثوه، وكان الانتفاع به إنما هو لورثتهم لا لهم، ولهذا قال عليه السلام: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**»[٣]، وقال أبو بكر: إنما المال الآن للوارث)[٤].

والواقع أن النبي ﷺ لم يترك عند موته دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمةً، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة، فقد كان ﷺ ينفق كل ما يأتيه علىٰ المسلمين، ولا يُبقي في بيته شيئًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٢٩) كتاب الفرائض، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»، ومسلم (١٧٦٠) كتاب الجهاد والسير، باب بَاب قَوْلِ النبي ﷺ لَا نُورَثُ ما تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَة، وأبو داود (٢٩٧٤) كتاب الخراج والإمارة والفيء، بَابٌ فِي صَفَايَا رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَمْوَالِ.

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٦٣٠٩)، وأحمد (٢/ ٤٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٢)، والنسائي في الصغرىٰ (٣٦١٢)، وغيرهما.
وتمامه: قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخرّ».

(٤) طرح التثريب (٦/ ٢٠٦).

وقوله ﷺ: «**لا يقتسم ورثتي دينارًا**»: «**لا**» فيه نافية وليست ناهية، (لأنه لم يترك ﷺ دينارًا ولا درهمًا يقتسم؛ لأنه مات ودرعه مرهونة بوسق من شعير، ولا يجوز النهي عما لا سبيل إلىٰ فعله، وإنما ينهىٰ المرء عما يمكن وقوعه منه، ومعنىٰ الخبر أنه ليس تقتسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، لأني لا أخلفهما بعده)[1].

ويحتمل أن تكون لا ناهية، ويكون المعنىٰ حينئذ أنه ﷺ ينهاهم إن خلَّف شيئًا أن يقتسموه من بعده، ولا تعارض بين المعنيين.

وقال: «**ورثتي**» وليس له ورثة بالفعل، وإنما هم ورثة بالقوة، يعني: لو كنت ممن يورث، ولو خلَّفت شيئًا يورث ـ ولم يخلف ذهبًا ولا فضة ـ فإنه لا يقسم بطريق الإرث، بل تُقسم منافعه.

وذكر الدينار لأنه أقل ما يمكن قسمته.

٤ ـ يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة:

«هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ»:

ـ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخَذَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا في فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كِخْ كِخْ**» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟**»[2].

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إني لَأَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَىٰ فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً،**

---

(١) شرح ابن بطال (٥/ ٢٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩١) كتاب الزكاة، بَابُ مَا يُذْكَرُ في الصَّدَقَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَآلِهِ، ومسلم (١٠٦٩) كتاب الزكاة، بَاب تَحْرِيمِ الزَّكَاةِ علىٰ رسول الله ﷺ وَعَلَىٰ آلِهِ وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ دُونَ غَيْرِهِمْ.

فَأَلْقِيهَا»(١).

- عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ الْهَاشِمِيِّ، أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ رَبِيعَةَ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ رَبِيعَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَالْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَا: لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَلِلْفَضْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ائْتِيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ مَالِكٍ، وَقَالَ فِيهِ: فَأَلْقَىٰ عَلِيٌّ رِدَاءَهُ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَنَا أَبُو حَسَنٍ الْقَرْمُ، وَاللَّهِ، لَا أَرِيمُ مَكَانِي حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْكُمَا ابْنَاكُمَا، بِحَوْرِ مَا بَعَثْتُمَا بِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: ثُمَّ قَالَ لَنَا «**إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنها لا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلا لِآلِ مُحَمَّدٍ**»(٢).

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِلَحْمٍ، فَقِيلَ: تُصُدِّقَ عَلَىٰ بَرِيرَةَ، قَالَ: «**هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ**»(٣).

❁ ❁ ❁

التقط الحسن سبط رسول الله ﷺ تمرة من تمر الصدقة، فوضعها في فيه، فأسرع إليه النبي ﷺ يقول له: «كخ كخ» يحثه علىٰ طرحها، وهي كلمة بالفارسية يُزجر بها الصبيان ليَدَعُوا المستقذرات، ثم قال له ﷺ: «**أما شعرت**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣٢) كتاب اللقطة، باب إذا وجد تمرة في الطريق، ومسلم (١٠٧٠) كتاب الزكاة، باب تحريم الصدقة علىٰ رسول الله ﷺ وآله.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٧٢) كتاب الزكاة، بَاب تَرْكِ اسْتِعْمَالِ آلِ النبي علىٰ الصَّدَقَةِ، وأبو داود (٢٩٨٥) كتاب الخراج والإمارة والفيء، بَابٌ فِي بَيَانِ مَوَاضِعِ قَسْمِ الْخُمُسِ، وَسَهْمِ ذِي الْقُرْبَىٰ، والنسائي (٢٦٠٩) كتاب الزكاة، بَابُ اسْتِعْمَالِ آلِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٧٧) كتاب الهبة وفضلها، بَاب قَبُولِ الْهَدِيَّةِ، ومسلم (١٠٧٤) كتاب الزكاة، بَاب إِبَاحَةِ الْهَدِيَّةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، وأبو داود (١٦٥٥) كتاب الزكاة، بَاب الْفَقِيرِ يُهْدِي لِلْغَنِيِّ من الصَّدَقَةِ، والنسائي في المجتبىٰ (٣٧٦٠) كتاب العمرىٰ، عَطِيَّةُ الْمَرْأَةِ بِغَيْرِ إذن زَوْجِهَا.

أنا لا نأكل الصدقة؟».

وقوله: «**أما شعرت**»: (هذه اللفظة تقال في الشيء الواضح التحريم ونحوه، وإن لم يكن المخاطَب عالمًا به، أي: كيف خفي عليكم مع ظهور تحريمه، وهذا أبلغ في الزجر عنه بقوله: لا تفعله)(١). والاستفهام للإنكار.

وروىٰ أحمد وغيره أن أبا الحوراء قال: قلت للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: أذكر أني أخذت تمرة من تمر الصدقة، فألقيتها في فمي، فانتزعها رسول الله ﷺ بلعابها، فألقاها في التمر، فقال له رجل: ما عليك لو أكل هذه التمرة؟ قال: «**إنا لا نأكل الصدقة**»(٢).

وبلغ من تحرز رسول الله ﷺ من أكل الصدقة أنه كان يجد التمرة ساقطة علىٰ فراشه، فيرفعها ليأكلها، ثم يتراجع لخشيته أن تكون صدقة، فيلقيها.

وعزم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، والعباس بن عبد المطلب علىٰ إرسال ابنيهما: عبد المطلب بن ربيعة، والفضل بن العباس إلىٰ رسول الله ﷺ ليطلبا منه أن يستعملهما علىٰ الصدقات لعلهما يصيبان منها ما يعينهما علىٰ الزواج، وكان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد علم بمسعاهما فحذرهما من ذلك، وأخبرهما أن النبي ﷺ قال: «**واللّه لا يُستعمل أحد منكم علىٰ الصدقة**»، يعني: من آل محمد وآل عبد المطلب، لكنهما لم يستجيبا لنصحه، وأصرا علىٰ إرسال ولديهما إلىٰ رسول الله ﷺ، فألقىٰ عليٌّ رداءه علىٰ الأرض، واضطجع فوقه وهو يقول: أنا أبو حسن القَرْم ـ أي: الفحل ـ ثم أقسم لا يغادر مكانه حتىٰ يرجع عبد المطلب والفضل بجواب ما بُعثا به، وانطلق عبد المطلب والفضل إلىٰ رسول الله ﷺ، فوافقا صلاة الظهر، فصليا مع الناس، ثم استأذنا علىٰ النبي ﷺ وكان في حجرة زينب بنت جحش، فأذن لهما، فكلماه في الأمر،

---

(١) عمدة القاري (٩/ ٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٠)، وابن خزيمة (٢٣٤٨)، وغيرهما.

فسكت ساعة ثم خفض رأسه، وقال: «**إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد**»، ثم أمر النبي ﷺ باستدعاء نوفل بن الحارث، ومحمية بن جزء، فقال للأول: «**أنكح عبد المطلب**»، وقال للثاني: «**أنكح الفضل**»، وأصدق عنهما من الخمس.

ومعنىٰ قوله: «**إنما هي أوساخ الناس**»: (أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم، كما قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فهي كغَسّالة الأوساخ)[١].

وهو تشبيه بليغ شبه فيه النبي ﷺ الصدقات بالأوساخ لكون الناس تتطهر من الذنوب بها، وهذا بيان لعلة التحريم.

أما الهدية، فقد قبلها النبي ﷺ، وأكل منها، قال ﷺ: «**لو دعيت إلىٰ ذراع أو كُراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كُراع لقبلت**»[٢].

وفي حديث الباب أن النبي ﷺ أتي بلحم، ولما كان أهل بيته يعلمون أنه لا يأكل الصدقة، فقد أخبروه قبل أن يأكل منه أن هذا اللحم تُصدق به علىٰ بريرة جارية السيدة عائشة رضي الله عنها، فقربه إليه وقال: «**هو لها صدقة، ولنا هدية**».

٥- لا يقبل هدايا المشركين:

* «إني نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ»:

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، قَالَ: أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةً، فَقَالَ: «**أَسْلَمْتَ؟**»، فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إني نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ**»[٣].

---

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (٧/ ١٢٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٠٥٧) كتاب الخراج والإمارة والفيء، بَابٌ في الْإِمَامِ يَقْبَلُ هَدَايَا الْمُشْرِكِينَ، والترمذي (١٥٧٧) كتاب أبواب السير، بَابٌ في كَرَاهِيَةِ هَدَايَا الْمُشْرِكِينَ.

وفي تلك الخصيصة خلاف إذ من الثابت أن المقوقس أهدىٰ إلي النبي ﷺ فقبل منه، وأهدىٰ إليه النجاشي فقبل منه، وأهدىٰ له أكيدر دومة الجندل فقبل منه، فذهب بعضهم إلىٰ أن الحديث منسوخ، وقال الخطابي: (وفي رده هديته وجهان:

أحدهما ـ أن يغيظه برد الهدية فيمتعض منه، فيحمله ذلك علىٰ الإسلام.

والآخر ـ أن للهدية موضعًا من القلب، وقد روي: «**تهادوا تحابوا**»[1]، ولا يجوز عليه ﷺ أن يميل بقلبه إلىٰ مشرك، فرد الهدية قطعًا لسبب الميل)[2].

وقال آخرون: (الامتناع في حق من يريد بهديته التودد والموالاة، والقبول في حق من يُرجىٰ بذلك تأنيسه وتأليفه علىٰ الإسلام)[3].

والخلاصة: أن الأصل هو المنع؛ إلا إذا كان ثمة مصلحة في القبول، فيدور المنع والقبول مع ما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين.

والزبْد في قوله ﷺ: «**إني نهيت عن زبْد المشركين**» بسكون الباء: الرفد والعطاء والهدية (يقال: زبدتُ فلانًا، أزبده بالكسر زبدًا: إذا أعطيته)[4].

فإذا قلت: فلان يزبُدُ فلانًا بضم الباء، كان معناها: يطعمه الزُبْد.

٦ ـ تأييد ربه له بالمعجزات الباهرة:

* الجماد يأتمر بأمره: «انقادى عَلَيَّ بإذْنِ الله»:

ـ عن جابر قال: سِرْنَا مع رسول اللهِ ﷺ حتىٰ نَزَلْنا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رسول اللهِ ﷺ يقضي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ من مَاءٍ، فَنظَرَ رسول اللهِ ﷺ فلم

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٦/ ١٦٩) (١١٧٢٦)، والطبراني في الأوسط (٧/ ١٩٠) (٧٢٤٠)، وغيرهما.

(٢) معالم السنن (٣/ ٤١).

(٣) فتح الباري (٥/ ٢٣١).

(٤) لسان العرب (٣/ ١٩٣).

يَرَ شيئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فإذا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رسول الله ﷺ إلىٰ إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ من أغْصَانها فقال: «**انقادي عَلَيَّ بِإِذْنِ الله**» فَانْقَادَتْ معه كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الذي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حتىٰ أتىٰ الشَّجَرَةَ الْأُخْرَىٰ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ من أَغْصَانها، فقال: «**انقادي عَلَيَّ بِإِذْنِ الله**» فَانْقَادَتْ معه كَذَلِكَ حتىٰ إذا كان بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لَأَمَ بَيْنَهُمَا، يَعْنِي جمعها، فقال: «**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ الله**» فَالْتَأَمَتَا، قال جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رسول الله ﷺ بِقُرْبِي، فَيَبْتَعِدَ، وقال محمد بن عَبَّادٍ: فَيَتَبَعَّدَ، فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فإذا أنا بِرَسُولِ الله ﷺ مُقْبِلًا، وإذا الشَّجَرَتَانِ قد افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا علىٰ سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَقَفَ وَقْفَةً، فقال بِرَأْسِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ أبو إسماعيل بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، ثُمَّ أَقْبَلَ، فلما انْتَهَىٰ إلي، قال: «**يا جَابِرُ، هل رَأَيْتَ مَقَامِي ؟**» قلت: نعم يا رَسُولَ الله، قال: «**فَانْطَلِقْ إلىٰ الشَّجَرَتَيْنِ، فَاقْطَعْ من كل وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلْ بِهِمَا، حتىٰ إذا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عن يَمِينِكَ، وَغُصْنًا عن يَسَارِكَ**» قال جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ، فَانْذَلَقَ لي، فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ، فَقَطَعْتُ من كل وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا، حتىٰ قُمْتُ مَقَامَ رسول الله ﷺ أَرْسَلْتُ غُصْنًا عن يَمِينِي وَغُصْنًا عن يساري، ثُمَّ لَحِقْتُهُ، فقلت: قد فَعَلْتُ يا رَسُولَ الله، فَعَمَّ ذَاكَ؟ قال: «**إني مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عنهما ما دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ**»[1].

*** الماء ينبع من بين أصابعه: «خُذْ يا جابرُ، فصُبَّ عليَّ، وقُلْ باسْمِ اللهِ»:**

- قال جابر: فَأَتَيْنَا الْعَسْكَرَ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا جَابِرُ نَادِ بِوَضُوءٍ**» فقلت: ألا وَضُوءَ، ألا وَضُوءَ، ألا وَضُوءَ، قال: قلت: يا رَسُولَ الله، ما

(١) أخرجه مسلم (٣٠١٢) كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.

وَجَدْتُ في الرَّكْبِ من قَطْرَةٍ، وكان رَجُلٌ من الْأَنْصَارِ يُبَرِّدُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَاءَ في أَشْجَابٍ له علىٰ حِمَارَةٍ من جَرِيدٍ، قال: فقال لِيَ: «**انْطَلِقْ إلىٰ فُلَانِ ابن فُلَانٍ الْأَنْصَارِيِّ، فَانْظُرْ هل في أَشْجَابِهِ من شَيْءٍ**» قال: فَانْطَلَقْتُ إليه، فَنَظَرْتُ فيها، فلم أَجِدْ فيها إلا قَطْرَةً في عَزْلَاءِ شَجْبٍ منها، لو أني أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فقلت: يا رَسُولَ اللهِ، إني لم أَجِدْ فيها إلا قَطْرَةً في عَزْلَاءِ شَجْبٍ منها، لو أني أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، قال: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِ**» فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَأَخَذَهُ بيده فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي ما هو، وَيَغْمِزُهُ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَانِيهِ، فقال: «**يا جَابِرُ، نَادِ بِجَفْنَةٍ**» فقلت: يا جَفْنَةَ الرَّكْبِ، فَأُتِيتُ بها تُحْمَلُ، فَوَضَعْتُهَا بين يَدَيْهِ، فقال رسول اللهِ ﷺ بيده في الْجَفْنَةِ هَكَذَا، فَبَسَطَهَا، وَفَرَّقَ بين أَصَابِعِهِ، ثُمَّ وَضَعَهَا في قَعْرِ الْجَفْنَةِ، وقال: «**خُذْ يا جَابِرُ، فَصُبَّ عَلَيَّ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ**» فَصَبَبْتُ عليه، وَقُلْتُ بِاسْمِ اللهِ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ من بَيْنِ أَصَابِعِ رسول اللهِ ﷺ، ثُمَّ فَارَتْ الْجَفْنَةُ، وَدَارَتْ حتىٰ امْتَلَأَتْ، فقال: «**يا جَابِرُ، نَادِ من كان له حَاجَةٌ بِمَاءٍ**» قال: فَأَتَىٰ الناس، فَاسْتَقَوْا حتىٰ رَوُوا، قال: فقلت: هل بَقِيَ أَحَدٌ له حَاجَةٌ؟ فَرَفَعَ رسول اللهِ ﷺ يَدَهُ من الْجَفْنَةِ وهي مَلْأَىٰ (١).

* بركته ﷺ تحل في الطعام: «قُلْ لَهَا لا تَنْزِعْ الْبُرْمَةَ، وَلا الْخُبْزَ مِنْ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ»:

ـ عن عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ جَابِرًا رضي الله عنه، فَقَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ في الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: «**أَنَا نَازِلٌ**» ثُمَّ قَامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي إِلَىٰ الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠١٣) كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.

ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتْ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ، حَتَّىٰ جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِي قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: «**كَمْ هُوَ؟**» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: «**كَثِيرٌ طَيِّبٌ**» قَالَ: «**قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعْ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّىٰ آتِيَ**» فَقَالَ: «**قُومُوا**» فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ، قَالَ: وَيْحَكِ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا**» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّىٰ شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «**كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ**»[(١)].

* بيت المقدس أمام عينيه: «فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ»:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**»[(٢)].

* حماية الله له في مكة: «لَوْ دَنَا مِنِّي، لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١) كتاب المغازي، باب غزوة الخندق.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٦) كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، ومسلم (١٧٠) كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، والترمذي (٣١٣٣) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل.

لأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّىٰ، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي، لاَخْتَطَفَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**». قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ، لاَ نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ - يَعْنِىٰ أَبَا جَهْلٍ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [العلق: ٦ - ١٩][1].

* الْمَدد الْمَلائكي في بدر: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِى مَا وَعَدْتَنِى»:

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِىٰ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللهُمَّ، آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**». فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَذَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلاَئِكَةِ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب قوله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ. فَنَظَرَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ. فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ». فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ(١).

* يرى من وراء ظهره: «إني لأَرَاكُمْ مِنْ بَعْدِ ظَهْرِي»:

ـ عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَتِمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إني لأَرَاكُمْ مِنْ بَعْدِ ظَهْرِي إِذَا مَا رَكَعْتُمْ، وَإِذَا مَا سَجَدْتُم»(٢).

* تسليم الحجر عليه: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بمَكَّةَ»:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ، كَانَ يُسَلِّمُ عليَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ»(٣).

* فهمه شكوى البهائم: «فإنه شكا إلي أنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»:

عن عبد اللهِ بن جَعْفَرٍ قال: أَرْدَفَنِي رسول اللهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إلي حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا من الناس، وكان أَحَبُّ ما اسْتَتَرَ بِهِ رسول اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أو حَائِشَ نَخْلٍ، قال: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ من الأَنْصَارِ، فإذا جَمَلٌ، فلما رأي النبي ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النبي ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير، باب الإِمْدَادِ بِالْمَلاَئِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، والترمذي (٣٧٨١) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٤) كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ومسلم (٤٢٥) كتاب الصلاة، باب الأَمْرِ بِتَحْسِينِ الصَّلاَة وَإِتْمَامِهَا وَالْخُشُوعِ فيها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الْفَضَائِلِ، بَاب فَضْلِ نَسَبِ النبي ﷺ وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عليه قبل النُّبُوَّةِ.

فَسَكَتَ، فقال: «من رَبُّ هذا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هذا الْجَمَلُ؟» فَجَاءَ فَتًى من الْأَنْصَارِ فقال: لي يا رَسُولَ اللَّهِ، فقال: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ في هذه الْبَهِيمَةِ التي مَلَّكَكَ الله إِيَّاهَا؟ فإنه شكا إلي أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**»[1].

* كشف بعض الغيب له: «أَجِدُ لَحْمَ شَاةٍ أُخِذَتْ بغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهَا»:

عن عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَجُلٍ، مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في جَنَازَةٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ الْقَبْرِ يُوصِي الْحَافِرَ: «**أَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، أَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ**»، فَلَمَّا رَجَعَ اسْتَقْبَلَهُ دَاعِي امْرَأَةٍ فَجَاءَ، وَجِيءَ بِالطَّعَامِ فَوَضَعَ يَدَهُ، ثُمَّ وَضَعَ الْقَوْمُ، فَأَكَلُوا، فَنَظَرَ آبَاؤُنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَلُوكُ لُقْمَةً في فَمِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَجِدُ لَحْمَ شَاةٍ أُخِذَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهَا**»، فَأَرْسَلَتِ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إني أَرْسَلْتُ إِلَىٰ الْبَقِيعِ يَشْتَرِي لِي شَاةً، فَلَمْ أَجِدْ فَأَرْسَلْتُ إِلَىٰ جَارٍ لِي قَدِ اشْتَرَىٰ شَاةً، أَنْ أَرْسِلْ إِلَيَّ بها بِثَمَنِهَا، فَلَمْ يُوجَدْ، فَأَرْسَلْتُ إِلَىٰ امْرَأَتِهِ فَأَرْسَلَتْ إِلَيَّ بها، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَطْعِمِيهِ الْأُسَارَىٰ**»[2].

* ائتمار الجماد بأمره:

روىٰ جابر أنه كان مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلوا واديًا واسعًا منفسحًا، فأراد رسول الله ﷺ أن يقضي حاجته، فأتبعه جابر بالماء، وبحث رسول الله ﷺ عن شيء يستتر به فلم يجد إلا شجرتين بجانب الوادي، فانطلق إلىٰ إحداهما فأمسك بغصن من أغصانها وقال لها، انقادي علي بإذن الله، فانقادت معه كالبعير الذي وضع في أنفه الخِشاش: (وهو عود يجعل في

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩) كتاب الجهاد، بَاب ما يُؤْمَرُ بِهِ من الْقِيَامِ علىٰ الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ.
(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٣٢) كتاب البيوع، بَابٌ في اجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ.

أنف البعير إذا كان صعبًا، ويشد فيه حبل ليذل وينقاد، وقد يتمانع لصعوبته، فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئًا)[١].

ثم أتىٰ الشجرة الثانية، فأمسك بغصن من أغصانها وأمرها بالانقياد، فانقادت له، حتىٰ إذا كان في نصف المسافة بينهما جمع بينهما فالتأمتا مظللتين عليه حتىٰ قضىٰ حاجته، فأسرع جابر يعدو حتىٰ لا يحس رسول الله ﷺ بمقامه، ثم حانت منه التفاتة، فإذا برسول الله ﷺ مقبلًا، والشجرتان قد افترقتا، حتىٰ قامت كل واحدة منهما علىٰ ساقها في مكانها الأول.

* الماء ينبع من بين أصابعه:

وأقبل رسول الله ﷺ علىٰ العسكر فطلب الوضوء، فلم يجد مع أحد قطرة ماء إلا رجلًا من الأنصار كان يبرِّد الماء لرسول الله ﷺ في سقاء له علىٰ أعواد من جريد، ولم يكن قد تبقىٰ معه سوىٰ قطرات يسيرة من الماء، فأتىٰ بها جابر رسول الله ﷺ، فقرأ عليها رسول الله ﷺ شيئًا، وغمز السقاء بيده، ثم أعطاه جابرًا، ونادىٰ بجفنة كبيرة فوضعت أمامه، فبسط يده في قعرها، وفرَّق بين أصابعه، وأمر جابرًا أن يسمِّي، ويصب عليه تلك القطرات، يقول جابر: فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارت الجفنة ودارت حتىٰ امتلأت.

وجاء الناس جميعًا فاستقوا حتىٰ رووا، ولم يبق بأحد حاجة للماء، فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة، وهي ملأىٰ.

* بركته تحل في الطعام:

وروىٰ جابر أيضًا أنهم كانوا يوم الخندق يحفرون، فعرضت لهم صخرة صلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول، فاشتكوا ذلك للنبي ﷺ، فنزل وبطنه

---

(١) شرح النووي (١٨/ ١٤٣).

معصوب بحجر من شدة الجوع، وكان القوم قد مرت عليهم ثلاثة أيام لم يأكلوا فيها شيئًا، فضرب النبي ﷺ الصخرة فصارت رملًا مفتتًا، واستأذن جابر رسول الله ﷺ إلىٰ بيته، فذهب إلىٰ امرأته، فشكا لها ما برسول الله من جوع، وطلب منها أن تعد شيئًا من طعام، وكان عندها شعير وعناق، وهي أنثىٰ الماعز، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، وأعدت العجين، ووُضع اللحم في القدر، ثم وضعت علىٰ النار، وعاد جابر إلىٰ رسول الله ﷺ، فدعاه وبعض أصحابه، فأمره رسول الله ﷺ أن لا ينزع القدر من علىٰ النار، ولا الخبز من التنور حتىٰ يأتي، ثم قال الرسول لأصحابه جميعًا من المهاجرين والأنصار: «**قوموا**»، فقاموا جميعًا، وأسرع جابر إلىٰ زوجته مرتاعًا، فقال لها: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار، وأقبل القوم ـ وكانوا في رواية ألفًا ـ فدخلوا وراح الرسول ﷺ يكسر لهم الخبز، ويجعل عليه اللحم، ثم يغطي القدر والتنور إذا أخذ منه، فلم يزل يفعل ذلك حتىٰ شبعوا، وبقيت بقية من الطعام، فقال النبي ﷺ لامرأة جابر: «**كُلي هذا وأهدي، فإن الناس قد أصابتهم مجاعة**».

* بيت المقدس أمام عينيه:

لما عاد النبي ﷺ من رحلة الإسراء والمعراج، دعا قريشًا فأخبرهم برحلته، فكذبوه واستهجنوا قوله، وطلبوا منه أن ينعت لهم بيت المقدس، وهم يعلمون أنه لم يزره قط، يريدون بذلك تعجيزه وتكذيبه، فراح يصفه لهم كما رآه، فسألوه عن أشياء لم يثبتها، فكرب كربًا شديدًا، فرفعه الله له ينظر إليه، فما سألوه عن شيء إلا أنبأهم به.

ومن ذلك (أنهم قالوا له: كم للمسجد من باب؟ قال: «**ولم أكن عددتها، فجعلت أنظر إليه، وأعدها بابًا بابًا، وأخبرتهم عن عيرات لهم في الطريق**

وعلامات، فوجدوا ذلك كما أخبرتهم»[١].

* حماية الله له في مكة:

أقسم أبو جهل لئن رأىٰ محمدًا ﷺ يسجد بين أظهرهم ليدوسن علىٰ رقبته، فأتىٰ رسولَ الله ﷺ وهو يصلي، وأراد أن ينفذ وعيده، والكفار ينظرون، إلا أنهم فوجئوا به ينكص علىٰ عقبيه، ويتقي بيديه، ويفرُّ مذعورًا، فضحكوا منه، وقالوا له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة، فقال النبي ﷺ: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**».

وقول الرسول ﷺ: «**لو دنا مني**» يشير إلىٰ حماية الله التامة لرسوله حتىٰ إن أبا جهل كان سيعاقب لمجرد الدنوِّ.

وقوله: «**لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**»: تشديد في النكال بأبي جهل لعظيم عداوته للنبي ﷺ وفداحة جرمه في التهديد بوطء عنق سيد الرسل، والمبالغة في إيذائه ﷺ.

* المدد الملائكي في بدر:

ألح الله علىٰ نبيه بالدعاء أن ينجز له وعده بالنصر في بدر، فأنزل الله قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فأمده الله بالملائكة الذين أعانوا المسلمين وثبتوهم وقاتلوا معهم.

وفر رجل من المشركين يومئذ، فتبعه مسلم أنصاري يريد قتله أو أسره، فبينما هو يشتد في أثره سمع صوت ضربة بالسوط في السماء، وفارس يقول: أقدم حيزوم، وحيزوم اسم فرسه، فإذا المشرك يخر صريعًا أمامه، فلما نظر إليه وجد أنفه ووجهه قد أصيب بما يشبه ضربة السوط، فاخضَّر

---

(١) الخصائص الكبرى (١/ ٢٩٦).

ذلك الموضع منه، أي: اسودَّ، فالخضرة تستعمل عند العرب بمعنىٰ السواد، فأسرع الصحابي إلىٰ رسول الله ﷺ يخبره بما سمع وما رأىٰ، فقال ﷺ: «**صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة**».

وعاد أبو سفيان بن الحارث من بدر بعد الهزيمة القاسية، فلقيه أبو لهب ـ وكان قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاص بن هشام مقابل دين كان له عليه ـ فاستقبل أبو لهب أبا سفيان مرحبًا قائلًا: هلم إليَّ يا بن أخي، ثم سأله: كيف كان أمر الناس؟ قال أبو سفيان: (لا شيء، فواللَّه إن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله، ما لمت الناس. قال: ولم؟ قال: رأيت رجالًا بيضًا علىٰ خيل بلق، لا واللَّه ما تليق شيئًا (أي لا تبقىٰ)، ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة، فقلت: واللَّه تلك الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي، وثاورته، فاحتملني، فضرب بي الأرض، حتىٰ برك علىٰ صدري، فقامت أم الفضل، فاحتجزت، ورفعت عمودًا من عمد الحجرة، فضربته به، ففلقت في رأسه شجة منكرة، وقالت: يا عدو الله، استضعفته أن رأيت سيده غائبًا عنه، فقام ذليلًا، فواللَّه ما عاش إلا سبع ليال حتىٰ ضربه الله بالعَدَسَة فقتلته)[1].

* يرى من وراء ظهره:

أمر النبي أصحابه بإتمام الركوع والسجود، أي حسن أدائهما علىٰ الوجه الأكمل، ومتابعة النبي فيهما، وعدم سبقه أو الانصراف عنه، وأقسم لهم أنه يراهم من خلف ظهره كما يراهم من أمامه.

قال المناوي في فيض القدير: (يعني بخلق حاسة باصرة فيه، وقد انخرقت له العادة بأعظم من ذلك، فلا مانع له من جهة العقل، وقد ورد به

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٤٠٣) (٣/ ٣٦٣)، والطبراني في الكبير (٩١٢) (١/ ٣٠٨).

الشرع، فوجب قبوله)[١].

*** تسليم الحجر عليه:**

كانت تلك إحدىٰ الإرهاصات التي سبقت البعثة، وفهم النبي ﷺ من خلالها أنه ليس إنسانًا عاديًا، وأن الله تعالى اختصه بكرامات خارقة تدل علىٰ العناية الإلهية بشخصه الكريم. قال النووي: (فيه معجزة له ﷺ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالىٰ في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤])[٢].

وقوله ﷺ: «**حجرًا**» بالتنكير، لإرادة التعيين والتعظيم، وفيه ما يدلُّ علىٰ تمايز الجمادات كما يتمايز البشر، وعبارة «**قبل أن أبعث**» يشير إلىٰ أن ذلك كان من إرهاصات النبوة.

(فإن قيل: ما حكمة إلقاء هذا الحديث بصورة التأكيد بإن والجملة الاسمية، وليس المقام مقام إنكار ـ قلنا: قد يكون عَلِمَ منهم الغفلة عن مثل هذا في ذلك الوقت، فأراد التنبيه عليه، بتنزيلهم منزلة الغافلين عنه، كما يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥]، ولم ينكر أحد الموت، ولكن لما غلبت الغفلة عنه حَسُنَ، أو بالنظر إلىٰ غيرهم؛ لأنه أمر مستغرب، فهو في مظنة الإنكار)[٣].

*** فهمه شكوى البهائم:**

دخل النبي ﷺ بستانًا لرجل من الأنصار، فوجد فيه جملًا، فلما رأىٰ

---

(١) فيض القدير (٢/ ٧٧).

(٢) شرح النووي (١٥/ ٣٦).

(٣) فيض القدير (٣/ ١٩).

الجملُ النبيَّ ﷺ حن إليه، وانهمرت دموعه، فاتجه النبي ﷺ إليه، فمسح مؤخر رأسه وما تحت أذنيه، فسكن، فسأل النبي ﷺ عن صاحب الجمل، فجاء فتىً من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله، فأمره النبي ﷺ أن يتقي الله في هذه البهيمة، وأخبره أن الجمل شكا إليه أن صاحبه يجيعه، ويشق عليه في العمل.

قال رسول الله ﷺ: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه**» والاستفهام للحثِّ والتحضيض.

وقوله: «**ملَّكك الله إياها**» تذكير بنعمة الله في تسخير هذه البهائم وتمليكها للإنسان.

أما قوله: «**فإنه شكا لي أنك تجيعه وتدئبه**»، فهو علىٰ سبيل الحقيقة لا المجاز، وهو من معجزات رسول الله ﷺ التي لها مثيلات كثيرة.

وقوله: «**تُدئبه**» مضارع (أدأب)، (والدُؤوب المبالغة في السير، وأدأب الرجل الدابة إدآبًا إذا أتعبها، والفعل اللازم: دَأَبَتْ الدابة تَدْأَبُ دؤوبًا)[1].

* كشف بعض الغيب له:

لم يكن النبي ﷺ يعلم الغيب علمًا مطلقًا، وقد نفىٰ ربه عنه ذلك فقال: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

لكن المولىٰ ﷻ كشف بعضًا من الغيب لنبيه في مواقف معينة لعلل ومقاصد شرعية. ومنها أنه ﷺ شهد جنازة ثم عاد منها، فاستقبله رسول امرأة المتوفَّىٰ يدعوه إلىٰ طعام، فأجاب النبي ﷺ ومعه بعض أصحابه، فلما وُضع

(١) العين للخليل بن أحمد (٨/ ٨٥).

الطعام بين أيديهم، لاك النبي لقمة في فمه، ثم قال: «**أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها**». فأرسل إلىٰ المرأة، فجاءت فأخبرته أنها أرسلت إلىٰ البقيع؛ لتشتري شاة فلم تجد، ثم سعت لشراء شاة من جارها فلم تجد، فأرسلت إلىٰ امرأته، فأرسلت إليها بها دون إذن زوجها. فأمسك النبي وأصحابه عن الطعام، وقال لها: «**أطعميه الأسارىٰ**» أي: الفقراء المساكين.

٧ـ خمس لم يعطهن نبي قبله:

* «أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي»:

ـ عن جَابِرِ بن عبد اللهِ أَنَّ النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لي الْمَغَانِمُ ولم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكان النبي يُبْعَثُ إلىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلىٰ الناس عَامَّةً**»[1].

وهذه خمس مُيِّز النبي ﷺ بها عن الناس، وعن الأنبياء من قبله:

أولها: أنه نصر بالرعب مسيرة شهر:

ومعناه أن الله يقذف في قلوب أعدائه الخوف قبل أن يأتيهم بمسافة شهر، فلا يستطيعون قتالًا ولا صمودًا، فيكون ذلك أكبر عون علىٰ النصر والفتح، (قال المهلب: قوله: «**نصرت بالرعب**» هو شيء خصَّه الله وفضَّله به، لم يؤته أحدًا غيره، ورأينا ذلك عيانًا، أخبرنا أبو محمد الأصيلي قال: افتتحنا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥) كتاب التيمم، ومسلم (٥٢١) كتاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، والنسائي في المجتبىٰ (٤٣٢) كتاب الغسل والتيمم باب التيمم بالصعيد، وفي إحلال الغنائم له. روىٰ ابن عمر أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «**جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**». أخرجه البخاري (٢/ ٣٣٦) كتاب الجهاد والسير، بَاب مَا قِيلَ في الرِّمَاحِ.

برشلونة مع ابن أبي عامر، ثم صح عندنا بعد ذلك عمن أتىٰ من القسطنطينية أنه لما اتصل بأهلها افتتاحنا برشلونة بلغ بهم الرعب إلىٰ أن غلَّقوا أبواب القسطنطينية ساعة بلوغهم الخبر بها نهارًا، وصاروا علىٰ صورها (أي نخيلها)، وهي علىٰ أكثر من شهرين)[١].

وقوله ﷺ: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**» مثَّل الرعب هنا جنديًّا من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو، وقيل إن التحديد بمسيرة الشهر؛ لأنه لم يكن بينه ﷺ وبين الممالك التي حوله أكثر من شهر.

وثانيها: أن الله قد جعل له الأرض كلها مسجدًا وطهورًا:

وتفسيره ورد في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «**وجعلت لي الأرض مساجد وطهورًا، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلي يعظمون ذلك؛ إنما كانوا يصلون في بيعهم وكنائسهم**»[٢].

وقوله ﷺ: «**وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» أي: أرضها مسجدًا، وترابها طهورًا، والمراد به التيمم، وفي كلمة الأرض مجاز مرسل عبّر فيه بالكل وأراد الجزء.

وثالثها: أحلّت له المغانم:

ولم تكن حلالًا للأمم السابقة، فقد كانوا إذا غنموا من أعدائهم أموالًا جمعوها في مكان، ثم أنزل الله من السماء نارًا فأحرقتها، فلا يستفيد منها المقاتلون.

والمغانم جمع مغنم أي غنيمة، (يقال: غنم القوم غنيمة يغنمونها غنمًا،

---

(١) شرح ابن بطال (٥/ ١٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٠٠) (١/ ٢٢٢)، وغيرهما.

والغُنم عند العرب ضد الغُرم، والأصل في الغنم الربح والفضل، وللغنيمة عند العرب أسماء شتىٰ منها: الخباسة، والهبالة، والغنامىٰ، والجدافاه. يقال: اختبست خباسة، واهتبلت هبالة، واغتنمت غنيمة)[1].

ويُفرَّق بين الغنيمة والفيء بأن الغنيمة ما أخذ من العدو بعد قتال، والفيء: ما رجع إلىٰ المسلمين من عدوهم من غير قتال.

ورابعها: أنه أعطي الشفاعة:

وليست هذه الشفاعة في خروج العصاة من النار، (فإن هذه الشفاعة يشارك فيها الأنبياء والمؤمنون أيضًا كما تواترت بذلك النصوص، وإنما الشفاعة التي يختص بها محمد ﷺ من دون الأنبياء أربعة أنواع:

أحدها: شفاعته للخلق في فصل القضاء.

والثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخول الجنة.

والثالث: شفاعته في أهل الكبائر من أهل النار، فقد قيل: إن هذه يختص هو بها.

والرابع: كثرة من يشفع له من أمته، فإنه وفَّر شفاعته وادخرها إلىٰ يوم القيامة.

وقد ورد التصريح بأن هذه الشفاعة هي المرادة في هذا الحديث، ففي الحديث الذي خرَّجه الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**أعطيت الليلة خمسًا ما أعطيهن نبيٌّ كان قبلي...**» فذكر الحديث، إلىٰ أن قال: «... **والخامسة: هي ما هي: قيل لي: سل؛ فإن كل نبي سأل، فأخرَّت مسألتي إلىٰ يوم القيامة، فهي لكم، ولمن شهد أن لا إله**

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (١/ ٢٨٠).

إلا الله»[(١)])[(٢)].

والشفاعة من الفعل شفع: (وشفع لي يشفع شفاعة، وتشفَّع: طلب، والشفيع: الشافع، والجمع: شفعاء، واستشفع بفلان علىٰ فلان، وتشفَّع له إليه فشفَّعه فيه)[(٣)].

والألف واللام (قد ترد للعهد، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٦]، وترد للعموم، نحو قوله ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم**»[(٤)]، وترد لتعريف الحقيقة كقولهم: الرجل خير من المرأة، والفرس خير من الحمار. إذا ثبت هذا، فنقول: الأقرب أنها في قوله ﷺ: «**وأعطيت الشفاعة**» للعهد، وهو ما بيَّنه ﷺ من شفاعته العظمىٰ)[(٥)].

وخامسها: أنه بعث للناس عامة:

وكان كل نبي قبله يبعث إلىٰ قومه خاصة، وتلك خصيصة لنبينا، ولرسالته العامة الشاملة التي خُتمت بها كافة الرسالات، وصار واجبًا علىٰ كل من سمع بها من الجن والإنس؛ يهودًا أو نصارىٰ أو مجوسًا أو وثنيين ـ أن يؤمنوا بها وينشروها في بقاع الأرض.

فالألف واللام في قوله: «**كان النبي**» هي للاستغراق بدليل قوله في رواية

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٢/ ٢١٥).

(٣) لسان العرب (٨/ ١٨٤).

(٤) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجة (٢٦٨٣)، وغيرهم.
وتمامه: «يسعىٰ بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد علىٰ من سواهم، يردُّ مُشِدّهم علىٰ مُضعفهم، ومتسريهم علىٰ قاعدهم، لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده».

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ١٥٥).

أخرىٰ: «**وكان كل نبي**»[١]، (واستشكل بآدم فإنه بعث لجميع بنيه، وكذا نوح بعد خروجه من السفينة، وأجيب بأجوبة أوضحها أن المراد بالبعثة إلىٰ الأصناف والأقوام وأهل الملل المختلفة، وآدم ونوح ليسا كذلك؛ لأن بني آدم لم يكونوا عند الإرسال إلا قومه)[٢].

وكلمة: «**عامة**» يجوز أن تكون نعتًا لمصدر محذوف، أي: بعثت بعثة عامة، أو حالًا منصوبة[٣].

٨ ـ أُعْطِيَ مفاتيح الأرض:

* «وإني أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ»:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّىٰ عَلَىٰ أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَىٰ حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**»[٤].

❁ ❁ ❁

ومعناها أن الله ﷻ فتح له ولأمته من بعده الفتوح، ومكَّن لها في الأرض، وجبىٰ إليها خيراتها، واستخرج لها مكنوناتها، فصارت مفاتيح خزائنها بيدها، وأصبحت أغنىٰ أمم الأرض.

وقوله ﷺ: «**وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض**» كناية عن فتح البلاد

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢١)، والبيهقي في الكبرىٰ (٣٦١٢).

(٢) فيض القدير (١/ ٥٦٨).

(٣) انظر المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٤٤) كتاب الجنائز، بَاب الصَّلَاةِ عَلَىٰ الشَّهِيدِ، ومسلم (٢٢٦٩) كتاب الفضائل، باب إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ.

وامتلاكها والتحكم في خيراتها.

وخزائن جمع خِزانة، وهي الموضع الذي يخزن فيه.

٩ ـ إحلال مكة له ساعة من نهار:

* «أَلاَ وَإنها حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نهارٍ»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْح مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَخَطَبَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ أَوْ الْفِيلَ**» قَالَ أَبُو عَبْد اللهِ: كَذَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ، وَاجْعَلُوهُ عَلَىٰ الشَّكِّ الْفِيلَ أَوْ الْقَتْلَ، وَغَيْرُهُ يَقُولُ الْفِيلَ، «**وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَلَا وَإنها لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلَا وَإنها حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نهارٍ، أَلَا وَإنها سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ لا يُخْتَلَىٰ شَوْكُهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، فَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ، وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ**» فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**اكْتُبُوا لِأَبِي فُلَانٍ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: إِلَّا الْإِذْخِرَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِلَّا الْإِذْخِرَ، إِلَّا الْإِذْخِرَ**» قَالَ أَبُو عَبْد اللهِ: يُقَالُ: يُقَادُ بِالْقَافِ، فَقِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: أَيُّ شَيْءٍ كَتَبَ لَهُ؟ قَالَ: كَتَبَ لَهُ هَذِهِ الْخُطْبَةَ[1].

* * *

لم تحل مكة ـ منذ أن حرمها الله يوم خلق السماوات والأرض ـ لأحد سوىٰ لمحمد ﷺ، وإنما حلت له ساعة واحدة من نهار حين دخلها، ففَتَحَتْ له أبوابها، وسلمت له نفسها، لتدول دولة الشرك فيها للأبد، وترتفع راية التوحيد،

(١) أخرجه البخاري (١١٢) كتاب العلم، باب كتابة العلم، ومسلم (١٣٥٥) كتاب الحج، باب تحريم مكة.

ثم عادت مكة بعد هذه الساعة حرامًا إلىٰ الأبد، لا يجزُّ شوكها، ولا يقطع شجرها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرِّف يُظهر أمرها، فمن قُتل له فيها قتيل فهو مخير بين قبول الدية وبين القصاص، واستثنىٰ رسول الله ﷺ من النبات الذي لا يجوز قطعه في مكة الإذخر، وهو حشيشة معروفة طيبة الريح توجد بالحجاز، يستخدمه أهل مكة لقبورهم وبيوتهم وصاغتهم.

قال رسول الله ﷺ: «**وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلىٰ شوكها، ولا يعضد شجرها**».

وقوله: «**لا يختلىٰ**» أي: (لا يجزُّ ولا يقطع، قال الجوهري: تقول: خليت الخلا واختليته، أي: جزته وقطعته فاختلىٰ، والمخلِّي: ما يجتز به الخلا، والمخلاة: ما يجعل فيه الخلاء)[1].

أمّا (يُعْضَدُ) فهو المبني للمجهول من يَعْضِدُ، وماضيه عَضَدَ، تقول: (عضدت الشجرة أَعْضِدُها عضدًا، إذا قطعت أغصانها، والذي يقطع به: مِعْضَد، وكل ما قطعته منها فهو عَضَدٌ وعَضيد ومَعضود)[2].

١٠ـ تعظيم اليمين عند منبره ﷺ:

*** «لا يَحْلِفُ أَحَدٌ عِنْدَ مِنْبَرِي هَذَا، عَلَى يَمِينٍ آثِمَةٍ»:**

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَحْلِفُ أَحَدٌ عِنْدَ مِنْبَرِي هَذَا، عَلَىٰ يَمِينٍ آثِمَةٍ، وَلَوْ عَلَىٰ سِوَاكٍ أَخْضَرَ، إِلَّا تَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ـ أَوْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ**»[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) عمدة القاري (٢/ ١٦٤).

(٢) جمهرة اللغة (٢/ ٦٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٤٦) كتاب الأيمان والنذور، بابُ مَا جَاءَ في تَعْظِيمِ الْيَمِينِ عِنْدَ مِنْبَرِ النَّبِيِّ، وابن ماجة (٢٣٢٥) كتاب الأحكام، بَابُ الْيَمِينِ عِنْدَ مَقَاطِعِ الْحُقُوقِ.

اليمين الغموس تودي بصاحبها في النار، ولكنها تكون أشد إثمًا، وأعظم فحشًا إذا وقعت عند منبر رسول الله ﷺ، كما جاء في الحديث، (قال ابن الملك: قيَّد الحلف بكونه عند المنبر تغليظًا لشأن اليمين وتعظيمه وشرفه، وإلا فاليمين الآثمة موجبة للسخط حيث وقعت، لكن في الموضع الشريف أكثر إثمًا)(١).

(قال الشوكاني: وقد استُدل به علىٰ جواز التغليظ علىٰ الحالف بمكان معين كالحرم والمسجد ومنبره ﷺ، وبالزمان كبعد العصر ويوم الجمعة، ونحو ذلك)(٢).

وقوله ﷺ: «**عند منبري هذا**» شاهد علىٰ أن تعظيم الإثم مردّه إلىٰ قدسية المكان.

وقوله: «**علىٰ يمين آثمة**» تسمية لليمين بوصف صاحبها، أي: ذات إثم.

وقوله: «**ولو علىٰ سواك أخضر**» المراد به التحقير لتفاهة المحلوف عليه.

وقوله: «**إلا تبوأ مقعده من النار، أو وجبت له النار**» (شك من الراوي، أو للتنويع بأن يكون الأول وعيدًا للفاجر، والثاني للكافر)(٣).

١١ـ تنام عيناه ولا ينام قلبه:

*** «إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»:**

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ في رَمَضَانَ؟ فَقَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزِيدُ في رَمَضَانَ وَلَا في غَيْرِهِ عَلَىٰ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ

---

(١) مرقاة المفاتيح (٧/ ٣١٣).

(٢) عون المعبود (٩/ ٥٣).

(٣) مرقاة المفاتيح (٧/ ٣١٣).

حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**»[١].

❁ ❁ ❁

القلب النبوي الكبير لا يشبه قلوب البشر، إنه قلب طهَّره الله وزكَّاه، وملأه حكمة وعلمًا، ورحمةً وعدلًا.

لذلك تنام عيناه ولا ينام قلبه، وكيف ينام قلب تحمَّل هموم الناس، ونغَّصه إعراض الجاحدين، وساءه مكر الكافرين، وأقلقه كيد المنافقين.

يروي أنس بن مالك: (ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحىٰ إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيُّهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتىٰ أتوه ليلة أخرىٰ، فيما يرىٰ قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتىٰ احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلىٰ لبته حتىٰ فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، فحشا به صدره ولغاديده ـ يعني عروق حلقه ـ ثم أطبقه، ثم عرج به إلىٰ السماء الدنيا)[٢].

كانت السيدة عائشة تتحدث عن صلاة الرسول ﷺ في رمضان، فذكرت

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٧) كتاب التهجد، باب قيام النبي في رمضان وغيره، ومسلم (٧٣٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب باب صَلاَةِ اللَّيْلِ وَعَدَدِ رَكَعَاتِ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي اللَّيْلِ، وأبو داود (١٣٤١) كتاب الصلاة، باب في صلاة الليل، والترمذي (٤٣٩) كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ، والنسائي في المجتبىٰ (١٦٩٧) كتاب المساجد، باب كيف الوتر بثلاث.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٦٢)، وغيرهما.

أنه لم يكن يزيد في رمضان ولا في غيره علىٰ إحدىٰ عشرة ركعة يصلي أربعًا، ثم أربعًا، ثم ثلاثًا، ثم ينام، فسألته: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ قال: «**إن عينيَّ تنامان، ولا ينام قلبي**»، قيل: (لأن النوم آفة، ولو حلت الآفة قلبه لجاز أن تحله سائر الآفات، من نسيان وحي، وتوهم فيه، وغفلة عنه، وسآمة منه، وفزع يمنعه عن واجب)[1].

وقوله: «إن عينيَّ تنامان» في كلمة: «**عينيَّ**» مجاز مرسل عبر فيه بالجزء وأراد الكل.

وفي قوله: «**ولا ينام قلبي**» كناية عن الوعي التام بما يبدر منه، وما يدور حوله رغم سكون جسده الظاهر.

وهذه الخصيصة يشترك فيها كل الأنبياء، قال الزرقاني في تعليل ذلك: (لأن القلب إذا قويت حياته لا ينام إذا نام البدن، ولا يكون ذلك إلا للأنبياء، كما قال ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا**»[2]، ولذا قال ابن عباس وغيره من العلماء: رؤيا الأنبياء وحي، ولو سُلِّط النوم علىٰ قلوبهم كانت رؤياهم كرؤيا من سواهم، ولذا كان ينام حتىٰ ينفخ، ويُسمع غطيطه، ثم يصلي ولا يتوضأ؛ لأن الوضوء إنما يجب بغلبة النوم علىٰ القلب لا علىٰ العين)[3].

١٢ـ يناجي من لا نناجي، ويرى ما لا نرى:

* «كُلْ، فَإِنِي أُنَاجِي مَنْ لاَ تُنَاجِي»:

ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا**

---

(١) بحر الفوائد المسمىٰ بمعاني الأخبار (١/ ٣٠١).

(٢) طبقات ابن سعد (١/ ١٧١)، وعند البخاري (٣٥٧٠) عن أنس: «... وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم».

(٣) شرح الزرقاني (١/ ٣٥٢).

فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ»، وَإِنَّهُ أُتِيَ بِبَدْرٍ، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يَعْنِي طَبَقًا، فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ عَنْهَا فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ، فَقَالَ: «**قَرِّبُوهَا**»، فَقَرَّبُوهَا إِلَىٰ بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا، قَالَ: «**كُلْ، فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي**»[(١)].

- عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «**مَنِ الْمُتَكَلِّمُ**» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**»[(٢)].

- عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، أُتِيَ بِدَابَّةٍ وَهُوَ مَعَ الْجَنَازَةِ فَأَبَىٰ أَنْ يَرْكَبَهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ أُتِيَ بِدَابَّةٍ فَرَكِبَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَمْشِي، فَلَمْ أَكُنْ لِأَرْكَبَ وَهُمْ يَمْشُونَ، فَلَمَّا ذَهَبُوا رَكِبْتُ**»[(٣)].

- عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ كان يَحْمِلُ مع النبي ﷺ إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هو يَتْبَعُهُ بها، فقال: «**من هذا؟**» فقال: أنا أبو هُرَيْرَةَ، فقال: «**ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بها، ولا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ ولا بِرَوْثَةٍ**» فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا في طَرَفِ ثَوْبِي حتىٰ وضعت إلىٰ جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، حتىٰ إذا فَرَغَ مَشَيْتُ، فقلت: ما بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قال: «**هُمَا من طَعَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٩) كتاب الاعتصام بالسنة، باب الأحكام تعرف بالدلائل، ومسلم (٥٦٤) كتاب الصلاة، بَاب نَهْيِ من أَكَلَ ثُومًا أو بَصَلًا أو كُرَّاثًا أو نحوهما، وأبو داود (٣٨٢٢) كتاب الأطعمة، بَابٌ في أَكْلِ الثُّوم.

(٢) أخرجه البخاري عن رافع بن رفاعة (٧٩٩) كتاب صفة الصلاة، بَاب فَضْلِ اللهم رَبَّنَا ولك الْحَمْدُ، ومسلم (٦٠٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب ما يُقَالُ بين تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ وَالْقِرَاءَةِ، وأبو داود (٧٦٣) كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُسْتَفْتَحُ بِهِ الصَّلَاةُ مِنَ الدُّعَاءِ، والنسائي في المجتبىٰ (٩٠١) كتاب الافتتاح، نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الذِّكْرِ بَعْدَ التَّكْبِيرِ، كلهم عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٧٧) كتاب الجنائز، بَابُ الرُّكُوبِ في الْجَنَازَةِ.

نَصِيبِينَ، وَنِعْمَ الْجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللهَ لهم أَنْ لا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ ولا بِرَوْثَةٍ إلا وَجَدُوا عليها طَعَامًا»(١).

ـ عن أَنَسِ بن مَالِكٍ عن رسول الله ﷺ قال: «رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ، فوالذي نَفْسِي بيده إني لأَرَىٰ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ من خَلَلِ الصَّفِّ كَأنها الْحَذَفُ»(٢).

ـ عن حُذَيْفَةَ قال: كنا إذا حَضَرْنَا مع النبي ﷺ طَعَامًا لم نَضَعْ أَيْدِيَنَا حتىٰ يَبْدَأَ رسول اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا معه مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، كَأنها تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا في الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رسول اللهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جاء أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بيده، فقال رسول اللهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عليه، وَإِنَّهُ جاء بهذهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بها، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بهذا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بيده، وَالَّذِي نَفْسِي بيده إِنَّ يَدَهُ في يَدِي مع يَدِهَا»(٣).

❁ ❁ ❁

كان رسول الله ﷺ لا يأكل الثوم والبصل والكرات، لا لأنها حرام، ولكن لأن جبريل كان يأتيه، والملائكة تتأذىٰ من الروائح الكريهة كما يتأذىٰ منها بنو آدم.

وقد ورد في قصة نزول الرسول ﷺ علىٰ أبي أيوب أنه كان يصنع للنبي ﷺ طعامًا، فإذا جيء به إليه بعد أن يأكل منه الرسول ﷺ سأل عن موضع

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦٠) كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن.

(٢) أخرجه أبو داود (٦٦٧) كتاب الصلاة، تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الصُّفُوفِ، بَاب تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، والنسائي في المجتبىٰ (٨١٥) كتاب الإمامة، حث الإمام علىٰ رص الصفوف والمقاربة بينها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠١٧) كتاب الأشربة، باب آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا.

أصابع النبي، فأكل منه، فأعيد إليه الطعام مرةً كما هو لم يأكل منه رسول الله ﷺ، ففزع أبو أيوب، ثم علم أنه ﷺ لم يأكل منه لأن فيه ثومًا، فسأله: أحرام هو؟ قال: «**لا، ولكني أكرهه من أجل ريحه**»، قال: فإني أكره ما كرهت[١].

وصلىٰ رجل خلف رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، فقال الرجل: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فرأىٰ النبي ﷺ بضعة وثلاثين ملكًا يتسابقون إليها أيهم يكتبها قبل الآخر.

والمقصود بالكتابة هو قول القائل: «**ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه**».

وقد قيل في مناسبة هذا العدد (بضعة وثلاثين): (أن هذه الكلمات المقولة تبلغ حروفها بضعًا وثلاثين حرفًا، فكأن الملائكة ازدحموا علىٰ كتابتها، ورضُوا بأن يكتب كل واحد منهم حرفًا منها، وفي هذا نظر؛ فإنه ليس في الحديث ما يدل علىٰ أنهم توزعوا كتابتها)[٢].

وقوله ﷺ: «**يبتدرونها أيهم يكتبها أول**» دليل علىٰ عظيم ثوابها ورفعة درجة صاحبها.

وقوله: «**أوَّلَ**» روي علىٰ وجهين (بضم اللام وفتحها، فالضم علىٰ أنه صفة لأيّ، وقد سبق نحوه في قول النبي ﷺ لأبي هريرة: «**لقد ظننت أن لا يسألني أحد أولُ منك**»[٣])[٤].

والفتح علىٰ أنها حال صاحبها الضمير المستتر في يكتبها.

ويرجح العيني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في شرحه لسنن أبي داود أن «**أوَّلُ**» ظرف مبني

---

(١) صحيح مسلم (٢٠٥٣)، والترمذي (١٨٠٧)، وغيرهما.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٧/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩)، (٦٥٧٠)، والنسائي في الكبرى (٥٨٤٢)، وغيرهما.

(٤) فتح الباري لابن رجب (٧/ ٢٠١).

لانقطاعه عن الإضافة يقول: (قوله: «**أولُ**» بالضم من الظروف كما تقول: أبدأ بهذا الفعل أول شيء، ثم تحذف المضاف إليه، ويبنىٰ أول علىٰ الضم)(١).

و أُتِيَ النبي ﷺ وهو في جنازة بدابة ليركبها فأبىٰ، ثم أُتِيَ بها إليه وهو منصرف منها فركب، فلما سئل عن ذلك قال: «**إن الملائكة كانت تمشي، فلم أكن لأركب وهم يمشون، فلما ذهبوا ركبت**».

وأتاه وفد جن نصيبين، وهم الذين ورد ذكرهم في سورة الأحقاف في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وفصَّل الله ﷻ قصتهم في سورة الجن، فلما آمنوا أرسلهم رسول الله ﷺ رسلًا إلىٰ قومهم، وكانوا قد سألوا رسول الله ﷺ الزاد، فدعا الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعامًا، ولذلك نهىٰ رسول الله ﷺ عن الاستجمار بالعظم والروثة.

وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه أن يرصوا صفوفهم، ويقاربوا بينها، ويحاذوا بالأعناق أي بالأكتاف حتىٰ لا يدعوا فرجة للشيطان يدخل من خلالها، فقد كان ﷺ يرىٰ الشيطان يدخل من بين خلل الصفوف كأنه غنم سود صغار.

قال ﷺ: «**إني لأرىٰ الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحَذَف**».

و(الحذف) جمع مفرده (حذفة)، وهي غنم سود صغار أكثر ما تكون باليمن، (وقيل: هي صغار جرد ليس لها آذان ولا أذناب، يجاء بها من جُرَش اليمن، وقيل: هي غنم صغار حجازية)(٢).

وهو تشبيه بديع شبَّه فيه رسول الله ﷺ الشياطين بالغنم، وهي تحاول اختراق الصفوف، فتتصاغر كالحذف، وهذا أدعىٰ للحذر، والاهتمام بضم الصفوف وسد الفرج، واختار الغنم السود، لأن السواد أليق بالشياطين،

---

(١) شرح أبي داود للعيني (٣/ ٣٧٨، ٣٧٩).

(٢) السابق (٣/ ٢١٨).

وأنَّث في قوله: «كأنها» باعتبار الجمع، أو باعتبار الخبر.

ووُضع طعام بين يدي رسول الله ﷺ وأصحابه، ولم يكن أحد منهم يضع يده قبل أن يضع رسول الله ﷺ يده، فجاءت فتاة صغيرة مسرعة كأنها مدفوعة لتضع يدها في الطعام، فأخذ الرسول ﷺ بيدها، ومنعها، ثم جاء أعرابي مندفعًا فأراد وضع يده في الطعام دون أن يسمي، فأخذ الرسول بيده ومنعه. ثم أخبر الرسول أصحابه أن الشيطان يستحل الطعام بعدم ذكر اسم الله عليه، وأنه دفع بهذه الجارية ليستحل بها الطعام، فأدركها رسول الله وأخذ بيدها، فعاد وجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، وأقسم رسول الله ﷺ أن يد الشيطان كانت في يده مع يد الصغيرة.

١٣ـ له خمسة أسماء:

* «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً**»:

عن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ**»[(١)].

* * *

اختُص رسول الله ﷺ بعديد من الأسماء، أشهرها خمسة: قال: «**أنا محمد**» (قدّمه؛ لأنه أشرفها، «**وأنا أحمد**» أي: أحمد الحامدين لربه، (فأمّا محمد، فمن باب التفعيل للمبالغة، وأمّا أحمد فمن باب التفضيل، وقيل: سُمّي أحمد؛ لأنه علم منقول من صفة، وهي أفعل التفضيل، ومعناه: أحمد

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٦) كتاب التفسير، باب ﴿يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾، ومسلم (٢٣٥٤) كتاب الفضائل، بَاب في أَسْمَائِهِ ﷺ، والترمذي (٢٨٤٠) كتاب أبواب الأدب، بَابُ مَا جَاءَ في أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ.

الحامدين)[١].

«وأنا الحاشر» أي: ذو الحشر، «الذي يحشر الناس علىٰ قدمي» بخفة الياء علىٰ الإفراد،، وبشدِّها علىٰ التثنية: أي علىٰ أثر نوبتي، أي: زمنها، أي ليس بعده نبيٌّ، وهو (من الإسناد المجازي؛ لأنه سبب في حشر الناس، لأن الناس لم يحشروا ما لم يحشر)[٢].

«وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر» أي: يزيل أهله من جزيرة العرب، أو من أكثر البلاد، و(قد يراد المحو العام بمعنىٰ: ظهور الحجة والغلبة، ليظهره علىٰ الدين كله)[٣].

«وأنا العاقب» زاده مسلم: (الذي ليس بعده أحد)[٤]. أو (الذي يخلف في الخير من كان قبله، ومنه يقال عَقِبُ الرجل لولده)[٥].

١٤ـ التسمي باسمه، وعدم التكني بكنيته:

* «سَمُّوا باسْمِي وَلاَ تَكَنَّوْا بكُنْيَتِي»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ في السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا القَاسِمِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَمُّوا بِاسْمِي وَلاَ تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي»[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) تحفة الأحوذي (٨/ ١٠٥).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

(٣) فيض القدير (٢/ ٥١٨).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٦٩٥).

(٥) مرقاة المفاتيح (١٠/ ٤٥٧).

(٦) أخرجه البخاري (٢١٢٠) كتاب البيوع، بَاب ما ذُكِرَ في الْأَسْوَاقِ، ومسلم (٢١٣١) كتاب الآداب، بَاب النَّهْيِ عن التَّكَنِّي بِأَبِي الْقَاسِمِ، وَبَيَانِ ما يُسْتَحَبُّ من الْأَسْمَاءِ، وابن ماجة (٣٧٣٧) كتاب الأدب، بَاب الْجَمْعِ بين اسْمِ النبي ﷺ وَكُنْيَتِهِ.

فمن خصائصه ﷺ جواز التسمي باسمه، وعدم جواز التكني بكنيته، وذلك مرتبط على الراجح بحياته ﷺ، (وإنما نهى عن الكنية في حياته، ولم ينه عن الاسم؛ لأنه لم يكن يقع الاشتباه بالاسم؛ لأن الله ﷻ نهى أن يُدعى رسول الله ﷺ باسمه، فيقال: يا محمد، قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فكان المسلمون لا يسمونه باسمه داعيًا، فإذا سمع من ينادي: يا محمد، يعلم ﷺ أن المدعو غيره، فلا يلتفت ولا يجيب؛ لعلمه بأنه ليس المدعو، ولم يرد النهي عن الكنية، فكان يجوز أن يقال: يا أبا القاسم، فإذا سمع من ينادي: يا أبا القاسم التفت، ولم يكن هو المدعو، فيكون فيه أذاه؛ لأنه ﷺ كان لا يلتفت إذا مشى، فإذا التفت لا لمعنى كان في ذلك أذاه، وليس للمؤمنين أن يؤذوه، فعلى هذا يجوز التكني بأبي القاسم بعده)[1].

وقوله: «ولا تَكَنَّوْا بكنيتي» يُحتمل فيه وجهان:

الأول: أن يضبط «تَكَنَّوْا» فيكون مضارعًا محذوف التاء تخفيفًا، وأصله تتكنَّوْا، وهو كثير مألوف، وماضيه الخماسي: تَكَنّى؛ أي لا تتكنّوا أنتم.

والثاني: أن يضبط «تُكَنُّوا» فيكون مضارعًا من الماضي الرباعي: كنَّى؛ أي: لا تُكَنُّوا أولادكم.

❁ ❁ ❁

١٥ـ الشيطان لا يتمثل به:

* «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَخَيَّلُ بِي»:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ

---

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار (١/ ٣٦٩).

الشَّيْطَانَ لاَ يَتَخَيَّلُ بِي، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[(١)].

❁ ❁ ❁

هذه من أجلىٰ خصوصيات النبي في حياته، وبعد وفاته، فمن رآه في المنام، فقد رآه حقًّا؛ لأن الشيطان لا يتصور في صورته، (لئلَّا يتدرع بالكذب علىٰ لسانه في النوم، وكما خرق الله تعالىٰ العادة للأنبياء بالمعجزة دليلًا علىٰ صحة حالهم، وكما استحال أن يتصور الشيطان في صورته في اليقظة، إذ لو وقع لاشتبه الحق بالباطل، ولم يوثق بما جاء في جهة النبوة مخالفة من هذا التصور، فحماها الله من الشيطان ونزغه ووسوسته وإلقائه وكيده علىٰ الأنبياء، وكذلك حمىٰ رؤياهم أنفسهم، ورؤيا غير النبي للنبي عن تمثل الشيطان بذلك؛ لتصح رؤياه في الوجهين، ويكون طريقًا إلىٰ علم صحيح لا ريب فيه)[(٢)].

وقوله: «**يتخيل**» أي: يتمثل أو يتصور، ومادته الأصلية: خيل، جاء في لسان العرب: (خَالَ الشيءَ يَخالُ خَيْلا وخِيلَةً وخَيْلَةً وخَالًا وخِيَلًا وخَيَلَانًا ومَخَالَةً ومَخِيلَةً وخَيْلُولَةً ـ ظنَّهُ، وفي المثل: من يسمع يخل أي يظن)[(٣)].

ثم قال: (وتخيّل الشيءَ له: تشبّه وتخيّل له أنه كذا: أي تشبّه وتخايل، يقال: تخيّلته فتخيّل لي، كما تقول تصوّرته فتصوّر، وتبينتُه فتبيّن، وتحققته فتحقّق، والخيال والخيالة ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة)[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٤) كتاب التعبير، بَاب من رَأَىٰ النبي ﷺ في الْمَنَام، ومسلم (٢٢٦٦) كتاب الرؤيا، بَاب قَوْلِ النبي ﷺ من رَآنِي في الْمَنَام فَقَدْ رَآنِي، والترمذي (٢٢٧٦) كتاب الرؤيا، بَابُ مَا جَاءَ في قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ رَآنِي في المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي»، وابن ماجة (٣٩٠٠) كتاب تعبير الرؤيا، بَابُ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ في الْمَنَامِ.

(٢) الديباج علىٰ مسلم (٥/ ٢٨٦).

(٣) لسان العرب (١١/ ٢٢٦).

(٤) السابق (١١/ ٢٣٠).

فالتخيل هو التمثل أو التشبه، وقد وردت روايات للحديث بكلا اللفظين: «**يتمثل بي**»[(١)]، و«**يتشبه بي**»[(٢)].

١٦ـ سيد ولد آدم

* «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**»:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[(٣)].

❁ ❁ ❁

مع أن الرسول ﷺ سيد الناس في الدنيا والآخرة بلا شك، إلا أنه ﷺ قيَّد قوله: «**أنا سيد ولد آدم**» بقوله: «**يوم القيامة**»، وسبب التقييد (أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد، ولا يبقىٰ منازع ولا معاند ونحوه، بخلاف الدنيا، فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك، أو من يضاف إليه مجازًا، فانقطع كل ذلك في الآخرة.

قال العلماء: وقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**» لم يقله فخرًا، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» وإنما قاله لوجهين:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٦٦)، والترمذي (٢٢٧٦)، وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٦٨)، وابن حبان (٦٠٥٢)، وغيرهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل، بَاب تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا علىٰ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، وأبو داود (٤٦٧٣) كتاب السنة، بَاب في التَّخْيِيرِ بين الْأَنْبِيَاءِ عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، والترمذي (٣٦١٥) كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، وابن ماجة (٤٣٠٨) كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، كلاهما عن أبي سعيد رضي الله عنه.

أحدهما: امتثال قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلىٰ أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه، ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته، كما أمرهم الله تعالىٰ)[١].

فهو ﷺ يوم الحشر أول من ينشق عنه القبر، فلا يجد أحدًا سوىٰ موسىٰ ممسكًا بقوائم العرش، فلا يدري هل أفاق قبله، أو أنه جوزي بصعقة الطور؟.

وهو ﷺ يوم العرض أول من يشفع في الناس وفي أمته، وأول من تقبل شفاعته من رب العزة جَلَّ وَعَلَا.

والسيد هو (الذي فاق غيره بالعقل والمال، والدفع والنفع، المعطي ماله في حقوقه، المعين بنفسه، فذلك السيد، وقال عكرمة: السيد الذي لا يغلبه غضبه، وقال قتادة: هو العابد الورع الحليم، وقال أبو خيرة: سُمّي سيدًا لأنه يسود سواد الناس أي عظمهم)[٢].

وكلها صفات تمتع بها، وبأكرمَ منها سيد الخلق محمد ﷺ.

❁ ❁ ❁

١٧ـ اصطفاء الله له:

* «وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»:

عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[٣].

---

(١) شرح النووي (١٥/ ٣٧).

(٢) لسان العرب (٣/ ٢٢٨، ٢٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) كِتَاب الْفَضَائِلِ، بَاب فَضْلِ نَسَبِ النبي ﷺ وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عليه قبل النُّبُوَّةِ، والترمذي (٣٦٠٦) كتاب المناقب، في فضل النبي ﷺ.

لقد اصطفىٰ الله هذا النبي الكريم من خير سلالات البشر أجمعين، فهو خيار من خيار، اصطفىٰ الله ولد إسماعيل من ولد إبراهيم، واصطفىٰ من ولد إسماعيل كنانة، واصطفىٰ من كنانة قريشًا، واصطفىٰ من قريش بني هاشم، واصطفىٰ محمدًا ﷺ من بني هاشم.

واصطفىٰ، أي: (اختار وانتخب ورفع وفضّل)[1]، ومادته (صفو)، (وصفا صفوًا من باب قعد، إذا خلص من الكدر، فهو صاف، وصفّيْته من القذىٰ تصفية: أزلته عنه)[2].

ولأن الزيادة في المبنىٰ زيادة في المعنىٰ، فالاصطفاء زيادة في الانتقاء والاستخلاص ورفع الدرجة.

ثم إن اصطفاء النبي ﷺ مر بمراحل من الفرز والتمييز والتجنيب منذ اصطفاء كنانة من ولد إسماعيل، ثم قريش من كنانة، ثم بني هاشم من قريش، ثم محمد ﷺ من بني هاشم، فكأنه الخلاصة الخالية من كل شائبة، والمعدن المصفىٰ من كل دخيل.

١٨ ـ بُعِثَ من خير القرون

* «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّىٰ كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ»**[3].

❁ ❁ ❁

قال ﷺ: **«خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»**[4].

---

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (١/ ٢٩٦).
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٣٤٣).
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٥٧) كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ.
(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، وغيرهما.

والقرن هو أهل كل زمان، وهو مقدار متوسط أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، أي المقدار الذي يقترن فيه أهل زمان في أعمارهم وأحوالهم، ويقدر الآن بمائة سنة.

وقد بعث رسول الله ﷺ في خير القرون قاطبة منذ خلق الله آدم إلىٰ مبعث رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: «**بعثت من خير قرون بني آدم، قرنًا فقرنًا**».

وقوله: «**قرنًا فقرنًا**» الفاء فيه للترتيب، وهو حال كما قيل للتفضيل، وهي مؤولة بالمشتق، أي: قرنًا فقرنًا متفاضلين أو مترتبين.

والحال الجامدة تؤول بالمشتقة في ثلاث أحوال:

(**إحداها**: أن تدل علىٰ تشبيه نحو: كرّ زيد أسدًا، وبدت الجارية قمرًا، وتثنت غصنًا؛ أي: شجاعًا ومضيئةً ومعتدلةً. وقالوا: وقع المصطرعان عدلي عير، أي: مصطحبين اصطحاب عدلي حمار حين سقوطهما.

الثانية: أن تدل علىٰ مفاعلة نحو: بعته يدًا بيدٍ، أي متقايضين، وكلمته فاهُ إلىٰ في، أي: متشافهين.

الثالثة: أن تدل علىٰ ترتيب كـ: ادخلوا رجلًا رجلًا، أي: مترتبين)(١).

وقول الرسول ﷺ: «**قرنًا فقرنًا**» من النوع الثالث.

١٩ ـ لا نبي بعده:

*** «وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»:**

عن أَبِي حَازِمٍ قَالَ: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ**

---

(١) أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك (٢/ ٢٩٩).

نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»[١].

❁ ❁ ❁

ومن خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها أحد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين أجمعين، فلا نبي ولا رسول بعده، ومن زعم أنه نبي أو رسول بعده فهو دجال كذاب.

وقد صُرح بذلك في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وأخبر الرسول أنه سيأتي من بعده كذابون يدعون النبوة، وأن هذا سوف يكون من علامات الساعة، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يقتتل فئتان، فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتىٰ يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله**»[٢].

و«**هلك**» في قوله ﷺ: «**كلما هلك نبي خلفه نبي**». تعني: مات، و(الهاء واللام والكاف يدل علىٰ كسر وسقوط، منه: الهلاك: السقوط، ولذلك يقال للميت: هلك)[٣].

وكثيرًا ما تستخدم في القرآن للتعبير عن إيقاع العقاب بالأقوام المذنبين؛ لما يحتويه معناها من شدة وسقوط، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥) كتاب الأنبياء، بَاب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ومسلم (١٨٤٢) كتاب الإمارة، بَاب وُجُوبِ الْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، وابن ماجة (٢٨٧١) كتاب الجهاد، باب الوفاء بالبيعة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (١٥٧)، وغيرهما.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٦/ ٦٢).

وقوله: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٥١]، ومع ذلك ورد التعبير بالهلاك في مواضع أخرىٰ غير هذه، منها قوله في حق يوسف عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

ولعل استخدام (هلك) هنا راجع إلىٰ كون يوسف عُمِّر طويلًا، واللَّه أعلم.

٢٠ـ اتخاذه خاتمًا عليه نقش اسمه

* «إني اتَّخَذْتُ خاتَمًا مِنْ وَرِقٍ»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، وَقَالَ: «**إني اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ، وَنَقَشْتُ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَلَا يَنْقُشَنَّ أَحَدٌ عَلَىٰ نَقْشِهِ**»[1].

❁ ❁ ❁

اتخذ الرسول خاتمًا من فضة، وجعل نقشه (محمد رسول الله) وعرَّف أصحابه ذلك، ونهاهم أن ينقشوا مثل نقشه، ولقد ظل هذا الخاتم في يد رسول الله ﷺ حتىٰ توفاه الله، فلبسه أبو بكر رضي الله عنه، ثم مات أبو بكر فلبسه عمر، ومات عمر فلبسه عثمان، وظل مع عثمان حتىٰ سقط منه في بئر أريس.

وقوله: «**فلا ينقشن أحد علىٰ نقشه**»: نهي فعله مؤكد بنون التوكيد الثقيلة،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٧٧) كتاب اللباس، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَنْقُشُ عَلَىٰ نَقْشِ خَاتَمِهِ، ومسلم (٢٠٩٢) كتاب اللباس والزينة، بَاب لُبْسِ النبي ﷺ خَاتَمًا من وَرِقٍ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رسول اللهِ وَلُبْسِ الْخُلَفَاءِ له من بَعْدِهِ.

والنهي عن النقش (لأن فيه اسمه وصفته، وإنما نهىٰ أن ينقش أحد علىٰ نقشه؛ لأن فيه اسمه وصفته، وإنما صنع فيه ذلك ليختم به، فيكون علامة تختص به، وتتميز عن غيره، فلو جاز أن ينقش أحد نظير نقشه لفات المقصود)[1].

٢١ ـ له نهر في الجنة:

* «فإنه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل»:

عن أَنَسٍ قال: بَيْنَا رسول اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بين أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَىٰ إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: ما أَضْحَكَكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: «**بِسْمِ اللهِ الرحمن الرَّحِيمِ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هو الْأَبْتَرُ**»، ثُمَّ قال: «**أَتَدْرُونَ ما الْكَوْثَرُ؟**»، فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «**فإنه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل، عليه خَيْرٌ كَثِيرٌ، هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يوم الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ منهم، فَأَقُولُ: رَبِّ إنه من أُمَّتِي، فيقول: ما تَدْرِي ما أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**»[2].

❁ ❁ ❁

هذا من أعظم ما اختُص به نبينا ﷺ، نهر في الجنة اسمه الكوثر، حافتاه قباب الدر المجوف، طينه مسك ذكي، هو الحوض الذي ترد عليه أمته ﷺ، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلىٰ من العسل، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدًا، وقدره كما بين أيلة، وهي بلد

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٠) كتاب الصلاة، بَاب حُجَّةِ من قال: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ من أَوَّلِ كل سُورَةٍ سِوَىٰ بَرَاءَةٌ، وأبو داود (٤٧٤٧) كتاب السنة، بَاب في الْحَوْضِ، والنسائي في المجتبىٰ (٩٠٤) كتاب الافتتاح، قِرَاءَةُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

بين مصر والشام، وصنعاء من اليمن، وفيه من الأباريق كعدد نجوم السماء.

وسوف يذاد بعض من أمة محمد ﷺ عن هذا الحوض، فيقول الرسول ﷺ: «**رب إنه من أمتي**»، فيقال له: «**ما تدري ما أحدثَتْ بعدك**».

قال ﷺ يصف هذا الكوثر: «**هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم**»

ووَصْفُ الحوض بأن آنيته عدد النجوم قد يكون علىٰ حقيقته، وقد يكون مجازًا المراد منه بيان كثرة عدد الآنية، وقوله: «**يُختلج**» أي: يُقتطع ويُنتزع، وأصله: خلج أي اضطرب، من اختلاج الأعضاء؛ (وأصل الاختلاج الحركة والاضطراب، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها، وقد سُئلتْ عن لحم الصيد المحرم، فقالت: إن يختلج في نفسك شيء فدعه[1])[2].

٢٢ ـ لا ينقص أجر صلاته:

* «**وَلَكِنِّى لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ**».

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا نِصْفُ الصَّلاَةِ**». قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي جَالِسًا فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَقَالَ مَا لَكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو؟ قُلْتُ: حُدِّثْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قُلْتَ: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا عَلَىٰ نِصْفِ الصَّلاَةِ**». وَأَنْتَ تُصَلِّي قَاعِدًا قَالَ: «**أَجَلْ وَلَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ**»[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٩٧٢٠)، ومالك في الموطأ (٧٨٧)، وغيرهما.

(٢) تاج العروس (٥/ ٥٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (٧٣٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب جَوَازِ النَّافِلَةِ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَفِعْلِ بَعْضِ الرَّكْعَةِ قَائِمًا وَبَعْضِهَا قَاعِدًا، وأبو داود (٩٥٠) كتاب الصلاة، باب في صلاة القاعد.

إذا كان للمتنفل قاعدًا بلا عذر نصف أجر الصلاة كما أخبر الرسول ﷺ في قوله: «**صلاة الرجل قاعدًا نصف الصلاة**»، فإن الرسول ﷺ اختُص بأن ثواب صلاته لا ينقص علىٰ أي وجه كان قائمًا أو قاعدًا أو مضجعًا أو نائمًا، وهذا معنىٰ قوله ﷺ: «**ولكني لست كأحد منكم**».

٢٣ ـ سرعة إجابة الله دعاءه ﷺ:

*** «أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأني عبد الله وَرَسُولُهُ»:**

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: شكا الناس إلىٰ رسول اللهِ ﷺ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ له في الْمُصَلَّىٰ، وَوَعَدَ الناس يَوْمًا يَخْرُجُونَ فيه، قالت عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رسول اللهِ ﷺ حين بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ علىٰ الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ ﷺ وَحَمِدَ اللهَ ﷻ، ثُمَّ قال: «**إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عن إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وقد أَمَرَكُمْ الله ﷻ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**» ثُمَّ قال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٤] **لَا إِلَهَ إلا الله يَفْعَلُ ما يُرِيدُ، اللهم أنت الله لَا إِلَهَ إلا أنت الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ ما أَنْزَلْتَ لنا قُوَّةً وَبَلَاغًا إلىٰ حِينٍ**» ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فلم يَزَلْ في الرَّفْعِ حتىٰ بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إلىٰ الناس ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ أو حَوَّلَ رِدَاءَهُ وهو رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ علىٰ الناس، وَنَزَلَ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ الله سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللهِ، فلم يَأْتِ مَسْجِدَهُ حتىٰ سالت السُّيُولُ، فلما رَأَىٰ سُرْعَتَهُمْ إلىٰ الْكِنِّ ضَحِكَ ﷺ حتىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فقال: «**أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ علىٰ كل شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأني عبد اللهِ وَرَسُولُهُ**»[1].

❁ ❁ ❁

كان رسول الله ﷺ مستجاب الدعاء، لا يرفع يديه لربه داعيًا فيردهما

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٧٣) كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء.

خائبتين، تشهد بذلك سيرته ﷺ، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها حين شكا الناس إلىٰ رسول الله ﷺ القحط فأمر بوضع منبر له في الخلاء، وخرج أول ما بدت الشمس، فاعتلىٰ المنبر، وكبر وحمد الله، وخطب الناس، ودعا الله، وألح عليه، ورفع يديه حتىٰ ظهر بياض إبطيه، وقلب رداءه أو حوّله، ثم نزل فصلىٰ ركعتين بالناس، وسرعان ما استجاب الله لنبيه، فأنشأ سحابة ما لبثت أن رعدت وبرقت ثم أمطرت حتىٰ أسالت السيول، فأسرع الناس إلىٰ الاستتار من المطر، فلما رأىٰ النبي ذلك ضحك حتىٰ بدت نواجذه، ثم قال ﷺ: «**أشهد أن الله علىٰ كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله**».

وقول الراوي: (ضحك حتىٰ بدت نواجذه) كناية عن السرور العظيم باستجابة الدعاء، والنواجذ: أقصىٰ الأضراس (قال الأصمعي: للإنسان من فوق ثنيتان، ورباعيتان مخففة، ونابان وضاحكان، وست أرحاء[1] ثلاث من كل جانب، وناجذان، ومنه الحديث: ضحك حتىٰ بدت نواجذه، يراد انفتح فوه من شدة الضحك حتىٰ رأىٰ آخر أضراسه من استقبله)[2].

وقوله ﷺ عقب إجابة الدعاء: «**أشهد أن الله علىٰ كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله**»

هو ثناء علىٰ الله بدأ بالتسليم بقدرته ﷻ علىٰ التدبير والتصريف، والتحكم في مقاليد السماوات والأرض، ثم ثنّىٰ بالتأكيد علىٰ إعلان عبوديته لله وصدق رسالته المؤيدة من ربه ﷻ بسرعة الإجابة.

٢٤ ـ لا يبلى جسده

* «فإن صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»:

عن أَوْسِ بن أَوْسٍ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّ من أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يوم**

(١) الأرحاء: الأضراس، جمع، مفرده: رحىٰ. مختار الصحاح (١/ ١٠٠).
(٢) غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٤١٦).

الْجُمُعَةِ، فيه خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ من الصَّلَاةِ فيه فإن صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» قال: قالوا: يا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وقد أَرِمْتَ؟ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ، فقال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ علىٰ الأرض أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**»[1].

❁ ❁ ❁

هذه خصيصة يشترك مع النبي فيها كل الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، وهي أن الله حرَّم علىٰ الأرض أن تأكل أجسادهم، فتظل سالمة من البِلىٰ إلىٰ يوم القيامة.

حدَّث النبي ﷺ أصحابه أن من أفضل أيامهم يوم الجمعة، ومن فضله أنه فيه خُلق آدم عليه السلام، وفيه مات، وفيه النفخة، أي نفخة الصور، النفخة الأولىٰ، التي علىٰ إثرها يموت الناس جميعًا، والتي أُشير إليها في قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨].

«**وفيه الصعقة**» (أي الصيحة، والمراد بها الصوت الهائل الذي يموت الإنسان من هوله، وهي النفخة الأولىٰ، فالتكرار باعتبار تغاير الوصفين)[2].

وقيل إنها ثلاث نفخات، (فالنفخة الأولىٰ هي نفخة الجمع، كما يجمع الجيش بالنفخ في البوق، وتليها النفخة الثانية، وهي نفخة الصعق أي الموت، والنفخة الثالثة: هي نفخة البعث والحشر)[3].

ثم دعا النبي ﷺ أصحابه إلىٰ الإكثار من الصلاة والسلام عليه في ذلك

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧) كتاب الصلاة، باب تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْجُمُعَةِ بَاب فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، والنسائي في المجتبىٰ (١٣٧٤) كتاب الجمعة، إِكْثَارُ الصَّلَاةِ علىٰ النبي ﷺ يوم الْجُمُعَةِ، وابن ماجة (١٠٨٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة.

(٢) مرقاة المفاتيح (٣/ ٤٠٩).

(٣) انظر شرح أبي داود للعيني (٤/ ٣٦٦).

اليوم أي الجمعة؛ لعظيم ما ذكر من فضله، ولأن صلاتهم تعرض عليه بعد وفاته، فتعجب الصحابة من ذلك، وسألوا رسول الله ﷺ: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ أي بليت، فقال: «**إن الله ﷻ حرَّم علىٰ الأرض أجساد الأنبياء**»، وفي رواية: «**أن تأكل أجساد الأنبياء**»[1].

وقد يكون في الكلام مجاز أنزلت فيه الأرض منزلة العقلاء المكلفين، وقد يحمل علىٰ الحقيقة كقول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

٢٥ ـ صلاتنا عليه تبلغه

* «وَصَلُّوا عليَّ، فإن صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»:

عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، ولا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عليَّ، فإن صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**»[2].

❁ ❁ ❁

ينهىٰ النبي ﷺ عن ترك البيوت مقفرة من الذكر والعبادة، فتصير موحشة كالقبور، وينهىٰ عن جعل قبره عيدًا، (ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد، إما لدفع المشقة، أو كراهة أن يتجاوز واحد التعظيم، وقيل: العيد ما يعاد إليه، أي لا تجعلوا قبري عيدًا تعودون إليه متىٰ أردتم أن تصلوا عليّ، وظاهره ينهىٰ عن المعاودة، والمراد: المنع عما يوجبه، وهو ظنهم أن دعاء الغائب لا يصل إليه)[3].

ولذا أعقبه بقوله: «**وصلُّوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»، أي: (لا

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (١٣٧٤)، وابن ماجة (١٠٨٥)، وغيرهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) كتاب المناسك، باب زيارة القبور.

(٣) فيض القدير (٤/ ١٩٩).

تتكلفوا المعاودة إلىٰ قبري، فقد استغنيتم عنها بالصلاة عليَّ حيث كنتم)[١].

وهذا تأكيد لما قرره الحديث السابق من أن الصلاة علىٰ النبي ﷺ تعرض عليه.

وقوله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا**»

الجملة الأولىٰ فيه كناية عن خلو البيوت من الذكر والقيام، والجملة الثانية كناية عن النهي عن الزيارة المجمعة لقبره ﷺ.

٢٦ ـ عِظَمُ فضلِ الصلاة عليه

* «من صلى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صلى الله عليه عَشْرًا»

ـ عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**من صلىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً، صلىٰ الله عليه عَشْرًا**»[٢].

ـ عن ابن عَبَّاسٍ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**من نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ**»[٣].

❁ ❁ ❁

الصلاة علىٰ النبيِّ تعني: طلب دوام التشريف والتعظيم لمقامه عند ربه، وهي من أفضل أنواع الذكر، وأعظمها أجرًا، فمن صلىٰ علىٰ النبي ﷺ واحدة صلىٰ الله عليه عشرًا، أي رحمه وضاعف أجره عشر مرات، كقوله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٣/ ١١).

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٨) كتاب الصلاة، بَاب الصَّلَاةِ علىٰ النبي ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ، وأبو داود (١٥٣٠) كتاب الصلاة، بَابٌ في الِاسْتِغْفَار، والترمذي (٤٨٥) كتاب الوتر، بَابُ مَا جَاءَ في فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، والنسائي في المجتبىٰ (١٢٩٦) كتاب الصلاة، بَابُ الْفَضْلِ في الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ.

(٣) أخرجه ابن ماجة (٩٠٨) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، بَاب الصَّلَاةِ علىٰ النبي ﷺ.

ومن نسي الصلاة عليه ـ أي: تركها؛ لأن الناسي حقيقة غير مكلف ـ ضل سعيه، وخاب رجاؤه، ولم يصل إلىٰ مبتغاه، وخطئ طريق الجنة، (قال ابن العربي: فائدة الصلاة عليه ترجع إلىٰ الذي يصلي عليه؛ لدلالة ذلك علىٰ نصوع العقيدة، وخلوص النية، وإظهار المحبة، والمداومة علىٰ الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة ﷺ)[1].

وقوله: «**خطئ طريق الجنة**» إشارة إلىٰ الخسارة الفادحة التي تنال من ترك الصلاة علىٰ النبي ﷺ.

٢٧ ـ صلاته على الميت رحمة:

* «فَإِنَّ صَلاتي لَهُ رَحْمَةٌ»:

عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عَمِّهِ يَزِيدَ بْنِ ثَابِتٍ، أنهم خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَىٰ قَبْرًا جَدِيدًا، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**» قَالُوا: هَذِهِ فُلَانَةُ مَوْلَاةُ بَنِي فُلَانٍ، فَعَرَفَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَاتَتْ ظُهْرًا، وَأَنْتَ نَائِمٌ قَائِلٌ، فَلَمْ نُحِبَّ أَنْ نُوقِظَكَ بها، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَصَفَّ النَّاسَ خَلْفَهُ، وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا، ثُمَّ قَالَ: «**لا يَمُوتُ فِيكُمْ مَيِّتٌ مَا دُمْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ إِلَّا آذَنْتُمُونِي بِهِ، فَإِنَّ صَلَاتِي لَهُ رَحْمَةٌ**»[2].

❁ ❁ ❁

ومن خصائصه ﷺ أن صلاته علىٰ من مات من أصحابه رحمة، فقد خرج رسول الله ﷺ مع أصحابه يومًا فرأىٰ قبرًا جديدًا، فسأل: «**ما هذا؟**» قالوا: هذه فلانة مولاة بني فلان، فأنكر عليهم أنهم لم يؤذنوه بموتها ليصلي عليها، فأخبروه أنها ماتت ظهرًا وهو نائم، فكرهوا أن يوقظوه، فيفسدوا قيلولته،

---

(١) فتح الباري (١١/ ١٦٨).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبىٰ (٢٠٢٢) كتاب الجنائز، باب الصَّلَاةُ عَلَىٰ الْقَبْرِ.

فقام رسول الله ﷺ علىٰ قبرها، وَصَفَّ الناس خلفه، وصلىٰ عليها صلاة الجنازة أربع تكبيرات، ثم أمرهم أن لا يَدَعُوا ميتًا يموت فيهم إلا أعلموه به ليصلي عليه، فإن صلاته علىٰ الميت رحمة.

٢٨ ـ ليست له خائنة الأعين:

* «إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ»:

ـ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَسَمَّاهُمْ... وَابْنُ أَبِي سَرْحٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: وَأَمَّا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إِلَىٰ الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّىٰ أَوْقَفَهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ بَايِعْ عَبْدَ اللهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَىٰ فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «**أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَىٰ هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ**؟» فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟. قَالَ: «**إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ**» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ أَخَا عُثْمَانَ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَكَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ أَخَا عُثْمَانَ لِأُمِّهِ، وَضَرَبَهُ عُثْمَانُ الْحَدَّ إِذْ شَرِبَ الْخَمْرَ(١).

ـ عَنْ نَافِعٍ أَبِي غَالِبٍ قَالَ... قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ: يَا أَبَا حَمْزَةَ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، غَزَوْتُ مَعَهُ حُنَيْنًا، فَخَرَجَ الْمُشْرِكُونَ فَحَمَلُوا عَلَيْنَا، حَتَّىٰ رَأَيْنَا خَيْلَنَا وَرَاءَ ظُهُورِنَا، وفي الْقَوْمِ رَجُلٌ يَحْمِلُ عَلَيْنَا فَيَدُقُّنَا، وَيَحْطِمُنَا، فَهَزَمَهُمُ اللهُ، وَجَعَلَ يُجَاءُ بهم فَيُبَايِعُونَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ عَلَيَّ نَذْرًا: إِنْ جَاءَ اللهُ بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ مُنْذُ الْيَوْمَ يَحْطِمُنَا لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجِيءَ بِالرَّجُلِ، فَلَمَّا رَأَىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٨٣) كتاب الجهاد، بَابُ قَتْلِ الْأَسِيرِ وَلَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ.

رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُبْتُ إِلَىٰ اللهِ، فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لَا يُبَايِعُهُ، لِيَفِيَ الْآخَرُ بِنَذْرِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَصَدَّىٰ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، لِيَأْمُرَهُ بِقَتْلِهِ، وَجَعَلَ يَهَابُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، أَنْ يَقْتُلَهُ، فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ لَا يَصْنَعُ شَيْئًا بَايَعَهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَذْرِي؟ فَقَالَ: «**إِنِي لَمْ أُمْسِكْ عَنْهُ مُنْذُ الْيَوْمَ إِلَّا لِتُوفِي بِنَذْرِكَ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَوْمَضْتَ إِلَيَّ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُومِضَ**»(١).

❁ ❁ ❁

كان رسول الله ﷺ قائمًا علىٰ سبيل الحق لا تحيد عنه خطاه، لا يماري ولا يداري، ولا يضمر بقلبه غير ما يظهره للناس.

إذا كره شيئًا أو أحدًا أظهر كرهه له، وصرح ولم يُكَنِّ، وأعرض ولم يُقبل.

فإذا بايع امرأً، أو قبل توبة تائب، لم يكن له أن يشير بعينه إلىٰ خلاف ذلك، وإن كان يتمناه ويهواه، فليس لنبي أن تكون له خائنة الأعين.

وخائنة الأعين تعني: (أن يضمر بقلبه غير ما يظهره للناس، فإذا كفَّ بلسانه، وأومأ بعينه إلىٰ خلاف ذلك فقد خان، وكان ظهور تلك الخيانة من قبل عينيه، فسميت خائنة الأعين)(٢).

وفي قوله «**خائنة الأعين**» استعارة مكنية إذ أضاف الخيانة إلىٰ الأعين.

واختصاص الأعين بهذا دون غيرها؛ لأنها سبيل البصر، ولنظراتها وإيماءاتها لغة تفوق فصاحة اللسان، وبها تقتحم العورات، وتستباح الحرمات.

وقد نزه الله أنبياءه عن هذا الفعل، فهو لا يليق بسمو أخلاقهم ولا بِقِيَم الرسالات التي أرسلهم ربهم بها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٩٤) كتاب الجنائز، بَابُ أَيْنَ يَقُومُ الْإِمَامُ مِنَ الْمَيِّتِ إِذَا صَلَّىٰ عَلَيْهِ.

(٢) معالم السنن (٢/ ٢٨٧).

لما فتح الله مكة للمسلمين أمَّن الرسول ﷺ كل الناس إلا أربعة نفر وامرأتين والنفر الأربعة هم: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومِقْيَس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، ولم أعثر على مرجع يذكر اسمي المرأتين.

أما عبد الله بن خطل، فقد أُدرك (وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عمارًا، وكان أشد الرجلين فقتله، وأما مقيس بن صبابة، فأدركه الناس بالسوق فقتلوه.

وأما عكرمة بن أبي جهل فركب البحر، فأصابهم ريح عاصف، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا، فإن آلهتكم لا تغني عنكم هاهنا شيئًا، فقال عكرمة: واللَّه لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص، لا ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك عليَّ عهدًا إن أنت أنجيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا ﷺ، ثم أضع يدي في يده، فلأجدنه عفوًّا كريمًا، فنجا فأسلم)[1].

وأما عبد الله بن أبي السرح، فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس للبيعة جاء به عثمان حتىٰ أوقفه علىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثًا، وهو يأبىٰ أن يبايعه، ثم بايعه بعد ثلاث. فلما انصرف أقبل النبي علىٰ أصحابه فقال لهم يلومهم: «**أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلىٰ هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟**» فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: «**إنه لا ينبغي لنبي أن تكونَ له خائنة الأعين**».

وفي غزوة حنين حمل المشركون علىٰ المسلمين، فزحزحوهم عن مواقعهم، واخترقوا صفوفهم، وراح رجل من المشركين يصول ويجول بين المسلمين يقتل ويجرح ويكسر، فنذر أحد أصحاب النبي لئن أظفره الله بهذا

(١) شرح مشكل الآثار (١١/ ٤٠٩).

الرجل ليضربن عنقه، ثم هزم الله المشركين، وأُسر هذا الرجل المشرك، فأتىٰ رسول الله ﷺ، وجلس بين يديه، وقال: يا رسول الله، تبت إلىٰ الله، فأعرض عنه رسول الله لا يبايعه ليدع صاحب النذر يفي بنذره، وجعل صاحب النذر يعرض نفسه أمام رسول الله ﷺ ليأمره بقتله، وهو يخشىٰ أن يقتله في حضرة رسول الله ﷺ دون إذنه، فلما رأىٰ الرسول ﷺ ذلك بايع الرجل، فصاح صاحب النذر: يا رسول الله، نذري؟ فقال: «**إني لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي بنذرك**» فقال: يا رسول الله، ألا أومضت إلي ـ أي غمزت لي بعينك ـ فقال النبي ﷺ: «**إنه ليس لنبي أن يومض**».

٢٩ ـ لا ينطق إلا حقًّا:

*** «اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ»:**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَىٰ فِيهِ، فَقَالَ: «**اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ**»[1].

❁ ❁ ❁

وصف الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ فقال: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

وكان عبد الله بن عمرو يكتب عن رسول الله ﷺ كل شيء يسمعه، يريد بذلك حفظه، فنهاه عن ذلك نفر من قريش، وقالوا له: إن رسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، وهم يتوهمون بذلك أن رسول الله ﷺ حين

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤٦) كتاب العلم، بَابٌ في كِتَابِ الْعِلْمِ.

يغضب قد يحمله غضبه علىٰ النطق بغير الحق، فأمسك عبد الله عن الكتابة، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأشار بإصبعه إلىٰ فيه وقال: «**اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه - أي من فيه - إلا حق**».

٣٠ - أوتي الكتاب ومثله معه:

* «أَلاَ إني أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ»:

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَلا إني أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بهذا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلا لا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ، وَلا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلاَ لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ**»[١].

❁ ❁ ❁

قال الله ﷻ علىٰ لسان نبيه إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وخاطب الله آل النبي فقال: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

والمراد من الحكمة في الآيتين - علىٰ الراجح من كلام أئمة التفسير - هو: سنة النبي ﷺ، وما تضمنته من أقوال وأفعال وتقريرات.

وهذه السنة هي القسم الثاني من الشريعة، لا تتم الشريعة إلا بها، وينهدم إيمان المرء إذا أنكرها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) كتاب السنة، بَابٌ في لُزُومِ السُّنَّةِ.

ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أوتي الكتاب، ومعه مثله من العلم، وأنه سيأتي زمان يُعرِض فيه البعض عن سنة النبي ﷺ، يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بالقرآن، فما وجدوا فيه حلالًا حلَّلُوه، وما وجدوا فيه حرامًا حرموه، لا يزيدون عن ذلك ولا ينقصون، ومعنىٰ ذلك أنهم يضربون عُرض الحائط بالأحكام التي قررها رسول الله ﷺ، ولم ترد في كتاب الله، وهي كثيرة عَرَضَ الحديث لأمثلة منها:

١ ـ تحريم لحم الحمار الأهلي.

٢ ـ تحريم لحم كل ذي ناب من السبع.

٣ ـ تحريم لُقَطَة المعاهَد.

٤ ـ إلزام المسلمين بِقِرَىٰ الأضياف.

وقوله ﷺ: «**ومثله معه**» في عبارة: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»:

كناية عن السنة النبوية: قولها وفعلها وتقريرها.

وقوله ﷺ: «**رجل شبعان علىٰ أريكته**» كناية عن البلادة، وسوء الفهم، وغمط الحق والاستهانة به.

٣١ ـ بعثته وموته ﷺ من علامات الساعة:

* «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا»:

ـ عَنْ سَهْلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا**» وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهِمَا[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٣) كتاب الرقاق، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، ومسلم (٢٩٥٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَاب قُرْبِ السَّاعَةِ، كلاهما عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والترمذي (٢٢١٤) كتاب الفتن، بَاب ما جاء في قَوْلِ النبي ﷺ بُعِثْتُ أنا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والنسائي في المجتبىٰ (١٥٧٨) كتاب صلاة =

- عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوتي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّىٰ يُعْطَىٰ الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَىٰ بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**»[1].

❁ ❁ ❁

في الحديث الأول رفع الرسول ﷺ إصبعيه السبابة والوسطىٰ يمدُّ بهما، وهو يقول: «**بعثت أنا والساعة هكذا**»، كأن بعثته والساعة مقترنان كالإصبعين، أو أن ما بينهما من تفاوت كنسبة التفاوت بين الإصبعين لا تزيد.

وقوله: «**والساعة**»: الواو للمعية، والساعة مفعول معه، وفي ذلك دلالة علىٰ شدة اقتراب البعثة مع قيام الساعة، تؤيدها ألفاظ أخرىٰ للحديث، مثل: «**إن كادت لتسبقني**»[2]، أي الساعة.

وإشارته ﷺ بإصبعيه تؤكد هذا.

وفي الحديث الثاني عدَّ الرسول لعوف بن مالك ستًا من علامات الساعة:

أولاها: موته ﷺ.

وثانيتها: فتح بيت المقدس.

وثالثتها: وباء يحصد الأرواح حصدًا.

= العيدين، كَيْفَ الْخُطْبَةُ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وابن ماجة (٤٠٤٠) كتاب الفتن، بَاب أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦) كتاب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر، وابن ماجة (٤٠٤٢) كتاب الفتن، باب أشراط الساعة.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨)، والطبراني في الكبير (٣٢٦)، وغيرهما.

ورابعتها: كثرة المال واستفاضته.

وخامستها: فتنة تعم العرب جميعًا.

وسادستها: هدنة بين المسلمين والروم، يغدر الروم فيهاجمون المسلمين بثمانين جيشًا، لكل جيش رايةً، وتحت كل راية اثنا عشر ألفًا من الجنود.

ويرىٰ كثير من العلماء أن هذه العلامات تحققت كلها إلا السادسة، فقد مات رسول الله ﷺ، وفتح بيت المقدس في عهد عمر، وكان الوباء الذي حصد الأرواح في طاعون عمواس في خلافة عمر أيضًا، (ثم استفاضة المال أي كثرته، وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة، والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان، واستمرت الفتن بعده، والسادسة لم تجئ بعد)(١).

وفي المسألة اجتهادات كثيرة.

وقوله ﷺ: «**مُوتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم**»، تشبيه شبه فيه كثرة الموت بوباء القعاص الذي يصيب الغنم، وفيه ما يوحي بشدة الوباء، وتفشي الموت وسرعته، كما تصاب الغنم، فينتشر فيها، ويقتل القطيع جميعًا.

وقوله ﷺ: «**حتىٰ يُعطىٰ الرجلُ فيظلُّ ساخطًا**».

كناية عن فقدان المال لقيمته، حتىٰ يُستقَلَّ الكثير منه ويُحقَّر.



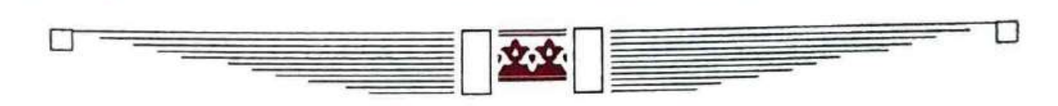
---

(١) فتح الباري (٦/ ٢٧٨).

الفصل الثالث

من نبوءات الرسول ﷺ





من نبوءات الرسول ﷺ

١ ـ نبوءات تحققت في حياة الرسول:

* الهجرة والابتلاء والفتح: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أني أُهَاجِرُ»:

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ أُرَاهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَام أني أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَرْضٍ بها نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَىٰ أنها الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أني هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَىٰ فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنْ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنْ الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ»[1].

* الرفعة واكتمال الدين: «وَأَنَّ دِينَنَا قد طَابَ»:

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «رأيت ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَىٰ النَّائِمُ، كَأَنَّا في دَارِ عُقْبَةَ بن رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ من رُطَبِ ابن طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لنا في الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ في الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قد طَابَ»[2].

* رجل من أهل النار: «اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أني عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٢) كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم (٢٢٧٢) كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، وابن ماجة (٣٩٢١) كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٠) كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، وأبو داود (٥٠٢٥) كتاب الأدب، بَابُ مَا جَاءَ في الرُّؤْيَا.

يَدَّعِي الإِسْلَامَ: «**هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَلَمَّا حَضَرَ القِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ اليَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِلَى النَّارِ**»، قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَىٰ الجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أني عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَىٰ بِالنَّاسِ: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**»[(١)].

* «إني رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ»:

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّىٰ مَرُّوا عَلَىٰ رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلَّا، إني رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ**». قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ[(٢)].

* ريح لا يقوم لها أحد: «إني مُسْرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ»

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ فَأَتَيْنَا وَادِيَ الْقُرَىٰ عَلَىٰ حَدِيقَةٍ لِامْرَأَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اخْرُصُوهَا**» فَخَرَصْنَاهَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢) كتاب الجهاد والسير، بَاب إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ، ومسلم (١١١) كتاب الإيمان، غلظ تحريم قتل الإنسان.

(٢) أخرجه مسلم (١١٤) كتاب الإيمان، بَاب غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلا الْمُؤْمِنُونَ، والترمذي (١٥٧٤) كتاب السير، باب بَاب مَا جاء في الْغُلُولِ.

وَخَرَصَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، وَقَالَ: «**أَحْصِيهَا حَتَّىٰ نَرْجِعَ إِلَيْكِ، إِنْ شَاءَ اللهُ**» وَانْطَلَقْنَا، حَتَّىٰ قَدِمْنَا تَبُوكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ**» فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّىٰ أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ، وَجَاءَ رَسُولُ ابْنِ الْعَلْمَاءِ، صَاحِبِ أَيْلَةَ، إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِكِتَابٍ، وَأَهْدَىٰ لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَهْدَىٰ لَهُ بُرْدًا، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّىٰ قَدِمْنَا وَادِيَ الْقُرَىٰ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَرْأَةَ عَنْ حَدِيقَتِهَا: «**كَمْ بَلَغَ ثَمَرُهَا؟**» فَقَالَتْ: عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِي مُسْرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ**» فَخَرَجْنَا حَتَّىٰ أَشْرَفْنَا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ، وفي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ**» فَلَحِقَنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَيَّرَ دُورَ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلَنَا آخِرًا فَأَدْرَكَ سَعْدٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ خَيَّرْتَ دُورَ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلْتَنَا آخِرًا، فَقَالَ: «**أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ**»(١).

❁ ❁ ❁

تتراوح مشاعر النبي ﷺ في أحاديث النبوءات بين التفاؤل والتبشير بالفتوحات والتمكين، إلىٰ الخوف والإشفاق علىٰ الأمة مما سوف يصيبها من بعده ﷺ من فتن، إلىٰ التحذير من الأثرة والأمور المنكرة، والتنفير من الفرقة والاختلاف والكذب والخيانة، إلىٰ الترهيب من فتنة الدجال، إلىٰ ترغيب الصابرين المعتصمين بالله من الفتن بعظيم الأجر، وعلو الدرجات.

إن الأمة سوف تعيش من بعده ﷺ سنين من العز والغلبة والاستقرار في

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٢) كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ.

ظل الخلافة الراشدة ثم تأتي بعد ذلك سنين من الفرقة والتمزق والفتن والخلافات، تغذيها الأثرة وانتشار البدع وتفشي الكذب.

ولم يخش النبي ﷺ علىٰ أمته شيئًا مثلما خشي عليها من الترف وانفتاح الدنيا والتنافس فيها، والإغراق في ملذاتها حتىٰ يفشو الكذب والنفاق، وتُرفع الأمانة، ويستمرئ الناس الخيانة.

لقد أحب النبي أمته كلها، مَنْ حظي بصحبته من أصحابه، ومن تبعهم، ومن أتىٰ بعدهم إلىٰ قيام الساعة.

وكما أحب الرسول أمته، أحبه أصحابه، وأحبه نفر من أمته يأتون من بعده أشد الحب، وتمنَّوْا أن يرَوْا رسولهم محمدًا ﷺ، ولو دفعوا مقابل ذلك كل أموالهم، وقدموا في سبيل ذلك جميع أهليهم.

رأىٰ النبي ﷺ في منامه أنه يهاجر من مكة إلىٰ أرض ذات نخل، فذهب ظنُّه إلىٰ أنها اليمامة أو هَجَر، واليمامة (أكثر نخيلًا من سائر الحجاز، وبها تنبأ مسيلمة الكذاب، وهي دون المدينة في وسط الشرق من مكة، علىٰ ست عشرة مرحلة من البصرة، وعن الكوفة نحوها)[(١)].

أمّا (هَجَر) فقد كانت مدينة عظيمة تمثل قاعدة بلاد البحرين، وقيل: (ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب)[(٢)].

وهجر هذه (غير هجر المذكورة في حديث: «**إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر**»[(٣)] تلك قرية من قرىٰ المدينة، كانت القلال تصنع بها)[(٤)].

وتحققت رؤيا النبي ﷺ، لكن هجرته لم تكن إلىٰ اليمامة أو هجر، وإنما

---

(١) مرقاة المفاتيح (٥/ ١٠١).

(٢) معجم البلدان (٥/ ٣٩٣).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (١١٧٢)، والشافعي في مسنده (١/ ١٦٥).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (٣/ ٦٩).

تشرفت به المدينة يثرب.

وقوله ﷺ: «**فذهب وَهَلي**» من الفعل (وَهَل)، (وَهَل إلىٰ الشيء بالفتح، يهِل بالكسر، وهْلًا بالسكون، ويَوْهَل: إذا ذهب وهمه إليه، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: «**وَهَلَ ابن عمر**»[1]، أي: ذهب وهمه إلىٰ ذلك)[2].

و(**إذا**) في قوله ﷺ: «**فإذا هي يثرب**» هي: الفجائية، وتسميته للمدينة يثرب رغم النهي عن ذلك[3]؛ لأنه من تسمية الجاهلية، ولكراهة لفظ التثريب الذي يعني اللوم والتقبيح، قيل: (يحتمل أن هذا كان قبل النهي، وقيل: لبيان الجواز، وأن النهي للتنزيه لا للتحريم، وقيل: خوطب به من يعرفها به، ولهذا جمع بينه وبين اسمها الشرعي، فقال: المدينة يثرب)[4].

ورأىٰ النبي ﷺ في ذات الرؤيا أنه يهز سيفًا فانقطع من وسطه، ورأىٰ بقرًا تنحر، فكان تأويله ما أصاب الرسول والمسلمين من ابتلاء في أحد، إذ شُجَّ وجهه ﷺ، وكسرت رباعيته، واستشهد حمزة ومصعب وجمع من صحابة رسول الله ﷺ.

ثم رأىٰ نفسه يهز السيف أخرىٰ فعاد أحسن مما كان، فكان تأويله ما جاء للمسلمين من خير وثواب صدق وفتح بعد يوم بدر.

ورأىٰ النبي في منامه كأنه هو وأصحابه في دار عقبة بن رافع الأنصاريِّ، وأنهم أُتوا برطب من رطب ابن طاب، فأولَّه بالرفعة في الدنيا (رافع)، والعاقبة الحسنة في الآخرة (عقبة)، وأن الإسلام تمَّ واكتمل واستقرت أحكامه وآتىٰ ثماره (رطب ابن طاب).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٨)، والنسائي في الصغرىٰ (٢٠٧٦)، والكبرى (٢٢٠٣).

(٢) لسان العرب (١١/ ٧٣٧).

(٣) والنهي فيما رواه أبو هريرة عن الرسول ﷺ: «**أمرت بقرية تأكل القرىٰ، يقولون: يثرب، وهي المدينة ...**»، والحديث سبق تخريجه.

(٤) شرح النووي (١٥/ ٣١، ٣٢).

ورطب ابن طاب هو (نوع من الرطب معروف يقال له رطب ابن طاب، وتمر ابن طاب، وعذق ابن طاب، وعرجون ابن طاب، وهو مضاف إلىٰ ابن طاب، رجل من أهل المدينة)[(١)].

وتنبأ رسول الله ﷺ بالعاقبة السيئة لرجل ممن كانوا يدَّعون الإسلام، ويقاتلون مع المسلمين، والرجل علىٰ الراجح هو قزمان، والمعركة كانت أُحدًا، وفي رواية أخرىٰ خيبر. وقد قاتل الرجل قتالًا شديدًا، (وكثرت به الجراح، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه من أهل النار**»، فكاد بعض المسلمين يرتاب، فبينما هو علىٰ ذلك، إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوىٰ بيده إلىٰ كنانته، فانتزع منها سهمًا، فانتحر بها، فاشتد رجال إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: صدَّق الله حديثك، قد انتحر فلان، وقتل نفسه، فقال النبي ﷺ: «**قم يا بلال فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»)[(٢)].

وفي غزوة خيبر، وبعد أن انهزم اليهود، وراح المسلمون يتفقدون شهداءهم، ويمرون عليهم واحدًا واحدًا فيسمونهم: فلان شهيد، فلان شهيد، حتىٰ أتَوْا علىٰ رجل فقالوا: فلان شهيد، قال النبي ﷺ: «**كلا، إني رأيته في النار في بردة غلّها**» أي: اختلسها من المغانم دون أن يُعلم أحدًا بها.

(وأجمع العلماء علىٰ أن علىٰ الغال أن يردَّ ما غلَّ إلىٰ صاحب المقاسم إن وجد إلىٰ ذلك سبيلًا، وأنه إذا فعل ذلك فهي توبة له، واختلفوا إذا افترق أهل العسكر ولم يوصل إليه، فذهب أكثر أهل العلم إلىٰ أنه يدفع إلىٰ الإمام خُمسَه، ويتصدق بالباقي، فإن خاف الإمام علىٰ نفسه تصدق به كله)[(٣)].

فإذا مات علىٰ ذلك ولم يتب، عُذِّبَ بذلك في النار ما شاء الله له.

---

(١) المرجع السابق (١٥/ ٣١).
(٢) شرح ابن بطال (١٠/ ٣٠٥،٣٠٦).
(٣) الاستذكار (٥/ ٩٣).

والرجل الغالُّ في الحديث هو كَرْكَرَة، وهو غلام للنبي أهداه إياه هوذة ابن علي الحنفي صاحب اليمامة وكان نوبيًا أسود، يمسك بَغْلَةَ رسول الله في القتال.

وقوله ﷺ: «**غلَّها**» أي: أخذها من المغنم خفية، والاسم منه (الغلول): (ومنه: «**الغِلالة**» وهي ثوب يلبس تحت الثياب، والغلَلَ: الماء الذي يجري تحت الشجر، والغِل: الحقد الكامن في الصدر، وأصلُ الباب: الاختفاء)[1].

وبينما كان النبي وأصحابه في الطريق إلىٰ تبوك مرُّوا علىٰ وادي القرىٰ، فأتوْا علىٰ بستان نخل لامرأة، فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يُقَدِّروا ما بالبستان من ثمر، فقَدَّر أصحاب النبي ﷺ، وقَدَّر النبي ﷺ عشرة أوسق، وقال للمرأة: «**أحصيها حتىٰ نرجع إليك إن شاء الله**».

فلما قدموا تبوك أخبر النبي ﷺ أصحابه أن ريحًا شديدة سوف تهب ليلتهم هذه، فلا يقومنَّ أحد منهم لئلَّا تُطيح به، وعلىٰ كل صاحب بعير أن يعقله فيشدد في عِقاله.

وحدث ما تنبأ به رسول الله ﷺ، فهبت ريح عاصفة جرفت كل ما كان أمامها، وعصىٰ رجل من الصحابة رسول الله ﷺ فقام، فحملته الريح فألقته بجبليْ طيّئ، والجبلان (أحدهما: (أَجَأُ) بالتحريك، وهو بهمز وجيم فهمز علىٰ (فَعَل) كجَبَل، وقيل: كعَصَا، والآخر: (سَلمىٰ) بفتح السين، وهما بأرض نجد)[2].

فلما عاد النبي ﷺ من تبوك قدم وادي القرىٰ فمرّ بالمرأة صاحبة الحديقة، فسألها عن ثمرها كم بلغ؟ قالت: عشرة أوسق. أي كما قدَّر رسول الله ﷺ.

---

(١) كشف المشكل من أحاديث الصحيحين (١/ ١٣٣).

(٢) مرقاة المفاتيح (١١/ ٦٠).

٢ ـ نبوءات تحققت زمن الصحابة والتابعين

* مهلك مسيلمة: «وَإني لأَرَاكَ الذي أُرِيتُ فِيكَ ما رأيت»:

عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ علىٰ عَهْدِ رسول اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يقول: إن جَعَلَ لي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ من بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا في بَشَرٍ كَثِيرٍ من قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إليه رسول اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بن قَيْسِ بن شَمَّاسٍ، وفي يَدِ رسول اللهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ حتىٰ وَقَفَ علىٰ مُسَيْلِمَةَ في أَصْحَابِهِ، فقال: **«لو سَأَلْتَنِي هذه الْقِطْعَةَ ما أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإني لأَرَاكَ الذي أُرِيتُ فِيكَ ما رأيت»**[١].

* كذابان يخرجان بعدي: «بَيْنَمَا أنا نَائِمٌ رأيت في يَدَيَّ سِوَارَيْنِ من ذَهَبٍ»

عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: **«بَيْنَمَا أنا نَائِمٌ رأيت في يَدَيَّ سِوَارَيْنِ من ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إلي في الْمَنَام أَنْ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي»**. فكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ[٢].

* مُلوك على الأسِرَّة: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبِيلِ اللهِ»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَىٰ أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٠) كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم (٢٣٧٣) كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٢١) كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم (٢٢٧٤) كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، والترمذي (٢٢٩٢) كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ الميزان والدلو، وابن ماجة (٣٩٢٢) كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا.

رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَطْعَمَتْهُ، وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَىٰ الْأَسِرَّةِ ـ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَىٰ الْأَسِرَّةِ**» ـ شَكَّ إِسْحَاقُ، قَالَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ**»، كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ**». فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا، حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ[(١)].

* نصر وفتوحات: «إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ وَمُصِيبُونَ وَمَفْتُوحٌ لَكُمْ»:

عن سِمَاكِ بن حَرْبٍ قَال سمعت عَبْدَ الرحمن بن عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ يحدث عن أبيه قال سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ وَمُصِيبُونَ وَمَفْتُوحٌ لَكُمْ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذلك مِنْكُمْ فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيَنْهَ عن الْمُنْكَرِ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ**»[(٢)].

* الخلافة ثلاثون سنة: «الْخِلافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذلك»:

عن سَعِيدِ بن جُمْهَانَ قال: حدثني سَفِينَةُ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذلك**»، ثُمَّ قال لي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩) كتاب الجهاد والسير، بَاب الدُّعَاءِ بِالْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ومسلم (١٩١٢) كتاب الإمارة، باب فَضْلِ الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ، وأبو داود (٢٤٩٠) كتاب الجهاد، باب فَضْلِ الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ، والنسائي في الصغرىٰ (٣١٧٢) كتاب الجهاد، فَضْلُ الْجِهَادِ فِي الْبَحْرِ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٥٧) كتاب أبواب الفتن.

خِلَافَةَ أبي بَكْرٍ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ، ثُمَّ قال لي: أَمْسِكْ خِلَافَةَ عَلِيٍّ، قال: فَوَجَدْنَاهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً، قال سَعِيدٌ، فقلت له: إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْخِلَافَةَ فِيهِمْ، قال: كَذَبُوا بَنُو الزَّرْقَاءِ، بَلْ هُمْ مُلُوكٌ من شَرِّ الْمُلُوكِ[1].

*** أثرةٌ وأمورٌ منكرة: «إمَّا لا؛ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوني فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَةٌ»:**

ـ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ حِينَ خَرَجَ مَعَهُ إِلَىٰ الْوَلِيدِ ـ قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ إِلَىٰ أَنْ يُقْطِعَ لَهُمُ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنْ تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا، قَالَ: «**إِمَّا لا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوني فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَةٌ**»[2].

ـ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونها**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**»[3].

*** الفتن تجتاح المدينة: «إني لأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ»:**

عن أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ أُطُمٍ، مِنْ آطَامِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَىٰ؟! إني لأَرَىٰ مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ**»[4].

*** ظهور الخوارج: «سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ،**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٢٦) كتاب أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الخلافة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٤) كتاب باب بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ اصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوني عَلَىٰ الْحَوْضِ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠٣) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٨٤٣) كتاب الإمارة، باب الْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٧٨) كتاب الحج، باب آطَامِ الْمَدِينَةِ، ومسلم (٢٨٨٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَاب نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ.

لا يُجَاوِزُ حَلاقِيمَهُمْ»:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي ـ أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي ـ قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**»[(١)].

*** اختلاف كثير: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا»:**

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، وَحُجْرِ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ ابْنَ سَارِيَةَ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢] فَسَلَّمْنَا، وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ، فَقَالَ الْعِرْبَاضُ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(٢)].

*** بعد مائة سنة: «وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ»:**

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: «**تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٧) كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، والترمذي (٢٧٦٦) كتاب أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وابن ماجة (٤٢) كتاب الإيمان، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ.

نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ»(١).

*** الاغترار بفتنة الدنيا: «إني مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»:**

ـ عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَىٰ المِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «**إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ يَأْتِي الخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ تُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ يُكَلِّمُكَ؟ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ، فَقَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**» وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لاَ يَأْتِي الخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الخَضْرَاءِ، أَكَلَتْ حَتَّىٰ إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ مَا أَعْطَىٰ مِنْهُ المِسْكِينَ وَاليَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ ـ أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ـ وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

ـ حدَّثَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الأَنْصَارِيَّ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَىٰ البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ البَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ العَلاَءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١) كتاب مواقيت الصلاة، باب السَّمَرِ في الفِقْهِ وَالخَيْرِ بَعْدَ العِشَاءِ، ومسلم (٢٥٣٨) كتاب الفضائل، بَاب قَوْلِهِ ﷺ لا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَىٰ الأرض نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ اليَوْمَ، وأبو داود (٤٣٤٨) كتاب الملاحم، باب قيام الساعة، والترمذي (٢٢٥٠) كتاب أبواب الفتن.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٥) كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى، ومسلم (١٠٥٢) كتاب الزكاة، بَاب تَخَوُّفِ ما يَخْرُجُ من زَهْرَةِ الدُّنْيَا، والنسائي في المجتبىٰ (٢٥٨١) كتاب الزكاة، الصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْيَتِيمِ.

فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّىٰ بهم الفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: «**أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟**»، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخَشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»[1].

❁ ❁ ❁

أقبل مسيلمة علىٰ النبي ﷺ في وفد كبير من قومه، يسأله أن يجعل له الأمر من بعده حتىٰ يتبعه، فلقيه النبي ﷺ، وفي يده قطعة من جريد، فقال له: «**لو سألتني هذه القطعة ـ أي: قطعة الجريد ـ ما أعطيتكها**» والعبارة كناية عن رفض طلب مسيلمة رفضًا قاطعًا، ثم قال ﷺ لمسيلمة: «**ولئن أدبرت ليعقرنك الله**».

وقوله: «**ليعقرنك**» أي: (ليهلكنك، قيل: أصله من عَقْر النخل، وهو أن يُقطع رؤوسها فتيبس)[2].

وقيل: (أصله من عَقْر الإبل: ضرب قوائمها بالسيف وجرحها)[3]. قال الله ﷻ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤].

وحذره ﷺ من المعصية، والتفلت من الطاعة، وأخبره أن عاقبته إن فعل ذلك القتل، وأنه قد رأىٰ فيه رؤيا لا يظنها تخطئه.

وكان رسول الله ﷺ قد رأىٰ في منامه سوارين من ذهب، فتعجب من

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨) كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب.
(٢) فتح الباري (١/ ١٥٩).
(٣) عمدة القاري (١٦/ ١٥٢).

أمرهما، وانشغل بشأنهما فأُوحي إليه في المنام أن ينفخهما، فنفخهما فطارا، فأوَّل ذلك كذابين يخرجان من بعده، وهما الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب.

أمَّا الأسود العنسي، فهو (الأسود الصنعاني الذي ادعىٰ النبوة، وقيل: اسمه عَبْلة ـ بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة ـ ابن كعب، وكان يقال له: ذو الخمار؛ لأنه زعم أن الذي يأتيه ذو الخمار، قتله فيروز الصحابي الديلي بصنعاء، دخل عليه فحطم عنقه، وهذا كان في حياة رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه علىٰ الأصح والمشهور، وبشر رسول الله ﷺ الصحابة بذلك، ثم بعده حُمل رأسُه إليه، وقيل: كان ذلك في زمن الصديق رضي الله تعالىٰ عنه)[1].

وأمَّا مسيلمة، فقد استفحل أمره بعد وفاة النبي ﷺ، (وأطبق عليه أهل اليمامة، وانضاف إليه بشر كثير من أهل الردة، فأرسل إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه كتبًا كثيرة يعظهم ويحذرهم، إلىٰ أن بعث إليهم كتابًا مع حبيب بن عبد الله الأنصاري، فقتله مسيلمة، فعند ذلك عزم أبو بكر علىٰ قتالهم والمسلمون، فأمَّر أبو بكر خالد بن الوليد، وتجهز الناس، فصاروا إلىٰ اليمامة، فاجتمع لمسيلمة جيش عظيم، وخرج إلىٰ المسلمين، فالتقوا، وكانت بينهم حروب عظيمة شديدة، واستشهد فيها من قرّاء القرآن خلق كثير، حتىٰ خاف أبو بكر وعمر أن يذهب من القرآن شيء لكثرة من استشهد من القُرَّاء، ثم إن الله تعالىٰ ثبَّت المسلمين، وقتل مسيلمة علىٰ يدي وحشي قاتل حمزة، ورماه بالحربة التي قتل بها حمزة، ثم وقف عليه رجل من الأنصار، وهو عبد الله بن زيد بن عاصم فاحتز رأسه، وهزم الله جيشه، وأهلكهم)[2].

وهكذا طار السواران اللذان رآهما رسول الله ﷺ في منامه، وتبددت

---

(١) عمدة القاري (١٦/ ١٥٢).

(٢) طرح التشريب في شرح التقريب (٨/ ٢٠٩).

أحلام الكاذبين.

وبينما كان رسول الله ﷺ نائمًا ذات يوم في بيت أم حرام بنت ملحان[(١)] زوج عبادة بن الصامت، رأىٰ رؤيا فاستيقظ وهو يضحك، فسألته: وما يضحكك يا رسول الله؟ فأخبرها أنه رأىٰ ناسًا من أمته يغزون في سبيل الله يركبون ثبج البحر، **ملوكًا علىٰ الأسرة**.

والثبج: الظَّهر، أو أعلىٰ متن الشيء، وقوله: «**ملوكًا علىٰ الأسِرّة**» تشبيه شبه فيه رسول الله ﷺ المجاهدين بالملوك علىٰ العروش، أو أنه أراد أنهم سيكونون في الجنة ملوكًا علىٰ أَسِرتهم، وفيه إشارة إلىٰ عظيم ثوابهم وجزيل أجرهم في الدنيا والآخرة.

فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام مرة أخرىٰ، فرأىٰ ذات الرؤيا، فاستيقظ يضحك، فسألته عن ضحكه، فقال لها كما قال في المرة الأولىٰ، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت من الأولين**».

فلما كان زمن عثمان غزت مع زوجها في أول غزوة كانت إلىٰ الروم في البحر مع معاوية ابن أبي سفيان، وفيها نزل قبرص ففتحها، (ولما أرادوا الخروج منها قُدّمت لأم حرام بغلة لتركبها، فسقطت عنها، فماتت هناك، فقبرها هنالك يعظمونه ويستسقون به، ويقولون: قبر المرأة الصالحة)[(٢)].

لقد أخبر النبي أصحابه بأن هذا الدين سوف ينتشر في بقاع الأرض، وأن المسلمين سوف يُنصرون علىٰ أعدائهم، وسوف يصيبون مغانم كثيرة، وسوف تُفتح عليهم البلاد، وتتحقق لهم الغلبة، ودعا من أدرك ذلك منهم

---

(١) أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام خالة أنس، صحابية مشهورة، ماتت في خلافة عثمان. تقريب التهذيب (١/ ٧٥٥).

(٢) عمدة القاري (١٤/ ٨٧).

إلىٰ أن يتقي الله، ويأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر، ثم قال: «**ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»، أي: من نقل عني كذبًا، وقوّلني ما لم أقله فقد استحق أن يكون من ساكني النار.

وروىٰ سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك**» وقد تحقق ذلك، فقد كانت (مدة خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ومدة عمر عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، ومدة عثمان إحدىٰ عشرة سنة وأحد عشر شهرًا وتسعة أيام، ومدة خلافة عليٍّ أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام)[١].

ومجمل ذلك تقريبًا ثلاثون سنة، وقد عَنَىٰ رسول الله بالخلافة: الخلافة الراشدة التي علىٰ منهاج النبوة، أي الخلافة الكاملة التي طُبِّقَتْ فيها سنة النبي ﷺ كما أمر، ونُفِّذ هديه فيها كما فعل، أما ما تلا ذلك من خلافة بني أمية، وبني العباس، وغيرهم، فقد تغيرت فيها أمور، وابتدعت فيها بدع، وانتهكت فيها سنن. لكنها ظلت في المطلق خلافة تحكم باسم الإسلام، وتعمل علىٰ نشره، وتطبق معظم أحكامه.

كان النبي ﷺ يحب الأنصار ويعتبرهم أهله وبطانته وخاصته، ولذا قال: «**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشِي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»[٢].

وخشي النبي ﷺ أن يتعرض الأنصار من بعده للظلم والإبعاد، والأثرة والاضطهاد، فأراد أن يُقْطع لهم أرض البحرين، خالصة لهم من دون الناس، لا ينازعهم فيها أحد.

غير أن الأنصار، أهل الإيثار، قالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين

---

(١) تحفة الأحوذي (٦/ ٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (٢٥١٠)، وغيرهم.

مثلها.

فأنبأهم رسول الله ﷺ أنهم سيلقون من بعده أثرة شديدة، ودعاهم إلىٰ الصبر حتىٰ يلقَوْه علىٰ الحوض.

وأخبر رسول الله ﷺ أنه ستكون من بعده أثرة وأمور منكرة، فسأله أصحابه عن السبيل إلىٰ النجاة من هذه الفتن، فأوصاهم بأن يؤدوا ما عليهم من واجبات، وأن يسألوا الله ما لهم من حقوق.

وحذر النبي أصحابه من أن الفتن سوف تعم المدينة من بعده، وتتخلل بيوتها، كما يتخللها المطر، بل إن الله جَلَّوَعَلَا كشف له ذلك، ومثله له عيانًا، فرآه أمام ناظريه، حين أشرف علىٰ أحد حصون المدينة القديمة فرأىٰ بيوتها تعج بالفتن، فقال لأصحابه كالمنذر: «**هل ترون ما أرىٰ، إني لأرىٰ مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**».

والفتن جمع فتنة، (والفتنة لها وجوه في اللغة منها العذاب، ومنها الإحراق، ومنها الحروب التي تقع بين الناس، ومنها الابتلاء والامتحان وغير ذلك)[١].

وشبه رسول الله ﷺ مواقع الفتن بمواقع القطر (في الكثرة والعموم، أي: أنها كثيرة وتعم الناس، لا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلىٰ الحروب الجارية بينهم كوقعة الجمل وصفين والحرة، ومقتل عثمان ومقتل الحسين رضي الله عنهما، وغير ذلك)[٢].

(وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (١٧/ ١٢).

(٢) شرح النووي (١٨/ ٨).

العصر إنما تولد عن شيء من ذلك، أو عن شيء تولد عنه)[١].

والغاية من الحديث هو التشديد في النكير علىٰ هذه الفتن والوالغين فيها، ودعوة الأصحاب إلىٰ تجنبها، والاعتصام بالله من شرها.

وذكر رسول الله ﷺ الخوارج بصفاتهم في أكثر من حديث، وأكد أنهم من أمته، وأنهم سوف يخرجون من بعده، فيثيرون الفتن، ويستحلون المحارم، وهم قوم ـ كما وصفهم ـ يقرؤون القرآن، ويزعمون أنهم علىٰ نهجه وهديه، وهم لا يعرفون منه سوىٰ حروفه وأصواته التي تتردد بها مجاري أنفاسهم، قال ﷺ: «**قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة**»

وقوله: «**لا يجاوز حلاقيمهم**» كناية عن عدم التدبر في قراءة القرآن، وعدم تطبيق أحكامه، أو العمل بما جاء فيه، والاكتفاء بقراءة حروفه وكلماته.

وتشبيهه ﷺ خروجهم من الدين، بمروق السهم من الرمية، وهي الطريدة التي يرميها الرامي ـ إشارة إلىٰ سرعة مروقهم من الدين، وعدم الرجوع إليه تارة أخرىٰ.

(وقال الأخفش: شبهه برمية الرامي الشديد الساعد إذا رمىٰ، فأنفذ سهمه في جنب الرمية، فخرج السهم من الجانب الآخر من شدة رميه، وسرعة خروج سهمه)[٢].

فهم يزيغون من الدين زيغًا، ويمرقون منه مروقًا، فلا يرجعون إليه أبدًا، هم شر الخلق والخليقة؛ (لأنهم جمعوا بين الكفر والمراءاة، فاستبطنوا الكفر، وزعموا أنهم أعرف الناس في الإيمان، وأشد تمسكًا بالقرآن، فضلوا وأضلوا)[٣].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ١٣).
(٢) التمهيد (٢٣/ ٣٢٦).
(٣) مرقاة المفاتيح (٧/ ١٠١).

تلك هي صفات الخوارج الذين ظهروا زمن علي رضي الله عنه، بيَّنها رسول الله ﷺ قبل ظهورهم بسنين، وتحققها أهل زمانهم، وأهل الأزمان التي تلتهم.

وعظ الرسول ﷺ أصحابه يومًا موعظة بليغة ذرفت لها عيونهم، ووجلت منها قلوبهم، فطلبوا منه أن يعهد إليهم، فأوصاهم بتقوىٰ الله، والسمع والطاعة، وإن وُلِّي عليهم عبد حبشي، وحذرهم من اختلاف كثير سوف يقع من بعده، وبين لهم أن لا نجاة من هذا الاختلاف إلا بالتمسك بسنته وسنة من سوف يتبعه من الخلفاء الراشدين، وتجنب المحدَث من الأمور، فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

(والمراد بالبدعة: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغة، فقوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**» من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين)[(١)].

وقال ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**»

وقوله ﷺ: «**عضوا عليها بالنواجذ**»، النواجذ: (جمع ناجذة بالذال المعجمة، قيل: هو الضرس الأخير، وقيل: هو مرادف السن، وهو كناية عن شدة ملازمة السُّنة، والتمسك بها)[(٢)].

سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن الساعة، فأخبرهم أنه لا علم له بها، وإنما علمها عند الله، لكنه أقسم أنه لن تبقىٰ علىٰ الأرض نفس مولودة فوق مائة سنة. وقد أشكل هذا علىٰ كثيرين، فقال من لا يعلم: (قد عاش خلق أكثر من هذا قبل الرسول ﷺ وبعده، فما وجه هذا؟ فالجواب: أنه ﷺ عني

---

(١) عون المعبود (١٢/ ٢٣٥).

(٢) عون المعبود (١٢/ ٢٣٥).

بذلك الموجودين حينئذ من يوم قوله هذا، وهذا قاله قبل أن يموت بشهر كما روي في الحديث، فما بلغ أحد ممن كان موجودًا من يومئذ مائة سنة)[١]، وتؤكد ذلك المعنىٰ رواية مسلم وغيره: «**ما من نفس منفوسة اليوم، تأتي عليها مائة سنة، وهي حَيَّة يومئذ**»[٢].

لم يخش الرسول ﷺ علىٰ أصحابه شيئًا مثلما خشي عليهم من فتنة الدنيا، جلس يومًا بين أصحابه يعظهم فقال لهم: «**إني مما أخاف عليكم من بعدي، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**» أي: إذا اكتسبوه من غير وجهه، وضيعوه في غير حقه، فسأله رجل: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر، فسكت النبي، فلام القوم السائل، ثم بدا لهم أن الوحي يُنزَّل علىٰ النبي، فلما سري عنه مسح العرق، وأقبل علىٰ أصحابه فسأل عن السائل، فعلموا أنه لم ينكر عليه مسألته، فقال له: «**إنه لا يأتي الخير بالشر**» أي: (أن ما قضىٰ الله أن يكون خيرًا يكون خيرًا، وما قضاه أن يكون شرًا يكون شرًا، وأن الذي خفت عليكم: تضييعكم نعم الله وصرفكم إياها في غير ما أمر الله، ولا يتعلق ذلك بنفس النعمة، ولا ينسب إليها)[٣].

فالخير لا يأتي بالشر، لكن قد يكون الخير سببًا في الشر.

وضرب الرسول ﷺ لذلك مثلين:

الأول: ببعض الدواب تأكل من عشب الربيع فتستطيبه، فتستكثر منه وتفرط، فيقتلها، أو يكاد يقتلها.

والثاني: ببعض الدواب تأكل الطري الغض من النبات حتىٰ إذا أحست بالشبع اكتفت، واستقبلت الشمس تستمرئ ما أكلت، ثم عادت لتأكل.

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣٥٣٨)، وأحمد (٣/ ٣٠٥)، وغيرهما.

(٣) عمدة القاري (٩/ ٤٠).

فالمثل الأول ضربه (للمُفرط في جمع الدنيا، ومنْعِها حقَّها، وضرب الآخر للمقتصد في أخذها والانتفاع بها)[1].

قال ﷺ: «**وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم، إلا آكلة الخضراء، أكلت حتىٰ إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس، فثلطت وبالت، ورتعت**»

وفي الكلام استعارة تمثيلية شبه فيها النبي ﷺ المُفْرط في متاع الدنيا، مع منع حق الله فيها، بالدابَّة التي أقبلت علىٰ العشب الربيعي، فاستطابته واستكثرت، حتىٰ قتلها أو كاد. وشبه المقتصد في متاع الدنيا، بدابة تأكل العشب الأخضر الغضَّ حتىٰ إذا أحست بالشبع توقفت، واستدارت للشمس تهضم ما أكلت، ثم ألقت روثًا رقيقًا وبالت، فاستراحت من الامتلاء، وذهب عنها الشبع، فعادت للمرعىٰ تأكل منه مرة أخرىٰ.

وهذان المثلان اللذان تمثل بهما النبي ﷺ مناسبان للبيئة العربية الرعوية التي نشأ فيها الصحابة، فكلمهم النبي بما يفهمونه ويشاهدونه كل يوم، فالصورة علىٰ بساطتها دقيقة، مليئة بالتفاصيل، شديدة الإيحاء، متناسقة الأطراف.

وبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة ليأتي بجزية البحرين، فقدم من هناك بمال كثير، وسمع الأنصار بقدومه، فأقبلوا بعد صلاة الصبح يتعرضون للنبي ﷺ حين هم بالانصراف، فتبسم الرسول ﷺ حين رأىٰ ذلك فقال: «**أظنُكُم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟**» قالوا: أجل يا رسول الله، فبشرهم بالخير، وأمَّلهم بما يسرهم، وأقسم أنه لا يخشىٰ عليهم من بعده الفقر، وإنما يخشىٰ أن يوسَّع عليهم في الدنيا كما وُسع علىٰ من كان قبلهم، فيميلون إليها ويرغبون فيها، ويتنازعون عليها كما فعل الأولون، فتهلكهم كما أهلكتهم.

---

(١) مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٥٩).

(وكذلك خشي عمر بن الخطاب فتنة المال، فروي عنه أنه لما أتي بأموال كسرىٰ بات هو وأكابر الصحابة عليه في المسجد، فلما أصبح وأصابته الشمس التمعت تلك التيجان فبكىٰ، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ليس هذا حين بكاء، إنما هو حين شكر، فقال عمر: أقول: ما فتح الله هذا علىٰ قوم قط إلا سفكوا دماءهم، وقطعوا أرحامهم، وقال: اللهم منعت هذا رسولك إكرامًا منك له، وفتحته عليَّ لتبتليني به، اللهم اعصمني من فتنته)[١].

❁ ❁ ❁

٢ ـ نبوءات تحققت بعد قرون الخيرية:

* افتراق الأمة: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ إِحْدَىٰ أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[٢].

* قوم سوء يأتون بعد قرون الخيرية:

١ ـ «ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ»:

عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرني، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهم، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[٣].

---

(١) شرح ابن بطال (١٠/ ١٥٥، ١٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) كتاب السُّنَّة بَاب شَرْحِ السُّنَّةِ، والترمذي (٢٦٤٠) كتاب أبواب الإيمان، باب مَا جَاءَ في افْتِرَاقِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وابن ماجة (٣٩٩١) كتاب الفتن، باب افْتِرَاقِ الأُمَمِ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥١) كتاب المناقب، بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ومسلم (٢٥٣٣) كتاب الفضائل، بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهم ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهم، والترمذي (٣٨٥٩) كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل من رأىٰ النبي ﷺ، وابن ماجة (٢٣٦٢) كتاب الأحكام، بَابُ كَرَاهِيَةِ الشَّهَادَةِ لِمَنْ لَمْ يُسْتَشْهَدْ.

٢ ـ «وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»:

عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرني، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» ـ قَالَ عِمْرَانُ: لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[(١)].

٣ ـ «ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ»:

عن ابن عُمَرَ قال: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فقال: يا أَيُّهَا الناس إني قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رسول اللهِ ﷺ فِينَا، فقال: «أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهم، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حتى يَحْلِفَ الرَّجُلُ ولا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ ولا يُسْتَشْهَدُ، ألا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا كان ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فإن الشَّيْطَانَ مع الْوَاحِدِ، وهو من الإثنين أَبْعَدُ، من أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فليلزم الْجَمَاعَةَ، من سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فذلك الْمُؤْمِنُ»[(٢)].

٤ ـ «يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ»:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إنها تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرُونَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١) كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، وأبو داود (٤٥٦٧) كتاب السنة، باب في فضل أصحاب الرسول ﷺ، والترمذي (٢٢٢٢) كتاب أبواب الفتن، باب ما جاء في القرن الثالث، والنسائي في المجتبى (٣٨٠٩) كتاب الأيمان والنذور، الوفاء بالنذر، وابن ماجة (٣٨٠٩) كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٦٥) كتاب أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لزوم الجماعة.

فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(١).

٥ ـ «دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ»:

عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بهذا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»** قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: **«قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»**، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابهم إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: **«هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»** قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرني إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: **«تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»** قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: **«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»**(٢).

*** أُمراءُ تَشغلُهُم الدنيا عن الصَّلاة: «إنها ستَكُونُ عَلَيكُمْ بَعْدِي أُمَرَاءُ تَشْغَلُهُمْ أَشْيَاءُ عَنِ الصَّلاةِ لِوَقْتِهَا»:**

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إنها سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي أُمَرَاءُ تَشْغَلُهُمْ أَشْيَاءُ عَنِ الصَّلاةِ لِوَقْتِهَا حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا فَصَلُّوا الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا»**، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أُصَلِّي مَعَهُمْ؟، قَالَ: **«نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ»**. وَقَالَ سُفْيَانُ: إِنْ أَدْرَكْتُهَا مَعَهُمْ أُصَلِّي مَعَهُمْ؟ ـ قَالَ: **«نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ»**(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠) كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عن الْمُنْكَرِ من الْإِيمَانِ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم (١٨٤٧) كتاب الإمارة، باب ملازمة جماعة المسلمين، وابن ماجة (٣٩٧٩) كتاب الفتن، باب العزلة.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٣) كتاب الصلاة، بَاب إذا أَخَّرَ الْإِمَامُ الصَّلَاةَ عن الْوَقْتِ، وابن =

*** فتنة النساء: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»:**

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(١).

*** تمني رؤية النبي ﷺ: «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»:**

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**»(٢).

- عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ زَمَانٌ، لأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ**»(٤).

*** رفع الأمانة: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ»**

عن حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**» وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَىٰ أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَىٰ رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا،**

= ماجة (١٢٥٧) كتاب إقامة الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَا إِذَا أَخَّرُوا الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) كتاب النكاح، بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ شُؤْمِ المَرْأَةِ، ومسلم (٢٧٤٠) كتاب الذكر والدعاء، بَاب أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ، والترمذي (٢٧٨٠) كتاب الأدب، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَحْذِيرِ فِتْنَةِ النِّسَاءِ، وابن ماجة (٣٩٩٨) كتاب الفتن، بَابُ فِتْنَةِ النِّسَاءِ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٨٩) كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ.

وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ «وَلَقَدْ أَتَىٰ عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»[(١)].

*** تسمية الخمر بغير اسمها: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونها بغَيْرِ اسْمِهَا»**

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ، فَتَذَاكَرْنَا الطِّلَاءَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونها بِغَيْرِ اسْمِهَا»[(٢)].

*** استحلال الحرير: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْخَزَّ، وَالْحَرِيرَ»**

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ، وَاللَّهِ يَمِينٌ أُخْرَىٰ مَا كَذَّبَنِي، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْخَزَّ، وَالْحَرِيرَ» وَذَكَرَ كَلَامًا، قَالَ: «يُمْسَخُ مِنْهُمْ آخَرُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(٣)].

*** فتن وزلازل وقتل: «عَذَابها فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ»:**

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧) كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ومسلم (١٤٣) كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة، وابن ماجة (٢١٧٩) كتاب أبواب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ فِي رَفْعِ الْأَمَانَةِ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٨٨) كتاب الأشربة، بَاب في الدَّاذِيِّ، وابن ماجة (٤٠٢٠) كتاب الفتن، باب العقوبات.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٣٩) كتاب اللباس، بَاب ما جاء في الْخَزِّ.

عَلَيْهَا عَذَابٌ في الْآخِرَةِ، عَذَابها في الدُّنْيَا الْفِتَنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ»(١).

*** إنكار الحديث النبوي: «وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ كَمَا حَرَّمَ اللهِ»:**

عَنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ كَمَا حَرَّمَ اللهُ»**(٢).

❁ ❁ ❁

أخبر النبي أصحابه بأن اليهود افترقوا علىٰ إحدىٰ أو اثنتين وسبعين فرقة، والشك من الراوي، وأن النصارىٰ افترقت أيضًا علىٰ إحدىٰ أو اثنتين وسبعين فرقة، وأن أمته سوف تفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، وفي رواية لابن ماجة عن عوف بن مالك زاد: «**واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار**»، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**الجماعة**»(٣).

وليس المراد بالفرق المذمومة (المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قَصَدَ بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة، وما جرىٰ مجرىٰ هذه الأبواب؛ لأن المختلفين فيها قد كفَّر بعضهم بعضًا، بخلاف النوع الأول، فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلىٰ هذا النوع من الاختلاف.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٧٨) كتاب الفتن والملاحم، باب ما يرجىٰ في القتل.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٦٤) كتاب أبواب العلم، باب مَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، وابن ماجة (١٢) كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب تَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالتَّغْلِيظِ عَلَىٰ مَنْ عَارَضَهُ.

(٣) أخرجه ابن ماجة (٣٩٩٢).

وقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه، ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئًا فشيئًا إلىٰ أن تكاملت الفرق الضالة اثنتين وسبعين فرقة، والثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة، وهي الفرقة الناجية)[1].

لقد قطع الرسول ﷺ بأن قرنه خير القرون قاطبة، يتلوه في الخيرية قرنان: القرن الذي يلي قرنه ﷺ، ثم الذي يليه، ثم يأتي بعد ذلك قوم (يُكثرون الأَيْمان علىٰ كل شيء حتىٰ تصير لهم عادة، فيحلف أحدهم حيث لا يراد منه اليمين، وقبل أن يُستحلف، يدل علىٰ ذلك قول النخعي: وكانوا ينهوننا ونحن غلمان أن نحلف بالشهادة والعهد، يعني: أن نحلف بالشهادة بالله، وعلىٰ عهد الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤])[2].

وقيل: (المراد أنه يكثر كذبهم، ولا يوثق بشهادتهم، فيروِّجون شهادتهم بحلف قبلها أو بعدها)[3].

وأشار النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عنه عمران بن حصين إلىٰ بعض الخلائق والظواهر السيئة التي سوف تفشو في هؤلاء القوم بعد قرون الخيرية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، ويَنْذرون ولا يَفُون، ويظهر فيهم السمن**».

أولاً ـ الخيانة:

وهي خيانة ظاهرة مستمرة مستقرة معروفة بين الناس؛ يدل علىٰ ذلك استخدام المضارع: «**يخونون ولا يؤتمنون**» أي: لا يثق الناس بهم، ولا

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٣٣٢).

(٢) شرح ابن بطال (٦/ ١١٣، ١١٤).

(٣) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجة (٢/ ٦٤).

يعتمدون عليهم، ولا يرجون منهم خيرًا؛ لما أثر عنهم من خيانة. والطباق المتكرر بين طرفي كل جملة: «**يخونون ـ لا يؤتمنون**»، «**يشهدون ـ لا يستشهدون**»، «**ينذرون ـ لا يفون**» ـ يؤكد علىٰ فداحة ما وصلت إليه أحوال القوم من تردٍّ وسوء خلق.

ثانيًا ـ أداء الشهادة دون طلب:

والمراد بذلك أنهم يسارعون إلىٰ أداء الشهادة دون أن يُكلَّفوا بذلك، قيل: لأن الشهادة قبل الاستشهاد فيها معنىٰ الجوْر، وقيل: (المراد شهادة الزور، وقيل: يحلفون كذبًا ولا يُستحلفون)[1].

ثالثًا ـ عدم الوفاء بالنذر:

أي أنهم يوجبون علىٰ أنفسهم أشياء ولا ينفذونها، (ولا يبالون بتركها، بخلاف الأبرار علىٰ ما قال سبحانه في حقهم: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧]، وقد قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، أي: بالأَيْمَان والنذور والعهود)[2].

رابعًا ـ انتشار البطنة والسمنة:

قال ﷺ: «**ويظهر فيم السمن**» وفي التعبير كناية عن الإغراق في الترف والملذات، والانكباب علىٰ متاع الدنيا من أكل وشرب، وترك السعي والحركة حتىٰ تثقل الأجسام، وتفشو السمنة، (فهم يأكلون في الدنيا كما تأكل الأنعام، ولا يقتدون بمن كان قبلهم من السلف الذين كانت همتهم من الدنيا في أخذ القوت والبُلغة، وتوفير الشهوات إلىٰ الآخرة)[3].

---

(١) فيض القدير (٣/ ٤٩٧).
(٢) مرقاة المفاتيح (١/ ٣٠٣).
(٣) شرح ابن بطال (٦/ ١٥٦).

وروىٰ عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام فيهم فأوصىٰ بأصحابه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم أخبر أنه سيأتي من بعد ذلك قوم يكثر فيهم الكذب حتىٰ يحلف الرجل دون أن يُستحلف، ويشهد دون أن يُستشهد، ثم حذر النبي ﷺ من خلوة الرجل بامرأة لا تحل له، وأمر بلزوم الجماعة، قال ﷺ: «من أراد بُحبوحة الجنة **فليلزم الجماعة**»، ونهىٰ عن الفرقة، فمعها يتمكن الشيطان.

وبُحبُوحة الجنة، بضم الباءين: وسطها وأخصبها، وأحسنها وأوسعها، وأعلىٰ درجاتها ومنازلها، (والبُحبُوحة: وسط المحلة، وبحبوحة الدار: وسطها، قال جرير:

قومـــي تمـــيمٌ هـــمُ القـــومُ الـــذينَ هـــمُ
يـــنفونَ تغلـــبَ عـــن بُحْـــبُوحةِ الـــدَّارِ)[1]

وقوله: «**فليلزم الجماعة**» أمر غرضُه الحثُّ والتحضيض.

وصرح ﷺ بأن المؤمن الكامل هو الذي تسعده حسنته، وتسوؤه سيئته.

علىٰ أن سعادة المرء بحسنته لا يجب أن تؤدي إلىٰ العُجب، (فيُسر بما يرىٰ من طاعته، فيطمئن إلىٰ أفعاله، فيكون قد انصرف عن الله إلىٰ نفسه العاجزة الحقيرة الضعيفة الأمارة اللوامة فيهلك؛ ولذلك قال بعض العارفين: ذنبٌ يوصل العباد إلىٰ الله تعالىٰ خير من عبادةٍ تصرفه عنه، وخطيئةٌ تفقره إلىٰ الله خير من طاعةٍ تغنيه عن الله)[2].

كذلك يجب أن لا يؤدي به حزنه من سيئته إلىٰ القنوط من رحمة الله، أو الإعراض عن التوبة والأوبة، فكلا الأمرين إذا جاوز حد الاعتدال كان مهلكة.

إن من سنة الله في أنبيائه كما أخبر رسول الله ﷺ أنه ما بعث نبيًا إلا جعل

---

(١) لسان العرب (٣/ ٤٠٧).

(٣) فيض القدير (٦/ ١٥٣).

له من أمته حواريين وأصحابًا يسيرون علىٰ هديه، ويتأسون بسنته، ثم يأتي من بعده قوم ضالُّون مضلون، منافقون، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، وهؤلاء حقٌّ علىٰ كل مؤمن صحيح الإيمان أن يجاهدهم إن استطاع بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، ومن لم يأتِ بواحدة من هذه الثلاثة فليس عنده من الإيمان ما يساوي حبة خردل.

سأل حذيفة بن اليمان رسول الله ﷺ: فقال: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بهذا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قال: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَنٌ**».

والدَخَنُ: الكدورة إلىٰ السواد، (وأصل الدخن أن يكون في لون الدابة أو الثوب كُدرة إلىٰ سواد.

قال المعطل الهذلي يصف سيفًا:

لَيْنٌ حسامٌ لا يُليقُ ضَريبةً

في متنِهِ دَخَنٌ وأَثرٌ أحلسُ

قوله: دخنٌ، يعني: كدورة إلىٰ السواد)[١].

قال الزمخشري: (استعير من دخن الدنيا النار والطبيخ، وهو دخن الخُلُق وفاسده)[٢].

وقال النووي: (المراد من الدخن أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض، ولا يزول خبثها، ولا ترجع إلىٰ ما كانت عليه من الصفاء)[٣].

ثم سأل حذيفةُ رسولَ الله ﷺ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

---

(١) السابق (١٣/ ١٥٠).

(٢) أساس البلاغة (١/ ١٨٤).

(٣) شرح النووي (١٢/ ٢٣٧).

قال ﷺ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابهم إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**» (أي جماعة يدعون الناس إلىٰ الضلالة، ويصدونهم عن الهدىٰ بأنواع من التلبيس، ومن الخير إلىٰ الشر، ومن السنة إلىٰ البدعة، ومن الزهد إلىٰ الرغبة. جعل النبي دعوة الدعاة، وإجابة المدعوين سببًا لإدخالهم إياهم في جهنم، ودخولهم فيها، وجعل كل نوع من أنواع التلبيس بمنزلة باب من أبواب جهنم، «**من أجابهم**» أي: الدعاة «**إليها**» أي: إلىٰ جهنم، يعني إلىٰ الضلالة المؤدية إليها، «**قذفوه فيها**» أي: رموه وصاروا سببًا لقذفه في جهنم)[(١)].

وقوله ﷺ:«**دعاة علىٰ أبواب جهنم**»: كناية عن فساد الدعوة، وكفر داعيها، وفيها تنفير واضح من هؤلاء الدعاة إلىٰ البدع والضلالات، كالخوارج والقرامطة وغيرهم.

وطلب حذيفة من الرسول ﷺ أن يصف له هؤلاء الدعاة إلىٰ أبواب جهنم، فقال له: «**هم من جلدتنا**» أي من العرب، «**ويتكلمون بألسنتنا**» أي بالعربية، أو بما يشبه أقوالنا من قول الله وقول رسوله ليلبسوا علىٰ الناس أمورهم، وليخلطوا الحق بالباطل.

وحين سئل ﷺ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ أمره بالتزام الجماعة واعتزال الفرق، قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة، حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**»

والجماعة التي أمر رسول الله ﷺ بلزومها هي: (السواد الأعظم، وقالوا: كل ما كان عليه السواد الأعظم من أهل الإسلام من أمر دينهم، فهو الحق الواجب، والفرض الثابت، الذي لا يجوز لأحد من المسلمين خلافه)[(٢)].

وقوله: «**ولو أن تعضَّ بأصل شجرة**» كناية عن التمسك بالعزلة، واختار

---

(١) مرقاة المفاتيح (١٠/ ١٠).

(٢) شرح ابن بطال (١٠/ ٣٣)

الشجر لأنه يكون خارج المدن في البوادي، وفيها تكون العزلة.

وقيل: إن «**لو**» في العبارة للمبالغة، وأمثلتها في أحاديث رسول الله ﷺ كثيرة منها: «**بلغوا عني ولو آية**»(١).

«**اذهب فالتمس ولو خاتمًا من حديد**»(٢).

«**السحور أكلةُ بركة، فلا تدعوه، ولو أَنْ يجرعَ أحدُكم جرعةً من ماء**»(٣).

«**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تعطيَ صلةَ الحبل**»(٤).

قال أبو الحسن القاري في مرقاة المفاتيح: (وأنْ: مصدرية، وتَعَضَّ: منصوب في النسخ المصححة والأصول المعتمدة، وقيل: أنْ مخففة من المثقلة. قال التوربشتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي تمسَّك بما يصبرك، وتقوَّ به علىٰ اعتزالك، ولو بما لا يكاد يصح أن يكون متمسكًا. قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا شرط يُعقب به الكلام تتميمًا ومبالغة، أي: اعتزل الناس اعتزالًا لا غاية بعده، ولو قنعت فيه بعضِّ أصل الشجر افعل، فإنه خير لك)(٥).

ومن الشر الذي أدرك الناس بعد قرون الخيرية ـ كما تنبأ رسول الله ﷺ ـ أنْ تولَّي أمرَهم أمراءُ تشغلهم أمور الدنيا والحكم عن أداء الصلاة في أوقاتها، فيظلون لاهين عنها حتىٰ يخرج وقتها، ثم يصلونها بعد ذلك، أي أنهم لا يتركون الصلاة كلِّية كما يفعل كثير من أمراء عصرنا الحاضر، وإنما يصلونها بعد خروج وقتها، ولقد عدَّ الرسول ﷺ هذا التأخير عن الوقت شرًّا.

ووجَّه من يدرك هؤلاء الصنف من الأمراء إلىٰ أن يصلي الصلاة لوقتها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١)، والترمذي (٢٦٦٩)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٢١)، وأبو داود (٢١١١)، وغيرهما.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٢).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٢).

(٥) مرقاة المفاتيح (١٠/ ١١).

ولو منفردًا، ولا يؤخرَها كما يفعل هؤلاء الأمراء، فإن شاء أن يصلي معهم بعد ذلك ذات الصلاة مرة أخرىٰ فليصلِّها، زاد أحمد في لفظ: «**واجعلوا صلاتكم معهم تطوعًا**»[١].

ومن أعظم الفتن التي ابتلي بها الناس: فتنة النساء قال الله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فقدَّم في الآية النساء علىٰ سائر الشهوات (لأن المحنة بهن أعظم المحن علىٰ قدر الفتنة بهن، وقد أخبر الله ﷻ أن منهن أعداء، فقال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، ويروىٰ أن الله ﷻ لما خلق المرأة فرح الشيطان فرحًا شديدًا، وقال: هذه حبالتي التي لا تكاد يخطيني من نصبتها له)[٢].

وصرَّح الرسول ﷺ بأن فتنة النساء هي أشد فتنة تركها من بعده، فهي أبلغ ضررًا، وأعظم شرًّا من سواها من الفتن، (لأن الطباع كثيرًا تميل إليهن، وتقع في الحرام لأجلهن، وتسعىٰ للقتال والعداوة بسببهن، وأقل ذلك أن ترغِّبه في الدنيا، وأي فساد أضر من هذا، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وإنما قال: «**بعدي**»؛ لأن كونهن فتنة أضر ظهر بعده)[٣].

وتنبأ النبي ﷺ بأن من أشد الناس حبًّا له قومًا سوف يأتون من بعده، يتمنون رؤية النبي ﷺ، ولو ضحوا في مقابل ذلك بأهليهم وأموالهم.

وهؤلاء هم الذين وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم إخوانه في حديث مسلم وغيره الذي رواه أبو هريرة، أن رسول الله ﷺ أتىٰ المقبرة، فقال: «**السلام**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥)، (٥/ ٣١٤).

(٢) عمدة القاري (٢٠/ ٨٩).

(٣) مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٤٢).

عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا»، قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**»، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعدك من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «**أرأيت لو أن رجلًا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم علىٰ الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضالُّ، أناديهم: ألا هلمّ، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا**»(١).

وفي حديث البخاري الذي رواه أبو هريرة أيضًا أخبر النبي ﷺ أصحابه أنه سوف يأتي زمان ـ بعد وفاته ـ تكون فيه رؤية النبي عند أحدهم ﷺ أحبَّ إليه من أهله وماله.

روت السيدة عائشة أن رجلًا جاء إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، واللَّه إنك لأحب إليَّ من نفسي، وإنك لأحب إليَّ من أهلي ومالي، وأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتىٰ آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبي شيئًا حتىٰ نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩](٢).

وتحدث النبي ﷺ عن الأمانة، فذكر أن الله أنزلها في أصل قلوب الناس حين خلقهم، فلما تمكنت من قلوبهم قاموا بأداء التكاليف، وعلموا من القرآن والسنة.

والمراد بالأمانة التكليف الذي كلف الله تعالىٰ به عباده في قوله تعالىٰ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩)، والنسائي في الصغرىٰ (١٥٠)، وغيرهما.
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ١٥٣) (٤٧٧)، والصغير (١/ ٥٣) (٥٢).

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ... ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقيل: (هي الفرائض التي افترضها الله تعالىٰ علىٰ العباد، وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة، وقال أبو العالية: الأمانة ما أُمروا به، وما نُهوا عنه، وقال مقاتل: الأمانة: الطاعة)[1].

والأمانة أيضًا هي: الوفاء وسكون القلب، والأمانة ضد الخيانة.

ثم أخبر النبي أصحابه بأن الأمانة كما أُنزلت سوف تنزع، وأنها لن تنزع دفعه واحدة، وإنما ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه قبضًا حتىٰ تترك أثرًا يسيرًا مثل أثر الجرح، ثم ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه قبضًا فتخلف أثرًا كأثر الجمر.

قال رسول الله ﷺ: «**ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكْت، ثم ينام الرجل النومة فتقبض، فيبقىٰ أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته علىٰ رجلك فَنَفِطَ، فتراه منتبرًا وليس فيه شيء**».

وقد صوَّر الرسول ﷺ أثر قبض الأمانة من قلوب الرجال من خلال تشبيهين:

الأول: أن يصير أثرها مثل أثر الوكت، والوكت: هو الأثر اليسير للجرح المندمل. وفي ذلك إشارة إلىٰ غفلة الناس، حيث تنزع منهم الأمانة دون أن يشعروا بها، ولا يبقىٰ منها إلا الشيء الضئيل.

والثاني: يؤكد الأول، ولكنه أكثر تفصيلًا.

يصور فيه رسول الله ﷺ أثر قبض الأمانة بأثر المَجْل، (وهو الماء يجتمع من النفطة، تمتلئ ماء من عمل أو حرق)[2]، كفعل رجل دحرج علىٰ رجله

---

(١) شرح النووي (٢/ ١٦٨).
(٢) لسان العرب (١١/ ١٢).

جمرة، فتورَّم موضع الجمرة من رجله فهو يبدو منتفخًا، وليس فيه شيء إلا الماء.

وفيه إشارة إلىٰ زوال الأمانة، وانمحاء آثارها، فلا يبقىٰ منها في الرجال إلا آثار خادعة مضللة، فيخيل إليك أن الرجل ذو أمانة، وليس في قلبه مثقال ذرة منها.

وحين تقبض الأمانة، ولا يبقىٰ لها في القلوب محل ـ يتبايع الناس، فلا يؤدي أحدهم الأمانة لصاحبه، ويندر الأمناء حتىٰ يقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويُمدح الرجل برجاحة عقله، وظرف منطقه، وقوة تحمله، وما في قلبه ما يساوي مثقال حبة خردل من إيمان.

ثم ذكر النبي ﷺ أنه ظل زمانًا لا يبالي أي الناس يبيع منه ويشتري، إذ كان في الناس وفاءٌ بالعهود، فإن المبايع إن يكن مسلمًا، يمنعه دينه وأمانته من الخيانة، وإن يكن غير مسلم يرده واليه عن الخيانة، أما اليوم ـ وقد فسدت القلوب ـ فما بقيت له ﷺ ثقة بمن يبايع، فهو لا يبايع إلا فلانًا وفلانًا، وحدد النبي ﷺ أفرادًا بأعينهم يعرفهم ويثق بهم.

وأخبر النبي ﷺ أصحابه فيما أخبر أنه سوف يأتي زمان يشرب الناس فيه الخمر، يتسترون في شربها بتسميتها بغير اسمها، (أي يتوصّلون إلىٰ شربها بأسماء الأنبذة المباحة كماء العسل، وماء الذرة ونحو ذلك، ويزعمون أنه غير محرم؛ لأنه ليس من العنب والتمر، وهم فيه كاذبون؛ لأن كل مسكر حرام)[1].

والعبرة كما هو معلوم ليست بالمسمىٰ، وإنما بالإسكار، فما أسكر كثيره فقليله حرام، سواء أكان ماء عسل وماء ذرة كما تستر الأقدمون، أم كان مشروبات روحية وبيرة وحشيشًا كما يتستر المحدثون.

(١) عون المعبود (١٠/ ١١٠).

قال رسول الله ﷺ: «**ليشربن ناسٌ من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**».

وقوله: «**يسمونها بغير اسمها**» كناية عن التحايل على تعاطي الحرام.

(وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل**»)(١).

ونهى النبي ﷺ عن لبس الحرير للرجال في الحديث الذي رواه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أخذ ذهبًا بيمينه، وحريرًا بشماله، فقال: «**هذا حرام على ذكور أمتي**»(٢).

وتنبأ ﷺ بأن أناسًا من أمته يكونون من بعده سوف يستحلون الخز والحرير، والخز نوع من أنواع الحرير، قيل: (ثياب سُداها من حرير ولحمتها من غيره، وقيل تنسج مخلوطة من حرير وصوف أو نحوه)(٣).

وحذر النبي ﷺ من أن هؤلاء يمسخ منهم قردة وخنازير، فيظلون كذلك إلى يوم القيامة.

ويحتمل أن يكون المسخ على حقيقته (كما وقع في الأمم الماضية، ويحتمل أن يكون كناية عن تبدل أخلاقهم)(٤).

ورغم كل هذه الفتن بشَّر النبي ﷺ أمته فقال: «**أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة**».

وفي قوله: «**أمة مرحومة**» أقوال كثيرة، منها أنها رحمة زائدة على سائر الأمم؛ لأن نبيّهم هو نبي الرحمة، أو أنه خصيصة من خصائص هذه الأمة اختصها الله بها، فما من مصيبة تصيبهم في الدنيا، حتى الشوكة، إلا كفَّر الله بها في الآخرة ذنبًا من ذنوبهم، والقول الأخير هو الراجح كما يُفهم من قوله

---

(١) تنقيح تحقيق أحاديث التعليق (٣/ ٤٢٦).
(٢) أخرجه النسائي في الصغرى (٥١٤٧)، وأحمد (١/ ٩٦).
(٣) عون المعبود (١١/ ٥٩).
(٤) عمدة القاري (٢١/ ١٧٦).

ﷺ بعد ذلك: «**ليس عليها عذاب في الآخرة**»، والمراد أنه ليس عليها عذاب شديد، وليس علىٰ أحد منها خلود في النار، إنما عذابها كما أخبر ﷺ في «**الفتن**» (أي: الحروب الواقعة بينهم، «**والزلازل**» أي الشدائد والأهوال، «**والقتل**» أي: قتل بعضهم بعضًا، وعذاب الدنيا أخف من عذاب الآخرة)(١).

وتنبأ النبي ﷺ بأنه سوف يأتي زمان ينكر فيه بعض الناس السنة، ويتطاولون علىٰ حديثه ﷺ، فيبلغ أحدَهم الحديثُ، فيعرض عنه، ويستهين به، ويزعم أنه لا يَعتدُّ إلا بكتاب الله، فما كان فيه حرامًا حرَّمه، وما كان فيه حلالًا حلَّله ـ ويؤكد النبي ﷺ أن ما يحرمه رسول الله هو كما حرم الله؛ لأنه ﷺ لا يأتي بشيء من عنده، ولا يحرم أو يحلل بهواه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ـ٤].

قال ﷺ: «**ألا هل عسىٰ رجل يبلغُه الحديث عني، وهو متكئ علىٰ أريكته**».

و«**ألا**» حرف تنبيه واستفتاح، و«**هل عسىٰ**» استفهام للإنكار، والتنكير في «**رجل**» للتحقير.

وقوله: «**وهو متكئ علىٰ أريكته**» كناية عن الدعة والخمول والاستهانة، (وإنما أراد بهذه الصفة أصحاب التَّرفُّهِ والدَّعة الذين لزموا البيوت، ولم يطلبوا العلم، ولم يغدوا، ولم يروحوا في طلبه في مظانه، واقتباسه من أهله)(٢).

٤ـ نبوءات تتحققُ بين يدي الساعة

* عودة الخلافة: «وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»:

عن ابْنِ زُغْبٍ الْإِيَادِيِّ قَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ، فَقَالَ لِي:

---

(١) عون المعبود (١١/ ٢٤١).
(٢) معالم السنن (٤/ ٢٩٨).

بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَغْنَمَ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا فَرَجَعْنَا، فَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا، وَعَرَفَ الْجَهْدَ فِي وُجُوهِنَا فَقَامَ فِينَا، فَقَالَ: «اللهُمَّ لا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ، فَأَضْعُفَ عَنْهُمْ، وَلا تَكِلْهُمْ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلا تَكِلْهُمْ إِلَىٰ النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ» ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِي، أَوْ قَالَ: عَلَىٰ هَامَتِي.

ثُمَّ قَالَ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»[(١)].

* خروج المهدي: «لا تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»:

عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ» - قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: «لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ»، ثُمَّ اتَّفَقُوا - «حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أَوْ «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» وَقَالَ: فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: «لا تَذْهَبُ، أَوْ لا تَنْقَضِي، الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»[(٢)].

* خليفةٌ يحثي المال حثيًا: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا»:

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَىٰ إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٥) كتاب الجهاد، بَاب في الرَّجُلِ يَغْزُو يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالْغَنِيمَةَ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢) كتاب المهدي، والترمذي (٢٢٣٠) كتاب أبواب الفتن، ما جاء في المهدي.

يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَىٰ إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا**»، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَا: لَا[1].

*** دجالون كذابون: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا»:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ**»[2].

*** هلاك الأمة: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَها»:**

ـ عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَها، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا ـ أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا ـ حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ.

(٢) أخرجه مسلم (٦) المقدمة، بَابٌ فِي الضُّعَفَاءِ وَالْكَذَّابِينَ وَمَنْ يُرْغَبُ عَنْ حَدِيثِهِمْ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، وأبو داود (٤٢٥٢) كِتَاب الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، بَاب ذِكْرِ الْفِتَنِ وَدَلَائِلِهَا، والترمذي =

ـ عن عَمْرُو بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ الأُمَوِيِّ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَرْوَانَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ فَسَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ، يَقُولُ «هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَىٰ يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، فَقَالَ مَرْوَانُ: غِلْمَةٌ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ بَنِي فُلاَنٍ، وَبَنِي فُلاَنٍ(١).

*** خسف بالبيداء: «إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ»:**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: عَبَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: «**الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ**»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ، قَالَ: «**نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّىٰ، يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ**»(٢).

*** زنديق يهدم الكعبة: «كَأَني بهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ»:**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَأَني بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا**»(٣).

*** شرطة الموت: «إني لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ»:**

عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ

= (٢١٧٦) كتاب أبولب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ فِي سُؤَالِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلاَثًا فِي أُمَّتِهِ، وابن ماجة (٣٩٥٢) كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٥) كتاب المناقب، باب علامات النبوة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٩٥) كتاب الحج، باب هدم الكعبة.

هِجِّيرَىٰ إِلَّا: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ جاءَتِ السَّاعَةُ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّىٰ لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا ـ وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ ـ فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّىٰ يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَىٰ الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّىٰ يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَىٰ الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّىٰ يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَىٰ الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً ـ إِمَّا قَالَ لَا يُرَىٰ مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا ـ حَتَّىٰ إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِم، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّىٰ يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ـ أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»**(١).

* الطائفة المنصورة: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي مَنْصُورِينَ»:

- عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال.

ظَاهِرِينَ، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»(١).

ـ عن مُعَاوِيَةَ بن قُرَّةَ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فلا خَيْرَ فِيكُمْ، لا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ حتىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»**(٢).

* فتنة الدجال: «إني لأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ»:

ـ قَال سَالِمٌ، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في النَّاسِ، فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: **«إني لأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»**(٣).

ـ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إني قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّىٰ خَشِيتُ أَنْ لا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلا حَجْرَاءَ، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»**(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة بَاب قَوْلِ النبي ﷺ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي ظَاهِرِينَ علىٰ الْحَقِّ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، ومسلم (١٩٢١) كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: **«لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»** كلاهما عن المغيرة بن شعبة، وأبو داود (٢٤٨٤) كتاب الجهاد، بَاب في دَوَامِ الْجِهَادِ، عن عمران بن حصين، والترمذي (٢٢٢٩) كتاب الفتن، بَاب ما جاء في الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ، عن ثوبان، وابن ماجة (٩) كتاب الإيمان، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ عن عمرو بن شعيب عن أبيه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٩٢) كتاب أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الشام.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣٧) كتاب الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، ومسلم (١٦٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، وأبو داود (٤٧٥٧) كتاب السنة، باب في الدجال، والترمذي (٢٢٣٥) كتاب الفتن باب ما جاء في علامة الدجال.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠) كتاب الملاحم، بَاب خُرُوجِ الدَّجَّالِ.

- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إنها الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ**»(١).

- عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ذَكْوَانَ حَدَّثَنَا ابْنُ بُرَيْدَةَ، حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ هَمْدَانَ أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ، فَقَالَ: حَدِّثِينِي حَدِيثًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لاَ تُسْنِدِيهِ إِلَىٰ أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَقَالَتْ: لَئِنْ شِئْتَ لأَفْعَلَنَّ، فَقَالَ لَهَا: أَجَلْ حَدِّثِينِي [فساقت قصة تأيمها، وأَمْرِ النبي لها بأن تعتد في بيت ابن أم مكتوم، ثم قالت]: فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي، سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلاَةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَتَهُ جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ**». ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بهم الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَؤوا إِلَىٰ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ، مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً -**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٨) كتاب الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾، ومسلم (٢٩٣٦) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال.

قَالَ ـ فَانطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّىٰ دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ، مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَىٰ خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ، قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَىٰ جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لاَ يُدْرَىٰ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ، مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتِ: اعْمِدُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِها تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِها تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِها تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ، مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِم؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَىٰ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ، فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَىٰ كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَها». قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ ـ يَعْنِي: الْمَدِينَةَ ـ أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، قَال:

«فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلاَ إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، ما هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ». وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَىٰ الْمَشْرِقِ.

قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

ـ عن عَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَرَ قال: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ في ذِكْرِهَا حَتَّىٰ ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَىٰ رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَىٰ ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّىٰ يَصِيرَ النَّاسُ إِلَىٰ فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ، مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ مِنْ غَدِهِ»(٢).

ـ عن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطُفُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ، وَابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، وأبو داود (٤٣٢٦) كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة، والترمذي (٢٢٥٣) كتاب الفتن، وابن ماجة (٤٠٧٤) كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسىٰ بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٤٢) كِتَاب الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، بَاب ذِكْرِ الْفِتَنِ وَدَلَائِلِهَا.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٢٦) كتاب التعبير، باب الطواف بالكعبة في المنام، ومسلم (١٧١) =

*** نزول المسيح، ومصرع الدجال، وظهور يأجوج ومأجوج: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ»:**

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ** - يَعْنِي: عِيسَىٰ - **وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ**»(١).

ـ عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا**»(٢).

ـ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ**

= كتاب الإيمان، بَاب ذِكْرِ الْمَسِيحِ بن مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٤) كتاب الملاحم، باب خروج الدجال.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٥٢) كتاب الحج، بَابُ إِهْلَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَهَدْيِهِ.

كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَىٰ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِم فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِم، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّىٰ

يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تهارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[١].

❁ ❁ ❁

أخبرنا النبي ﷺ أنه لن تقوم الساعة حتىٰ تعود الخلافة في الأرض المقدسة من المدينة إلىٰ الشام، وحينئذ تدنو الزلازل، والهموم والأحزان، والأمور العظام، وتوشك الساعة أن تقوم.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيت الخلافة قد نزلت أرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام**».

ربط رسول الله ﷺ بين البشارة بعودة الخلافة، وهو أمر يسُرُّ كل مسلم، وبين دنو الزلازل والبلابل والعظائم واقتراب الساعة، فكأن استقامة الحياة علىٰ منهجها القويم إيذان بزوالها، ورحيل أهل الخير منها، والزلازل: (الشدائد، والزلازل: الأهوال، قال عمران بن حطان:

فقــد أظلَّــتكَ أيــامٌ لهــا خَمــسٌ

فــيهَا الــزلازلُ والأهــوالُ والــوهلُ[٢]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، وأبو داود (٤٣٢١) كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، والترمذي (٢٢٤٠) كتاب أبواب الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال، وابن ماجة (٤٠٧٥) كتاب الفتن، بَابُ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَخُرُوجِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ.

(٢) لسان العرب (١١/ ٣٠٨).

والبلابل جمع بلبلة، وبلبلة الصدر: وسواسه، (والبلبلة والبلابل والبَلبَال: شدة الهمِّ والوسواس في الصدور، وحديث النفس)[١].

والمراد بالأمور العظام: أشراط الساعة الكبرىٰ.

ويؤكد نبوءةَ عودة الخلافة في آخر الزمان الحديثُ الذي رواه أحمد في مسنده: أن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًّا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة**» ثم سكت[٢].

وسوف يظهر المهدي في آخر الزمان، كما أكَّد النبي ﷺ ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتىٰ يخرج.

وهو رجل من آل بيت النبي ﷺ، يطابق اسمه اسم النبي، واسم أبيه اسم أبي النبي، يملأ الأرض عدلًا بعد أن مُلئت جوْرًا.

قال ﷺ في صفة المهدي: «**يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وجورًا**».

والقِسط: بكسر القاف هو العدل، والظلم هو الجوْر وجمع بين القسط والعدل للتوكيد والمبالغة، ويحتمل (أن يُراد بالقسط إعطاء كل ذي حق حقه، وبالعدل النَّصَفَةُ والحكم بميزان الشريعة، وانتصار المظلوم، وانتقامه من الظالم؛ فيكون جامعًا لما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾

---

(١) السابق (١١/ ٦٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٧٣)، والبزار في مسنده (٢٧٩٦) وغيرهما، والحديث حسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٧٨، ١٤٧٩).

[النحل: ٩٠]) (١).

ثم يشاء الله أن يفتح علىٰ المسلمين من بركات السماء، ويفيض عليهم من خيرات الأرض، حتىٰ إن أحد الخلفاء في آخر هذه الأمة إذا أراد أن يعطي لا يعُدُّ المال عدًّا، وإنما يحثوه حَثْوًا بالكفين، لجوده وسخاء نفسه، ولكثرة الأموال والغنائم.

قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا**» وفي رواية: «**يحثو المال حثيًا**» (قال أهل اللغة: يقال: حثيت أحثي حثيًا، وحثوت أحثو حَثْوًا ـ لغتان، وقد جاءت اللغتان في هذا الحديث، وجاء مصدر الثانية علىٰ فعل الأولىٰ، وهو جائز من باب قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]) (٢).

ويكون في آخر هذه الأمة أيضًا دجالون كذابون، يأتون الناس بما لم يسمعوه هم ولا آباؤهم من قبل من الأحاديث الكاذبة، والأحكام المبتدعة، والعقائد الزائغة، وقد أمرنا النبي ﷺ أن نحذرهم ونتجنبهم حتىٰ لا يضلونا ويفتنونا.

وقيل إن المراد بالكذابين رواة الأحاديث الموضوعة علىٰ النبي ﷺ، أو الخائضين في علم الكلام، وقيل: إن الحديث عام في التحذير من الكذب والكذابين.

وصرَّح النبي ﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان بأن ملك أمته سيبلغ المشرق والمغرب، وسيفتح الله لها كنوز الأرض، وقد سأل النبي ﷺ ربه ألا يهلك أمته بسَنة عامة: أي بقحط وجدب يعم الأمة كلها فتهلك عن آخرها، وسأله أن لا يسلط عليها عدوًّا من غيرها فيستأصلها، فاستجاب له ربه في

(١) السابق (١٠/ ٩٠).
(٢) شرح النووي (١٨/ ٣٩).

هاتين، لكنه ﷻ جعل هلاك هذه الأمة بيد بَنِيها، فلا تفنىٰ حتىٰ يُهلك بعضها بعضًا، ويأسر بعضها بعضًا.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوىٰ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها**».

زَوَىٰ لي الأرض معناه: (قبضها وجمعها، ويقال: انزوىٰ الشيء إذا انقبض وتجمع، وقوله: «**ما زُوِيَ لي منها**»: يتوهم بعض الناس أن حرف مِنْ هاهنا معناه التبعيض، وإنما معناه التفصيل للجملة المتقدمة، والتفصيل لا يناقض الجملة، ولا يبطل شيئًا منها، لكنه يأتي عليها شيئًا فشيئًا، ويستوفيها جزءًا جزءًا، والمعنىٰ أن الأرض زويت له مرة واحدة فرآها، ثم يُفتح له جزء جزء منها حتىٰ يأتي عليها كلها، فيكون هذا معنىٰ التبعيض فيها)[١].

ودعا ﷺ ربه فقال: «**لا تسلط عليهم عدوًّا من غيرهم فيستبيح بيضتهم**»

أراد بالبَيْضة (جماعتهم وأصلهم، أي: مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم، أراد عدوًّا يستأصلهم ويهلكهم جميعًا، قيل: أراد إذا أُهْلِكَ أصل البيضة كان هلاك كل ما فيها من طعم أو فرخ، وإذا لم يهلك أصل البيضة ربما يسلم بعض فراخها، وقيل: أراد بالبيضة الخوذة، فكأنه شبه مكان اجتماعهم والتئامهم ببيضة الحديد)[٢].

وعلىٰ ذلك فقوله: «**بيضتهم**» فيه استعارة تصريحية، شبه فيها مجتمع المسلمين وسلطانهم بالبيضة.

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة جزم رسول الله ﷺ بأن هلاك أمته سوف يكون علىٰ يد شباب حديثي السن من قريش، يتأمرون علىٰ الناس

---

(١) معالم السنن (٤/ ٣٣٩).

(٢) لسان العرب (٧/ ١٢٧).

فَيَفْسُدون ويُفْسِدون، ويتسببون بسفاهتهم وحمقهم في هلاك الأمة وفنائها.

قال رسول الله ﷺ: «**هلاك أمتي علىٰ يد غِلْمة من قريش**».

وذهب كثيرون إلىٰ أن المراد بالأمة هنا أهل ذلك العصر من الصحابة ومن قاربهم، لا جميع الأمة إلىٰ يوم القيامة.

لكن قول النبي ﷺ: «**هلاك أمتي**» عام، ولا توجد في الحديث قرينة تفيد التخصيص.

واستخدم الرسول ﷺ كلمة «**غِلْمة**» جمع غلام، للدلالة علىٰ قِلَّتهم وتحقير شأنهم، فغِلمة: جمع قلة، وجمع الكثرة غلمان.

وفاعلو ذلك رجال، لا غلمة، فأسماهم غلمة من باب المجاز المرسل، (ويطلق الغلام علىٰ الرجل مجازًا باسم ما كان عليه، كما يقال للصغير شيخ مجازًا باسم ما يؤول إليه)[1].

وحين تُظِلُّ الساعة يعوذ رجل من أمة محمد ﷺ بالبيت الحرام، فيأتيه جيش من الشام والعراق يريد أن يأخذه، فإذا كان هذا الجيش بالبيداء ـ قيل بيداء المدينة ـ خسف الله بهم جميعًا، فمنهم من خرج قاصدًا مستبينًا لأمره، ومنهم المُكْره، ومنهم ابن السبيل الذي سلك الطريق معهم وهو ليس منهم، يهلكون جميعًا، ويلقون ذات المصير، ويبعثهم الله يوم القيامة مختلفين، يجازَىٰ كلٌّ منهم حسب نيته، أي أن (الهلاك يعم الطائع مع العاصي، والطائع عند البعث يجازىٰ بعمله، وكذا العاصي إن لم يدركه العفو.

وفيه حث علىٰ التباعد من أهل الظلم، والتحذير من مجالستهم، ومجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين؛ لئلَّا ينالهم ما يعاقبون به، وأن من كَثَّر سواد قوم جرىٰ عليه حكمهم في الدنيا)[2].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٥٢). (٢) فيض القدير (٤/ ٣٧٥).

ويلحق إثم هدم الكعبة رجلًا من الحبشة أسود متباعد ما بين الفخذين يهدمها قبل قيام الساعة، يقلعها حجرًا حجرًا، قال رسول الله ﷺ: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**»[1].

وقال: «**كأني به أسود أفحج يقلعها حجرًا حجرًا**». يصف رسول الله ﷺ ذلك الزنديق الذي سيهدم الكعبة في آخر الزمان وصفًا بغيضًا منفِّرًا، فهو أسود أفحج، والأفحج: (الذي في رجليه اعوجاج، ورجل أفحج بَيِّنُ الفحج، وهو الذي تتدانىٰ صدور قدميه، وتتباعد عقباه، وتتفحج ساقاه)[2].

ووصفه بأنه «**ذو السويقتين**» إشارة إلىٰ دقة ساقيه وحموشتهما، ثم يزيد في التنفير منه والتبغيض أنه يهجم علىٰ أقدس مكان يؤمه المسلمون، فينقضه حجرًا حجرًا، وقوله: «**حجرًا حجرًا**» كناية عن تمام التخريب والتدمير.

وقوله: «**كأني به**» المراد منه استحضار الصورة، والضمير في «**به**» (يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن يعود إلىٰ البيت، والقرينة الحاليَّة تدل عليه، أي: كأني ملتبس به.

الثاني: أن يعود إلىٰ القالع بالقرينة الحاليَّة أيضًا.

الثالث: ما قاله الطيبي، وهو أنه ضمير مبهم يفسره ما بعده علىٰ أنه تمييز، كقوله تعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]، فإن ضمير «**هن**» هو المبهم المفسَّر بسبع سماوات، وهو تمييز.

وهذه الأوجه صحيحة ماشية علىٰ قاعدة العربية)[3].

وقوله: «**أسود**» يجوز أن يكون مرفوعًا علىٰ أنه مبتدأ خبره جملة: «**يقلعها**»، أو أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو أسود، و«**أفحج**» خبر ثان.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩)، وغيرهما.
(٢) لسان العرب (٢/ ٣٤٠).
(٣) عمدة القاري (٩/ ٢٣٨).

ويجوز أن تكون الكلمتان: «**أسود أفحج**» منصوبتين علىٰ الحاليَّة أو الذمِّ أو الاختصاص.

كما يجوز أن تكونا مجرورتين علىٰ أنهما بدل من الضمير المجرور في به.

وقوله: «**حجرًا حجرًا**» منصوب علىٰ الحاليَّة، أو لأنه بدل من الضمير المنصوب في قوله: «**يقلعها**».

والظاهر أن مكة سوف تتعرض قبيل قيام الساعة لغزوين، الأول هو هذا الجيش الوارد ذكره في الحديث السابق، ويُخسف في البيداء فلا يُمكَّن من دخولها، والثاني هو جيش الحبشة، ويُمكَّن من الدخول، ويقوم صاحبه ذو السويقتين بهدم الكعبة.

فإن قيل: إن الله جعل هذا الحرم آمنًا قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وحفظه من كل غاز، وحبس عنه الفيل، ولم يكن في ذلك الحين قبلة للمسلمين، فكيف يسلط عليه الأحباش بعد أن صار قبلة للمسلمين، وتطهَّر من رجس الأوثان؟

فيجاب علىٰ ذلك بأنه (محمول علىٰ أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة، حيث لا يبقىٰ في الأرض أحد يقول: الله، الله، كما ثبت في صحيح مسلم: «**لا تقوم الساعة حتىٰ لا يقال في الأرض: الله، الله**»[(١)]. ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان: «**لا يعمر بعده أبدًا**»[(٢)])[(٣)].

لقد ظن بعض الناس حين هاجت ريحٌ حمراءُ شديدة بالكوفة، عصفت بالأخضر واليابس ـ أنها إرهاصات الساعة، وأقبل رجل علىٰ عبد الله بن

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨)، والترمذي (٢٢٠٧)، وغيرهما.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩١)، وابن حبان (٦٨٢٧)، وغيرهما.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٤٦١).

مسعود ما له شأن ولا شغل إلا الصياح: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، فقعد عبد الله بن مسعود وكان متكئًا، فحدَّث بأن الساعة لن تقوم حتىٰ يحشد الروم لأهل الإسلام حشودًا ضخمة، ويجمع لهم أهل الإسلام كذلك، ويلتقي الجيشان، فيتصادمان بقوة، ويستمرُّ القتل بينهما، فيتعاهد جمع من المسلمين علىٰ أن يتقدموا للقتال، ويعدوا أنفسهم للهلكة، ويقسمون لا يرجعون إلا منتصرين أو شهداء، ويظل الجيشان يقتتلان حتىٰ يمنع بينهم الليل، ويعود كل فريق إلىٰ معسكره غير غالب ولا مغلوب، وتفنىٰ الكتيبة التي تعاهدت علىٰ الموت.

فيشترط المسلمون شرطة أخرىٰ للموت، فإذا كان الغد التقىٰ الجيشان فاقتتلوا قتالًا عظيمًا حتىٰ حجز الليل بينهما، وفاء كل فريق إلىٰ معسكره غير غالب ولا مغلوب، وفنيت الشرطة المسلمة، فإذا كان اليوم الثالث تكرر نفس المشهد، حتىٰ إذا كان اليوم الرابع نهض إلىٰ القتال بقية أهل الإسلام جميعًا، فاقتتلوا حتىٰ دارت الدائرة علىٰ الروم، وهزموا، فقتل منهم خلق كثير، حتىٰ إن الطائر ليمر فوق جثثهم فيخر ميتًا من نتنهم، ويرجع المسلمون وقد فني منهم الكثير، فيحصي الجماعة ممن حضروا تلك الوقعة قتلاهم، فلا يكاد يجد المائة من العشيرة واحدًا منهم حيًّا، فحينئذ لا يُفرح بغنيمة، ولا يُقسم ميراث لانشغال الناس بمصيبتهم.

فبينما هم كذلك إذا جاءهم الصريخ بوقعة أشد وأعظم من ذلك، لقد ظهر الدجال، واجتاح ديارهم، وخَلَفهم في أولادهم ونسائهم. فيلقون ما في أيديهم من الغنائم، ويسرعون إلىٰ الدجال، فيرسلون عشرة من فرسانهم ـ هم خير فرسان الأرض يومئذ ـ طليعة، يقول رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم ...**».

وقوله: «**إني لأعرف أسماءهم ...**» فيه دليل علىٰ أن الله ﷻ قد كشف

لرسوله بعض أدق تفاصيل الغيب ليدعم رسالته ﷺ، ويبرهن علىٰ صدقه.

وقوله: («**علىٰ ظهر الأرض**» احتراز من الملائكة، «**يومئذ**» أي: حينئذ، وهو احتراز من العشرة المبشرة وأمثالهم)[١].

علىٰ أن فرقة من أمة محمد سوف تظل منتصرة ظافرة مؤيدة لا يضرهم من يتخلىٰ عنهم حتىٰ يأتي أمر الله، أي حتىٰ تأتي الريح التي تقبض روح كل مؤمن، فلا تمسي علىٰ الأرض نفس مؤمنة، ومن ثم تقوم الساعة، (وأما هذه الطائفة، فقال البخاري هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث. قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرىٰ من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض)[٢].

وقال آخرون: المراد منها: الفئة المرابطة بثغور الشام، وقيل: هم ببيت المقدس، وقيل: هم الذين (يحصرهم الدجال إذا خرج، فينزل عيسىٰ إليهم، فيقتل الدجال، ويحتمل أن يكون ذلك عند خروج الدجال، أو بعد موت عيسىٰ عليه السلام بعد هبوب الريح التي تهب بعده، فلا يبقىٰ أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، ويبقىٰ شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة)[٣].

وصف النبي ﷺ الدجَّال ليحذِّر أمته من خطره، وساق قصة خروجه تفصيلًا حتىٰ لا يلتبس أمره علىٰ أحد.

---

(١) مرقاة المفاتيح (١٠/ ٥٨).

(٢) شرح النووي (١٣/ ٦٧).

(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ٣٦٠).

فمن حيث الشكل رأينا كائنًا غريبًا مقيتًا، فقد أخبرنا أنه رجل قصير أفحج مكتنزٌ ضخم الجسم أعور العين كأنها عينه عنبة منتفخة.

ومن حيث الخُلُق، فإنه كافر دجال طاغية متجبر، يدعي أنه المسيح، وأنه الله، وأن بيده مقاليد الأمور، لكن الله ﷻ يفضحه لكل مؤمن، إذ يرىٰ بين عينيه كلمة (كافر) واضحة جلية غير ملتبسة.

ومن حيث القُدُرات، فإنه يملك قدرات خارقة، إذ يستطيع إحياء الموتىٰ ويأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، والخربة فتتبعه كنوزها، ومعه مثل الجنة والنار، وهو يغزو البلاد فيسقطها جميعًا، فلا تعتصم منه غير مكة والمدينة.

وفي حديث فاطمة بنت قيس حدَّث النبي ﷺ أصحابه بحديث تميم الداريِّ الذي كان نصرانيًّا ثم أسلم، وحكىٰ للنبي أنه خرج مع ثلاثين رجلًا من لخم وجذام في رحلة بحرية، فألقىٰ بهم البحر بعد شهر إلىٰ جزيرة في البحر، فلما دخلوها لقيتهم الجساسة وهي دابّة غليظة الشعر كثيرته، لا يُعرف قُبُلها من دُبُرِها من كثرة الشعر، فقالت لهم: أيها القوم، انطلقوا إلىٰ هذا الرجل في الدير، فإنه إلىٰ خبركم بالأشواق.

فانطلقوا فزعين منها إلىٰ الدير، فرأوا فيه إنسانًا ضخمًا موثقًا بأشد وثاق، مجموعة يداه إلىٰ عنقه وركبتيه وكعبيه بالحديد، فسألوه عن خبره، فاستمهلهم، وسألهم عن نخل بيسان[1] هل ما زال يثمر؟ وعن بحيرة طبرية[2] هل ما زال فيها ماء؟ فأجابوه: أن نعم، فأخبرهم أن نخل بيسان يوشك أن لا يثمر، وأن ماء طبرية يوشك أن ينضب.

ثم سألهم عن عين زُغر[3]، أما زال ماؤها يتدفق؟ وهل يزرع أهلها

(١) قرية بالشام قريبة من الأردن.

(٢) بحيرة بالأردن.

(٣) عين في بلدة تسمىٰ زغر، وهي بلدة بالشام قليلة النبات.

بمائها؟ فأجابوه: أن نعم.

فسألهم عن النبي محمد ﷺ هل ظهر؟ وهل قاتله العرب؟ وكيف صنع بهم؟ فأجابوه: أنه ظهر، وأن العرب قاتلوه، فظهر عليهم وأطاعوه، فقال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه.

والظاهر أن ما سألهم عنه من أمور كان علامات لقرب ظهوره، وفك وثاقه، ولذلك أعلن لهم عن هُويته، وأخبرهم أنه المسيح الدجال، وأنه يوشك أن يُؤْذَنَ له فيخرج، فيجتاح القرىٰ إلا مكة والمدينة فهما محرمتان عليه، تحرسهما منه الملائكة، وتصده عنهما صدًّا.

ثم قال رسول الله ﷺ - في ختام الحديث - يزكِّي المدينة: «**هذه طَيْبَةُ، هذه طَيْبَةُ، هذه طَيْبَةُ**»، وأخبر أصحابه أن حديث تميم أعجبه لأنه وافق ما حدثهم عنه من قبلُ عن الدجال وعن المدينة ومكة، ثم أكّد لهم أن الدجال سوف يخرج من قبل المشرق.

قال رسول الله ﷺ: «**لا بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو**».

والمعنىٰ: هو من قبل المشرق، (و «ما»: زائدة أو موصولة بمعنىٰ الذي، أي الجانب الذي هو فيه، قال القاضي رحمه الله: لفظة «ما» هنا زائدة للكلام، وليست بنافية، والمراد: إثبات أنه في جهة المشرق)[1].

وحكاية الدجال هذه مثال لفن الحَكْي المتكامل الأركان، الجاذب لاهتمام السامع وفكره ووجدانه، المبهر بغرائبه ومفاجآته، الفريد في صدق أخباره وحوادثه.

وفي حديث عبد الله بن عمر ذكر النبي الفتن التي تسبق ظهور الدجال، وهي ثلاث: فتنة الأحلاس، وفتنة السرّاء، وفتنة الدهيماء.

---

(١) مرقاة المفاتيح (١٠/ ١٣٩).

أما فتنة الأحلاس، فقد سميت بذلك (لدوامها، وطول لبثها، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه هو حِلس بيته؛ لأن الحِلس يُفترش فيبقىٰ علىٰ المكان ما دام لا يرفع)[١].

ووصف النبي هذه الفتنة بأنها هَرَب وحَرَب، أي: يفر الناس فيها بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة، وينهب بعضهم مال بعض.

وفي قوله: «هَرَب وحَرَب» جناس ناقص.

وأما فتنة السرَّاء، فالمراد بالسرَّاء (النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء، وأضيفت إلىٰ السرَّاء؛ لأن السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة التنعم، أو لأنها تسر العدو)[٢].

ويكون ظهورها وإثارتها علىٰ يد رجل من أهل بيت النبي نسبًا، ولكنه ليس منه صفةً وسيرةً، وإلا لم يكن سببًا في إيقاظ الفتنة وتهييجها.

وتنتهي هذه الفتنة بالاصطلاح علىٰ البيعة لرجل غير خليق بالإمارة، ولا جدير بالاستقلال بها، ولا قادر علىٰ الاستقامة عليها.

قال ﷺ: «**ثم يصطلح الناس علىٰ رجل كَوَرِك علىٰ ضلع**» وهوتشبيه بديع شبه فيه الرجل المصطَلَح عليه بوَرِك أُقيم علىٰ ضِلْع، فهو غير متوازن ولا مستقيم ولا مستحق.

وأمّا فتنة الدهيماء، فالدهماء تعني (السوداء، والتصغير للذم، أي: الفتنة العظماء، والطامّة العمياء، وفي النهاية: هي تصغير الدهماء، يريد الفتنة المظلمة)[٣].

قال ﷺ: «**ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمةً، فإذا**

(١) معالم السنن (٤/ ٣٣٧).
(٢) عون المعبود (١١/ ٢٠٨).
(٣) مرقاة المفاتيح (١٠/ ٣٥).

قيل: انقضت تمادت».

وقوله: «**إلا لطمته لطمةً**» كناية عن عموم الفتنة وشمولها الأمة جميعها.

وقوله: «**فإذا قيل انقضت تمادت**» كناية عن استفحال الفتنة وامتداد آثارها.

فهي فتنة عامة لا تترك أحدًا إلا أصابته بمحنة، وكلما توهم الناس أنها انتهت استطالت واستمرت واستقرت، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا لتحليله دم أخيه وماله وعرضه، حتىٰ ينقسم الناس إلىٰ فريقين: فريق إيمان خالص لا نفاق فيه، وفريق نفاق خالص لا إيمان فيه.

فإذا حدث ذلك كله كان إيذانًا بظهور الدجال من يومه أو غده.

ويؤكد النبي ﷺ أن عيسىٰ عليه السلام سوف ينزل في آخر الزمان، وأنه سيقاتل الناس علىٰ الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويقتل الدجال، وتهلك كل الملل في عهده إلا الإسلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفاه الله، فيصلي عليه المسلمون.

ويُقسِم النبي ﷺ: أن المسيح سوف يُهل يومًا ملبيًا بطريق الروحاء بين مكة والمدينة حاجًا أو معتمرًا، أو قارنًا بينهما.

وأنبأنا النبي أن الدجال سوف يخرج من طريق رملي بين الشام والعراق فيعيث في الأرض فسادًا، ويمكث في الأرض أربعين يومًا، يومًا كسنة، ويومًا كشهر، ويومًا كجمعة، ثم تكون سائر أيامه كأيامنا.

يقول ﷺ: «**غير الدجال أخوفني عليكم**»

وقوله: «**أخوفني عليكم**» لحقت فيه أفعل التفضيل: «**أخوف**» نون الوقاية، وهذا نادر.

وقد روي الحديث بدون النون «**أخوفي**» وكلاهما لغتان صحيحتان، والمراد: أخوف ما أخافه عليكم.

قال الإمام النووي: (ولأفعل التفضيل أيضًا شَبَهٌ بالفعل، وخصوصًا بفعل التعجب، فجاز أن تلحقه النون المذكورة في الحديث)[١].

وسير الدجال في الأرض سريع كالغيث الذي تسوقه الريح، قال ﷺ: **«كالغيث استدبرته الريح»**

فتشبيهه بالغيث الذي هبَّت عليه الريح من خلفه، يوحي بأنه أسرع وأكثر انتشارًا، وفيه مجاز مرسل، إذ المراد بالغيث الغيم، أي يسرع في الأرض إسراع الغيم.

يأتي الدجال علىٰ القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، فيأمر لهم السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، فيرعون فيها بماشيتهم، فتعود إليهم أسمن أجسامًا، وأطول أسنمة، وأسبغ ضروعًا، وأملأ خواصر.

قال ﷺ: **«فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذُرًا، وأَسبغه ضروعًا، وأمدَّه خواصر»**.

وقوله: **«أطول ما كانت ذُرًا»** كناية عن سمن الجسم، و**«ذرًا»** جمع مفرده ذروة بضم الذال وكسرها.

«وأَسبغه ضروعًا» كناية عن امتلاء الضروع باللبن.

«وأمدَّه خواصر» كناية عن الشبع بالخصب.

وكلها توحي بخصوبة المرعىٰ، وعموم النفع.

ويأتي الدجال قومًا آخرين، فيدعوهم، فيكذبونه ولا يؤمنون به، فينصرف عنهم، فتجدب أرضهم، وتذهب أموالهم.

ويمر بالأرض الخربة، فيأمرها أن تُخرج كنوزها، فتتبعه كنوزها كجماعة النحل.

---

(١) شرح النووي (١٨/ ٦٤).

قال ﷺ: «**ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل**»

و«**يعاسيب**» جمع يعسوب وهو ذكر النحل، وكنَّىٰ بها عن جماعة النحل؛ لأن اليعسوب أميرها وكبيرها فهي تتبعه أينما طار، والجمع إشارة لكثرة الكنوز.

وتبلغ الفتنة به أن يدعو شابًا قويًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه نصفين، ثم يناديه فيقبل عليه متهلل الوجه ضاحكًا.

ثم يبعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقيَّ دمشق لابسًا ثوبين مصبوغين بورس ـ وهو (صبغة متخذة من نبتٌ أصفر يكون باليمن) ـ وزعفران متكئًا علىٰ أجنحة ملكين، يتحدر منه الماء صافيًا كاللؤلؤ، كأنه خارج من حمام فلا يصيب كافرًا ريحُ نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي عند مد بصره، ثم يدرك الدجال عند باب لُدٍّ بالقرب من بيت المقدس فيقتله.

قال ﷺ في وصف المسيح حين نزوله: «**إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جُمانٌ كاللؤلؤ**».

والعبارتان كناية عن نضارة الوجه وحيويته، فكأنه يقطر ماء.

(وجُمان) استعارة تصريحية، شبَّه القطرات التي تنزل منه بالفضة في نقائها، و(جُمان كاللؤلؤ) تشبيه، شبَّه الفضة باللؤلؤ في صفائه وحسنه.

ويأتي عيسىٰ عليه السلام قومٌ مؤمنون عصمهم الله من الدجال، وقد أخذ منهم الفزع كل مأخذ، فيمسح علىٰ وجوههم مبارِكًا ومطمئنًا، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة.

قال ﷺ: «**ثم يأتي عيسىٰ بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم**».

وقوله: «**فيمسح عن وجوههم**» كناية عن المبالغة في الإكرام، وإزالة آثار الكآبة عن وجوههم.

وبينما هو كذلك أوحىٰ الله إليه أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فتحصن بعبادي إلىٰ جبل الطور، وبعث الله يأجوج ومأجوج، فانطلقوا من كل حدب وصوب يكتسحون الأرض، ويدمرون الأخضر واليابس، فتمرُّ أوائلهم علىٰ بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، وتمرُّ أواخرهم عليها فيقولون: لقد كان بهذه البحيرة يومًا ماء.

وقوله: «**لا يدان لأحد بقتالهم**» أي: (لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم، وإنما عبر عن الطاقة باليد؛ لأن المباشرة والمدافعة إنما تكون باليد، وثنّىٰ مبالغة، كأنَّ يديه معدومتان لعجزه عن دفعه)[1].

ويحاصر يأجوجُ ومأجوجُ عيسىٰ وأصحابه حتىٰ يكاد ينفد زادهم، قال ﷺ: «**ويُحصر نبي الله عيسىٰ وأصحابه، حتىٰ يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار**».

والعبارة الأخيرة كناية عن شدة المحاصرة والتضييق، واختار رأس الثور لشدة رخصه في تلك الديار.

فيلجأ عيسىٰ وأصحابه إلىٰ الله، فيدعون، فيرسل الله علىٰ يأجوج ومأجوج دودًا يصيب أنوفهم فيقضي عليهم، فتمتلئ الأرض بجثثهم حتىٰ لا يبقىٰ موضع شبر خاليًا منهم، قال ﷺ: «**فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فَرْسَىٰ كموت نفس واحدة**»

وقوله: «**فَرْسَىٰ**» يعني: هلْكَىٰ، وهو جمع فريس، كقتيل وقتلىٰ، (وقد نبه بالكلمتين، أعني: النغف، وفرسَىٰ علىٰ أنه سبحانه يهلكهم في أدنىٰ ساعة

---

(١) مرقاة المفاتيح (١٠/ ١٢٢).

بأهون شيء، وهو النغف، فيَفْرِسهم فَرْسَ السبع فريسته بعد أن طارت نفرة البغي في رؤوسهم)(١).

وتزكم رائحتهم الكريهة أنوف المؤمنين، فيضرع عيسىٰ مرة أخرىٰ إلي ربه، فيرسل الله طيرًا عظيمة كأعناق الإبل، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا يغسل الأرض كلها حتىٰ تصير كالمرآة الصافية.

ثم يأمر الله الأرض أن تخرج ثمرها، وأن تردَّ بركتها، فتأكل الجماعة الكثيرة من الناس الرمانة الواحدة، ويستظلون بمقعر قشرها، ويبارك الله في اللبن حتىٰ يكفي لبن الناقة القريبة العهد بالولادة العُصبة من الناس، ولبن البقرة القبيلة من الناس، ولبن الغنمة العشيرة من الناس.

ويعيش الناس علىٰ ذلك زمنًا، حتىٰ تأتي ريح طيبة، فتأخذ المؤمنين من تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم.

قال رسول الله ﷺ يصف ذلك: «**فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم**».

ووصف الريح بالطيبة لأنها تختص بقبض أرواح المؤمنين، وقال: «**تأخذهم تحت آباطهم**» كناية عن الترفق بهم، وعدم التعسير عليهم في النزع.

وقوله: «**روح كل مسلم وكل مؤمن**» أراد بذكر المسلم والمؤمن التعميم.

ولا يبقىٰ في الأرض بعد ذلك إلا شرار الخلق «**يتهارجون تهارج الحمر**» أي يجامع الرجال منهم النساء بحضرة الناس كما تفعل الحُمُر.

ففي العبارة تشبيه بليغ شبَّه فيه استباحة الغواة المفسدين لكل مُحرَّم، وانعدام حيائهم، ومجاهرتهم بالمعصية ـ بفعل الحُمُر تنزو ذكرانها علىٰ إناثها في الطرقات، بلا تحفظ، ولا خجل.

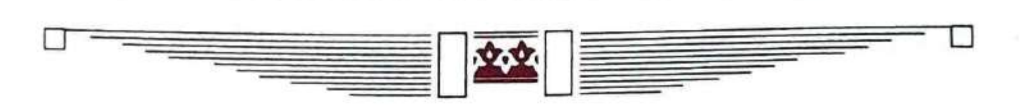
---

(١) السابق (١٠/ ١٢٣).

وليس ثمة أبشع من هذه الصورة أثرًا في التنفير من سلوك الكافرين، والتحقير من شأنهم.

قال رسول الله ﷺ: «**فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**».





الخاتمة

هكذا وصلت هذه الرحلة الطويلة المباركة في حديث رسول الله ﷺ عن نفسه في الكتب الستة إلىٰ نهايتها، ويمكنني بعد الاستعراض التفصيلي السابق لأحاديث الأبواب الثلاثة أن ألخص فيما يلي أبرز السمات التي تميَّز بها حديث رسول الله عن نفسه:

أولاً: الأفكار والمضامين:

اتسمت الأفكار في حديث الرسول ﷺ عن نفسه بما يلي:

١ ـ سمو الفكرة، وجلال الهدف، وليس ثمة أعظم قيمة من الدعوة إلىٰ توحيد الله، ونبذ الشرك، والتخلي عن دعوىٰ الجاهلية، والتحلي بمكارم الأخلاق.

٢ ـ السلاسة في الانتقال من فكرة جزئية إلىٰ أخرىٰ في الحديث الواحد، فالأفكار تتعاضد وتتكامل، وتتمثل فيها الوحدة العضوية بأتمِّ معانيها.

٣ ـ الوضوح الشديد، والقصد إلي الفكرة من أقرب طريق، فلا مجال في الدعوة إلىٰ الله لغموض الفكرة أو تعقيدها.

٤ ـ التمهيد لطرح الفكرة باستخدام الحوار، والأسئلة، والأمثلة، والتعقيب عليها بذكر الأدلة النقلية والعقلية.

٥ ـ تكثيف المعاني في العبارة الأخيرة من الحديث؛ لأنها آخر ما يطرق ذهن المتلقي، وفيها غاية الحديث وهدفه، وعصارة فكرته.

٦ ـ المرواحة بين الإيجاز والمساواة والإطناب، بحسب ما يقتضي المقام، وأحوال السامعين.

٧ ـ الروح التي تسري في هذه النصوص الحديثية هي روح التواضع الشديد، واللين والسماحة، وتوطئة الأكناف للمؤمنين، رغم أنها حديث عن النفس، غير أنها ليست نفسًا كسائر النفوس، إنما هي نفس صنعها الله علىٰ عينه، واصطفاها لرسالته.

ولا يناقض ذلك التواضع ما ذكره النبيُّ ﷺ عن نفسه من مثل كونه ﷺ سيد ولد آدم، اصطفاه الله من خير سلالات البشر، وأنه خاتم النبيين، وصاحب الشفاعة الكبرىٰ، وأقرب الخلق إلىٰ الله جَلَّوَعَلَا في الدنيا والآخرة، فتلك كمالات النبوة التي لابد أن يَتَسَنَّمها، ومنازل الأصفياء التي هو أجدر بها.

ثانيًا: النسق الوجداني:

كانت أحاسيس النبي في أحاديثه عن نفسه دائمًا صادقة متسقة مع أفكاره، كاشفة عن خبايا نفسه، منسجمة مع الجو العام للحديث، ومع الصور والأخيلة، متنوعة تنوع أحوال النفس، إنسانية الطابع برغم أنها تصدر عن نبي مرسل:

١ ـ فقد تفاوتت نبرة الأحاديث في الفصل الأول من الباب الأول بين القلق والتردد في أحاديث الوحي، والحسم والوضوح في أحاديث الإنذار، والهدوء والثبات والاطمئنان في أحاديث الأذىٰ والهجرة.

٢ ـ وعلىٰ حين تفجرت أحاديث المسجد في المدينة بالثقة والحماسة، اتسمت أحاديث حب المدينة بالسمو والتوحد النفسي، وجاءت أحاديث الغزوات متوزعة بين الإحساس بالانتشاء، والشعور بالألم، وحسم المنتصر، وهدوء القائد.

٣ ـ وأتت النبرة العامة في أحاديث الرفيق الأعلىٰ معبرة عن الاستسلام والرضا، والإحساس بالمسؤولية، واختيار الأسمىٰ والأبقىٰ.

٤ ـ وتميزت أحاديث الرسل والأنبياء بإحساس النبي ﷺ بأنه واحد من أسرة كبيرة متعاضدة متكاملة، وكانت أكثر اللقاءات حرارة هي تلك التي جمعته ﷺ برسول السماء إلىٰ الأرض جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي التي صورت علاقة فريدة بين طبيعتين مختلفتين من خلق الله.

وفي حديثه ﷺ عن إخوانه من الأنبياء تحس بتلك الحميمية والرحم العظيمة التي تربط النبي ﷺ بهم جميعًا، ولا سيما جده إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٥ ـ وفي الحديث عن الأولاد والأحفاد، وعند وقفته علىٰ قبر أمه، تدفقت أحاسيس الرحمة والشفقة من قلب النبي الإنسان، وتبدت رقته، ومشاعره المرهفة، ودموعه القريبة.

ونسجت أحاديث النبي مع أزواجه نظمًا فريدًا راقيًا لكل ما يمس علاقة الرجل بزوجه أو بأزواجه: عشرة رفيقة، وحب دافئ، وحنان ورقة، وتواضع عظيم، مع رجولة ضافية، وحزم ماض، وعدل صارم.

٦ ـ أما النبي مع أصحابه، فقد كان المعلم الرفيق، والناصح الشفيق، أحب أصحابه، وأحبه أصحابه كما لم يحب أحدٌ أحدًا، وتفانَوْا في الاقتداء به، والتأسي بسيرته، والتمسك بسنته.

٧ ـ وفي أحاديث الشمائل تبدت منظومة من الأخلاق السامقة، والصفات المثالية توَّجت رأس هذا النبي العظيم، فجعلته قمةً لا تطال، مع أنه أسوة تقتدىٰ، وكانت تلك غاية الإعجاز، فلو أنه ﷺ لم يكن بشرًا؛ لما كان لِتحقُّق هذه المثل الأخلاقية العليا في شخصه معنًىٰ ولا قيمة، ولما ابتلي الناس في الإيمان به، ولما جاز أن يكون أسوة للبشر أجمعين.

٨ ـ ولم تزده الخصوصيات التي منحه إياها ربه إلا تواضعًا ورحمة، وحبًّا للناس، وإشفاقًا عليهم، ورغبة في استنقاذهم من النار.

لقد ظل هذا القلب النبوي الكريم الذي زُكِّي وطُهِّر، ومُلِئ حكمة وإيمانًا

طيلة حياته، يحمل هموم أمته، ويرجو لهم رحمة ربه، ويختبئ لهم يوم القيامة شفاعته.

٩ ـ أما أحاديث النبوءات فيشيع فيها إحساس بالخوف علىٰ مستقبل هذه الأمة، والحذر مما ستبتلىٰ به قبل قيام الساعة، والأمل في نجاتها، وحسن خاتمتها.

ثالثًا: التراكيب والجمل:

تتنوع التراكيب والجمل في الأحاديث في فصول البحث ما بين القصر والطول، والذكر والحذف، والخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، واستخدام الجمل الفعلية أوالاسمية المؤكَّدة وغير المؤكَّدة:

١ ـ فقد استخدمت أساليب القصر المؤكِّدة في أحاديث الرسول عن نفسه في الباب الأول بكثرة، وتعددت طرقها ما بين (إنما)، إلىٰ النفي والاستثناء، إلىٰ ضمير الفصل، إلىٰ تقديم شبه الجملة: الجار والمجرور أو الظرف.

ومن ذلك قوله: «**إنما كان الذي أوتيته وحيًا**»، وقوله: «**إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة**»، وقوله: «**وأنا عليكم شهيد**»، وقوله: «**بل أنا وارأساه**».

وتقدَّمَ شبه الجملة في كثير من التراكيب علىٰ المبتدأ، أو اسم إن وأخواتها، أو كان وأخواتها، أو غير ذلك للدلالة علىٰ التأكيد والتخصيص.

مثل قوله ﷺ: «**أَنَا من أجلك ذبحناها**»، «**إني بين أيديكم فرط**»، «**ليس علىٰ أبيك كرب**».

وتتميز التراكيب في الفترة المكية في الأغلب بلون من القصر النسبي مقارنة بالفترة المدنية، وتأتي الجمل مركزة سريعة الوقع شديدة البهر، ولا

تميل إلىٰ الترسل إلا في أحوال قليلة، ويغلب استخدام الجمل الفعلية، إذ المجال مجال سرد لوقائع وأحداث متصلة بالوحي والنبوة.

ولذا يقل استخدام الجملة الإسمية إذ لا نكاد نحصي منها في خمسة عشر حديثًا إلا نحوًا من عشرين جملة، بينما بلغت الجمل الفعلية ما يزيد علىٰ مائة وأربعين جملة، أي بنسبة (١) إسمية: (٧) فعلية تقريبًا، وهذا يؤشر إلىٰ أن سرد الوقائع والأحداث تناسبه الجملة الفعلية.

وفي ذات السياق تقل الجمل الإنشائية مقارنة بالخبرية، إذ تبلغ الإنشائية نحوًا من ثلاثين جملة من إجمالي حوالي مائة وستين جملة، تتنوع بين الاستفهام والأمر والنهي والتمني.

أما في أحاديث المدينة، فنلاحظ أن الجمل والتراكيب بدأت تطول وتميل إلىٰ الترسل والإطناب، وأصبح نصيب الجملة الإسمية أوفر منه في المرحلة المكية إذ أحصيت نحوًا من خمسين جملة إسمية مقابل حوالي مائة وخمسين جملة في تسعة وعشرين حديثًا أي أن النسبة صارت (١) إسمية إلىٰ (٣) فعلية تقريبًا، وهو ما انعكس أيضًا علىٰ عدد الجمل الإنشائية إذ بلغ أكثر من ستين جملة من إجمالي حوالي مائتي جملة أغلبها استفهام وأمر.

وفي أحاديث الوفاة يستمر الترسل في الجمل والتراكيب، ويزداد نصيب الجملة الإسمية فتبلغ نحوًا من ثلاث وأربعين جملة، كثير منها مؤكد بإن، مقابل حوالي تسع وتسعين جملة فعلية، أي أن النسبة راحت تقترب من (١) إسمية إلىٰ (٢) فعلية، وذلك يشير إلىٰ أن المجال لم يعد مجال سرد، وإنما صار مجال عرض لقضايا، وتصوير لأحاسيس، ومن إجماليٍّ ما يناهز مائة وأربعين جملة زاد عدد الجمل الإنشائية عن أربعين جملة متنوعة بين الاستفهام والأمر والنهي والتمني، وهذا يؤكد بروز الجوانب الوجدانية بصورة واضحة في هذا الفصل.

٢ ـ وفي الباب الثاني تنساب الجمل والتراكيب هادئة متأنية يسلم بعضها إلىٰ بعض كالبناء المحكم، ويستخدم المصدر المؤول لمزيد من التوكيد: «**أن تؤمن ـ أن تعبد ـ أن آمر**».

والتقديم والتأخير للاختصاص وبيان أولوية المتقدم، كقوله ﷺ: «**هي ـ لي ـ حلال**»، «**ليس ـ بك ـ علىٰ أهلك هوان**»، «**لا تعرضن ـ عليَّ ـ بناتكن**».

كما تتعدد صور الحذف:

فتحذف جملة أو أكثر كقوله ﷺ: «**فنزل جبريل ... ففرج صدري**» أي: فنزل جبريل، فحياني، ثم أضجعني، ففرج صدري.

وقوله: «**حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك**»، أي لا يكتمل إيمانك حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك.

وقوله: «**الآن يا عمر**» أي: الآن كمل إيمانك يا عمر.

وقوله: «**فقيل: هذا موسىٰ**» أي: فسألت: من هذا؟ فقيل:...

وقد تحذف كلمة واحدة كقوله ﷺ: «**أتقاهم**» أي: هو أتقاهم. وقوله ﷺ: «**عائشة**» أي: هي عائشة، وقوله: «**أبوها**» أي: هو أبوها.

والغالب علىٰ الجمل في الحديث عن الرسل والأنبياء في الفصل الأول هو الخبر لا الإنشاء، وإن لم تخل الأحاديث من بعض الجمل الإنشائية، كقوله ﷺ: «**هلَّا وضعت**»، «**ردوا عليَّ**»، «**متىٰ دخل هذا الكلب؟**»، «**أكان فيمن صعق؟**»، «**فراجع ربك**».

بينما تكثر الأساليب الإنشائية في الحديث عن أهل البيت في الفصل الثاني مقارنة بالخبرية لغلبة الجانب الوجداني علىٰ غيره في علاقة الرسول مع أولاده وأزواجه وأرحامه.

ومن هذه الأساليب النداء كقوله: «**يا إبراهيم**»، «**أيها الناس**»، «**يا عباس،**

يا عماه»، «يا بنية».

والاستفهام كقوله: «**ألا أعلمكما؟**»، «**ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ؟**»، «**ألا أعطيك؟**»، «**فرس له جناحان؟**»، «**ألا تحبين ما أحب؟**»، «**ما لك يا عائش؟**».

والأمر، كقوله: «**اغسلنها ثلاثًا**»، «**واجعلن في الآخرة كافورًا**»، «**اسقني، اسقني**».

والنهي، كقوله: «**لا تؤذيني في عائشة**»، «**لا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن**».

ووردت بعض الأساليب الخبرية الإنشائية المعنىٰ، كقوله: «**أحبَّ الله من أحبّ حسينًا**».

وفي أحاديث الأصحاب في الفصل الثالث كثرت الأساليب الإنشائية وتعددت أنواعها، وإن طغىٰ فيها الأمر والنهي علىٰ غيرهما؛ لأن الرسول يخاطب أصحابه، والغالب أنه يوجههم فيأمرهم وينهاهم، ومن ذلك قوله: «**أشيروا عليّ أيها الناس**»، «**قوموا إلىٰ جنة عرضها السماوات والأرض**»، «**لا تعطه يا خالد**»، «**فلا تُشهدني إذًا**».

وورد أكثر الاستفهام بمعنىٰ الإنكار أو الأمر أو الحث، كقوله: «**أرغبت عن سنتي؟**»، «**هل أنتم تاركون لي أمرائي؟**»، «**ألا تريحني من ذي الخلصة؟**».

٣ ـ وفي الباب الثالث استخدمت المصادر المؤولة، وأساليب القصر لمزيد من التوكيد.

وتعددت المحسنات العفوية كالطباق والمقابلة والجناس؛ لتكسو النصوص بإيقاعٍ مُبهر.

واستخدم الحذف للإيجاز، وللتركيز علىٰ المذكور:

فحذفت جمل كاملة كقوله: «**لا عدوىٰ**» أي: لا تقع عدوىٰ بطبعها، وقوله: «**بل أدعو**» أي: لا أسعِّر بل أدعو.

وقوله لهرقل: «**أسلم تسلم**» أي: أسلم لله، وآمن به وبرسوله، تسلم من الأذىٰ في الدنيا والآخرة.

وقوله لرسولي كسرىٰ: «**ما تقولان أنتما؟**» أي: ما تقولان أنتما فيما يدعيه مسيلمة.

وحذفت كلمة، كقوله: «**إني ومعاذًا حول هاتين**» حيث حذف خبر إن.

وقوله: «**رحمة**»، حيث حذف المبتدأ.

وقوله: «**كلمة طيبة**»، وحذف فيها المبتدأ أيضًا.

وطغت الأساليب الإنشائية علىٰ الخبرية في أحاديث الأخلاق النبوية في الفصل الأول بوضوح، وحملت طابعًا تعليميًّا ينسجم مع مهمة الرسول ﷺ في توجيه أصحابه من خلال حوار يبدأ غالبًا بالاستفهام الممهد المشوق مثل: «**كيف تصنع يا ابن أخي؟**» و«**أيكم مثلي؟**»، «**ويطيق ذلك أحد؟**»، «**ألا تعجب من حب مغيث بريرة؟**»، «**أما بلغكم أني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها؟**»، «**وما لكم لا ترمون؟**»، «**ومن يطع الله إذا عصيت؟**».

أو بالأمر الحاثِّ كقوله: «**استنصت الناس**»، «**كلوا وادخروا وتصدقوا**»، «**أبلي وأخلقي**»، «**سددوا وقاربوا**»، «**اكتبوا لأبي شاهٍ**»، «**أفشوا السلام بينكم**»، «**سلوا الله لي الوسيلة**»... إلخ.

أو بالنهي الحازم، كقوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا**»، «**لا تبكوا علىٰ أخي**»، «**لا تقل عليك السلام**»، «**لا تطروني**».

واستخدمت الأساليب الخبرية الإنشائية المعنىٰ، كقوله ﷺ: «**لا صام ولا أفطر**»، «**نضَّر الله امرأً**»، «**يرحمه اللَّه**».

وفي أحاديث الخصوصيات في الفصل الثاني تراجع استخدام الأساليب الإنشائية مقارنة بالفصل الأول، وكان أغلبها استفهاميًا، كقوله: **«ومن يأبىٰ؟»**، **«من يردهم عنا وله الجنة؟»**، **«أنىٰ أراه؟»**، **«أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟»**، **«أفلا تتقي الله في هذه البهيمة؟»**.

وفي أحاديث النبوءات في الفصل الثالث يضحي نصيب الأساليب الإنشائية أدنىٰ من سابقه بكثير، ونرصد من أمثلتها القليلة: **«فليلزم الجماعة»**، **«هل عسىٰ رجل؟»**.

لقد توارىٰ الإنشاء إلىٰ حين؛ ليفسح المجال للإخبار عن أحداث المستقبل، وأشراط الساعة.

رابعًا: المعجم:

لا يماري أحد في أن أسلوب النبي ﷺ كان نسيج وحده، فقد وصف الله جَلَّ وَعَلَا كلامه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، ولذا نجد أن كل كلمة في حديث النبي ﷺ جاءت في موضعها المناسب دون زيادة أو نقصان، مؤتلفة مع جاراتها دون تنافر، منسجمة في سياقها دون تعسف، فليس ثَمَّت كلمة قلقة أو مستكرهة أو متكلفة أو زائدة.

وهذا الائتلاف الداخلي الناشئ عن العبقرية النبوية في انتقاء الكلمات هو الذي جعل لحديث النبيِّ ﷺ إيقاعًا متميزًا، ومذاقًا متفردًا، لا يوجد في كلام أحد من البشر سواه، ولذلك يستطيع القارئ بقليل من الدُربة أن يميِّز حديث رسول الله ﷺ من كلام غيره.

١ ـ إن كلمات النبيِّ عبرت بوضوح عن مدلولات الأحاديث، والأجواء النفسيَّة التي تنضح بها، فحين كان النبي ﷺ مضطربًا قلقًا في فترة نزول الوحي رأينا كلمات فزعة قلقة حزينة مثل: **«أخذني ـ غطني ـ زمِّلوني ـ خشيت ـ**

مخرجيَّ ـ صلصلة ـ أشده ـ فيفصم ـ فجئثت ـ رعبًا ـ لقيت».

وحين استعذب النبي الوحي، وتمنىٰ ألا ينقطع صارت الكلمات سلسة سهلة لينة: «**أوتيته ـ أُعْطي ـ يتمثل ـ فأعي ـ أقرأني ـ فلم أزل ـ أستزيده ـ فراجعته ـ فيزيدني ـ تزورنا ـ أكثر ـ أرسلني**».

وإذا أعلن دعوته، وأنذر أهله، تعالىٰ وقع الكلمات، وازدادت جهارتها: «**أرأيتكم ـ أخبرتكم ـ خيلًا ـ تغير ـ نذير ـ عذاب ـ شديد ـ يا صباحاه ـ العدو ـ يربأ ـ اشتروا ـ أغنىٰ**».

فإذا كان الكلام في حبِّ المدينة رقَّت الكلمات وعذبت: «**حبِّبْ ـ كحبنا ـ صححها ـ بارك ـ دعوت ـ يحبنا ـ نحبه ـ مدينتنا ـ أقدم ـ البركة ـ بركتين ـ ملكان ـ تقدموا**».

وحين يتحدث عن القتال في بدر وأحد يتعالىٰ وقع الكلمات مرة أخرىٰ، وتشتد نبرتها: «**ارجع ـ انطلق ـ السيف ـ بأسمع ـ النتنىٰ ـ تبرحوا ـ هزمنا ـ أوطأناهم ـ تجد ـ العافية ـ يحشر**».. إلخ.

وفي سياق أحاديث الوفاة تصير الكلمات أسيفة حزينة: «**فَرَط ـ خير ـ زهرة الدنيا ـ أجلي ـ لحاقًا ـ أهل الجنة ـ ألم ـ أبهري ـ انقطاع ـ السم ـ مسمومة ـ قطعت ـ أوعك ـ أذىٰ ـ تحط ـ تلدوني ـ هريقوا ـ دعوني ـ كرب ـ الرفيق ـ ألحقني**».

٢ ـ وفي الكلام عن الرسل والأنبياء يحتشد المعجم اللغوي للنبي ﷺ بالكلمات الدالة علىٰ الإجلال والتقدير، مثل: «**منهبطًا ـ سادًّا ـ عظم ـ ليعلم ـ فأمني ـ فأمرني ـ طويل ـ طولًا ـ يرحم ـ يأوي ـ خليل ـ تخيروني ـ باطش ـ استثنىٰ ـ فراجع ـ قائم ـ أولىٰ ـ عِلات ـ أخي ـ كأحسن ـ جُؤار ـ يلبي**».

ويتفطر قلب رسول الله ﷺ حزنًا علىٰ ولده إبراهيم فتأتي كلماته حزينة مؤثرة: «**تدمع ـ يحزن ـ لمحزونون ـ بفراقك ـ ابني ـ مات**».

وحين يتحدث ﷺ عن ابنته فاطمة تذوب الكلمات رقة إذا ذكر مكانتها منه: «**بضعة ـ مني ـ أتخوف ـ يريبني ـ أهلي**».

وتزداد حدة حين يظن أن أذىً سيمسُّها: «**أغضبها ـ أغضبني ـ تفتن ـ عدو الله ـ يؤذيني ـ آذاها**».

وتتحدر الكلمات المرهفة لتعبر عن مشاعر الجد الحانية، وهو يتكلم عن حفيديه الحسن والحسين: «**ابني ـ سيد ـ يُصلح ـ أُحِبُّه ـ فَأَحِبَّه ـ مني ـ أَحَبَّ ـ سبط ـ ريحانتاي ـ أحبني ـ لكع ـ يحبه**».

ويبدو حبه وتقديره لابن عمه عليّ واضحًا في كلماته عنه: «**ترضىٰ ـ بمنزلة ـ هارون ـ مني ـ منك ـ أهل ـ بيتي ـ يحب ـ يحبه ـ أهلي ـ عنِّي ـ مولاه**».

أما عمه العباس، فالكلمات تعبر بوضوح عن احترامه له وتقديره لمكانته: «**اسقني ـ عَلَيَّ ـ صنو ـ أبيه ـ عماه ـ أعطيك ـ أمنحك ـ أحبوك ـ غفر**».

وفي حديثه عن زوجاته تتدفق أحاسيس الزوج المحب الرفيق: «**كانت ـ وكانت ـ ولد ـ رزقت ـ حبها ـ سَرَقَة ـ حرير ـ راضية ـ غضبىٰ ـ ثوب ـ تحبين ـ أحبُّ ـ مالك ـ عائش ـ تستوحشي ـ أهلك ـ هوان ـ أسرعكن ـ أطولكن ـ أؤدي ـ أتحبين**».

وفي حديث النبي عن أصحابه يبدو المعجم اللغوي فيما يخصُّ أصحابه المقربين كأبي بكر وعمر وعثمان والزبير وسعد مشحونًا بكلمات الإعزاز والثناء: «**كافيناه ـ يدًا ـ يكافئه ـ نفعني ـ خليلًا ـ يغفر ـ صدق ـ واساني ـ بنفسه ـ صاحبي ـ فاقتدوا ـ بعدي ـ محدثون ـ عبقريًّا ـ يفري ـ فريَّه ـ فضلي ـ إيهًا ـ أَحَبَّ ـ رجل ـ حييٌّ ـ استحىٰ ـ تستحي ـ الملائكة ـ نبيٌّ ـ صديق ـ شهيدان ـ حواريًّا ـ حواريَّ ـ فداك ـ أبي ـ وأمي ـ صالحًا ـ يحرسني ـ ترفعها ـ يرفعك ـ ينتفع**».

وتعلو نبرة الناصح المشفق في حديثه مع عموم أصحابه: «**أتشفع ـ أَهْلَكَ**

- قبلكم - أرجىٰ - أبشر - بقضائك - فاقبضهن - واقضِ - تريحني - أشتهي - تستمع - أنهاك - أرغبت - أتعلم - يدريك - أقرئك - أعيدوا - ارزقه - وبارك - أوصيك - لا تدعنَّ - يكفل - أتكفل».

٣ - وفي أحاديث أخلاق الرسول تتحدر الكلمات كالجمان واشية بنبل أخلاقه ﷺ ورحمته بأمته وتواضعه، وطاعته لله وإخباته له: «**بكاء - الصبي - فأتجوز - ابن أخي - خشيت - لأرجو - طُوِّقت - ذروني - تركتكم - الضعفاء - فالنجاء - آخذ - بحجزكم - أولىٰ - أمتي - أختبئ - رحمة - أشفع - استأنيت - خيركم - أرضيتم - سلام - رحم - أبلها - الوالد - بشر - أذكرني - أُنسيتها - أرقد - يتغمدني - أعذتك - يأمنني - لأستغفر - أتوب - أخشاكم - أتقىٰ - أغفر**».

وفي الفصل الذي يتناول خصوصيات النبي ﷺ تشي الكلمات بعنوان كل خصيصة من خصوصياته فكلمات، مثل: «**يؤمن - أب - أطاعني - عصاني - نهيتكم - أمرتكم - أبايعكم**» تدل علىٰ أن الحديث عن وجوب محبته وطاعته.

وكلمات مثل: «**نور - أراه - أتاني - ربي - صورة**» تأتي في سياق الحديث عن رؤيته ﷺ ربَّه.

وإذا كانت الكلمات مثل: «**نأكل - الصدقة - لآكلها - أخشىٰ - فألقيها - الصدقات - أوساخ - تحل - هدية**» فالحديث عن جواز أكله ﷺ من الهدية، وحرمة الصدقة... وهكذا.

وفي الفصل الثالث: من نبوءات الرسول، يتكرر استخدام مادة (رأىٰ) بمشتقاتها: «**رأيتُ - أُريت - رؤياي - أرىٰ - ترون**» ست عشرة مرة؛ لأن كثيرًا من النبوءات كانت رؤىً عرضت لرسول الله ﷺ في منامه.

وتكررت كلمة (بعد) مضافة إلىٰ ضمائر مختلفة ثلاث عشرة مرة، كما استخدمت السين واللام في أول المضارع بكثرة: «**سيكون - ستكون - ستهب - فسيرىٰ - سيصيبكم - ليشربن - ليكونن - ليهلن**» لتعلق النبوءات بالمستقبل

القريب والبعيد.

خامسًا: التصوير:

تميَّزت صور النبيِّ ﷺ بالجدة والطرافة والتنوع، مع البساطة والوضوح، والصدق والاتساق النفسي، وعدم التناقض بين أطرافها، وبلوغ الغاية في تجسيد الفكرة.

وتأثرت كثيرٌ من عناصرها بالقرآن الكريم، واعتمدت في مجملها علىٰ الاستقاء من البيئة العربية المحيطة؛ لأن هدفها لم يكن مجرد الإبهار، وإنما الوصول إلىٰ عقل المتلقي وقلبه.

١ - ففي الباب الأول اشتملت أحاديث النبي ﷺ عن نفسه علىٰ بعض الصور الواقعية المليئة بالحيوية والحركة، ومنها علىٰ سبيل المثال ذلك المشهد الذي صور ظهور الملك في السماء جالسًا علىٰ كرسي، «**فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتًا...**» ومشهد فزع النبي ﷺ ورجوعه إلىٰ بيته مرتجفًا يقول لأهله: «**زملوني زملوني**».

ومن ذلك أيضًا ما حكاه النبي ﷺ عما حدث له في الطائف حين عرض نفسه علىٰ سادة ثقيف فلم يجيبوه إلىٰ ما أراد، «**لقد لقيت من قومك ما لقيت...**» فانطلق هائمًا علىٰ وجهه، حتىٰ وصل قرن الثعالب، فجاءه جبريل، ومعه ملك الجبال يخيِّره في أمر قومه.

واستعملت أغلب أنواع التصوير البياني بمعناه البلاغي التقليدي:

فمن التشبيه التمثيلي قوله ﷺ: «**هي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد**»، وقوله: «**كفّر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**».

ومن الاستعارة المكنية قوله: «**أُحُد جبل يحبنا ونحبه**»، وقوله: «**قرية تأكل القرىٰ**».

ومن التصريحية قوله ﷺ: «**وجدناه بحرًا**».

ومن الكناية قوله: «**إن رأيتمونا تخطفنا الطير**»، وقوله: «**أوطأناهم**»، وقوله: «**وجدت انقطاع أبهري**».

ومن المجاز المرسل كلمة «**خيلًا**» في قوله: «**لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي**».

والطعام في قوله: «**ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر**».

والملاحظ أن هذه الصور كلها جاءت طبيعية في سياقها، ولم تكن متكلفة، ولا متعسفة، ولذلك كانت صورًا مثالية متكاملة.

٢ ـ ولم تخل أحاديث النبي ﷺ في الباب الثاني بفصوله الثلاثة من صور واقعية مؤثرة، منها: صورة موسىٰ ويونس وهما يلبيان. وصورة اللقاء الحار بين النبي الجد والحفيد الصغير وكل منهما يلتزم الآخر ويقبله، وصورة بلال وهو يسير في الجنة، فتتكسر الأغصان والأوراق تحت قدميه، فيسمع لصوت نعليه خشخشة.

واستعمل التشبيه أيضًا كقوله ﷺ: «**معادن العرب ـ الأنبياء أولاد علات ـ كأنها عنبة طافية ـ هما ريحانتاي**».

ومن التشبيه التمثيلي ذلك الوصف الرائع لحلقة الأنبياء المتتالية المتكاملة وخاتمها محمد ﷺ، حيث شبّه ذلك ببيت جميل حسن البناء لا تنقصه إلا لبنة واحدة، والناس يعجبون لجماله، ويتمنون أن لو وضعت هذه اللبنة في مكانها؛ ليكتمل بهاؤه ورونقه.

ومنه قول النبي ﷺ للسيدة عائشة: «**وكنت لك كأبي زرع لأم زرع**».

ومن الاستعارات التمثيلية ما جاء في تشبيهه ﷺ لخلافة أبي بكر برجل يسقي الناس بذنوب وفي نزعه ضعف، ولخلافة عمر برجل يسقي الناس بدلو عظيمة حتىٰ ارتوىٰ الناس وضربوا بعطن.

ومن الاستعارة المكنية قوله ﷺ: «**أربع كلمات لو وزنت**».

ومن التصريحية قوله: «**لقد أوتيت مزمارًا**».

ومن المجاز المرسل: (الثدي)، في قوله: «**مات في الثدي**»، و(يدًا) في قوله: «**أطولكن يدًا**».

ومن الكنايات قوله: «**لا أكاد أرىٰ رأسه**»، و«**فاطمة بضعة مني**»، و«**لو مزجت بماء البحر لمزجته**»، و«**أمَّا صاحبكم فقد غامر**»، و«**لم أر عبقريًّا يفري فريّه**»... إلخ.

٣ ـ ويحتشد الباب الثالث بكمٍّ هائل من الصور البيانية، ولا سيما في الفصلين الأول والثالث.

وتأتي الكناية في الفصل الأول في المقام الأول، ربما لأن رسول الله ﷺ كان يفضل أن يسلك في تعليم أصحابه وتوجيههم إلىٰ مكارم الأخلاق أسلوبًا غير مباشر بالتكنية اللطيفة، كقوله: «**يطعمني ربي ويسقيني**»، «**ذاك صوم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ**»، «**آخذ بحجزكم عن النار**»، «**اليوم يرغب إليّ الخلق**»، «**ثم أغزو فأقتل**»، «**عضوا عليه بالنواجذ**»، «**قد أعذتك مني**»، «**هممت أن أبث رجلًا**»، «**إسباغ الوضوء علىٰ المكاره**»، «**كثرة الخطا إلىٰ المساجد**»، «**انتظار الصلاة بعد الصلاة**»، «**يغشاها أصحابي**»، «**لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار**».

ووردت عدة تشبيهات تمثيلية تظهر فيها الجدة والطرافة والابتكار، كقوله في تشبيه نفسه: «**مثلي ومثل ما بعثني به الله كمثل رجل أتىٰ قومًا**»، وكقوله: «**إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا**»، وقوله: «**مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا**».

ومن التشبيه العادي: «**تقضمها كما يقضم الفحل**»، «**الأنصار شعار**»، «**الناس دثار**».

أما الاستعارة فكانت أمثلتها قليلة للغاية، كقوله ﷺ: «**أخيس بالعهد**»، «**عطاء أوسع من الصبر**»، «**رحم أبلها ببلالها**».

ولم يخلُ الفصل من صور واقعية بديعة كصورة النبي ﷺ وهو يصلي، فيسمع بكاء صبي هلعًا علىٰ أمه، فيسرع في صلاته إشفاقًا عليها وعليه، وكصورة الشهيد حين يأتي يوم القيامة بجرحه كهيئته حين كُلم، لونه لون دم، وريحه ريح مسك، وكصورة مانعي زكاة الماشية يوم القيامة حين تأتي الزكاة التي منعوها، فتدوسهم وتغدو عليهم وتروح.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب تقلُّ صور المجاز، وإن ظلَّت الكناية متربعة علىٰ العرش منه، ومنها قوله ﷺ: «**إلا من أَبَىٰ**»، «**أُعطيت مفاتيح الأرض**»، «**لا ينام قلبي**»، «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»، «**ومثله معه**».

ويظهر التشبيه في أمثلة قليلة، منها قوله ﷺ: «**الصدقات إنما هي أوساخ الناس**»، «**الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف**»، «**آنيته عدد النجوم**»، «**مُوتان كقعاص الغنم**».

وتبدو الاستعارة علىٰ استحياء في قوله: «**حرَّم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»، وقوله: «**خائنة الأعين**».

ويستخدم المجاز المرسل في مثل كلمة «**أبىٰ**» في قوله: «**إلا من أبىٰ**»، وكلمة «**الأرض**» في قوله: «**جعلت لي الأرض**»، وكلمة «**عينيَّ**» في قوله: «**إن عينيَّ تنامان**».

وهكذا يبدو الخيال في هذا الفصل منتحيًا جانبًا؛ ويبرز الكلام متوشحًا ثوب الحقيقة في أغلب الأحيان، ربما لأن الحديث عن خصوصيات الرسول ﷺ لا يحتاجه كثيرًا.

أما الفصل الثالث، فتعود أنواع التصوير البياني المختلفة، وفي مقدمتها الكناية، لتتصدر مرة أخرىٰ، وتكثر استعانة النبيِّ ﷺ بها، ليُعين أمته علىٰ

تصور النبوءات الخارقة التي سوف تتحقق في المستقبل القريب والبعيد.

ومن أمثلة التشبيه قوله ﷺ: «**ملوكًا على الأسرة**»، و«**مواقع الفتن كمواقع القطر**»، «**أثرها مثل أثر الوكت**» و«**أثرها مثل أثر المجل**»، و«**رجل كورك على ضلع**»، و«**كالغيث استدبرته الريح**» و«**جمان كاللؤلؤ**».

ومن التشبيه التمثيلي البديع قوله ﷺ: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة**» و«**كجمر دحرجته على رجلك فنفِط، فتراه منتبرًا**».

ومن الاستعارة التمثيلية قوله:

«**وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الخَضْرَاءِ، أَكَلَتْ حَتَّىٰ إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، وَرَتَعَتْ**».

ومن التصريحية قوله: «**جُمان**» في وصف الماء يتحدر من عيسى عليه السلام.

أما الكناية فهي كثيرة، ومنها: «**لو سَأَلْتَنِي هذه الْقِطْعَةَ ما أَعْطَيْتُكَهَا**»، و«**لا يجاوز حلاقيمهم**»، و«**عضُّوا عليها بالنواجذ**»، «**ولو أن تعضَّ بأصل شجرة**»، و«**يسمونها بغير اسمها**»، «**وهو متكئ على أريكته**»، و«**فإذا قيل انقضت تمادت**»، و«**أطول ما كانت ذُرًا**»، و«**أسبغه ضروعًا**» و«**أمده خواصرَ**».

وبعد...

فهكذا بدت لي أحاديث الرسول ﷺ عن نفسه كما رصدتها في كتب الحديث الستة، ولا أظنُّ أنني بلغت بشرحها وتحليلها ما أحبُّ، فإنني كلما أعدت قراءة العمل جرى فيه قلمي بالإضافة والحذف والتعديل، ولم أشعر بكامل الرضا عما سطَّرت، ولكني تذكرت أخيرًا قول العماد الأصفهاني:

(رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة

البشر).

فتوكلت علىٰ الله، ودفعت بما كُتب للطبع، وعقلي وقلبي مفتوحان لكل نقد أو تصويب أو توجيه يفضي إلىٰ بلوغ غاية جهد البشر في خدمة حديث رسول الله ﷺ.

اللهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، وانفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتىٰ الله بقلب سليم.



المَصادر والمَراجع

م القرآن الكريم

١ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: لابن دقيق العيد، تحقيق الأستاذ أحمد شاكر، مكتبة السنة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤ م.

٢ أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير: لأبي بكر أحمد بن أبي خيثمة، بتحقيق إسماعيل حسن حسين ـ دار الوطن بالرياض، الطبعةالأولىٰ ١٩٩٧م

٣ الأدب المفرد: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م.

٤ أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، بتحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م

٥ الاستذكار: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، بتحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

٦ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي

بتحقيق جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب ـ الدار البيضاء، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.

٧ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، بتحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

٨ أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م.

٩ الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، بتحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ـ بيروت الطبعة: الأولىٰ، ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٠ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للأستاذ/ مصطفىٰ صادق الرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثامنة ـ ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥ م.

١١ أفق الخطاب النقدي للدكتور صبري حافظ. دار شرقيات ـ القاهرة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٩٩٦م.

١٢ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسىٰ الكلاعي الأندلسي، بتحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ.

١٣ أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك لجمال الدين بن هشام الأنصاري، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ـ

بيروت، الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

١٤ البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، للأستاذ الدكتور/ سيد البحراوي. دار شرقيات ـ القاهرة ـ الطبعة الأولىٰ ١٩٩٣م.

١٥ بحر الفوائد المسمىٰ بمعاني الأخبار لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي بتحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ــ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ــ بيروت/ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٦ البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، بتحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨، هـ ـ ١٩٨٨ م.

١٧ البيان المحمدي، للأستاذ الدكتور/ مصطفىٰ الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٥م.

١٨ البيان النبوي، للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي، دار الوفاء، الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٩ بيليوجرافيا الرسائل العلمية في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتىٰ نهاية القرن العشرين في الأدب العربي والبلاغة والنقد الأدبي. للدكتور محمد أبو المجد علي البسيوني. مكتبة الآداب. الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م

٢٠ تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضىٰ، الزَّبيدي، بتحقيق:

مجموعة من المحققين، دار الهداية ١٩٨٤م.

٢١ تاريخ الخلفاء للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ـ مصر، الطبعة الأولىٰ ـ ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

٢٢ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٩٥م

٢٣ التحرير والتنوير: تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر ـ تونس ١٩٨٤م

٢٤ تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٢ هـ.

٢٥ تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، للأستاذين/ محمد عبد الغني المصري، ومجد محمد الباكير البرازي. مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٢م.

٢٦ تحليل النص السردي، للأستاذ/ سعيد الوكيل. الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٨م.

٢٧ تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، بتحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة

الأولىٰ ١٣٧٤هـ

٢٨ التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، بتحقيق أبي لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع ـ الرياض الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٩ تفسير أسماء الله الحسنىٰ للشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ العدد ١١٢ ـ السنة ٣٣ ـ ١٤٢١هـ.

٣٠ تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للأمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر، بتحقيق: الأستاذ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

٣١ تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، بتحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٢ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: لمحمد بن فتوح ابن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبي عبد الله بن أبي نصر، بتحقيق: الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٣ تقريب التهذيب، للأمام أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٤ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، بتحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري ـ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب ١٣٨٧ هـ.

٣٥ تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، بتحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولىٰ ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣٦ تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبي منصور، بتحقيق: محمد عوض مرعب ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولىٰ ٢٠٠١م

٣٧ التيسير بشرح الجامع الصغير للإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي ـ الرياض ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٨ الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، بتحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر ـ الطبعة الأولىٰ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٣٩ الجامع في الحديث لعبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبي محمد المصري، تحقيق: د. مصطفىٰ حسن حسين أبو الخير، دار ابن الجوزي ـ السعودية ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٩٩٦م.

٤٠ جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، بتحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ الطبعة الأولىٰ ١٩٨٧م.

٤١ حاشية ابن القيم علىٰ سنن أبي داود لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

٤٢ حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجة، أو كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، دار الفكر، الطبعة الثانية.

٤٣ حاشية السندي علىٰ سنن النسائي لنور الدين بن عبدالهادي أبي الحسن السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٤٤ حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار لمحمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار الحاوي ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ـ ١٩٩٨م.

٤٥ الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين. دار اقرأ بيروت ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٤٦ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٥هـ.

٤٧ الخصائص الكبرىٰ لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م

٤٨ الخصائص لأبي الفتح بن جني، بتحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المطبوعة عام ١٩٥٢م.

٤٩ خلاصة سير سيد البشر لمحب الدين أبي جعفر بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز ـ مكة المكرمة ـ السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م. دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسىٰ البابي الحلبي ١٣٧٢هـ.

٥٠ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، اعتنىٰ بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٥١ الديباج علىٰ مسلم لعبدالرحمن بن أبي بكر أبي الفضل السيوطي، بتحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان ـ الخبر ـ السعودية ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٢ ذخائر العقبىٰ لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي بباب الخلق، بحارة الجداوي بدرب سعادة بالقاهرة، عن نسخة: دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية، عام النشر: ١٣٥٦ هـ.

٥٣ الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري، مكتبة المورد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧ه ـ ٢٠٠٦م.

٥٤ الروح في الكلام علىٰ أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م.

٥٥ زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية ـ بيروت ـ الكويت ـ الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٥٦ الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي لمحمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبي منصور، تحقيق: د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، الطبعة الأولىٰ ـ ١٣٩٩هـ.

٥٧ سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م.

٥٨ سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم ـ دمشق الطبعة الأولىٰ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م.

٥٩ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ـ الطبعة الأولىٰ جـ١ ـ ٤: ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م، جـ٦: ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م، جـ٧: ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م

٦٠ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

٦١ السنة لعمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ـ ١٤٠٠.

٦٢ سنن ابن ماجة لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسىٰ البابي الحلبي ١٣٧٢هـ.

٦٣ سنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الفكر. بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٠م.

٦٤ سنن الترمذي: لمحمد بن عيسىٰ أبي عيسىٰ الترمذي السلمي، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي ـ مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

٦٥ سنن الدارقطني لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ـ الطبعة الأولىٰ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٤ م.

٦٦ السنن الصغرىٰ لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبي بكر، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩م.

٦٧ السنن الكبرىٰ للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٨ سنن النسائي الصغرىٰ: لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة الثانية، ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م.

٦٩ سنن النسائي الكبرىٰ: تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م.

٧٠ سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبي عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة التاسعة، ـ ١٤١٣ هـ.

٧١ سيرة ابن اسحاق (كتاب السير والمغازي) لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٧٢ سيرة ابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبي محمد، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ـ بيروت ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١١هـ.

٧٣ السيرة الحلبية: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤٠٠ هـ.

٧٤ السيرة النبوية لابن كثير (من البداية والنهاية لابن كثير) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفىٰ عبد الواحد الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٦ م.

٧٥ شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث ـ القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

٧٦ شرح أبي داود لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسىٰ بن أحمد بن حسين الغيتابىٰ الحنفىٰ بدر الدين العينىٰ، تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م.

٧٧ شرح البخاري للسفيري، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، لشمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

٧٨ شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة ا لأولىٰ ـ ١٤١١هـ.

٧٩ شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ دمشق بيروت ـ

الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٠ شرح السيوطي لسنن النسائي للإمام عبدالرحمن بن أبي بكر أبي الفضل السيوطي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة الثانية، ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

٨١ شرح النووي علىٰ صحيح مسلم للإمام أبي زكريا يحيىٰ بن شرف ابن مري النووي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٢هـ.

٨٢ شرح صحيح البخارىٰ لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد ـ السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٨٣ شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ لبنان ـ بيروت، الطبعة: الأولىٰ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٨٤ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت. الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٨٥ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٦ صحيح أبي داود لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٨٧ صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، بتحقيق محب الدين الخطيب، ومراجعة قصيّ محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. المكتبة السلفية ـ الطبعة الأولىٰ ١٤٠٠هـ.

٨٨ صحيح الترغيب والترهيب للألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١هـ.

٨٩ صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

٩٠ صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة. الطبعة الأولىٰ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٩١ صفة الصفوة للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي، تجقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٩٢ صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط: لعثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو تقي الدين، المعروف بابن الصلاح، تجقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٩٣ ضعيف أبي داود للألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ـ الكويت، الطبعة الأولىٰ ـ ١٤٢٣ هـ.

٩٤ ضعيف الأدب المفرد للألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ م.

٩٥ ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني، أشرف علىٰ طبعه: زهير الشاويش: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٩٦ ضعيف سنن الترمذي للألباني، طبعه وعلّق عليه: زهير الشاويش، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض، توزيع: المكتب الاسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م.

٩٧ طبقات ابن سعد لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبداللّه البصري الزهري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٩٦٨ م.

٩٨ طبقات الشافعية الكبرىٰ لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ـ ١٤١٣هـ.

٩٩ طرح التثريب في شرح التقريب، لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ـ ٢٠٠٠م.

١٠٠ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٠١ عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٩٩٥م.

١٠٢ العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي/ د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون طبعة وتاريخ.

١٠٣ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، بن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبي الفتح، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٠٤ غريب الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبي محمد، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، الطبعة الأولىٰ ١٣٩٧هـ.

١٠٥ فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت١٣٧٩هـ.

١٠٦ فتح الباري شرح صحيح البخاري لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي، تحقيق دار الحرمين - القاهرة، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

١٠٧ الفصل للوصل المدرج في النقل لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد بن مطر الزهراني، دار الهجرة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٠٨ الفكر البلاغي الحديث، للأستاذ الدكتور/ مصطفىٰ الجويني. دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٩٩م.

١٠٩ فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرىٰ ـ مصر ـ الطبعة الأولىٰ ١٣٥٦هـ.

١١٠ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لحمد بن أحمد أبي عبداللّه الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو ـ جدة، الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١١١ كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار النشر: دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٢ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١١٣ لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٩٦٨م.

١١٤ المتواري علي تراجم أبواب البخاري، لناصر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المنير الاسكندري، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا ـ الكويت ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١١٥ المجازات النبوية للشريف الرضي تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

١١٦ مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محييٰ الدين عبد الحميد، دار المعرفة ـ بيروت،

بدون تاريخ.

١١٧ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ، بيروت ـ ١٤٠٧هـ.

١١٨ مختار الصحاح لحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت ـ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

١١٩ مدارس النقد الأدبي الحديث، للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي. الدار المصرية اللبنانية ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٢٠ مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ـ الجامعة السلفية ـ بنارس الهند، الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

١٢١ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني. دار الكتب العلمية ـ لبنان/ بيروت، الطبعة الأولىٰ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٢٢ المستدرك علىٰ الصحيحين، لمحمد بن عبداللَّه أبي عبداللَّه الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٢٣ مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد بن حنبل أبي عبداللَّه الشيباني، مؤسسة قرطبة ـ مصر، دون تاريخ.

١٢٤ مسند البزار البحر الزخار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ابن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ

الرحمن زين الله، (الأجزاء من ١ إلىٰ ٩)، وعادل سعد (الأجزاء من ١٠ إلىٰ ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٩م.

١٢٥ المسند الجامع لمحمود محمد خليل ـ دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، الطبعة الأولىٰ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م

١٢٦ مسند الحميدي لعبداللّٰه أبي بكر بن الزبير بن عيسىٰ بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَاني، الناشر: دار السقا، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٦م.

١٢٧ مسند الشافعي للإمام محمد بن إدريس أبي عبد الله الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٢٨ مشاهير علماء الأمصار، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٥٩م.

١٢٩ مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٥م.

١٣٠ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية ـ بيروت، دون تاريخ.

١٣١ مصنف ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،

لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولىٰ ـ ١٤٠٩هـ.

١٣٢ معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود لأبي سليمان حمد بن محمد ابن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية ـ حلب، الطبعة الأولىٰ ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م.

١٣٣ المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار النشر: دار الحرمين ـ القاهرة ـ ١٤١٥هـ.

١٣٤ معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

١٣٥ المعجم الصغير للطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار ـ بيروت، عمان، الطبعة الأولىٰ ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.

١٣٦ معجم الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

١٣٧ المعجم الكبير للطبراني تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء ـ الموصل ـ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م.

١٣٨ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة. ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

١٣٩ المعجم الوسيط تأليف: إبراهيم مصطفىٰ/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، استنبول، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

١٤٠ معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثانية ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٤١ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، دار الفكر ـ دمشق الطبعة السادسة ـ ١٩٨٥م.

١٤٢ المقتفىٰ من سيرة المصطفىٰ للحسن بن عمر بن حبيب، تحقيق: د مصطفىٰ محمد حسين الذهبي، دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤٣ مقدمة في النقد الأدبي،، للدكتور علي جواد الطاهر. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، سبتمبر ١٩٧٩م.

١٤٤ من أسرار البيان القرآني، للدكتور فاضل السامرائي، دار الفكر ـ عمان ـ الأردن ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

١٤٥ منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.

١٤٦ المنتقىٰ شرح الموطأ لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن

أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة ـ القاهـرة، الطـبعة الأولـىٰ، ١٣٣٢ هــ (صــورتها دار الكـتاب الإسلامي، القاهرة ـ الطبعة: الثانية، بدون تاريخ).

١٤٧ منهج تحليل النصوص في السيرة النبوية، للأستاذ/ نزار عبد القادر ريان. مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني ص ١٤٧ ص ٢٥٦/ ٢٠٠٢م.

١٤٨ موطأ مالك للإمام مالك بن أنس أبي عبداللَّه الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

١٤٩ النحو الوافي للدكتور عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، دون تاريخ.

١٥٠ النقد الأدبي أصوله ومناهجه، للأستاذ/ سيد قطب. دار الشروق ـ الطبعة الثامنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٥١ النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ ـ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٥٢ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للأمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ـ مصر، دون تاريخ.

١٥٣ الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ، دار إحياء التراث ـ بيروت ـ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٥٤ الوجوه البيانية في القصة النبوية وأسرارها الدقيقة، للأستاذة/ فوزية بنت عبد الله بن سند العصيمي. رسالة ماجستير ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القرىٰ ـ مكة المكرمة ١٤٢٠هـ.



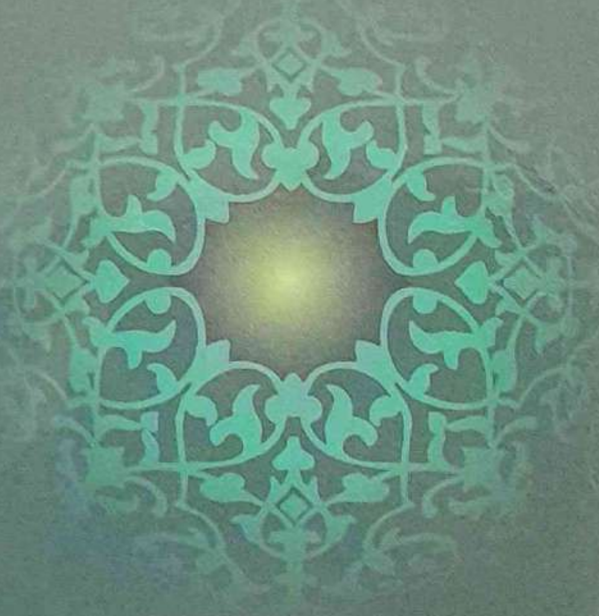


فهرس الأحاديث والآثار



فهرس الموضوعات





دار ابن الجوزي 8428146

194559